العقيدة أولاً

لو كانوا يعلمون

[٢]

الطّبعَة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

مكتبة الغرباء
الأردن - عمان
ت: ٠٧٩٥١٨٤٠٥٠

الدار الأثرية
الأردن - عمان
ت: ٠٧٩٥٩٤٣٤٥٦

مكتبة الإمام الذهبي
الإمارات - أبو ظبي
ت: ٠٠٩٧١٥٠٦٨٢٠٢١٢

العقيدة أولاً

لو كانوا يعلمون

مجموعةٌ من الخطبِ والمواعظِ في العقيدةِ
نصحني بها وأَمرني بطباعتِها
والدي وأستاذي وشيخي

محمدُ ناصرِ الدين الألباني

رحمه الله تعالى

حَضرَها وقَرَأها وقدّم لها فضيلةُ الشيخِ

مشهورُ بنُ حسنِ آل سلمان ـ حفظه اللهُ

أعدَّها

«أبو إسلام»

صالح بن طه عبد الواحد

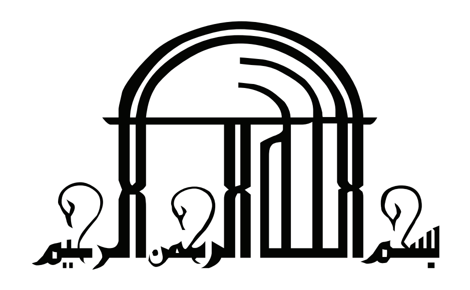
إِمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

الأردن ـ عمان

ت: ٠٠٩٦٢٦٤٧٨٥٦٩٩

المجلد الثاني

[منهج محمد ﷺ في الدعوة إلى الله ووصاياه لأُمته]


بسم الله الرحمن الرحيم

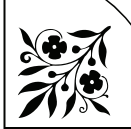
الرموز المستخدمة في التخريج

خ: صحيح البخاري.
م: صحيح مسلم.
د: سنن أبي داود.
ت: سنن الترمذي.
ن: سنن النسائي.
هـ: سنن ابن ماجه.
حم: مسند أحمد.
حب: صحيح ابن حبان.
خز: صحيح ابن خزيمة.
طب: المعجم الكبير للطبراني.
طس: المعجم الأوسط للطبراني.
طص: المعجم الصغير للطبراني.
ش: مصنف ابن أبي شيبة.
عب: مصنف عبد الرزّاق.
قط: سنن الدارقطني.
مي: سنن الدارمي.
ك: المستدرك على الصحيحين.
فع: مسند الشافعي.
ع: مسند أبي يعلى.
لس: مسند الطيالسي.
خد: الأدب المفرد للبخاري.
هب: شعب الإيمان للبيهقي.
هق: السنن الكبرى للبيهقي.
حل: حلية الأولياء لأبي نعيم.
(ص.ت): صحيح سنن الترمذي.
(ص.د): صحيح سنن أبي داود.
(ص.ن): صحيح سنن النسائي.
(ص.هـ): صحيح سنن ابن ماجه.
(ص.خد): صحيح الأدب المفرد.
(ص.غ.هـ): صحيح الترغيب والترهيب.
(ض.غ.هـ): ضعيف الترغيب والترهيب.
(س.ص): السلسلة الصحيحة.
(ص.ج): صحيح الجامع الصغير.
(ض.ج): ضعيف الجامع.
المشكاة: مشكاة المصابيح.
إرواء الغليل: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل.
الموسوعة الحديثية: مسند الإمام أحمد.

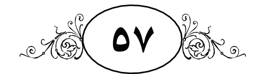


منهج محمد ﷺ في الدعوة إلى الله

ووصاياه لأُمته







محمد ﷺ

عباد الله! في الجمعة الماضية انتهينا من الحديث عن عيسى عليه السلام وتبيّن لنا كيف دعا قومه إلى عقيدة التوحيد، وكيف صبر على دعوته، وقبله كنا قد تكلمنا عن موسى عليه السلام، وعن إبراهيم عليه السلام، وعن نوح عليه السلام، وتبيّن لنا كيف دعوا جميعاً أقوامهم إلى عقيدة التوحيد، وكيف صبروا على دعوتهم حتى جاءهم نصر الله.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الرسول الخامس من أولي العزم من الرسل، مع خاتم الأنبياء والمرسلين، مع سيد ولد آدم ولا فخر، مع محمد بن عبد الله ﷺ.

عباد الله! عيسى عليه السلام هو آخر الأنبياء في بني إسرائيل، فلا نبي بعده في بني إسرائيل، وقد بشَّر عيسى عليه السلام برسولنا ﷺ، وقد أخبرنا الله بذلك في كتابه.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

عباد الله! جاء ﷺ وبُعث في الناس على فترة من الرسل بالشريعة الكاملة وبالدين القيم؛ لأنه لا نبي بعده، ولا رسول بعده، فجاء بشريعة تصلح للبشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ومن ادعى النبوة والرسالة بعد رسولنا ﷺ فهو أفّاك وضال وكذاب، وإن مات على ذلك فهو في نار جهنم، لِمَ؟.

لأنه قد جاءت الأدلة في كتاب ربنا، وفي سنّة نبيّنا، وقد أجمعت الأمة على أنه لا نبي بعد نبينا ولا رسول بعد رسولنا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: ٤٠].

آية صريحة في أنه لا نبي بعد نبينا، ولا رسول بعد رسولنا.

وقد جاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ تبيّن أنه لا نبي بعده، ولا رسول، يقول ﷺ: «**إن الرسالة والنبوَّة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي، ولكن المبشرات رؤيا الرجل المسلم، وهي جزء من أجزاء النبوة**»(١).

أمة الإسلام! يجب عليكم أن تعرفوا ذلك جيداً، فما من يوم إلا ونسمع من هنا وهناك من مجانين البشر من يدَّعي أنه نبي، أو من يدَّعي أنه رسول، فهذا كذَّاب أَشِرٌّ، فلا بد أن تعتقد بعقيدة راسخة أنه لا نبي بعد نبينا، ولا رسول بعد رسولنا.

قال ﷺ: «**مَثَلي في النبيين كمثل رجلٍ بنى داراً فأحسنها، وأكملها، وأجملها، وترك فيها موضع لبنة لم يضعها، فجعل الناس يطوفون بالبنيان، ويعجبون منه ويقولون: لو تم موضع هذه اللبنة، فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة**»(٢).

أي: قد كمل البناء به ﷺ؛ أي: قد كمل الدين به ﷺ؛ أي: لا مجال لرسول ولا نبي بعده ﷺ، يقول ﷺ: «**فأنا موضع اللبنة، جئت فختمت الأنبياء** عليهم السلام»(٣) عليهم الصلاة والسلام.

وقال ﷺ: «**فُضِّلت على الأنبياء بستٍ: أُعطيتُ جوامع الكلم، ونُصرتُ بالرعب، وأحلَّت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيوّن**»(٤).

وقال ﷺ: «**لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي**

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٢٧٢)، حم: (٣/ ٢٦٧)، ك: (٤/ ٤٣٣)، [«ص.ج» (١٦٣١)].
(٢) **صحيح**: ت: (٣٦١٣)، حم: (٥/ ١٣٦)، [«ص.ج» (٥٨٥٧)].
(٣) **صحيح**: م: (٢٢٨٧).
(٤) **صحيح**: م: (٥٢٣).

الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحْشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»[(١)]، والعاقب الذي ليس بعده نبي.

أدلة من كتاب ربّنا، أدلة من سنّة نبينا، وإجماع من الأمة أنه لا نبي بعد نبينا، ولا رسول بعد رسولنا ﷺ.

إخوة الإسلام! بعث ﷺ في الناس وهم في ضلال مبين، فكانوا يعبدون الأصنام حتى كان أحدهم يصنع لنفسه صنماً من العجوة يعبده فإذا جاع أكله! ضلالٌ مبين، وكانوا يشربون الخمر، ويأكلون الميتة، ويقتلون الإناث، والقوي فيهم يأكل الضعيف، كانوا في ضلال مبين.

كما قال ربنا ـ جل وعلا ـ في كتابه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢].

كان الناس في ضلال مبين، فبُعث ﷺ للناس كافة كما قال له رب العزة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

أمة الإسلام! بعث ﷺ كما علمتم والناس في ضلال مبين، ولكن كيف يبدأ دعوته مع الناس؟ هل يبدأ دعوة الناس أولاً إلى عقيدة التوحيد وإلى لا إله إلا الله كما فعل الأنبياء من قبله؟

أم أنه كان عليه أن يبدأ أولاً بالاجتماعات السرية لقلب نظام الحكم، ثم بعد ذلك يأمر الناس بعبادة الله؟!.

أم بدأ أولاً بحملة ودعوةٍ للإصلاح الاقتصادي والاجتماعي ـ وقد كان الناس في أسوأ حالة اقتصادياً واجتماعياً، لو قال: أنا أُريد أن أصلح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لالتف حوله الكثير ـ هل فعل ذلك؟! الجواب: لا.

عباد الله! الأرض كانت تحت سيطرة الروم والفرس في ذلك

(١) **صحيح**: خ: (٣٣٣٩)، م: (٢٣٥٤).

الزمان، فهل رفع رايةً لتحرير الأرض من الفرس والروم؟ ولو فعل ذلك لالتف حوله الناس، كيف يبدأ؟ وبماذا يبدأ؟ ليس الأمر بيديه إنما الأمر يأتيه من السماء بوحي من الله وبأمر من الله.

فتعالوا بنا ـ يا عباد الله ـ لننظر كيف بدأ رسول الله ﷺ دعوته مع الناس.

بعد ما قصَّ الله ﷻ قَصَصَ الأنبياء في القرآن الكريم قال لرسوله ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، أي: إبدأ مع الناس واقتد بدعوة الأنبياء قبلك.

﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣﴾ [النحل: ١٢٣].

والأنبياء جميعاً كما سمعنا بدأوا في دعوتهم (بالتوحيد) بالعقيدة أولاً، فما من نبي جاء لقومه إلا وهو يقول لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، يا قوم قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا. فبدأ ﷺ بدعوة قومه إلى التوحيد، يقول لهم: يا قوم قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، يا قوم، اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، فاستكبر الناس وتعجبوا، والله أخبرنا بذلك.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦].

وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ٧﴾ [ص: ٥ ـ ٧]، ومع ذلك بقي ﷺ يدعو الناس إلى (لا إله إلا الله)، وإلى عقيدة التوحيد.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الممتحنة: ٦]؛ أي: لكم في الأنبياء، وفي منهج الأنبياء أسوة حسنة.

عباد الله! بعد ما أمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يسلك منهج الأنبياء أولاً في الدعوة إلى الله، أمر الله رسوله أن يصبر على هذا المنهج، وعلى هذا الطريق فهو طويل وشاق يحتاج إلى جهد كبير، ولذلك قال ربنا ـ جل وعلا ـ لرسوله ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥]؛ أي: فاصبر على هذا الطريق، وعلى هذا المنهج، كما صبر أولوا العزم من الرسل. وقد بَيَّن لنا كيف صبروا على دعوتهم.

ويقول الله ـ ﷻ ـ لرسوله ﷺ: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٌ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ﴾ [الأنعام: ٣٤].

ورسولنا ﷺ يقول: «**والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[١].

فالله ينهى عن الاستعجال، والرسول كذلك ينهى عن الاستعجال.

عباد الله! علينا أن ندعوا الناس إلى الدين الصحيح وإلى العقيدة الصحيحة وعلينا أن لا نتعجل.

يا دعاة الاستعجال، كفانا عاطفة!! امتلأت السجون بشباب المسلمين، انتهكت الأعراض بسبب الاستعجال، وواقعنا اليوم في كل العالم يشهد بأن الاستعجال هو الذي أوصلنا إلى ما نحن فيه.

فالله ـ ﷻ ـ يقول لرسوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

والرسول ﷺ يقول: «**ولكنكم تستعجلون**».

فالدعوة إلى العقيدة تحتاج إلى تربية، وصبر، وزمن، وعندها إذا نصرْنا الله في أنفسنا نصرَنا الله.

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٤١٦).

إلى متى نبقى على هذا الاستعجال؟ إلى متى نضلل شباب المسلمين؟ خطب حماسية تشعل الحماس في الشباب فينطلقون إلى ما لا يعلمون، ويصنعون ما يجهلون، ويظنون أنهم يحسنون صنعاً، ثم يتبيّن لهم بعد ذلك أنهم قد حسنت نيتهم ولكن قد فسد تصرفهم، وهذا بسبب الجهل، فنقول: مهلاً يا دعاة الاستعجال، اتقوا الله في شباب المسلمين، اتقوا الله في الأمة، وادعوهم إلى الدين أولاً، وإلى العقيدة أولاً، ثم بعد ذلك يأتي النصر إن شاء الله من عند الله، ولكنكم تستعجلون. وبعد أن أمر الله رسوله بالسير على هذا المنهج أخبره بأن النصر والتمكين لمن سلكوا هذا المنهج بإذن الله.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٢١﴾ [المجادلة: ٢١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝١٧٣﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١﴾ [غافر: ٥١].

عباد الله! أمر الله رسوله أن يسلك منهج الأنبياء، وأمره أن يصبر على هذا المنهج، وأخبره أن النصر والتمكين لمن سلك هذا المنهج، فاستجاب رسول الله ﷺ لأمر ربه، وأخذ يدعو الناس إلى عقيدة التوحيد، ويقول لهم: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، فتكبر الناس ووقفوا في وجهه ولم يؤمن به إلا القليل، ومع ذلك صبر على دعوته حتى نصره الله وأيده، فمات ﷺ بعد ما بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في سبيل دينه حتى أتاه اليقين، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك أو ضال.

عباد الله! متى بدأ ﷺ يدعو الناس إلى هذه العقيدة؟ وكيف دعا الناس إلى هذه العقيدة؟ وماذا قال للناس؟ وماذا قالوا له؟ وماذا طلب

منهم؟ وماذا طلبوا منه؟ هذا الذي سنعرفه ـ إن شاء الله ـ تعالى في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.

عباد الله! لكن ما هي الدروس والعبر التي تؤخذ مما سمعنا؟

أولاً: إذا عرفنا أنه لا نبي بعد نبينا ﷺ ولا رسول بعد رسولنا ﷺ، فيجب علينا أن نعلم أن الله سائلنا يوم القيامة عن هذا الدين؛ لأنه يجب علينا جميعاً كلٌ حسب استطاعته، أن نتعلم هذا الدين لنبلغه للناس، ليصل هذا الدين إلى كل الدنيا لأنه لا نبي بعده ﷺ ولا رسول.

فإذا نحن انشغلنا بالدنيا وتركنا هذا الدين، فمن الذي يقوم بتبليغه إلى بلاد الدنيا، من الذي يقوم؟ وسائل الإعلام! إنها ضد الدين! إذاً فعليكم أنتم أن تبلِّغوا هذا الدين للناس.

وإذا تعلمنا دين الله، وتعلمناه من الكتاب والسنّة الصحيحة، وبلَّغنا الناس هذا الدين كما جاء إلى محمد ﷺ، إذا فعلنا ذلك نجونا من عذاب الله في الدنيا والآخرة، أما إذا انشغلنا بجمع المال وبالمناصب وكلٌ يقول: نفسي نفسي، وحالنا يقول: نفسي وليهلك الجميع، فيوم القيامة سنندم، فما منا من أَحدٍ إلا وسيوقف بين يدي ربه ويسأل عن هذا الدين ماذا قدم له؟ فليسأل كلٌ منا نفسه ماذا عمل لهذا الدين وماذا قدم له؟ بل قد يكون منا من يعمل لهدم هذا الدين، أو يعادي هذا الدين أو يصد الناس عن هذا الدين! فلا أدري ماذا يفعل أمام الله يوم القيامة يوم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر عن شماله فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أمامه فلا يرى إلا النار، فاتقوا النار ولو بشق تمرة.

فيا دعاة الاستعجال، بدل هذا الذي تفعلونه علِّموا الناس الدين الصحيح لينطلقوا في الدنيا من مشرقها إلى مغربها يعلِّموا غيرهم هذا الدين.

فوالله إن هناك كثير من الكفار لا يعرفون عن الإسلام إلا أنه القتل

والتدمير والحرق والشدة والغلظة، هكذا عرَّفهم الإعلام، والإعلام ظالم في كل مكان فهو لا يقول الحق، ويقف جنباً إلى جنب مع أعداء الإسلام ليسيئوا إلى هذا الدين.

عبادَ الله! استقر في عقول كثيرٍ من الناس أنَّ الإسلام قتل وتدميرٌ وإرهابٌ، وهذه مفاهيمُ خاطئة روَّجها أعداء الإسلام؛ ليشوّهوا صورة الإسلام، ويصدوا الناس عنه، بينما الإسلام هو دين الرحمة، وأهل الإسلام يدعون الناس أولاً إلى الدخول في هذا الدين بلا إكراه، فإن أبوا فالجزية، فإنْ أبوا فالقتال، فالواجب علينا أن نتعلم هذا الدين كما نزل على محمدٍ ﷺ ثم ندعو الناس إليه بالحجة والبرهان.

ثانياً: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله هو وحده سبيل النجاة:

لِمَ يا عباد الله؟ لأن الناس إذا أصبحوا عبيداً لله سهل بعد ذلك كل شيء، فإن من تعلم العقيدة وأصبح عبداً لله إذا دعوناه إلى ترك الربا تركه، وإذا أُمرَ بالحجابِ حجب امرأته، وإذا نُهِيَ عن الخمر انتهى، وإذا أمرناه بالصلاة صلَّى، لِمَ؟ لأنه عبد والعبد ما عليه إلا أن يقول لسيده: سمعنا وأطعنا.

ولذلك انظر إلى كثير من المسلمين اليوم تراهم لا يستجيبون لله ولا لرسوله، أتدرون لم يا عباد الله؟ بسبب فساد العقيدة.

عباد الله! واللهِ إذا ربَّينا الشباب على العقيدة السليمة، ثم طُلب منهم الجهاد في سبيل الله ـ لإعلاء كلمة الله ولتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى ـ فإنهم سيقدمون أرواحهم رخيصة في سبيل الله، ولكن إذا كانوا لا يصلون الفجر في المسجد، ولا يحافظون على صلاة الجماعة، ولا يستطيعون أن يطلقوا لحاهم، فهل سيجاهدون في سبيل الله أم أنهم سيقدمون أرواحهم رخيصة في سبيل الله؟!.

فالعقيدة أولاً لو كانوا يعلمون، فلنتربى على العقيدة الصحيحة وليكن لسان حالنا قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

اللّهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

* * *

٥٨

منهج النبيِّ محمدٍ ﷺ في الدعوة إلى الله

عباد الله! في الجمعة الماضية تبيّن لنا أن رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين لقوله ـ تعالى ـ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ولقوله ﷺ: «**إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي، ولا نبي، ولكن المبشرات رؤيا الرجل المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة**»(١).

وقد تبيّن لنا في الجمعة الماضية أن الله ﷻ أمر رسوله ﷺ أن يسلك منهج الأنبياء من قبله في الدعوة إلى الله.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣].

عباد الله! ولقد أوحى ربنا ـ جل وعلا ـ إلى رسوله ﷺ أن الأنبياء قبله بدءوا دعوتهم بالتوحيد.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

---

(١) **صحيح**: [«ص.ج» (١٦٣١)] وقد تقدم تخريجه.

فأخبر الله ﷻ رسوله ﷺ أن الأنبياء قبله دعوا أقوامهم أولاً إلى عقيدة التوحيد.

وقبل أن يأمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يدعو الناس إلى عقيدة التوحيد أَمره بعقيدة التوحيد أولاً، وبعبادة الله أولاً، وبإخلاص العبادة لله أولاً.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر: ١١].

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، وذلك كما أمر الله نبيّه موسى قبل أَن يُرْسله إلى فرعون.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه: ١١ ـ ١٥].

وذلك يا عباد الله ليعلم الدعاة أنه يجب عليهم أن يتعلموا العقيدة أولاً قبل أن يعلموها الناس؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، ولذلك الذي ضلل كثيراً من الناس هم الدعاة الذين دعوا الناس على غير بصيرة ولا علم، فإنهم لا يعلمون من العقيدة شيئاً، فهم يأخذون مواعظهم من عناوين الصحف، والمجلات، ولا يعرفون شيئاً عن العقيدة فكيف يدعون الناس إلى العقيدة وهم لا يعرفون العقيدة، فنقول لهم ها هو رسولنا ﷺ قبل أن يبدأ بدعوة الناس إلى العقيدة، قال الله ﷻ له: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ونقول لكل داعية: قبل أن تدعو الناس: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، تعلَّم العقيدة أولاً قبل أن تدعو الناس إليها؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

عباد الله! وبعد أن كلف الله ﷻ رسوله بالعقيدة، وبعبادة الله أولاً أمره أن يقوم بدعوة الناس.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧﴾ [المدثر: ١ ـ ٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [المائدة: ٦٧].

فقام ﷺ في الناس يدعوهم إلى عقيدة التوحيد يقول لهم: يا قوم، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، يا قوم، اعبدوا الله ما لكم من إله غيره.

فآمن به القليل وكفر به الكثير وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ٧﴾ [ص: ٥ ـ ٧].

أمة الإسلام! وهذا هو منهج المصطفى ﷺ في دعوة الناس إلى العقيدة، نقوله لكم، وننقله لكم ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، وليعلم الجميع أنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

● بدأ ﷺ يدعو الناس على جميع المستويات، وفي جميع الاتجاهات، بالليل والنهار، سرّاً وعلانية، لا يكل ولا يمل، فأخذ يدعو الناس في مكة إلى عقيدة التوحيد، ويربي أصحابه على عقيدة التوحيد أولاً، لِمَ؟ لأنهم سيتحملون أمراً ثقيلاً وستقوم دولة الإسلام على أعناقهم، فأخذ يربيهم أولاً على عقيدة التوحيد، فكان أول ما بدأ به الرسول ﷺ في مكة هو دعوة الناس إلى التوحيد، وكان يجتمع بأصحابه سراً في البيوت ليربيهم على هذه العقيدة.

● هل سمعتم أنه اجتمع بأصحابه في مكة بادىء الأمر، وأخذ يخطط لقلب نظام الحكم في مكة، أو لإزالة المناصب من أيدي الكفار ونقلها إلى أيدي المسلمين؟.

• هل سمعتم يوماً أن رسول الله ﷺ وعد أبا بكر أن يجعله وزيراً إذا قامت دولة الإسلام؟.

• هل سمعتم يوماً أن الرسول ﷺ رغَّب عمر بن الخطاب أن يدخل في الإسلام ليكون وزيراً في دولة الإسلام؟ هل سمعتم هذا؟

• هل سمعتم أن الرسول ﷺ بدأ دعوته بذلك؟ الجواب: لا.

عباد الله! لا يختلف في ذلك اثنان؛ لأن هذه مطالب دنيوية، والذي يتربى على عقيدة التوحيد لا يفكر أبداً في هذه الأمور التي هي من الدنيا وستفنى مع فناء الدنيا.

عباد الله! ولكن الرسول ﷺ أخذ يربي أصحابه على عقيدة التوحيد فلما ضيّق الكفار على أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوهم ما كان منهم إلا أن هاجروا من مكة إلى الحبشة وتركوا الديار والأهل والأوطان والأموال حفاظاً على عقيدة التوحيد. وهناك في الحبشة يسألهم ملك الحبشة عن هذا الدين الذي جاؤوا به فيقول جعفر بن أبي طالب: (أيها الملك إنا كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونسيء الجوار، ونأكل الميتة، ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحنُ وآباؤنا مِنْ دونه من الحجارة والأوثان... فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاءَ به مِنْ عند الله، فعبدنا الله وحدَه فلم نشرك به شيئاً... فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عَنْ ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان مِنْ عَبادة الله تعالىٰ... فلما قهرونا.. خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك)[1].

الشاهد ـ يا عباد الله ـ من قول الصحابي أن الرسول ﷺ دعاهم

(١) **صحيح**: حم: (١/ ٢٠١ ـ ٢٠٢)، حل: (١/ ١١٥ ـ ١١٦)، خز: (٢٢٦٠)، هب: (١/ ٩٣)، [«فقه السيرة» (ص١١٥)].

أولاً لعبادة الله، وترك عبادة الأصنام؛ لأن عبادة الأصنام التي انتشرت في ذلك الزمان هي التي أضلت الناس، ولذلك قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم: ٣٦].

إخوة الإسلام! ولم يكتف الرسول ﷺ بدعوة أصحابه ومن حوله فقط بل أرسل إلى جميع الملوك والرؤساء في كل أنحاء الدنيا.

فاسمعوا يا أمة الإسلام، وتعلموا يا دعاة الاستعجال، ها هو رسولنا ﷺ يرسل رسائله إلى ملوك الدنيا يدعوهم إلى عقيدة التوحيد أولاً.

وهذا نص الرسالة التي أرسلها الرسول ﷺ إلى هرقل ملك الروم:

«**بسم الله الرحمن الرحيم من محمدٍ عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم**».

ـ يا دعاة الإسلام، أستحلفكم بالله لو أن عالماً من الأمة الآن كتب رسالة إلى رئيس أو إلى ملك وكتب فيها هذا الكلام، والله لاتهمناه بالخيانة، واتهمناه بالجبن والعمالة كيف يكتب هذا الكلام؟! لأننا تربينا على أيدي دعاة الاستعجال بأن الرجل الشجاع فينا هو الذي يكفِّر وهو الذي يقول كذا أو كذا على المنابر، لا يا أمة الإسلام ـ.

ها هو رسولنا ﷺ يقول لملك الروم:

«**من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلامٌ على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين** ـ ثم كتب له آية من كتاب الله ـ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾»[١] [آل عمران: ٦٤].

---

(١) **صحيح**: خ: (٧).

أمة الإسلام! كان الرسول ﷺ يدعو ملوك الأُمم إلى عقيدة التوحيد، ما سمعنا أنه ﷺ قال له: يا هرقل اترك هذا المنصب إننا نريده! تَخَلَّ عن هذا الملك فإننا نريده! لا، فإن الرسول ﷺ كالأنبياء من قبله لا همّ لهم إلا أن يخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

ولم يكتف ﷺ بدعوة الناس في مكة، ولا بدعوة الملوك والرؤساء إلى عقيدة التوحيد بل ربّى أصحابه على عقيدة التوحيد وأرسلهم إلى بلاد الدنيا يدعون الناس إلى عقيدة التوحيد.

فأرسل ﷺ معاذاً إلى اليمن فقال له: «**إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه: عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلواتٍ في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاةً من أموالهم وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس**»[(١)].

نعم، إنها العقيدة.

أَتَعَجَّبُ في هذا الزمان مِنْ دعاة الاستعجال، كيف يكفِّرون المجتمع المسلم، ويطلقون على المجتمع بأنه كافر ويكفِّرون الناس، ويستحلون الدماء والأموال والأعراض! إلى أولئك نقول: لم لا تدعون هذا المجتمع ـ الذي كفَّرتموه حسب ظنكم ـ إلى عقيدة التوحيد أولاً؟ ثم كيف تدعون الناس إلى الجهاد في سبيل الله وأنتم تكفِّرون المجتمع؟ وهل يكون هناك جهاد في مجتمع كافر؟ الجواب: لا.

عجيب! ها هو رسول الله ﷺ يربي أصحابه ورسله على أن أول ما تدعون الناس إليه هو العقيدة، ثم بعد ذلك ادعوهم إلى باقي الإسلام فيسهل الأمر عليكم وعليهم.

ولم يكتف الرسول ﷺ بذلك بل أخذ يبايع النساء على عقيدة التوحيد.

---

(١) **صحيح**: خ: (١٣٨٩)، م: (١٩).

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة: ١٢].

فبايع الرسول ﷺ النساء على عقيدة التوحيد، وألا يشركن بالله شيئاً، ولم يكتف الرسول ﷺ بذلك بل ربّى الأطفال على عقيدة التوحيد.

الجماعات اليوم يربون الأطفال على كرة القدم، وعلى الرياضة، وعلى الغناء، يبرِّرون ذلك قائلين: هذه رياضة إسلامية، هذه أغانٍ إسلامية، هذا دف إسلامي ويظنون أن الأسماء تغير من المعاني، فلو سمينا الخمر بغير اسمها هل تصبح الخمر حلالاً؟ فنقول لهم: اتقوا الله ﷻ في شباب المسلمين وفي أطفال المسلمين، ها هو رسولنا ﷺ يربي الأطفال على عقيدة التوحيد يقول ﷺ يوماً لابن عباس: «**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله..**»[1].

تعليم من رسول الله ﷺ حتى للأطفال، نعم ليعلم الجميع أَنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

عباد الله! تبيّن لكم أن الرسول ﷺ أخذ يدعو أولاً إلى عقيدة التوحيد منذ بُعث حتى لقي الله وهو يربي أمته على عقيدة التوحيد، بل وقد شُرِع الجهاد في سبيل الله من أجل التوحيد، ولإبادة الشرك، ما شرع الجهاد للوطنية ولا للحمية ولا للشجاعة ولا للرياء، ولا ليُرَىٰ مكانه بين الناس! إنما شرع الجهاد في سبيل الله من أجل (لا إله إلا الله).

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة: ١٩٣]، [أي: حتى لا يكون شرك في الأرض].

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، طب: (١٢/ ٢٣٨)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].

ويقول ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله**»[(١)].

ولما سُئِلَ ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[(٢)].

فالجهاد يجب أن يكون من أجل العقيدة السليمة، من أجل (لا إله إلا الله).

إذن نقول: المَخْرج يا أمة الإسلام كما بيّنه لنا رسول الله ﷺ فقال: «**إذا تبايعتم بالعِينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلّط الله عليكم ذُلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»[(٣)] فهذا الذي نحن فيه من الذل والهوان لا ينزع عنا حتى نرجع إلى ديننا، إلى عقيدتنا، إلى كتاب ربنا، إلى سنّة نبينا.

فبما صلح أول هذه الأمة يصلح آخرها وإلا سنبقى على ما نحن عليه من الهوان والذل؛ لا يُسمع لنا إذا تكلمنا، أعراضنا هانت علينا، أرضنا هانت علينا، أموالنا هانت علينا السبب؛ لأننا تركنا ديننا خلف ظهورنا، وأخذنا نركض خلف الدنيا نتنافس فيها مع الكفار، فلا نحن بلغنا منزلتهم في الدنيا، ولا نحن تمسكنا بديننا، فهذا حالنا الذي لا يرضى به مؤمن؛ لقد وصلنا في العقيدة والأخلاق إلى مستوى لا نحسد عليه! والعلاج؛ «**حتى ترجعوا إلى دينكم**»، ما قال ﷺ حتى تجاهدوا في سبيل الله، بل قال: «**وتركتم الجهاد في سبيل الله سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم**»، فإن رجعنا إلى ديننا رفعت راية

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٧٨٦)، م: (٢١).
(٢) **صحيح**: خ: (٧٠٢٠)، م: (١٩٠٤).
(٣) **صحيح**: د: (٣٤٦٢)، هق: (٥/٣١٦)، [«ص.ج» (٤٢٣)].

الجهاد في سبيل الله أما الآن فإن رفع راية الجهاد قبل الاستعداد للجهاد تضييع للوقت، وللشباب، وللقوى، وأكلُ الثمار قبل نضجها، واستعجالٌ، فالله ﷻ قال لرسوله ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

ورسولنا ﷺ يقول: «**والله ليتمن هذا الأمر ـ أي هذا الدين ـ حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»(١).

عباد الله! ما هو واجبنا نحو هذا الرسول الكريم، الذي أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور؟

هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

اللّهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

* * *

(١) **صحيح**: خ: (٦٥٤٤).

٥٩

واجبُ الأمة اتجاه النبيِّ ﷺ (١)

عباد الله! تبيّن لنا في الجمعة الماضية أن رسول الله ﷺ بُعث في الناس وهم في ضلال مبين، فأخذ ﷺ يدعوهم إلى عبادة الله وحده ويحذرهم من الشرك.

• ولقد أخبرنا الله ﷻ أن الرسول ﷺ جاء لينير للبشرية الطريق إلى الله.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

• جاء ﷺ رحمة للبشرية.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

• وكان ﷺ حريصاً على أن يدخل كل الناس في دين الله كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

فقام ﷺ في الناس يدعوهم إلى عقيدة التوحيد، ليخرجهم بإذن الله من الظلمات إلى النور، من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات البدع والخرافات إلى نور السنّة، فَبَلَّغَ ﷺ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في سبيل دينه حتى أتاه اليقين، وتركنا على

المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك أو ضال، ولذلك امتن الله على المؤمنين ببعثة محمد ﷺ فقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

عباد الله! فما هو واجبنا معشر المسلمين نحو رسول الله ﷺ الذي أنقذنا الله ﷻ به فأخرجنا من الظلمات إلى النور؟

أولاً: يجب على المسلمين في كل مكان وعلى جميع المستويات، وفي كل زمان أن يحبوا رسول الله ﷺ أكثر من أنفسهم، وأولادهم، وأهليهم، والناس أجمعين.

وذلك ـ يا عباد الله ـ لأن محبة الرسول ﷺ دليل على كمال الإيمان، ولأن محبة رسول الله ﷺ دليل على صلاح العقيدة.

قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين**»(١).

وقال ﷺ: «**ثلاثٌ من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يُحب المرءَ لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**»(٢).

عباد الله! وهنا سؤال مهم:

كيف تكون هذه المحبة؟ ومن هو المحب حقاً وصدقاً للرسول ﷺ؟ فأدعياء المحبة كثير، والذين يدَّعون محبة الرسول ﷺ كثير، فمن هم الذين يحبون رسول الله وكيف تكون المحبة؟ هل هم الذين يحتفلون بمولده في كل عام بالطبل والرقص وأكل الحلوى؟ هل هم هؤلاء ـ يا عباد الله؟ الجواب: لا، ولو كان هذا خيراً لفعله الصحابة رضوان الله عليهم؛ لأنهم كانوا يحبون رسول الله ﷺ أكثر منا، إذاً المحبة هي الاتباع

---

(١) **صحيح**: خ: (١٥).

(٢) **صحيح**: خ: (١٦)، م: (٤٣).

وليست هي بمجرد الكلام، المحبة هي التمسك بسنّة رسول الله ﷺ، والله ﷻ يكشف لنا في كتابه أن المحبة هي الاتباع، وأن الاتباع دليل على المحبة، فاليهود قالت: إبراهيم ﷺ منا والنصارى قالت: إبراهيم منا، فكذبهم الله تعالى.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٦٧﴾ [آل عمران: ٦٧].

وبيّن سبحانه أن الذين اتبعوا إبراهيم هم أولى الناس بإبراهيم عليه السلام، وقال إبراهيم عليه السلام كما جاء في القرآن في آية أخرى: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [إبراهيم: ٣٦]؛ أي: على ما جئت به، فإنه مني. ولم يقل: فمن احتفل بمولدي فإنه مني، ولم يقل إبراهيم ﷺ: ومن أنشد الأناشيد فإنه مني، لا يا عباد الله.

ولذلك نقول: إن أولى الناس بمحمد ﷺ للَذّين اتبعوه، والرسول ﷺ يقول كما قال إبراهيم ﷺ: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [إبراهيم: ٣٦]، أما الذين يدعون المحبة فينشدون الأناشيد، ولا يعرفون رسولهم إلا في كل عام مرة نقول لهؤلاء: تدَّعون المحبة بألسنتكم، وتخالفون رسول الله بأعمالكم، إن هذا لفي القياس شنيعُ.

تعصي الرسول وأنت تزعم حبه هذا لعمري في القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

فيا من يعصون رسول الله بفعلهم، ويدَّعون المحبة بألسنتهم كبرت كلمة تخرج من أفواهكم إن تقولون إلا كذباً.

فالذين اتبعوا رسول الله ﷺ في منهجه، والذين تمسكوا بسنّة رسول الله ﷺ، وعضُّوا عليها بالنواجذ، ودافعوا عنها، ونشروها بين الناس هم أولى الناس بمحمد ﷺ.

إذاً يا أمة الإسلام، الواجب علينا أن نحب رسول الله ﷺ أكثر من أنفسنا وأولادنا وأهلينا والناس أجمعين، والمحبة هي الاتباع، بأن نسلك

منهجه، وأن نتأسى به، وأن نستن بسنّته، وأن ندعوا الناس إليها، وأن نعض عليها بالنواجذ.

ثانياً ـ يجب على المسلمين في كل زمان ومكان أن يطيعوه في كل ما أمر.

وذلك لأمور منها: أن في طاعته ﷺ الهدى كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور: ٥٤]، وفي مخالفته ﷺ الهلاك والدمار والعذاب في الدنيا والآخرة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (ولو تركتم سنّة نبيكم لضللتم)[١]، ففي طاعته الهدى، وفي مخالفته الهلاك والدمار.

ومنها: أن في طاعة رسول الله ﷺ دخول الجنة.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [النساء: ١٣].

وقال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟! قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»[٢]. وفي معصيته ﷺ دخول النار.

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤].

وها هم أهل النار في النار يندمون على أنهم لم يستجيبوا لرسول الله ﷺ.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦ ـ ٦٨].

---

(١) **صحيح**: م: (٦٥٤).

(٢) **صحيح**: خ: (٦٨٥١).

من أجل ذلك ينادي ربنا ـ جلَّ وعلا ـ على المؤمنين ويأمرهم أن يطيعوا رسول الله ولا يتولوا عنه، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنفال: ٢٠].

ثالثاً ـ واجبنا نحو رسول الله ﷺ أن نستجيب له إذا دعانا لما يحيينا:

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٤، ٢٥].

فعلى المسلمين أن يستجيبوا لرسول الله إذا دعاهم لما يحييهم، والرسول ﷺ ما ترك شيئاً يقربنا إلى الجنة إلا ودعانا إليه، وما ترك شيئاً يقربنا من النار إلا وحذرنا منه، ولكن ـ يا عباد الله ـ تعالوا وانظروا معي لمن نستجيب؟ هذا حالنا بين أيدينا فانظروا معي، رسولنا الكريم ﷺ دعانا إلى الحجاب، والشيطان والهوى يدعوننا إلى التبرج، لمن استجبنا يا عباد الله؟ كل منا يضع نساءه وبناته أمامه الآن، لمن استجبنا على مستوى الفرد والشعب والأمم؟.

• حذرنا الرسول ﷺ من التبرج وأمرنا كما أمره الله بالحجاب، والشيطان دعانا للتبرج وزين لنا التبرج، لمن استجبنا؟!.

• الرسول ﷺ دعانا إلى مخالفة الكفار، والشيطان دعانا لأن نتشبه بالكفار في أشكالنا، في بيوتنا، بمن تشبهنا؟.

• الرسول ﷺ دعانا إلى أكل الحلال، والشيطان والهوى يدعوننا لأكل الربا، لمن استجبنا؟.

• الرسول ﷺ دعانا لتحكيم شرع الله، والشيطان دعانا لأن نتحاكم لغير الله، فلمن استجبنا؟.

• الرسول ﷺ دعانا لإعفاء اللحى، والشيطان دعانا لحلق اللحى، لمن استجبنا؟.

• الرسول ﷺ جاء ليُحل لنا الطيبات، ويُحرم علينا الخبائث، والشيطان أحلّ لنا الخبائث، وحرّم علينا الطيبات، لمن استجبنا؟.

عبادَ الله! الله ﷻ يقول لرسوله ﷺ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

وقـال ـ تـعـالـى ـ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

لماذا لم يستجيبوا؟ لأنهم اتبعوا أهواءهم، واتبعوا الشيطان، والشيطان يعترف بذلك في النار.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢].

فالكثير استجاب للشيطان والهوى، ولم يستجب لرسول الله ﷺ، فالواجب علينا أن نستجيب لنداء ربنا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فبالاستجابة لرسول الله ﷺ تكون الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، وبالاستجابة لرسول الله ﷺ ندخل الجنة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الرعد: ١٨].

أما الذين لم يستجيبوا لرسول الله ﷺ فسيندمون غداً في وقت لا ينفع فيه الندم.

أمة الإسلام! قلنا: إن الرسول ﷺ جاء والناس في ضلال مبين فأخرجهم الله به من الظلمات إلى النور، وقلنا: الواجب على المسلمين نحو رسول الله ﷺ أن يحبوه أكثر من أنفسهم، وأولادهم، وأهليهم، والناس أجمعين، وقلنا: الواجب على المسلمين أن يطيعوا رسول الله ﷺ فيما أمر، والواجب على المسلمين أن يستجيبوا لرسول الله ﷺ إذا دعاهم لما يحييهم.

رابعاً ـ الواجب على المسلمين نحو رسول الله أن يحافظوا على الأمانة التي تركها لهم ولا يخونوها:

عبادَ الله! أتدرون ما هي الأمانة؟ إنها هذا الدين، إنها الإسلام.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال: ٢٧، ٢٨].

فالواجب على المسلمين أن يحافظوا على هذه الأمانة، فرسولنا ﷺ ما انتقل من هذه الدنيا إلا بعد أن أكمل الله لنا الدين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

فرسولنا ﷺ ما خرج من هذه الدنيا إلا وقد كمل الدين، فقد تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك أو ضال، فما ترك رسول الله ﷺ خيراً يقربنا إلى الجنة إلا وأمرنا به، وما ترك شراً يُقربنا إلى النار إلا وحذرنا منه، ومع ذلك نقع في الشر، ونقترف المعاصي!!

فالواجب علينا أن نتعلم هذا الدين الذي تركه لنا رسول الله ﷺ، وأن نعمل بهذا الدين، وأن ندعو الناس لهذا الدين، وأن نصبر على ذلك حتى نلقى الله وإلا فنحن في خسران مبين.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم
أن يجعلني وإياكم من المحافظين على هذه الأمانة
التي تركها لنا رسول الله ﷺ
وأن ندعو الناس إليها حتى نخرج من هذه الدنيا

* * *

٦٠

واجب الأمة تجاه النبي ﷺ (٢)

عباد الله! في الجمعة الماضية تبيّن لنا أن الناس كانوا في ضلال مبين، فبعث الله محمداً ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فجاء ﷺ فبلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمَّة، وجاهد في سبيل دينه حتى أتاه اليقين. وقلنا في الجمعة الماضية الواجب على المسلمين نحو رسول الله ﷺ:

أولاً: أن يحبّوه أكثر من أنفسهم وأولادهم وأهليهم وأموالهم والناس أجمعين.

ثانياً: أن يطيعوه في كل ما أمر.

ثالثاً: أن يستجيبوا له إذا دعاهم لما يحييهم.

رابعاً: أن يحافظوا على الأمانة التي تركها لهم ولا يخونوها وهي هذا الدين العظيم.

ونكمل في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ فنقول:

خامساً: يجب على المسلمين نحو رسول الله ﷺ أن يتأسوا به وحده استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

عباد الله! يطلب ربنا جلَّ وعلا من المؤمنين جميعاً في كل زمان ومكان وعلى جميع المستويات أن يتأسوا برسول الله ﷺ وحده.

والسؤال الذي يفرض نفسه علينا الآن: لماذا يطلب ربنا ـ جلَّ وعلا ـ منا معشر المسلمين أن نتأسى برسول الله ﷺ وحده؟

أولاً: لأنه ﷺ أفضل البشر على الإطلاق.

فالله ﷻ اصطفى أنبياءه من بني آدم، واصطفى أُولي العزم من أنبيائه، واصطفى محمداً ﷺ من أولي العزم فهو أفضل البشر على الإطلاق، يقول ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[1]، فعندما أمرنا الله ﷻ أن نتأسى برسول الله ﷺ فإنه ﷻ يأمرنا أن نتأسى بأفضل البشر.

ثانياً: أمر الله عباده أن يتأسوا برسول الله ﷺ؛ لأنه لا يتكلم من عند نفسه، ولا يدعو بما يهوى إنما يدعو بوحي يوحى إليه من السماء.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾**﴾ [النجم: ٣، ٤]، فالله ﷻ أمرنا أن نتأسى برسوله ﷺ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى.

ثالثاً: أمر الله المسلمين في كل مكان أن يتأسوا برسول الله ﷺ.

• لأنه يدعو ويهدي إلى صراط مستقيم ليس كما يفعل باقي الناس. كما نرى الكثير من الناس ـ إلا من رحم ربي ـ: قادة، وزعماء، وحكاماً ومحكومين يدعون الناس إلى طرق الضلال، كما نراهم في كل زمان ومكان. أما المصطفى ﷺ فهو لا يدعو إلا إلى صراط مستقيم.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾**﴾ [المؤمنون: ٧٣].

• الله ﷻ أمرنا أن نتأسى برسول الله ﷺ لأنه حريص على الخير لنا أكثر من أنفسنا.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾**﴾ [التوبة: ١٢٨].

فالله ﷻ أمرنا أن نتأسى به؛ لأنه ـ واللهِ ـ يحب لنا الخير أكثر مما نحبه لأنفسنا.

---

(١) **صحيح لغيره**: هـ: (٤٣٠٨)، حم: (٣/ ٢)، حب: (٦٤٧٨)، ع: (١٣/ ٤٠١)، هب: (٢/ ١٨٠)، [«ص.غ.هـ» (٣٦٤٣)].

● أمر الله المسلمين أن يتأسوا برسول الله ﷺ؛ لأن من أطاعه فقد أطاع الله.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

أمة الإسلام! تبيّن لكم أن الله ﷻ يطلب منا معشر المسلمين أن نتأسى برسول الله ﷺ وحده، وإذا نظرنا إلى المسلمين في هذا الزمان العجيب وجدناهم أشكالاً وألواناً، فرقاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون، أتدرون لم؟ لأنهم لم يتأسوا برسول الله ﷺ وحده؛ ولكن هذا يتأسى بشيخه، وهذا يتأسى بأميره، وهذا يتأسى بحزبه، وهذا يتأسى بجماعته، فتراهم تفرقوا وضعفوا فانتصر عليهم الكفار وساموهم سوء العذاب، لِمَ؟ لأنهم تفرقوا ولم يأخذوا من منبع واحد، فانظر ترى هذا يلبس عمامة خضراء فنقول له أَأَمرك رسول الله بهذا؟ هل أنت تتأسى برسول الله في ذلك؟ فيقول لك: لا، إنما أنا صوفي، وشيخي يأمرني بذلك.

فانظروا ـ عباد الله ـ أمره شيخه فقال له: سمعنا وأطعنا، وتأسى بشيخه فتراه يلبس عمامة خضراء ويحمل سبحة طويلة، ولا يتأسى بذلك برسول الله ﷺ، وآخر تراه قد ارتدى بدلة، وربطة في عنقه وجعل لحيته كالخيط، فإذا قلت له: الرسول أمرك بذلك؟ يقول لك: لا، إنما أنا أتأسى بمؤسس الجماعة، إنما أنا أتأسى بمؤسس الحزب، إنما أنا أتأسى بأميري! وكان أولى له فأولى أن يتأسى برسول الله ﷺ.

وآخر تراه قد حلق لحيته، وتشبه بالكفار وتراه، ينادي بالإسلام، وينادي بدولة الإسلام وهو يتشبه بالكفار فإذا قلت له: اتق الله يا عبد الله! أرسول الله ﷺ أمرك بذلك؟ أأنت تتأسى برسول الله ﷺ في ذلك؟ يقول لك: لا إنما الدعوة تحتاج إلى هذا!! وفقه الواقع يحتاج منا إلى هذا!! والعمل الجماعي المنظم من وراء الجدران يحتاج منا أن نتشبه بالكفار. فنقول لهم: والله لو كان هذا خيراً لفعله الصحابة.

وآخر لا يصلي في المسجد فإن سألته عن ذلك تراه يكفِّر الناس،

ويكّفر الصحابة، ويكفِّر الأئمة والحكام والجماعات، ويكفِّر كل الناس ويقول: هذه مساجد ضرار! آلله أمرك بهذا يا عبد الله؟ لا ولكنه تأسى بأميره الذي حمَّله هذه الأفكار السيئة فأخذ يتأسى به ويعمل كما يعمل ولا يتأَسَّ برسول الله ﷺ.

إخوة الإسلام! لو نظرنا إلى المسلمين في هذا الزمان نراهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تخلوا عن سنّة رسول الله، ولم يتأسوا برسول الله ﷺ، بل قالوا: الإيمان في القلب ويكفينا التصديق، إننا نؤمن أن الذي خلقنا هو الله، فتراهم تشبهوا بأشكالهم بالكفار، مع أن الرسول ﷺ يقول: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»(١)، فتراهم عندما تشبهوا بالكفار أحبوهم والرسول ﷺ يقول: «**المرء مع من أحب**»(٢)، فلما تشبهوا بالكفار، أحبوا الكفار ووالوهم قلباً وقالباً. والله ﷻ يقول: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

القسم الثاني: ابتدعوا في دين الله، وأخذوا يزيدون على سنّة رسول الله، وتأسوا بغير رسول الله ﷺ، فابتدعوا في دين الله، والرسول ﷺ يقول لهؤلاء المبتدعة الذين ابتدعوا ديناً ما أنزل الله به من سلطان: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(٣). فنقول لهؤلاء المبتدعة: استريحوا فعملكم مردود عليكم، ويوم القيامة ستندمون في وقت لا ينفع فيه الندم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، والرسول ﷺ يتبرأ من أمثال هؤلاء.

---

(١) **صحيح**: د: (٤٠٣١)، طس: (٨/١٧٩)، [«ص.ج» (٦١٤٩)].
(٢) **صحيح**: خ: (٥٨١٧)، م: (٢٦٤٠).
(٣) **صحيح**: خ: (٢٥٥٠)، م: (١٧١٨).

عن أنس ﵁ قال: (جاء ثلاث رهطٍ إلى بُيُوت أزوَاج النَّبيِّ ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها ـ أي عدُّوها قليلةً ـ فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنَّتي فليس مني**»(١).

ويوم القيامة يخبر رسول الله ﷺ عن ذلك فيقول: «**وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب، أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»(٢).

فقد غيَّروا في الدين، وابتدعوا في الدين، وألّفوا في الدين ما لم ينزل الله به من سلطان.

القسم الثالث: أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم، وهم قليل وغرباء بين الناس، وهؤلاء الذين تمسكوا بسنّة رسول الله، وعضوا عليها بالنواجذ، تأسوا برسول الله ﷺ واعتزوا بذلك بين الناس استجابةً لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

واستجابوا لقوله ﷺ: «**تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما، كتاب الله، وسُنّتي، ولن يتفرّقا حتى يردا علي الحوض**»(٣).

واستجابوا لقوله ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي يرى اختلافاً كثيراً، فعليكم**

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٧٧٦)، م: (١٤٠١).
(٢) **صحيح**: خ: (٦١٦١).
(٣) **صحيح**: ك: (١/ ١٧٢)، قط: (٤/ ٢٤٥)، [«ص.ج» (٢٩٣٧)].

بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[(١)].

عباد الله! ضرب لنا الفاروق عمر ﷺ مثلاً أعلى في التأسي برسول الله ﷺ بدون زيادة ولا نقصان، إذ يُقبِّل عمر ﷺ يوماً الحجر الأسود ويقول: (إني أعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلِّك ما قبلتك)[(٢)]. هذا هو التأسي، هذا هو الاتباع، هذه هي المحبة الخالصة، والحب الصادق، إنهم يتمسكون بسنّة رسول الله ﷺ ويحيونها بين الناس بكل عزة وكرامة بخلاف أولئك الذين يستحيون من اللحية، والذين يستحيون أن يسافروا إلى بلاد الكفر بلحاهم وثيابهم، فنقول لهؤلاء: كنا أذلاء فأعزنا الله بالإسلام فلو ابتغينا العزة بغير الإسلام أذلنا الله.

عباد الله! قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

فالله ﷻ في هذه الآية يقول: يا معشر المسلمين، من كان يريد وجه الله، من كان يريد الجنة فعليه أن يتأسى برسول الله ﷺ، ومن كان يريد عزة الدنيا والآخرة فليتأسى برسول الله ﷺ، فالناس يوم القيامة فريقان: فريق في الجنة، وفريق في السعير، فمن أراد أن يكون من أهل الجنة فعليه أن يتأسى برسول الله ظاهراً وباطناً.

المنافقون كانوا على عهد رسول الله ﷺ يتشبهون برسول الله ظاهراً ومع ذلك يبطنون الكفر. العجب منا في هذا الزمان أننا تشبهنا بالكفار ظاهراً وادعينا الإيمان باطناً! فإنك ترى الرجل فلا تميزه عن الكافر أو

---

(١) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، حم: (١٢٦/٤)، حب: (٥)، طب: (٢٤٨/١٨)، [«س. ص» (٢٧٣٥)].

(٢) **صحيح**: خ: (١٥٢٠).

المنافق، لا يظهر عليه علامة من علامات الإسلام، لكنه يجلس في المجالس، ويكتب في الجرائد، ويتكلم باسم الإسلام، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

المنافقون تشبهوا برسول الله ﷺ مع أنهم يبطنون الكفر، ولكنهم تشبهوا به في الدنيا وإن كان ذلك لا ينفعهم في الآخرة، وأما نحن فلقد تجرأنا على الله وتشبهنا بالكفار وادعينا في الباطن الإيمان لِمَ؟ بسبب الجهل، ولو أننا تعلمنا ديننا ما وقعنا فيما وقعنا فيه. فبسبب الجهل أصبحنا لا نميز بين الحلال من الحرام، فأكل الكثير من المسلمين الربا وهم لا يعرفون أبواب المساجد؛ فطوال اليوم هم عاكفون على الدنيا يجمعون الدنانير! وطوال الليل لا فرق بينهم وبين الدواب!

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [الحجر: ٣]، لا يميزون بين الحلال والحرام بسبب الجهل.

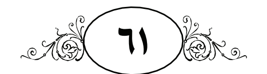
عبادَ الله! بسبب الجهل بنو إسرائيل قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

ونحن أخذنا نطوف حول القبور، وندعو الأموات من دون الله بسبب الجهل، وتركنا الصلاة في المساجد وكفّرنا المجتمع بسبب الجهل.

مَنْ مِن المسلمين يأتي لدروس العلم أو يتعلم؟ ضاع العلم بين الكِبْر والحياء، هذا يستحي أن يأتي إلى المسجد ليجلس فيتعلم لأنه فلان، وهذا يتكبر يقول: أنا فلان الغني آتي إلى المسجد وأجلس بين الفقراء والمساكين، وأنا فلان الأمير أو الوزير أو كذا أجلس بين الفقراء، فيبقىٰ جاهلاً حتى يأتيه الموت، فإذا جاءه الموت ندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يرزقني وإياكم علماً نافعاً

❀ ❀ ❀



الوصية الأولى: «أوصيكم بتقوى الله...»

عباد الله! في الجمع الماضية تبيّن لنا أن الله ﷻ أرسل رسوله بالحق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فقام ﷺ في الناس يدعوهم أولاً إلى عقيدة التوحيد ويحذرهم من الشرك، فما ترك ﷺ شيئاً يقربنا من الله والجنة إلا وأمرنا به، وما ترك ﷺ شيئاً يقربنا إلى النار إلا وحذرنا منه، فتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك أو ضال، وقلنا في الجمع الماضية: إنّ الواجب على المسلمين في كل زمان ومكان وعلى جميع المستويات نحو رسول الله ﷺ.

أولاً: أن يحبوه أكثر من كل شيء.

ثانياً: أن يطيعوه في كل شيء.

ثالثاً: أن يستجيبوا له إذا دعاهم لما يحييهم.

رابعاً: أن يحافظوا على الأمانة العظيمة التي تركها لهم ولا يخونوها وهي هذا الدين.

خامساً: أن يتأسوا به وحده في عقيدته، وفي عبادته، وفي أخلاقه، وفي معاملاته.

ونكمل في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ فنقول:

سادساً: يجب على المسلمين في كل مكان نحو هذا الرسول العظيم الذي أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور أن يقبلوا وصاياه، وأن يعضوا عليها بالنواجذ، وموعدنا في هذا اليوم مع الوصية الأولى من وصايا المصطفى ﷺ.

• عن العرباض بن سارية ﷺ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «**أوصيكم بتقوى الله ﷻ، والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنّتي، وسُنّة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كل بدعةٍ ضلالة**»(١).

نعم والله، إنها موعظة مودع خرجت من القلب إلى القلب، فيها والله سعادة الدنيا والآخرة لمن أخذ بها، وعض عليها بالنواجذ، وعمل بها حتى يخرج من هذه الدنيا.

• فتزود بتقوى الله؛ فالتقوى هي زادك لتستقيم على الصراط المستقيم في الدنيا، وعلى الصراط في الآخرة.

• وبالتمسك بسنّة رسول الله تثبت على الصراط المستقيم في الدنيا، وتثبت على الصراط في الآخرة.

• وبالابتعاد عن البدع تنجو من الضلال في الدنيا وتثبت على الصراط في الآخرة. وهذه هي سعادة الدنيا والآخرة.

يقول ﷺ لأصحابه في هذه الموعظة: «**أوصيكم بتقوى الله**»، فأوصاهم أولاً بالعقيدة، لتعلموا وليعلم الجميع أنها العقيدة أولاً في الدعوة إلى الله.

وتقوى الله: أن تعبد الله وحده، فبعبادتك لله تتحصل على التقوى. كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١].

---

(١) **صحيح**: هق: (١٠/ ١١٤)، د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، حم: (٤/ ١٢٦) [«ص.غ. هـ» (٣٧)].

• «**أوصيكم بتقوى الله**»؛ لأن تقوى الله هي خير زاد، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

• «**أوصيكم بتقوى الله**»؛ لأن تقوى الله هي خير لباس، قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ﴾ [الأعراف: ٢٦].

• «**أوصيكم بتقوى الله**»؛ لأن التقوى تجعلك عند الله من أكرم الناس، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ١٣].

• «**أوصيكم بتقوى الله**»؛ لأنها تجعل لك من كل ضيق مخرجاً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

• «**أوصيكم بتقوى الله**»؛ لأن الله لا يقبل الأعمال الصالحة إلا من المتقين، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

• «**أوصيكم بتقوى الله**»؛ لأنها تمنعك من المعاصي، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١].

• «**أوصيكم بتقوى الله**»؛ لأنك بها تنجو على الصراط يوم القيامة وما أدراك ما الصراط؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧٢].

• «**أوصيكم بتقوى الله**»؛ لأننا بها نسكن الجنة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾ [القمر: ٥٤]، **وكما قال ـ تعالى ـ**: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ [النبأ: ٣١]، **وقال ـ تعالى ـ**: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾﴾ [الذاريات: ١٥]. **وقال ـ تعالى ـ**: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الطور: ١٧].

• «**أوصيكم بتقوى الله**»؛ لأنها هي وصية الله لعباده الأولين

والآخرين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

من أجل ذلك كله قال ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله**»، فالعاقل يا أمة الإسلام والذي يريد النجاة هو من يأخذ بهذه الوصية في هذه الدنيا فيتزود بزاد التقوى الذي ينفعه في هذا السفر:

تزود من معاشك للمعادِ   وقم لله واجمع خير زاد
ولا تجمع من الدنيا كثيراً   فإن المال يُجمع للنفاد
أترضى أن تكون رفيق قومٍ   لهم زاد وأنت بغير زاد

عبادَ الله! العاقل واللهِ هو الذي يتزود بالتقوى، هو الذي يأخذ بهذه الوصية؛ لأن العمر قليل، والأيام تمر بنا فنحن في هذه الجمعة أقرب إلى الموت من الجمعة الماضية.

نسير إلى الآجال في كل لحظة   وأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أر مثل الموت حقاً كأنه   إذا ما تخطته الأماني باطل
وما أقبح التفريط في زمن الصبا   فكيف به والشيب للرأس شاعل
ترحَّل من الدنيا بزاد من التقى   فعمرك أيام وهن قلائل

عبادَ الله! العاقل هو الذي يأخذ بهذه الوصية، ويتزود بالتقوى لأن الموت يأتي بغتة.

تزود من التقوى فإنك لا تدري   إذا جنَّ ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة   وكم من عليلٍ عاش حيناً من الدهر

وعلى من تزود بتقوى الله، وأخذ بهذه الوصية ـ قبل أن ينزل بساحته ملك الموت ـ عليه أن يأخذ بالشطر الثاني من الوصية قال ﷺ: «**إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً**»: جماعات، أحزاب، آراء، أفكار، كل قد ركب رأسه ولا أحد يرد الأَمر للكتاب والسنّة إلا من رحم ربي، فإذا رأيتم هذا الاختلاف فماذا نصنع يا رسول الله؟ «فعليكم بسنّتي»؛ أي: بطريقتي؛ أي: بمنهجي؛ أي: بسبيلي «وسنّة الخلفاء

الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور».

فالواجب على المسلم الذي أراد أن يتقي الله ﷻ أن يتمسك بسنّة رسول الله؛ أي: بطريقة رسول الله؛ أي: بمنهجه، والذي يحاول أن يحيد يميناً أو شمالاً عن سنّة رسول الله ﷺ فإن رسول ﷺ يقول له: «**فمن رغب عن سنّتي فليس مني**»[(١)].

ويبيّن الرسول ﷺ أن الفرقة الناجية هي التي تكون على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه. قال ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعون فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده، لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار**. قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: **الجماعة**»[(٢)]، وفي رواية أخرى: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[(٣)].

أمة الإسلام! اربطوا بين هذا وذاك، من هي يا رسول الله الفرقة الناجية؟ هي التي تكون على «**ما أنا عليه وأصحابي**».

ويقول ﷺ في وصيته التي نحن معها: «**عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ**».

- والله ﷻ يحذِّر الذين يسلكون منهجاً غير منهج رسول الله.
- والله ﷻ يحذّر الذين يسلكون طريقاً غير طريق رسول الله.
- والله ﷻ يحذّر الذين يسلكون سبيلاً غير سبيل رسول الله.

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٧٧٦)، م: (١٤٠١).
(٢) **صحيح**: هـ: (٣٩٩٢)، [«س.ص» (١٤٩٢)].
(٣) **حسن**: ت: (٢٦٤١)، ك: (٢١٨/١)، [«ص.ج» (٥٣٤٣)].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

فمن أراد أن يتزود بالتقوى فعليه أن يسلك هذا السبيل، وأن يتمسك بسنّة رسول الله ﷺ. فرسولنا الكريم ﷺ خط يوماً أمام أصحابه خطاً، ثم قال: «**هذا سبيل الله**» ـ وهو الصراط المستقيم ـ ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «**هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ**: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»[(١)].

عباد الله! فعليكم بهذا السبيل الطويل الشاق، ولكن لا يسلكه إلا الرجال، ولا يصل عليه إلا الرجال، وإياكم من هذه السبل القصيرة؛ فقد قال ﷺ: «**على كل سبيل منها شيطان**»، سواء كان من شياطين الإنس أو من شياطين الجن، يأتي هذا الشيطان ويقول لأصحابه: هذا سبيل به نصل إلى إقامة دولة الإسلام فيأخذون ويسلكون هذا السبيل القصير، ويتركون هذا السبيل الطويل وتمر الأيام والسنة تلو السنة ولا يقيمون دولة الإسلام نقول لهم: لو مكثتم مئات السنين على هذا ما أقمتم دولة الإسلام.

علَّمنا الإسلامُ أنَّ منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله ليس هو نزع الحكم من شخص واعطاءَه لآخر، وإنما هو إخراج العباد مِنْ عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد، فإنْ هم عبدوا الله مخلصين له الدين نصرهم الله على أعدائهم، ومكّن لهم في الأرض.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١]، فاحذروا هذه السبل، واحذروا شياطين الإنس والجن، فمن أراد ـ يا عباد الله ـ أن يتزود بزاد التقوى فليسلك هذا المنهج، وهذا

---

(١) **حسن**: حم: (١/ ٤٣٥)، مي: (٢٠٢)، حب: (٦)، ك: (٢/ ٢٦١)، لس: (٢٤٤)، [«الموسوعة الحديثة»].

السبيل الطويل الذي سلكه رسول الله ﷺ وأصحابه، وإياك إياك والبدع كما حذر رسول الله ﷺ في وصيته التي معنا: «**وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**». فالرسول ﷺ يحذرنا من البدع، أتدرون لِمَ يا عباد الله؟ لأن مع البدع الضلال، وأن من ابتدع ضلّ كما سمعتم فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، فالمبتدع ضال ومضل. يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (ولو تركتم سنّة نبيكم لضللتم)(١)؛ أي: لو تركتم سنّة نبيكم بابتداعكم في الدين لضللتم بهذا الابتداع.

- فيحذرنا ﷺ من البدعة لأنها سبب للضلال.
- ويحذرنا ﷺ من البدعة لأنها سبب لدخول النار.

«فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»؛ أي: وصاحبُها في النار، نعم، فيوم القيامة يؤخذ برجال من أُمته ﷺ ذات الشمال فيقول الرسول ﷺ: «**يا رب أصحابي**»، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك»(٢) فهم ابتدعوا، وغيَّروا في الدين، وكما نرى في كل يوم تظهر جماعة ويظهر شخص يدعو إلى دين جديد، ما جاء في الكتاب ولا في السنّة، إنما هم أعداء الإسلام يدخلون في الإسلام ليقضوا على الإسلام وعلى أهل الإسلام، فكونوا من البدع وأهلها على حذر.

- يحذرنا ﷺ من البدع لأَنَّ الأعمال المبتدعة لا تقبل عند الله.

يقول ﷺ «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(٣).

ويقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

- يحذرنا ﷺ من البدعة لأنها تسوِّد الوجه، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

---

(١) **صحيح**: م: (٦٥٤).
(٢) **صحيح**: خ: (٤٤٦٣).
(٣) **صحيح**: خ: (٢٥٥٠)، م: (١٧١٨).

يقول ابن عباس: (تبيض وجوه أهل السنّة، وتسود وجوه أهل البدعة)[١]؛ لأنهم كذبوا على الله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

- يحذرنا ﷺ من البدعة لأن المبتدع يحمل إثمه وإثم من سلك منهجه وعمل ببدعته إلى يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت: ١٣].

عباد الله! «إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً..».

رُبَّ سائل يسأل ما هي البدعة؟ وكيف نعرفها؟ وكيف نعرف أهلها؟ لنتجنب البدع ونبتعد عن أهل البدع.

البدعة في اللغة: هي الشيء المخترع المحدث الجديد الذي لم يُسْبَق له مثيل.

البدعة في الدنيا: منها حسنٌ ومنها قبيح.

البدعة في الدين: هي كل عبادة لم يفعلها رسول الله ﷺ وأصحابه، وليس عليها دليل من الكتاب والسنّة، والبدعة في الدين كلها ضلالة، وليس في الدين بدعة حسنة لقوله ﷺ: «**وكل بدعة ضلالة**»، والكل في اللغة تفيد العموم، فليس في الدين بدعة حسنة، بل كل بدعة ضلالة، والمبتدع في الدين ضال ومضل.

يقول الامام مالك رَحِمَهُ اللهُ: (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله ـ تعالى ـ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فما لم يكن يومئذٍ ديناً فلا يكون اليوم ديناً)[٢]. الذين يدجّلون على الناس ويقولون نعم هذه بدعة، ولكنها بدعة حسنة!!. انتقل الرسول ﷺ

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٥١٥)، تفسير القرطبي (٤/١٦٢)، فتح القدير (١/٥٥٩).

(٢) انظر: كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي (١/٣٣).

إلى ربه بعد أن كمَّل لنا الدين وتمت النعمة ورضيها لنا ربنا، بلا زيادة ولا نقصان، فمن زاد في الدين فقد ابتدع، ومن نقص من الدين فقد ابتدع، والشيطان يرضى منكم الزيادة أو النقصان. يقول عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يا أيها الناس إن الله لم يبعث بعد نبيِّكم نبيّاً ولم ينزل بعد هذا الكتاب الذي أنزله عليه كتاباً فما أحل الله على لسان نبيّه فهو حلال إلى يوم القيامة وما حرّم على لسان نبيّه فهو حرام إلى يوم القيامة، ألا وإني لست بقاضٍ ولكني منفذ ولست بمبتدع ولكني متبع ولست بخير منكم غير أني أثقلكم حملاً، ألا وأنه ليس لأحد من خلق الله أن يطاع في معصية الله...)[1]. فاتبعوا عباد الله ولا تبتدعوا، كما قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم)[2]، اتقوا الله وتمسكوا بسنّة رسول الله، واحذروا البدع، فربنا عَزَّ وَجَلَّ لم يطلب منا أن نقبِّل القرآن، ولم يطلب منا أن نحتفل بمولد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! ولم يطلب ولم يرض منا أن نغني ونطبل ونرقص ونأكل الحلوى يوم مولد رسول الله! لكن يريد منا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن نحجب نساءنا طاعة له سبحانه، يريد منا أن نتشبه بالصالحين، يريد منا أن نخالف الكفار ونكرههم، يريد منا أن لا نوالي الكفار. فيا أمة الإسلام: نحتفل بمولد رسول الله ونتشبه بالكفار! هذا لعمري في القياس شنيع.

أمة الإسلام! إلى متى نبقى على ما نحن عليه؟ إلى متى نبقى في نومنا العميق؟ متى نستيقظ؟ تزودوا بالتقوى وتمسكوا بسنّة رسول الله؛ توحيد لله في العبادة، وتوحيد لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الاتباع، وتوحيد للصحابة في سلوك منهجهم، فمن أراد أن ينجو فعليه بذلك.

فيا أخا الإسلام! إذا أردت أن تعرف البدعة فأعرضها على الكتاب والسنّة وعلى منهج أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا لم ترَ عليها دليلاً من

---

(١) **إسناده جيد**: مي: (٤٣٣)، [«سنن الدارمي» تحقيق: حسين سليم أسد].

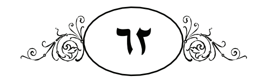
(٢) **صحيح**: مي: (٢٠٥)، طب: (٩/ ١٥٤) [«مجمع الزوائد» (١/ ٤٣٤)].

الكتاب ولم تر عليها دليلاً من السنّة، وعلمت أن الصحابة ما فعلوها فهي بدعة، ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

أما أصحاب البدع فكيف نعرفهم؟ نعرفهم بسيماهم؛ غضب الله على وجوههم، فإذا رأيت الذل يرفرف على رؤوسهم، ورأيت الجهل يرفرف عليهم، الجدال والمراء غايتهم. يكفِّرون المسلمين، وعلماء المسلمين يدعون إلى الحزبية والحمية المنتنة. وهذا الرجل الصالح يقول: من احترم صاحب بدعة ووقره فقد أعان على هدم الإسلام، وهل هدَمَ الإسلام وأَضاع أراضي المسلمين وجعلنا نصل إلى ما وصلنا إليه إلا أمثال هؤلاء المبتدعة؟!.

نسأل الله أن يخلِّص المسلمين من أمثال هؤلاء
اللّهم كن عليهم، ونجنا يا ربنا من البدع ومن أهلها
اللّهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً





الوصية الثانية (أ) «احفظ الله يحفظك»

عباد الله! قلنا في الجمع الماضية: إن من الواجب على المسلمين نحو رسول الله ﷺ في كل مكان أن يقبلوا وصاياه، وفي الجمعة الماضية عشنا وإياكم مع الوصية الأولى لرسول الله ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم مع الوصية الثانية من وصايا المصطفى ﷺ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: «**يا غلام!، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلامُ وجفت الصحف**»[(١)].

وفي رواية أخرى: «**احفظ الله تجده أمامك، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطِئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً**»[(٢)].

أمة الإسلام! هذا الكلام واللهِ لا يخرج إلا من نبي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، طب: (١٢/ ٢٣٨)، ع: (٤/ ٤٣٠)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].

(٢) **صحيح**: ك: (٣/ ٦٢٤)، طب: (١١/ ١٢٣)، هب: (٧/ ٢٠٣) مع زيادة في ألفاظ الحديث، [«كتاب إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم والحكم»، تحقيق: الشيخ سليم الهلالي حفظه الله].

وصية عظيمة من عَمِلَ بها سِعد واللهِ في الدنيا والآخرة، إنها تبيّن لنا أن الجزاء من جنس العمل، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟.

«**احفظ الله يحفظك**»: وصية عظيمة تبيّن لنا أنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون. فرسولنا العظيم ﷺ في هذه الوصية يربي أمته على العقيدة الصحيحة على جميع المستويات، فيقول له: «**يا غلام**»، ويعلمه: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»، يربط قلوب العباد، برب العباد وصية عظيمة. فتعالوا بنا نعيش مع الجزء الأول منها في هذا اليوم، «**احفظ الله يحفظك؛ احفظ الله تجده تجاهك**» ما معنى احفظ الله؟ أي: احفظ حدوده، وحقوقه، وأوامره، ونواهيه، ومعنى احفظ حدوده: أي أن الله ﷻ حد حدوداً للعباد وقال لهم: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقال لهم: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]. وحذر العباد أن يتعدوا حدوده سبحانه وتعالى فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. ومعنى احفظ حقوقه: أي أن لله حق على العباد أتدري ما هو يا عبد الله؟ أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئاً.

وحفظ الأوامر: يكون بامتثالها، إذا أمرك الله ﷻ فعليك أن تقول: سمعنا وأطعنا، وحفظ النواهي: يكون باجتنابها فإذا نهاك الله ﷻ فعليك أنْ تقول: سمعنا وأطعنا.

أمة الإسلام! ومن الأمور التي أمرنا الله ﷻ بحفظها على ـ سبيل المثال «الصلاة»، فقال ـ تعالى ـ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [المؤمنون: ٩].

- ومن الأمور التي أمرنا الله بحفظها «الأَيمان»، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].
- ومن الأمور التي أمرنا الله بحفظها «الفرج»، فقال ـ تعالى ـ:

﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

وقال ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه** ـ أي: لسانه ـ **وما بين رجليه** ـ أي: فرجَه ـ **أضمن له الجنة**»[(١)].

● ومن الأمور التي أمر الله بحفظها: «**الرأس وما وعى، والبطن وما حوى**».

يقول ﷺ: «**استحيوا من الله تعالى حقَّ الحياء، من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبِلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**»[(٢)].

فمن حفظ حدود الله، وحفظ حقوق الله، وحفظ أوامر الله وحفظ نواهي الله؛ حفظه الله، فالجزاء من جنس العمل. كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، فتعالوا بنا عباد الله لنرى كيف يحفظ الله عباده الذين حفظوه وبالمثال يتضح البيان:

● فهذا يوسف عليه السلام دخل السجن مظلوماً، فحفظه الله في سجنه، وأخرجه من السجن سالماً غانماً، وجعله حفيظاً على خزائن الأرض في بلاد مصر، لِمَ حفظ اللهُ يوسفَ ﷺ؟ لأن يوسف حفظ الله عندما كان في بيت امرأة العزيز حين غلَّقت الأبواب وقالت: هيت لك؛ أي: دعته إلى الفاحشة فقال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]، وقال يوسف: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٠٩).

(٢) **حسن**: ت: (٢٤٥٨)، حم: (١/ ٣٨٧)، ك: (٤/ ٣٥٩)، طب: (١٠/ ١٥٢)، بز: (٥/ ٣٩١)، هب: (٦/ ١٤١)، [«ص.ج» (٩٣٥)].

[يوسف: ٣٣]، وكذلك لما دخل يوسف السجن حفظ الله في السجن، أتدرون بماذا يا عباد الله؟ لقد دعا المساجين الذين معه إلى عقيدة التوحيد فقال لهم: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٠﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠]، حفظ الله قبل دخوله السجن، وحفظ الله في داخل السجن؛ فحفظه الله وأخرجه من السجن، حفيظاً على خزائن الأرض.

• وهذا يونس عليه السلام سُجِن في بطن الحوت، في سجنٍ بعيدٍ غريب لم يسجن فيه أحد، وحفظ الله يُونسَ في بطن الحوت وأخرجه من هذا السجن سالماً غانماً، لماذا حفظ الله يونس في هذا السجن؟ لأنه عليه السلام كان يحفظ الله في رخائه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٤٤﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤]. وعندما دخل يونس هذا السجن البعيد لم ينسِ ربه بل دعا الله ـ عز وجل ـ في هذا السجن فقال: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٨٨﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

• وهذا إبراهيم عليه السلام أُلقي مقيداً في النار التي أججها له الكفار، ومع ذلك حفظه الله في هذه المحنة العظيمة من النار.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٩]، أتدرون لم حفظ الله إبراهيم في النار؟ لأنه كان أمةً يدعو إلى التوحيد كما قال تعالى عنه: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝١٢١﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١].

كان يدعو إلى التوحيد، ولقد تبرأ من أبيه وقومه لأنهم أبوا أن يسلكوا طريق الهدى، ولما ألقي في النار: ما توكل إلا على الله، فقال إبراهيم حين أُلقي في النار: «**حسبنا الله ونعم الوكيل وقالها محمد ﷺ حين قالوا:** ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾»[١] [آل عمران: ١٧٣]، لتعلموا أنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

• وهؤلاء (الثلاثة الذين حُبِسُوا في الغار، فلما دخلوا الغار انحدرت صخرة فسدت الغار، وأيقنوا الهلاك والموت، ولكنْ حفظهم الله في هذا المكان البعيد الذي لم يعلم به أحد؛ لأنهم كانوا يحفظون الله بإخلاصهم في العمل، فهذا الأول يتوسل إلى الله ببره لوالديه، وهذا الثاني يتوسل إلى الله بإخلاصه في تركه للزنا، وهذا الثالث يتوسل إلى الله بإخلاصه في حفظ الأمانات وردها إلى أهلها، فحفظهم الله وأخرجهم من الغار)[٢]، فإن تحفظوا الله ﷻ يحفظكم، كما قال ﷺ في وصيته: «**احفظ الله يحفظك**»، فاحفظ الله بعقيدة التوحيد يحفظك الله ﷻ في كل مكان: في الشدة والرخاء، وفي السراء والضراء، وفي الحياة الدنيا والآخرة.

«**اللّهم احفظني بالإسلام قائماً، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، ولا تشمت بي عدواً ولا حاسداً**»[٣].

يقول ﷺ في وصيته: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، واحفظ الله تجده أمامك**».

أي: من حفظ الله ﷻ، وحفظ حدوده، وحقوقه، وأوامره، ونواهيه كان الله ﷻ معه في جميع الأحوال بحفظه ورعايته ونصره وتوفيقه، كما

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٢٨٧).
(٢) **صحيح**: خ: (٢١٥٢) وانظر الخبر بتمامه فيه.
(٣) **حسن**: حب: (٩٣٤)، ك: (١/٧٠٦)، [«ص.ج» (١٢٦٠)].

قال بعض الصالحين: «**من يتق الله يكن الله معه، ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل**»[(١)].

«احفظ الله تجده تجاهك، احفظ الله تجده أمامك». الله ﷻ مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله ليس كاستواء المخلوقين، وهو غني عن العرش وما دون العرش، ومع ذلك فهو مع عباده المؤمنين المخلصين الذين عبدوه ووحَّدوه وحفظوه، فهو معهم بحفظه، وبرعايته؛ يرعاهم وينصرهم أينما كانوا وأينما وجدوا فمن الذي حفظ أولئك الثلاثة في الغار؟ ومن الذي حفظ يونس في بطن الحوت؟ ومن الذي حفظ إبراهيم من النار؟ ومن الذي حفظ يوسف في السجن؟ إنه هو الله، حفظوا الله فحفظهم. فالله ﷻ مع المؤمنين، معية خاصة بالنصر والتوفيق والسداد كما قال ـ تعالى ـ لموسى وهارون: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، فهو معهم بالتوفيق والسداد والحفظ.

وكما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠]، وكما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨]، معية خاصة للذين حفظوا الله وعبدوه، للمؤمنين المخلصين فهو معهم بحفظه ورعايته، أما المعية العامة التي يكون الله بها مع كل الناس فهي معية السمع والمراقبة، فهو سبحانه مع الناس بأسمائه وصفاته يراهم ويراقبهم يسمعهم ويعلم سرهم ونجواهم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [المجادلة: ٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد: ٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨﴾ [النساء: ١٠٨].

فيا إخوة الإسلام! هذه وصية عظيمة تشفي الصدور.

---

(١) حل: (٢/ ٣٤٠) عن قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ.

«احفظ الله يحفظك»

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩] ومع بقية الوصية نعيش في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله ـ إن كان في العمر بقية.

ونسأل الله أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا

اللّهم علّمنا علماً نافعاً

وارزقنا الإخلاص في القول والعمل والسر والعلن

❊ ❊ ❊

٦٣

الوصية الثانية (ب): «احفظ الله يحفظك»

عباد الله! في الجمعة الماضية بدأنا الحديث عن الوصية الثانية لرسول الله ﷺ والتي يقول فيها: «**احفظ الله يحفظك، احفظك الله تجده تجاهك...**».

عباد الله! وفي الجمعة الماضية تكلمنا عن القسم الأول من هذه الوصية العظيمة الذي قال فيه ﷺ: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك**»، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله ـ تعالى مع القسم الثاني من هذه الوصية العظيمة الذي يقول فيه ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»[(١)].

أمة الإسلام! رسولنا ﷺ يربي أمته على العقيدة الصحيحة، والتوحيد فيقول ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله**»، وذلك لأن الله ﷻ أمرنا بذلك في كتابه فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢].

وهنا سؤال مهم وهو:

لماذا يأمر المصطفى ﷺ أمته إذا سألوا أن يسألوا الله وحده؟

الجواب: أولاً: لأن الله ﷻ وحده هو الغني، والخلق كلهم فقراء إلى الله، قال الله ـ ﷻ ـ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]، وقال الله ـ ﷻ ـ: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، طب: (١٢/ ٢٣٨)، ع: (٤/ ٤٣٠)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].

ﵟٱلۡحَمِيدُ ١٥ﵞ [فاطر: ١٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﵟوَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَﵞ [المنافقون: ٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﵟوَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١ﵞ [الحجر: ٢١]، وقال ـ تعالى ـ في الحديث القدسي: «**يا عبادي، لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَط إذا أدخل البحر**»(١).

فالله ﷻ غني، فهو الذي يُسْأل، والله ﷻ يغضب إن تركت سؤاله كما قال القائل:

لا تسألن بُنَيَّ آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تُحجبُ
الله يغضب إن تركت سؤالَه ... وبُنَيُّ آدم حين يُسأل يغضبُ

فالذين يدعون الله ﷻ فازوا واللهِ، والذين يدعون غير الله من الأموات وغير ذلك خابوا وخسروا، لِمَ؟ لأنهم أشركوا في سؤالهم غير الله، ولأنهم دعوا فقراء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا يملكون لأنفسهم حولاً ولا قوة، قال تعالى: ﵟوَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍﵞ [فاطر: ١٣]، فكيف يعطون غيرهم وهم فقراء؟! فإذا سألت فاسأل الله.

ثانياً: الرسول ﷺ يأمر أمته إذا سألوا أن يسألوا الله وحده، أتدرون لِمَ؟ لأن الله وحده هو الذي يسمعك إذا دعوته ويعطيك إذا سألته.

قال ـ تعالى ـ: ﵟوَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ﵞ [البقرة: ١٨٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﵟوَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠ﵞ [غافر: ٦٠].

وبالمثال يتضح البيان، هذا زكريا عليه السلام الذي اشتاق إلى الذرية

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٧٧).

والولد الصالح دخل يوماً على مريم فوجد عندها رزقاً، ﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٧ ـ ٣٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

فيا ٱبن آدم إذا سألت فاسأل الله؛ لأنه هو الذي يسمع، وهو الذي يعطي، فيا من تركضون خلف السحرة والمشعوذين من أجل أن تتحصلوا على الأولاد لِمَ لا تفعلون كما فعل زكريا ﷺ؟.

الألوف من المسلمين يهرولون إلى السحرة والمشعوذين يظنون أنهم يقدرون على أن يعطوا الولد، وأن يعطوا الذرية الصالحة، لا يا أمة الإسلام إنها العقيدة أولاً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

عليم بأحوال العباد، قدير على أن يعطي هذا الإناث فقط وقدير على أن يعطي هذا الذكور فقط، وقدير على أن يعطي هذا الذكور والإناث، أو أن يجعل إن شاء هذا عقيماً إنه عليم بأحوال عباده وقدير على أن يعطي الذي أعطاه الإناث ذكوراً، وعلى أن يعطي من أعطاه الذكور إناثاً وعلى أن يعطي العقيم أولاداً كما أعطى زكريا.

عباد الله! وهذا مثالٌ آخر على أن الله وحده هو الذي يسمع، وهو الذي يعطي، هذا موسى عليه السلام في بلد الغربة بعد أن خرج من مصر فاراً من فرعون وملئه، وهو في بلاد مدين، وعند ماء مدين اضطجع في ظل

شجرة وهو فقير غريب في بلاد الغربة يحتاج إلى أمن، ويحتاج إلى عمل، حتى لا يمد يده إلى الناس، ويحتاج إلى زوجة تؤنسه في وحشته في بلاد الغربة فاضطجع في ظل شجرة في مكانٍ اللهُ أعلم به، ثم توجه إلى ربه يسأله؛ لأنه يعلم أن الله يسمع، وأن الله وحده هو الذي يعطي، ماذا قال موسى؟.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، وكأنه يقول: يا رب أنا في حاجة إلى أمن، يا رب أنا في حاجة إلى عمل، يا رب أنا في حاجة إلى زوجة تؤنس وحشتي في غربتي، فما أن انتهى من دعائه إلَّا وقد جاء الفرج من الله: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص: ٢٥]، أمن بعد خوف. ثم بعد ذلك: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: ٢٦]، عمل مشروع حلال ما الذي أنطق هذه الفتاة فقالت: يا أبت استئجره، إنه هو الله من فوق سبع سموات. فقال الشيخ الكبير: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ﴾ [القصص: ٢٧] زوجة صالحة، أمن، عمل.

عبادَ الله! الذين يدفعون الرِشوة ليتحصلوا على العمل، والذين يقبلون الرِشوة ليوظفوا الناس أما يتقون الله! موسى رفع يديه وقال: يا رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير، فَمَنَّ الله عليه بالأمن، والعمل المشروع، والزوجة الصالحة، لتعلموا أنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

ثالثاً: يأمر المصطفى ﷺ أمته إذا سألوا أن يسألوا الله وحده لِمَ؟ لأن الله وحده هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢]. وبالمثال يتضح البيان:

• هذا أيوب عليه السلام في شدة المرض يعلم أنه لا يكشف الضر إلا الله، فماذا قال وهو مضطر؟ هل ركض إلى المشعوذين والسحرة؟ لا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

• وهذا يوسف عليه السلام وهو في بيت امرأة العزيز أحاطت به النسوة يطلبن منه الفاحشة.

قال تعالى على لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف: ٣٣، ٣٤].

• وهؤلاء الثلاثة الذين دخلوا الغار مَن الذي أمر الصخرة أن تتحرك لتسد الغار؟ إنه الله، فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم، ودعوا الله وحده وسألوه في مكان لا يسمعهم فيه أحد إلا الله فتحركت الصخرة، من الذي حركها؟ إنه هو الله، وخرجوا من الغار يمشون وأنقذهم الله من الموت المحقق.

لكن يا ابن آدم احذر من الأسباب التي تحرمك من الإجابة، فكثير من الناس يسألون الله ويحرمون الإجابة فهل تدرون ما هو السبب؟

أولاً: أكل الحرام، لبس الحرام، شرب الحرام، التغذية على الحرام فالذي يربي أولاده على الربا وعلى الرشوة، والذي يربي أولاده على الحَرام والذي يلبس ثيابه من الحرام، والذي يملأُ بطنه وبطن أولاده من الحرام ثم يرفع يديه يقول: يا رب! فأنَّى يستجاب لذلك.

يقول ﷺ: «**إنّ الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: ٥١]، **وقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن

طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢] **ثم ذكر الرجل يطيل السفر: أشعث، أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك؟»**[(١)].

السبب الثاني: ـ الذي يحرمك من الإجابة ـ أن تجعل بينك وبين الله واسطة، كأن تقول: يا رب أسألك بحق فلان، أسألك بجاه فلان، أدخل عليك يا رب بسيدي فلان، فهذا شرك وضلال؛ لأن المصطفى ﷺ يربينا على التوحيد قائلاً: «**إذا سألت فاسأل الله**»، ما قال له: يا ابن عباس، إذا سألت الله فاسأله بجاه فلان أو فلان أو بحق فلان. والله ﷻ يقول: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢]، ويقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ويقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠]، فإذا سألت فاسأل الله، وإياك إياك أن تجعل بينك وبين الله واسطة.

السبب الثالث: المعاصي تحول بينك وبين الإجابة.

المعاصي تحرمك الرزق، فكم من إنسان كان في نعمة ثم حُرِم هذه النعمة بسبب المعاصي.

ابن آدم

إذا كنت في نعمة فارعها   فإن المعاصي تزيل النعم
وحافظ عليها بشكر الإله   فإن الإله شديد النقم

عباد الله! يقول ﷺ: «**وإذا استعنت فاستعن بالله**».

فمن استعان بالله فهو المعان، ومن استعان بغير الله خذله الله، فالإنسان منا محتاج إلى الاستعانة بالله على العبادة ـ مثلاً ـ، ولذلك علّمنا ربنا ـ جلّ وعلا ـ أن نقول في كل ركعة: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]؛

(١) **صحيح**: م: (١٠١٥).

أي: نعبدك يا الله وحدك ونستعين بك يا الله وحدك على عبادتك. فوالله لولا فضل الله علينا ما صمنا ولا صلينا، فإذا أعانك الله على الصلاة والصيام، وطلب العلم، وحفظ القرآن، وبر الوالدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاعلم بأن الفضل لله ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] على عبادتك، والإنسان في حاجة إلى أن يستعين بالله ـ في هذه الدنيا ـ على الفتن والشدائد والبلاء والمحن التي تصب فوق الرؤوس، فإذا استعنا بالله أعاننا، وإذا استعنا بغير الله خذلنا. وبالمثال يتضح البيان، وانظروا يا عباد الله كيف تكون الاستعانة بالله.

● هذا يعقوب عليه السلام كان يحب يوسف حباً كبيراً ثم كان ما كان من إخوة يوسف، فلما رجعوا إلى أبيهم عشاء يبكون، وأخبروه الخبر ـ بأن يوسف أكله الذئب ـ فما كان من يعقوب عليه السلام عندما سمع الخبر الشديد الأليم إلا أن قال: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

فاستعان بالله على هذا الخبر، وهو خبر أليم على قلب الوالد، ـ ومن كان له أولاد يعلم أن ذلك من أصعب ما يكون ـ استعان بالله فأعانه الله فصبر على هذه المصيبة فرد الله يوسف إليه.

مثال آخر:

● هذه عائشة أم المؤمنين الطاهرة المطهرة البريئة قال المنافقون عنها ما قالوا، وتكلموا في حقها واتهموها بفاحشة الزنا قاتلهم الله أنى يؤفكون، وانتشر الخبر في كل مكان ـ كما هو دأب المنافقين دائماً يكتمون الحسنة وينشرون السيئة ـ حتى وصل الخبر إلى رسول الله ﷺ، ووصل الخبر إلى عائشة فذهبت إلى والديها وجلست عندهم ودخل عليها ﷺ وقال لها: «**يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بشيء فاستغفري الله وتوبي فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه**» ـ وهي تبكي بكاءً شديداً، ماذا تقول وهي تعلم أنها بريئة؟ ـ فقالت: يا أبي أجب رسول الله، فقال أبو بكر:

والله ما أدري ماذا أقول لرسول الله ﷺ، فقالت عائشة: يا أمي أجيبي رسول الله، ـ أي: قولي له: إنني بريئة ـ فقالت أمها: لا أدري ماذا أقول لرسول الله، فماذا قالت عائشة؟ قالت لهم: أقول لكم إني بريئة فوالله لا تصدقونني، والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف، إذ قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾»(١)، فاستعانت بالله على هذه الشدة فأعانها الله، وبرأها من فوق سبع سمٰوات.

● وهذا موسى عليه السلام عندما جاءه الخبر بأن فرعون قرر أن يقتل موسى ومن معه فماذا قال موسى لقومه: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

ابن آدم! إذا ابتليت بمثل هذا البلاء، وقال قائل فيك ما أنت منه بريء، وكذب عليك، واجتمعوا على أن يخرجوك أو يقتلوك، فاستعن بالله وقل: فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون.

اللّهم لك الحمد وإليك وحدك المشتكى، وأنت المستعان
وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك
اللّهم احفظنا، اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه
وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه



(١) **صحيح**: خ: (٢٥١٨)، م: (٢٧٧٠) وانظر الخبر فيهما بتمامه.

٦٤

الوصية الثانية (جـ): «احفظ الله يحفظك»

عباد الله! قال ﷺ في وصيته الجامعة لابن عباس: «**احفظ الله يحفظك...**».

ولقد تكلمنا عن القسم الأول من هذه الوصية العظيمة والذي قال فيه ﷺ: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك**».

وفي الجمعة الماضية تكلمنا عن القسم الثاني من هذه الوصية العظيمة والذي يقول فيه ﷺ: «**وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»، وموعدنا ـ يا عباد الله ـ في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع القسم الثالث والأخير من هذه الوصية العظيمة والذي يقول فيه ﷺ: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف**»[(١)]، وفي رواية أخرى: «**واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً**»[(٢)].

عباد الله! رسولنا الكريم ﷺ يربي أمته على العقيدة الصحيحة، ويربط قلوب العباد برب العباد، يخبرهم ﷺ أن النافع والضار هو الله، ويعلمهم أن المعطي والمانع هو الله، والله ﷻ قد أخبرنا بذلك في كتابه، وعلمنا أنه سبحانه هو الضار، وهو النافع وهو المعطي وهو المانع.

---

(١) **صحيح**: [«ص.ج» (٧٩٥٧)] تقدم تخريجه.

(٢) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٤٩.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

عباد الله! إذا علم الإنسان واعتقد أن النافع هو الله، وأن الضار هو الله، وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه أو يضروه بشيء لا يقدرون على ذلك إلا بأمر من الله، إذا اعتقد العبد ذلك دفعه هذا الاعتقاد إلى أن يتوكل على الله وحده، ودفعه هذا الاعتقاد إلى أن يخاف من الله وحده؛ لأنه هو النافع وهو الضار.

- وبالمثال يتضح البيان.

- فهذا نوح عليه السلام يتوكل على الله وحده ويتحدى قومه فيقول لهم:

قال تعالى: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ [يونس: ٧١].

- وهذا هود عليه السلام يتوكل على الله وحده ويتحدى قومه فيقول لهم:

﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٤ ـ ٥٦].

إذا اعتقد الإنسان أن الأمة لا تنفعه ولا تضره عَمَل ليلاً ونهاراً على رضى الله حتى وإنْ سَخِطَ الناس.

يقول ﷺ: «**من أرضى الناس بسخط الله وكَلَّهُ الله إلى الناس، ومن**

أسخط الناس برضا الله كفاه الله مُؤْنَةَ الناس»[(١)].

عباد الله! ثم يقول ﷺ في وصيته الجامعة التي معنا: «**رفعت الأقلام، وجفت الصحف**».

وهذا دليل على أن الله ﷻ قدَّر كل شيء، وكتب عنده كل شيء قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

قال ﷺ: «**كتب الله ﷻ مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، من مات على غير هذا فليس مني**»[(٣)].

والله ﷻ أخبرنا في كتابه أنه قدَّر كل شيء قبل خلق السموات والأرض.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢].

إذا علم العبد واعتقد أن ما أصابه في هذه الدنيا بقضاء الله وقدره رضِيَ بقضاء الله وقدره، ولذلك فإن المؤمن في هذه الدنيا تراه دائماً سعيداً مطمئناً، إن أصابته سرّاءُ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاءُ صبر فكان خيراً له، وعن ذلك أخبرنا المصطفى ﷺ فقال: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كُلَّهُ له خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن: إن أصابته سرّاءُ شكرَ فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاءُ صبر فكان خيراً له**»[(٤)] لِمَ؟؛ لأنه يعلم أن ما أصابه إنما هو من عند الله.

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٤١٤)، حل: (٨/ ١٨٨)، [«ص.ج» (٦٠١٠)].
(٢) **صحيح**: م: (٢٦٥٣).
(٣) **صحيح**: د: (٤٧٠٠)، هق: (١٠/ ٢٠٤)، حل: (٥/ ٢٤٨)، [«ص.ج» (٢٠١٨)].
(٤) **صحيح**: م: (٢٩٩٩).

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١].

ويقول ﷺ: «**واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**»، فعلى العبد أن يعلم أن ما أصابه في هذه الدنيا من سرّاء أو ضرّاء إنما هو من عند الله، واعلم يا عبد الله أَنه إذا أصابتك السرّاء في هذه الدنيا فهي من فضل الله، وإذا أصابتك الضرّاء والمصائب في هذه الدنيا فاعلم أنها من نفسك وبسبب معاصيك كما قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩].

وكما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠]، فاعلم يا أخا الإسلام أن كل شيء قد قدَّره الله ﷻ. ثم يقول رسول الله ﷺ في وصيته الجامعة التي نحن في صدد الحديث عنها. «**تعرَّف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة**». رسولنا ﷺ يأمر أمته أن يتعرفوا على الله في الرخاء، في النعمة، في المال، في الصحة، في الحياة، ويكون التعرف على الله في الرخاء؛ بالدعاء، بالعبادة، بحفظ الأوامر والنواهي، بحفظ الحقوق، وعدم تعدي حدود الله، تعرفوا إلى الله في الرخاء يعرفكم في الشدة بأن يستجيب ﷻ لكم فيكشف ما نزل بكم من الشدة؛ لأن الجزاء من جنس العمل.

لكن تعالوا معي يا عباد الله وانظروا إلى كثير من الناس ـ إلا من رحم ربي ـ في هذه الحياة فسترون أنهم يعرفون الله فقط في الشدة ولا يعرفون الله في الرخاء. واللهِ إن كثيراً من الناس لا يعرفون الله ﷻ، ولا يدعون الله ﷻ، ولا يُصلّون لله، ولا يستغيثون بالله، ولا يسألون الله إلا إذا وقعوا في الشدة. أما إذا زالت عنهم الشدة فإنك تراهم وقد نسوا الله ﷻ كما أخبرنا الله ﷻ عن هذا الصنف من بني آدم فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥۚ﴾ [يونس: ١٢].

قتل الإنسان ما أكفره! كم من الناس نزلت به مصيبة فدعا الله وتعرف على الله فلما زالت عنه نسي الله؟!

كم من الناس إذا أُدخل غرفة الإنعاش تعرَّف على الله، فإذا خرج نسي الله؟! كم من الناس إذا أصابه فقر وشدةٍ تعرَّف على الله فإذا كثر ماله نسي الله؟!

قال ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس: ٢٢، ٢٣].

كان الكفار إذا ركبوا الفلك، ونزلت بهم شدة، وأيقنوا الهلاك والغرق دعوا الله مخلصين له الدين. وهناك ممن ينتسبون إلى الإسلام اليوم من إذا نزلت بهم شدة واللهِ لا يسألون الله، ولكن يسألون الأولياء والصالحين، فتراهم إذا نزلت بهم الشدة يقولون: يا سيدي فلان!! وهذا ضلال مبين! الكفار في الشدة يعرفون ربهم، وأنتم يا من تدعون الإسلام إذا وقعتم في شدة تسألون غير الله وتستغيثون بغيره!!

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٤]. المؤمن يا عباد الله عرف ربه في الرخاء فعرفه الله ﷻ في الشدة. وبالمثال يتضح البيان:

• هذا يونس عليه السلام كان يسبِّح الله ويعبده في الرخاء، فلما وقع في شدة فسجن في بطن الحوت دعا الله ﷻ.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

لم يا ربنا نجيّت يونس من الغم؟ ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤]. فالذي نجّاه من هذا الغم أَنه كان يعرف الله في الرخاء فعرفه الله في الشدة.

• والثلاثة الذين دخلوا الغار وهم في هذه الشدة دعوا الله ـ عز وجل ـ، وتوسلوا بصالح أعمالهم التي عملوها في الرخاء فنجاهم الله من هذه الشدة.

أما الذي لا يعرف ربه في الرخاء، والذي لا يعرف ربه في الغنى، والذي لا يعرف ربه في الجاه والسلطان، والذي لا يعرف ربه في الصحة، والذي لا يعرف ربه في حياته فلا يعرفه الله عز وجل وبالمثال يتضح البيان:

• هذا فرعون عليه لعنة الله إلى يوم القيامة كان في رخائه وسرَّائه يقول للناس: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ويقول لهم: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨].

فلما وقع في الشدة، ودعا الله ـ عز وجل ـ وقال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، قال الله عز وجل له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: ٩١، ٩٢].

فتعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة.

واعلم ـ يا عبد الله ـ أن اليوم صحة وغداً مرض، واعلم ـ يا عبد الله ـ أن اليوم غنى وغداً فقر، واعلم ـ يا عبد الله ـ أن اليوم حياة وغداً موت، جاء رجل لأبي الدرداء رضي الله عنه فقال له: أوصني، فقال له: أبو الدرداء: (اذكر الله في السرّاء يذكرك في الضرّاء)[1]، وقال

---

(١) حل: (١/ ٢٠٩).

سلمان الفارسي: (إذا كان العبد يذكر الله في السرّاء ويحمده في الرخاء، فأصابه ضرٌّ فدعا الله قالت الملائكة: صوت معروف من امرئ ضعيف فيشفعون له وإن كان العبد لا يذكر الله في السرّاء ولا يحمده في الرخاء، فأصابه ضرّ فدعا الله قالت الملائكة: صوت منكر فلم يشفعوا له)(١).

يقول ﷺ في وصيته العظيمة: «**واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً**».

أمة الإسلام! اسمعوا وعوا، رسولنا ﷺ يربي أمته ويعلمهم أن مع الصبر يكون النصر، وأن مع الكرب يكون الفرج، وأن مع العسر يكون اليسر، والله ﷻ أخبرنا في كتابه أن النصر دائماً يكون مع الصبر، ولا يكون أبداً قبل الصبر.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف: ١١٠].

وكذلك يأمر ربنا ـ جل وعلا ـ رسوله بالصبر وعدم الاستعجال فيقول ـ تعالى ـ لرسوله ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

ورسولنا ﷺ يربي أمته على الصبر وعدم الاستعجال.

فيقول ﷺ لخباب بن الأرت: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل**

---

(١) ش: (٧/ ١٢١)، هب: (٢/ ٥١).

فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[(١)] .

وسأبقى أقول: إياكم والاستعجال، وسأبقى أحذر من الاستعجال؛ لأن الاستعجال جلب على الأمة وبالاً لا يخفى على العاقل، ونقول: يا دعاة الاستعجال، اتقوا الله في أمة الإسلام، يا دعاة الاستعجال، أنتم لستم أحسن من رسول الله، الله يأمره بالصبر ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

إخوة الإسلام! والله إني لكم لناصح أمين فإياكم، إياكم من دعاة الاستعجال، واحذروا يا عباد الله من دعاة العاطفة والهمجية، إنهم يريدونها فتنة تأكل الأخضر واليابس، وعليكم أن تضبطوا العاطفة بـ (قال الله) و(قال رسول الله)، وبمنهج الصحابة رضوان الله عليهم.

نحن في زمان عجيب، فاصبروا وصابروا، ورابطوا لعلكم تفلحون. وإذا جلس أحدكم مع إنسان يريد أن يستعجل في شيء من أمور الدين بأي مظهر من المظاهر التي نعايشها ونراها فالإسلام منها بريء: ـ من قتل، أو تدمير، أو تفجير، أو مظاهرات، أو إضراب عن الطعام، كل ذلك الإسلام منه بريء ـ فانصحوهم وإلى الذين يفعلون ذلك نقول لهم تعالوا لنتحاور بـ (قال الله) و(قال الرسول)، فإنْ لم يستجيبوا لذلك قلنا لهم: مِنْ أين تتلقون الأوامر؟ وما دليلكم على ما تفعلون؟

عباد الله! نحن نختلف معهم لأنهم يكفِّرون الناس، ويكفِّرون المجتمع؛ فاستحلوا بذلك دماءَهم وأموالهم، وهذه فتنة ابتدعها الخوارج

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٥٤٤).

من قديم الزمان، فبشرهم الرسول ﷺ بنار جهنم؛ لأن الخوارج فرقة ضالة مرقت من ملة الإسلام، ونحن لا نكفّر أحداً من أهل القبلة بكل ذنب ما لم يستحله، ومن قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما.

نسأل الله أن يرزقنا الصبر على طاعته
والصبر عن معصيته
والصبر على الابتلاءات والمحن



٦٥

الوصية الثالثة: «قل آمنت باللهِ ثم استقم»

عباد الله! في الجمعة الماضية انتهينا من الحديث عن الوصية الثانية لرسول الله ﷺ، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثالثة من وصايا المصطفى ﷺ.

عباد الله! «**جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال ﷺ: قل: آمنت بالله، ثم استقم**»[(١)].

وفي رواية أخرى: يا رسول الله، حدثني بأمرٍ أعتصم به، فقال له ﷺ: «**قل: ربي الله، ثم استقم**»، فقال الرجل: ما أخوف ما تخاف علي يا رسول الله؟ فأخذ ﷺ بلسان نفسه، ثم قال: «**هذا**»[(٢)].

عباد الله! وصية عظيمة من رسول عظيم، من ناصح أمين لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، أخذ هذه الوصية من قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

عباد الله! يأمر رسول الله ﷺ أمته بالإيمان الصادق، وبالاستقامة على هذا الإيمان، ذلك لأن هناك من الناس من يدعي الإيمان وما هم بمؤمنين، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ

---

(١) **صحيح**: م: (٣٨).

(٢) **حسن صحيح**: هـ: (٣٩٧٢)، حم: (٣/ ٤١٣)، حب: (٥٦٩٩)، طب: (٧/ ٦٩)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٦٢)].

وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: ٨ ـ ١٠].

● ولأن هناك فريق آخر من الناس يَدَّعون الإيمان ثم يكفرون بعد ذلك، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾ [النساء: ١٣٧].

● ولأن هناك فريق ثالث من الناس يدَّعون الإيمان ثم يروغون روغان الثعالب فلا يستقيمون على إيمانهم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج: ١١].

من أجل ذلك يا أمة الإسلام أمر رسول الله ﷺ أمته بالإيمان الصادق، وبالاستقامة على هذا الإيمان حتى الموت، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩].

وهذا الإيمان الصادق الذي يأمر به المصطفى ﷺ هو: اعتقاد في القلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

هذا الإيمان يدفع صاحبه إلى الاستقامة على الأعمال الصالحة، والاستقامة على الأعمال الصالحة تزيد من الإيمان، من أجل ذلك ربط ﷺ بين الإيمان والاستقامة فقال: «**قل: آمنت بالله ثم استقم**».

عباد الله! **وهنا سؤال مهم، لماذا أمر ﷺ بالإيمان الصادق في قوله:**

«**قل: آمنت بالله ثم استقم**»؟ والله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠]؛ لأن سعادة الدنيا والآخرة تتوقف على الإيمان الصادق.

فمن أراد سعادة الدنيا والآخرة، فعليه بالإيمان الصادق، والاستقامة عليه حتى الموت، وذلك لنتحصل على الفوائد التالية:

أولاً: بالإيمان الصادق ننتصر على أعدائنا كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

أمة الإسلام! الكثيرمن الناس في هذا الزمان يقولون: لقد وعدنا الله بالنصر على أعدائنا، فما هذا الذي نحن فيه من الذل؟ والجواب على هذا معلوم يا عباد الله، الله وعد بالنصر لمن يا أمة الإسلام؟ وكان حقاً علينا نصر.... من يا أمة الإسلام؟ نصر أكلة الربا، نصر المنافقين، نصر الذين سمحوا لنسائهم بالتبرج، نصر الذين تركوا الصلاة؟ نصر الذين ضيعوا حكم الله؟ لا، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، فأين المؤمنون حقاً يا عباد الله؟ فبالإيمان الصادق وحده ننتصر على أعدائنا وإلا فهذا تضييع للوقت، وهذا تضييع للجهد، وهذا تضييعٌ للشباب، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

ثانياً: بالإيمان الصادق يتولى ربنا ـ جل وعلا ـ الدفاع عنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحج: ٣٨].

ثالثاً: بالإيمان الصادق يتولى ربنا أمرنا، وإذا تولى ربنا أمرنا أخرجنا من الظلمات إلى النور، وأي ظلمة بعد الذي نحن فيه من المعاصي والآثام؟!!

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد: ١١].

فالله مولانا بالإيمان الصادق، أما أن نروغ روغان الثعالب، وندعي الإيمان ونحن لا نستقيم على هذا الإيمان، فهذا تضييع للوقت، وهذا تضييع للجهد يا دعاة الاستعجال.

رابعاً: بالإيمان الصادق يؤلف ربنا بين قلوبنا، وانظروا إلى الخلافات وإلى الفرقة بين المسلمين التي حدثت بسبب ضعف الإيمان، وبسبب العقيدة الفاسدة! فالله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. فبالإيمان نتحصل على الأخوة، وبالعقيدة الفاسدة تكون الفرقة، ولذلك قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

خامساً: بالإيمان الصادق نصبح كالجسد الواحد، قال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثلُ الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(١).

سادساً: بالإيمان الصادق نصبح كالبناء الواحد، يقول ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**، وشبك ﷺ بين أصابعه»(٢).

سابعاً: بالإيمان الصادق يُمكّن لنا في الأرض، نعم، وعد الله عز وجل عباده بالتمكين في الأرض، وكتب في الزبور من بعد الذكر أَنَّ الأرض يرثها عباده الصالحون، والله ـ عز وجل ـ لا يخلف وعده قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

ثامنا: بالإيمان الصادق يهدينا الله عز وجل إلى الصراط المستقيم. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤].

تاسعاً: بالإيمان الصادق تكون لنا العزة، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٨٦).

(٢) **صحيح**: خ: (٤٦٧)، م: (٢٥٨٥).

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون: ٨]. تريدون العزة؟ فالعزة بالإيمان، أما أن تلتفتوا إلى الشرق أو إلى الغرب تريدون العزة، فلا. لأن الله ﷻ يقول: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩].

عاشراً: بالإيمان الصادق نحيا حياة طيبة، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

إحدى عشر: بالإيمان الصادق نتحصل على بركات السموات والأرض، أين بركة الرزق؟ أين بركة الأولاد؟ أين بركة المال؟ أين بركة الطعام؟، حيل بيننا وبينها المعاصي، وضعف الإيمان، فيا عباد الله، تريدون البركة؟ إذن فعليكم بالإيمان، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

اثنا عشر: بالإيمان الصادق نتحصل على جنة عرضها السموات والأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨] فسعادة الدنيا والآخرة بالإيمان الصادق، «قل آمنت بالله ثم استقم» على هذا الإيمان حتى تخرج على الإيمان من هذه الدنيا وهذا على مستوى الأفراد، وعلى مستوى الشعوب والحكومات والحكام، فإن استقمنا على الإيمان تحصّلنا على ما سمعنا مما جاء في كتاب ربنا وفي سنّة نبينا، والاستقامة على الإيمان هي سبيل النجاة؛ ولذلك أمرنا ربنا ـ جل وعلا ـ ورسولنا ﷺ بالاستقامة، فقال ـ تعالى ـ لرسوله ﷺ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود: ١١٢].

وأمر الله ﷻ المؤمنين بالاستقامة فقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ

لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ [فصلت: ٦]، والرسول ﷺ يأمر أُمّته بالاستقامة فيقول: «**قل آمنت بالله ثم استقم**».

عباد الله! ما هي الاستقامة؟

الاستقامة هي:

استقامة القلب على العقيدة الصحيحة، استقامة اللسان على ذكر الله، استقامة الجوارح على الأعمال الصالحة، يقول ﷺ: «**إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفِّرْ اللسان فتقولُ: اتق الله فينا، فإنما نحن بك؛ فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا**»(١).

وكذلك استقامة على الصراط المستقيم، استقامة على المنهج، استقامة على سبيل الله كما وصَّى ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]. ورسولنا ﷺ يوضح هذا السبيل أوضح بيان، فيخط خطاً طويلاً ويقول: («**هذا سبيل الله**»، ويخط عن يمينه وعن شماله خطوطاً قصيرة ويقول: «**هذه سبل على كل سبيل منها شيطان**»)(٢)، ويقول ﷺ: «**فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي عضوا عليها بالنواجذ**»(٣)، ويقول ﷺ: «**وتفترق أمتي على ثلاث وسبعون ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي**»(٤)، فبالإيمان الصادق، وبالاستقامة على هذا الإيمان تنجون من فتن الدنيا وتتحصلون على سعادة الدنيا والآخرة، فمن آمن بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً

---

(١) **حسن**: ت: (٢٤٠٧)، حم: (٣/ ٩٥)، لس: (٢٢٠٩)، ع: (٢/ ٤٠٣)، هب: (٤/ ٢٤٤)، [«ص.ج» (٣٥١)].

(٢) **حسن**: حم: (١/ ٤٣٥)، مي: (٢٠٢)، حب: (٦)، ك: (٢/ ٢٦١)، لس: (٢٤٤)، [«الموسوعة الحديثية»].

(٣) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، هـ: (٤٢)، حم: (٤/ ١٢٦)، مي: (٩٥)، ك: (١/ ١٧٧)، طب: (١٨/ ٢٤٨)، [«س.ص» (٢٧٣٥)].

(٤) **حسن**: ت: (٢٦٤١)، ك: (١/ ٢١٨)، [«ص.ج» (٥٣٤٣)].

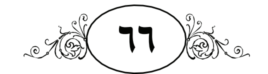
وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، واستقام على هذا الإيمان عقيدة، واتباعاً، ومنهجاً، فاز في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يحيا حياة طيبة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن: ١٦]، وإذا نام الذي استقام على إيمانه في فراش الموت نزلت الملائكة من عند الله ﷻ تبشره كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ـ أي عند خروج الروح تبشرهم وتقول لهم ـ ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١]، فلّلذي آمن واستقام سعادة في الدنيا وبشرى عند الموت، وجنة يوم القيامة، والله ﷻ قد بيّن ذلك في سورة قصيرة نحفظها جميعاً.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر: ١ ـ ٣] ـ والإيمان يحتاج إلى علم كما قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [محمد: ١٩] ـ، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ـ أَيْ: عملوا بما تعلموا ـ ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ ـ أي أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ـ ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ ـ أي: صبروا على هذا العمل، وصبروا على إيمانهم، وصبروا على الاستقامة حتى خرجوا من هذه الدنيا.

أمة الإسلام! وصية عظيمة كلنا في أمس الحاجة إليها في هذا الزمان العجيب الذي كثر فيه من يدعون الإيمان وما هم بمؤمنين.

إخوة الإسلام! إيمان بالله، ثم تدعون غير الله!! هل هذه استقامة؟!! إيمان بالله، ثم تطوفون حول قبور الأولياء والصالحين هل هذه استقامة؟! إيمان بالله ثم تتوكلون على غير الله؟! هذه ليست استقامة؛ لأن الشرع قد نهانا عن ذلك، الاستقامة على الإيمان أن تعبد الله ـ ﷻ ـ كما علّمنا رسول الله ﷺ: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»، فلا تزيد ولا تنقص، فعليك بما كان عليه المصطفى ﷺ وأصحابه لتنجو من الفتن، وتموتُ على الإيمان، وتفوزُ بجنةٍ عرضها السموات والأرض.

اللّهم إنّا نسألك إيماناً صادقاً، وعملاً صالحاً متقبلاً



الوصية الرابعة: «عليكم بالصدق...»

عباد الله! لا زلنا معشر المسلمين في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله ـ تعالى مع الوصية الرابعة.

يقول ﷺ: «عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»(١).

أمة الإسلام! كلنا في أمسِّ الحاجة إلى هذه الوصية؛ فنحن في زمن عجيب يُصَدَّق فيه الكاذب، ويُكذَّب فيه الصادق، والناس يبيعون ويشترون بالكذب ويتواعدون بالكذب، يكذب الرجل على زوجته، وتكذب الزوجة على زوجها، يكذب الراعي على رعيته، وتكذب الرعية على راعيها، وليس لذلك من دون الله كاشفة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

رسولنا ﷺ يقول ـ والخطاب لكل مسلم ـ: «**عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر؛ وإن البر يهدي إلى الجنة ...**»، رسولنا ﷺ يأمرنا في وصيته بالصدق أتدرون لم؟ يا عباد الله:

أولاً: لأن الصدق يهدي إلى البر.

«**والبر**»: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦٠٧).

الظاهرة والباطنة، فالصدق يهدي صاحبه إلى البر، والبر يهدي صاحبه إلى الجنة؛ أي: من أراد الجنة فعليه بالصدق في كل شيء، فالصدق طريق إلى الجنة، والصادق في أقواله وفي عقيدته، وفي كلامه ومزاحه، يسلك طريقاً إلى جنة عرضها السموات والأرض.

ولذلك رسولنا ﷺ يقول: «**عليكم بالصدق**»، ويقول ﷺ في حديث آخر: «**عليكم بالصدق؛ فإنه مع البر، وهما في الجنة، وإياكم والكذب؛ فإنه مع الفجور وهما في النار..**»(١).

ثانياً: لأن الإنسان بالصدق يتحصل على خير الدنيا والآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١]، ولذلك قال العلماء: من أراد الدنيا فعليه بالصدق في كل شيء، ومن أراد الآخرة فعليه بالصدق، ومن أراد الدنيا والآخرة فعليه بالصدق، والعجيب أن الكفار تعلموا الصدق من المسلمين، وعرفوا أن الدنيا يُتَحَصَّل عليها بالصدق، فتراهم يصدقون في أقوالهم، وفي مواعيدهم أكثر من مسلمي هذا الزمان إلّا من رحم بي. ولا يصدق الكفار لوجه الله إنما ليتحصلوا بالصدق على الدنيا، وقد أخذوا هذه الصفة من المسلمين، في الوقت الذي تخلى المسلمون ـ وللأسف الشديد ـ فيه عن الصدق.

ثالثاً: يقول ﷺ: «**عليكم بالصدق**»؛ لأن الصدق؛ يطمئن القلوب، فالصادق قلبه مطمئن دائماً، والكاذب في ريبه يتردد، يقول ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة**»(٢).

رابعاً: لأن الصدق في البيع والشراء سبب للحصول على البركة.

فيا معشر التجار، البركة في البيع والشراء مع الصدق، وقلة البركة

---

(١) **صحيح**: هـ: (٣٨٤٩)، حم: (١/ ٥)، حب: (٥٧٣٤)، خد: (٧٢٤)، لس: (٥)، ع: (١/ ١١٢)، [«ص.غ.هـ» (٢٩٣٣)].

(٢) **صحيح**: ت: (٢٥١٨)، حم: (١/ ٢٠٠)، لس: (١١٧٨)، ع: (١٢/ ١٣٢)، بز: (٤/ ١٧٥)، هق: (٥/ ٣٣٥)، [«ص.ج» (٣٣٧٨)].

مع الكذب، وأظن أن الذي يعيشه التجار في هذا الزمان بسبب ما اقترفته أيديهم، فقد أخذوا يكذبون في البيع والشراء إلّا من رحم ربي.

يقول ﷺ: «**البيِّعان بالخِيار ما لم يتفرَّقا، فإن صدقا وبيَّنا بُورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما**»(١)، فيا أيها التاجر، يا من لا تشعر بالبركة لا في البيع ولا في الشراء، اعلم أن ذلك بسبب الكذب في البيع وتغطية العيوب في السلعة، «**فإن صدقا**» في البيع «**وبيَّنا**» ما في السلعة من عيوب «بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما».

خامساً: عليكم بالصدق؛ لأن الصدق في طلب الشهادة سببٌ للحصول عليها ولو مات الإنسان على فراشه. يقول ﷺ: «**من سأل الشهادة بصدق بلَّغَهُ الله منازل الشهداء وإن مات على فراشِهِ**»(٢).

سادساً: عليكم بالصدق؛ لأن الصدق يصنع الرجال، ويسعد صاحبه في الدنيا والآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

سابعاً: لأن الصدق ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة، فهذا كعب بن مالك صحابي جليل تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ولكنه عندما سُئل لم يقدم اعتذاراً واحداً إنما صدق وقال: (يا رسول الله، والله لا أجد لنفسي عذراً في تخلفي عن غزوة تبوك)(٣)، فصدق فنجا بصدقه، وتاب الله عليه، ونزلت توبته قرآناً يتلى إلى يوم القيامة.

ثامناً: لأن الصدق ينفع في الآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٩]. من أجل ذلك ـ أمة

---

(١) **صحيح**: خ: (١٩٧٣)، م: (١٥٣٢).
(٢) **صحيح**: م: (١٩٠٩).
(٣) **صحيح**: خ: (٤١٥٦)، م: (٢٧٦٩) وانظر القصة كاملة.

الإسلام ـ رسولنا ﷺ يأمر بالصدق: «**عليكم بالصدق**»، وربنا ـ جل وعلا ـ في كتابه يأمر عباده بالصدق وبمصاحبة الصادقين، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩].

عباد الله! إن الصدق عنوان الإسلام، وميزان الإيمان، وأساس الدين، وهو من شيم المؤمنين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

والصدق يكون ظاهراً وباطناً، ظاهراً بالأعمال الصالحة، وباطناً بالعقيدة السليمة، الصدق مع الله أن تعبد الله وحده ولا تشرك به شيئاً، والصدق مع رسول الله أن تتبعه وحده وتتأسى به وحده، والصدق مع أصحاب رسول الله أن تسلك منهجهم؛ وذلك لأن الله ـ تعالى ـ أثنى عليهم فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

والصدق مع الناس في القول والعمل، ثم يقول ﷺ في وصيته: «**وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور..**» يحذر رسول الله ﷺ أمته من الكذب، أتدرون لم يا عباد الله؟ لأن الكذب يهدي إلى الفجور، «**والفجور**»: هو اسم جامع لكل ما يبغضه الله ﷻ، والفجور يهدي إلى النار ـ أي: أن الكذب طريق إلى النار ـ وأن الكذاب يسلك طريقاً إلى النار، فكونوا من الكذب على حذر. والكذب يا أمة الإسلام من شيم المنافقين ومن أخلاق المنافقين، يقول ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١﴾ [المنافقون: ١]، ويقول ﷺ: «**آية المنافق ثلاث ـ**

وإن صلى وصام وزعم إنه مسلم، إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمن خان»(١) .

أمة الإسلام! إياكم والكذب على الله، فهناك فريق من الناس تخصصوا في الكذب على الله، والله ﷻ يحذرهم فيقول: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل: ١١٦، ١١٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ﴾ [الزمر: ٦٠]، معشر المسلمين، إياكم والكذب على رسول الله؛ يقول ﷺ: «**من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»(٢) ويقول ﷺ: «**من روى عني حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين**»(٣) .

إياكم والكذب على عباد الله، واتقوا الله في أنفسكم وكونوا مع الصادقين، اتقوا الله في أنفسكم ولا تكونوا مع الكذابين، من أراد الدنيا فعليه بالصدق، ومن أراد الآخرة فعليه بالصدق، ومن أراد الدنيا والآخرة فعليه بالصدق، ولذلك يقول ﷺ: «**وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً**».

أخا الإسلام! لكي تُكتبَ عند الله صِدِّيقاً، وتُنَادىٰ في الملأ الأعلى بالصادق فعليك بالصدقِ في كل شيء، ومما يعينك على تحصيل الصدق مصاحبة الصادقين، ومجالستهم؛ فالصاحب ساحب، إن جلست مع الصادقين علَّموك الصدق، ولذلك قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩]، وربَّ سائل يسأل: من هم الصادقون؟ وكيف نعرفهم؟

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٣)، م: (٥٩). (٢) **صحيح**: م: (٣).

(٣) **صحيح**: هـ: (٤٠)، حم: (٤/ ٢٥٠)، لس: (٦٩٠)، طب: (٢٠/ ٤٢٢)، [«ص.هـ» (٣٨)].

الله ﷻ دلَّنا عليهم في سورة البقرة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فانظروا إليهم عباد الله، صدق مع الله في العبادة، صدق في العقيدة، صدق مع الناس.

ويقول ﷺ: «**وما يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»، هناك من المسلمين الآن ـ وللأسف الشديد ـ من يكذب ويتفنن في الكذب، ويتحرى الكذب، يكذب على نفسه وعلى أهله وعلى زوجته، ويكذب في عمله، وفي بيعه وشرائه، ويكذب في مزاحه، يمزح بالكذب ليضحك الناس، ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً، فمن أراد أن ينجو من الكذب فلا يصاحب الكذابين، وإن وجدت في صاحبك الكذب، فابتعد عنه فإنه ساحب يسحبك إلى الكذب لتكون كذاباً، وتتعلم منه الكذب، فتكتب عند الله كذاباً، والكذب سواد في الوجه في الدنيا، وسواد في الوجه يوم القيامة، وفضيحة للكذاب في الدنيا، وفضيحة للكذاب يوم القيامة.

اللّهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى
أن ترزقنا الصدق في القول والعمل
وأَن تحفظنا يا ربَّنا مِنَ الكذب والكذابين

❁ ❁ ❁

٦٧

الوصية الخامسة: «اتقوا الظلم...»

عباد الله! يقول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الخامسة.

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم**»[(١)].

عباد الله! هذه وصية عظيمة من رسول عظيم يحذر فيها أمته من الظلم، ومن الشح، فمع الشطر الأول من هذه الوصية العظيمة نعيش حيث يقول ﷺ: «**اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**».

الظلم هو: وضع الأشياء في غير مواضعها.

والظلم نوعان:

النوع الأول: وهو ظلم الإنسان لنفسه، ويكون ذلك بالكفر وبالشرك وبالمعاصي فكل من كفر بالله فقد ظلم نفسه، وذلك ـ يا عباد الله ـ لأن الله ﷻ خلق هذا الإنسان لعبادته فكفر هذا الإنسان بربه، وهذا ظلم عظيم ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، ومن أشرك بالله فقد ظلم نفسه بهذا الشرك؛ لأن الله ﷻ خلق الإنسان لعبادته، وأمره أن يعبده وحده، وحذره من الشرك، ومع ذلك أشرك هذا الإنسان بربه!! وهذا ظلم عظيم.

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٧٨).

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

عباد الله! والإنسان إذا مات ظالماً نفسه بهذا النوع من الظلم؛ أي: إن مات كافراً أو مشركاً، فالله ـ عز وجل ـ لا يغفر له أبداً؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١١٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، فمن مات كافراً، أو مشركاً لا يغفر الله له أبداً.

ومن اقترف المعاصي فقد ظلم نفسه، فالله عز وجل يقول: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢]؛ أي: باقتراف المعاصي والذنوب، ولكن من مات على التوحيد، ومات على العقيدة الصحيحة وهو يقترف الذنوب والمعاصي من الكبائر والصغائر فهذا أمره إلى الله إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له وعفا عنه بفضله.

عباد الله! **النوع الثاني من الظلم هو**: ظلم الإنسان لغيره، وهذا النوع من الظلم حرّمه الله علينا، فقال تعالى في الحديث القدسي: «**يا عبادي، إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا..**»[(١)]، ورسولنا ﷺ يحذر أمته من هذا الظلم، ويحذر أن يظلم أحدنا غيره، فقال ﷺ: «**اتقوا الظلم..**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**لَتُؤَدَّنَّ الحقوقَ إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاةِ القرناء، تنطحُها**»[(٣)]، فيا ويل من ظلم! ويا ويل من لقي الله ظالماً يوم القيامة! ماذا يقول لربه؟! وقد قال ﷺ محذراً من الظلم: «**من اقتطع حق امرىءٍ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرّم عليه الجنة، فقال له رجل: وإنْ كان شيئاً يسير يا رسول الله؟ قال: وإن كان قضيباً من**

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٧٧). (٢) **صحيح**: م: (٢٥٧٨).

(٣) **صحيح**: م: (٢٥٨٢)، حم: (٢/٣٠١)، [«ص.ج» (٥٠٦٢)].

أراكٍ»[١]؛ أي: السواك الذي يستاك به المسلم عند وضوئه وصلاته، وقال ﷺ: «**من كانت لأخيه عنده مظلمةٌ من عرضٍ أو مالٍ، فليتحلله اليوم، قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أُخِذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له عمل، أخذ من سيئات صاحبه فجعلت عليه**»[٢].

وقال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه داعياً في بلاد اليمن: «**واتق دعوة المظلوم**»[٣]، ويلك أيها الظالم!! والله إذا دعا عليك المظلوم فالله عز وجل يقول: «**وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**»[٤]، ابن آدم، إياك أن تظلم بمالك، إياك أن تظلم الناس بمنصبك، إياك أن تظلم الناس بصحتك، إياك أن تظلم الناس بعشيرتك، الظلم عاقبته وخيمة. ابن آدم:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً   فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه   يدعو عليك وعين الله لم تَنم

أيها الظالم تنام عيناك والمظلوم لا ينام يدعو عليك في جوف الليل، والله عز وجل يستجيب له.

عباد الله! «**اتقوا الظلم**»؛ فإن الظلم سبب لخراب الديار، وسبب لهلاك الأمم والشعوب.

يقول ﷺ: «**إن الله تعالى ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ:** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢]»[٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى

---

(١) **صحيح**: م: (١٣٧).
(٢) **صحيح**: حم: (٢/ ٥٠٦)، هق: (٦/ ٦٥)، حل: (٦/ ٣٤٣)، [«ص.ج» (٦٥١١)].
(٣) **صحيح**: خ: (١٤٢٥)، م: (١٩).
(٤) **حسن لغيره**: طب: (٤/ ٨٤)، [«ص.غ.هـ» (٢٢٣٠)].
(٥) **صحيح**: خ: (٤٤٠٩).

ﭐلۡأَوۡتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ٦ ـ ١٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف: ٥٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص: ٥٩].

عباد الله! «**اتقوا الظلم**»؛ فإن الظلم سبب للعنة، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

«**اتقوا الظلم**»، فإن الظلم سبب للعذاب عند الموت، فالذي ظلم الناس بماله، والذي ظلم الناس بعشيرته وصحته، إذا نام في فراش الموت نزلت عليه الملائكة تبشره بعذاب أليم وتضربه على وجهه ودبره، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ [الأنفال: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

«**اتقوا الظلم**»، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، ظلمات بعضها فوق بعض، يقف الظالم في أرض المحشر والمظلومون حوله كل يريد حقه، ويومها يعض الظالم على يديه من شدة الحسرة والندامة وذلك عند وضع الموازين بأمر من رب العالمين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ويقول ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ**

وزكاةٍ، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضىٰ ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»(١).

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]؛ إلى أين؟ إلى نار حامية، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾ [إبراهيم: ٤٢] إلى آخر السورة.

عباد الله! ثم قال ﷺ في وصيته: **«واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم»**.

الشح هو: أعلى درجات البخل.

- **والبخل**: مرض خطير أصاب كثيراً من المسلمين في هذا الزمان.

فمنعهم من الزكاة، ومنعهم أن يتصدقوا، ومنعهم أن ينفقوا في سبيل الله، فلا همَّ لهم إلّا أن يجمعوا المال من حله ومن غير حله، بل ودفعهم هذا البخل إلى أن قطعوا أرحامهم، وسفكوا دمائهم، وقتل بعضهم بعضاً، ولذلك فالبخل شرٌ ووبال على صاحبه في الدنيا والآخرة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠].

- البخل مرض خطير يجر صاحبه إلى النفاق، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٨١).

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٧٦ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ٧٧﴾ [التوبة: ٧٥ ـ ٧٧].

• والبخل سببٌ لحياة الضنك، فالبخيل لا همَّ له إلا أن يجمع المال، يبخل على الناس، ويبخل على نفسه، وعلى أولاده، ولا ينتفع بماله في الدنيا، ولا ينفعه ماله يوم القيامة، ولذلك بيّن لنا ربنا ـ جل وعلا ـ أن البخيل يعيش حياة العسر دائماً، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ١١﴾ [الليل: ٨ ـ ١١].

• البخل سببٌ للقتل، وقطيعة الأرحام، فكم من رجل قتل أخاه بسبب البخل، وكم من أبٍ خسر ابنه بسبب البخل، وكم من ولد خسر أباه بسبب البخل، كما قال ﷺ: «**واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم**»(١)، من أجل ذلك كان ﷺ يستعيذ بالله من هذا المرض وهو البخل، يقول ﷺ: «**اللّهم إني أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من البخل**»(٢).

وربنا ـ جل وعلا ـ علّق فلاح الدنيا والآخرة على وقاية النفس من مرض الشح فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

نسأل الله العظيم أن يباعد بيننا وبين الظلم
كما باعد بين المشرق والمغرب
وأن يطهرني وإياكم من مرض الشح والبخل

❁ ❁ ❁

(١) **صحيح**: م: (٢٥٧٨).

(٢) **صحيح**: خ: (٦٠١٣).

٦٨

الوصية السادسة: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل...»

عباد الله! يقول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية السادسة، **عن أبي هريرة** رضي الله عنه **أن رسول الله** ﷺ **قال: «بادروا بالأعمال، فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا»**(١).

وصية عظيمة من رسول عظيم يأمر أُمّته أن يبادروا بالأعمال الصالحة، فيقول ﷺ: «**بادروا**» أي: سارعوا؛ أي: سابقوا بالأعمال؛ أي: بالأعمال الصالحة، والعمل الصالح الذي يقبل عند الله يوم القيامة هو ما كان لله وكان على هدى رسول الله.

عباد الله! وهنا سؤال مهم ألا وهو: لماذا رسول الله ﷺ يوصي أمته بالمبادرة بالأعمال الصالحة؟

أولاً: لأن سعادة العبد في الدنيا والآخرة تتوقف على الأعمال الصالحة.

● فبالعمل الصالح يحيا الإنسان في هذه الدنيا حياة طيبة، فالله ﷻ ربط بين العمل الصالح وبين الحياة الطيبة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم

---

(١) **صحيح**: م: (١١٨).

بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، فمع الأعمال الصالحة تكون الحياة الطيبة، ومع الأعمال السيئة يعيش الإنسان في هذه الدنيا في ضنك.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤].

عباد الله! بالأعمال الصالحة يحيا الإنسان في الآخرة حياة طيبة في جنات النعيم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨].

- وبالأعمال السيئة يعيش الإنسان في الآخرة في نار جهنم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٧].

فبالأعمال الصالحة نحيا حياة طيبة في الدنيا والآخرة، وبالأعمال السيئة وبالمعاصي نحيا في الدنيا حياة الضنك وفي الآخرة في جهنم، ولذلك قال ربنا ـ جل وعلا ـ في الحديث القدسي: «**يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**»[(١)].

عباد الله! بالأعمال الصالحة نُمَكَّنُ في الأرض؛ فإن التمكين، والسيادة، والعزة، والكرامة، لا تكون إلَّا في ظل الأعمال الصالحة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم

(١) **صحيح**: م: (٢٥٧٧).

مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

• أما بالأعمال السيئة، والمعاصي، وترك الصلاة، والربا، والكذب...، فإننا نحيا حياة الذل والهوان، ورسولنا ﷺ قد ربط بين الذل وبين المعاصي.

فقال ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلّط الله عليكم ذلاً، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»(١).

• فالإنسان بالأعمال الصالحة ينجو من الخسران المبين في الدنيا والآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

عباد الله! وبالأعمال الصالحة ينجو الإنسان من ميتة السوء ومن مصارع السوء.

يقول ﷺ: «**صَدقةُ السرِّ تطفئُ غضب الرب، وصلة الرَّحم تزيد في العمر، وفعل المعروف يقي مصارع السوء**»(٢).

• وبالأعمال الصالحة ينجو الإنسان من عذاب القبر، يقول ﷺ: «**يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان، ويبقى معه واحد، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله**»(٣)، يبقى معه في قبره، فإن كان صالحاً أكرمه، وإن كان سيئاً أهانه؛ من أجل ذلك كله رسولنا ﷺ يوصي أمته بالمبادرة بالأعمال الصالحة.

ثانياً: يأمر رسول الله ﷺ أمته بالمبادرة بالأعمال الصالحة؛ لأننا هنا في دار عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل، والإنسان في هذه الدار قد يتعرض لفتن كقطع الليل المظلم كما قال ﷺ: «**بادروا بالأعمال،**

---

(١) **صحيح**: د: (٣٤٦٢)، هق: (٣١٦/٥)، حل: (٢٠٩/٥)، [«ص.ج» (٤٢٣)].
(٢) **صحيح**: هب: (٣/ ٢٤٤)، [«ص.ج» (٣٧٦٠)].
(٣) **صحيح**: خ: (٦١٤٩)، م: (٢٩٦٠).

فتناً كقطع الليل المظلم»، والإنسان في الظلمة لا يميز بين الحق والباطل، ولا بين الحلال والحرام، فلا يقدر على الأعمال الصالحة، ولذلك يجب على الإنسان أن يبادر بالأعمال الصالحة قبل أن تنزل الفتن، وها نحن في زمن لا يمر علينا يوم إلا وتصب فيه الفتن على رؤوس الناس صباً، ولذلك يقول ﷺ قبل أن تنزل الفتن: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم**»، ويقول ﷺ لرجل وهو يعظه: «**اغتنم خمساً قبل خمسٍ: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك**»(١). اليوم صحة وغداً مرض، اليوم حياة وغداً موت، اليوم غنى وغداً فقر، اليوم شباب وغداً شيخوخة. وكان ﷺ يقول لابن عمر: «**كُن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل**»(٢) والغريب في بلد الغربة لا همَّ له إلا أن يتزود بالزاد الذي جاء من أجله ليرجع ويعود إلى وطنه، وكذلك المسلم في هذه الدنيا غريب لا همَّ له إلَّا أن يتزود بالتقوى ليعود إلى وطنه الذي كان فيه أبوه آدم وهو الجنة.

وكان ابن عمر يقول بعدها: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، وخذ من حياتك لموتك)(٣)، نعم وخذ يا عبد الله من غناك لفقرك، وعد نفسك من أصحاب القبور، فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غداً.

عباد الله!

إنا لنفرحُ بالأيام نقطعُها ... وكلُّ يوم مضى يُدْنِي منَ الأجلِ
فاعملْ لنفسكَ قبلَ الموتِ مجتهداً ... فإنما الربحُ والخسرانُ في العملِ

عباد الله!

نسيرُ إلى الآجالِ في كلِّ لحظة ... وأيامُنا تُطْوى وهُنَّ مراحلُ
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنَّهُ ... إذا ما تخطتْهُ الأمانيُّ باطلُ

---

(١) **صحيح**: ك: (٤/ ٣٤١)، ش: (٧/ ٧٧)، هب: (٧/ ٢٦٣)، [«ص.ج» (١٠٧٧)].
(٢) **صحيح**: خ: (٦٠٥٣).
(٣) **صحيح**: خ: (٦٠٥٣).

وما أقبحَ التفريطَ في زمنِ الصبا فكيفَ بهِ والشيبُ للرأسِ شاعلُ
ترحلْ منَ الدنيا بزادٍ من التُّقَىٰ فعمركَ أيامٌ وهُنَّ قلائِلُ

عباد الله! بادروا بالأعمال الصالحة، فماذا تنتظرون؟ واستجيبوا لوصية رسول الله، فماذا تنتظرون؟ هل تنتظرون فقراً مُنْسِياً، أو غناً مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال، فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر! فماذا تنتظرون؟ تنتظرون الفتن التي عندها يصبح الحليم حيرانَ! فتنة المال؛ وكم من الناس افتتن بماله؟! فتنة الفقر؛ وكم من الناس افتتن بالفقر، فتنة النساء؛ وكم من الناس افتتن بالنساء؟ يقول ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**»[1].

ثالثاً: يأمر رسول الله ﷺ أمته بالمبادرة بالأعمال الصالحة؟ لأن الإنسان يخرج من هذه الدنيا فجأة، قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: ٣٤]، ولذلك فإن العاقل قبل أن ينزل به الموت يتزود بالأعمال الصالحة في غناه، في شبابه، في صغره، في منصبه.

ابن آدم:

تزوْد منَ التقوى فإنك لا تدري إذا جنَّ ليلٌ هلْ تعيشُ إلى الفجرِ
فكمْ منْ صحيحٍ ماتَ منْ غيرِ علةٍ وكمْ منْ عليلٍ عاشَ حينا منَ الدهرِ
وكمْ مِنْ صغارٍ يُرْتَجى طولُ عمرِهِم وقد أُدْخلتْ أجسادُهم ظلمةَ القبرِ
وكم منْ فتىً يُمْسي ويُصْبح ضاحكاً وقد نُسِجت أكفانُه وهوَ لا يدري
وكم منْ عروسٍ زينوها لزوجِها وقدْ قبضتْ أرواحُهُم ليلةَ القَدْرِ

بادروا بالأعمال الصالحة؛ فالإنسان يندم إذا نزل به الموت، والله ﷻ حذرنا أن ننشغل بالأموال والأولاد عن الأعمال الصالحة.

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٨٠٨)، م: (٢٧٤٠).

• وبيّن الله ﷻ لنا أن الإنسان يندم إذا نزل به الموت، ويتمنى أن يعود إلى الدنيا ليعمل صالحاً، ولكن لا يُجابُ طلبُه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١١﴾ [المنافقون: ٩ ـ ١١].

• فهذا المفرط فرّط في الأعمال الصالحة، يندم عند الموت، ويطلب أن يعود إلى الدنيا ليعمل صالحاً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٠٠﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] ندم عند الموت.

ويوم القيامة إذا وقف المفرط في أرض المحشر ورأى العذاب. يقول تعالى في وصف حالهم حيث يقولون: ﴿يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

• وإذا جيء بجهنم قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ۝٢٤﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤].

• الله ﷻ يحذِّر المفرِّط من الندم يوم القيامة فيقول: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٥٧ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٨ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٩﴾ [الزمر: ٥٦ ـ ٥٩].

• وها هم الذين فرّطوا في الأعمال الصالحة عندما دخلوا جهنم، اسمعوا ماذا يقولون وماذا يريدون، يقول الله ﷻ: ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا

رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ - فيقول الله لهم - ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

عباد الله! والله إنها لوصية غالية، وصية فيها سعادة الدنيا والآخرة.

اللّهم إنا نسألك عملاً صالحاً متقبلاً

❊ ❊ ❊

٦٩

الوصية السابعة: «مَنْ سلك طريقاً يلتمس...»

عباد الله! يقول الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

عباد الله! قلنا سابقاً: إن من الواجب على المسلمين نحو رسول الله ﷺ أن يقبلوا وصاياه وأن يعضوا عليها بالنواجذ، وأن يعملوا بها ليسعدوا في الدنيا والآخرة. وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية السابعة من وصايا المصطفى ﷺ.

يقول ﷺ: «**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[1].

وصية عظيمة من رسول عظيم يوصي فيها أمته أن يتعلموا العلم الشرعي؛ علم الكتاب والسنّة، علم الأنبياء، فالأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر، وهي وصية عظيمة للمسلمين كافة رجالاً ونساء، صغاراً وكباراً.

---

(١) **حسن لغيره**: د: (٣٦٤١)، ت: (٢٦٨٢)، هـ: (٢٢٣)، حم: (٥/١٩٦)، مي: (٣٤٢)، حب: (٨٨)، هب: (٢/٢٦٢)، [«ص.غ.هـ» (٧٠)].

عباد الله! **وهنا سؤال مهم ألا وهو: لماذا يوصي رسول الله ﷺ أمته أن يطلبوا العلم الشرعي؟ وأن يحافظوا على مجالس العلم؟**

أولاً: لأن العلم الشرعي طريق إلى الجنة، كما قال ﷺ في وصيته: «**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة**».

ثانياً: لأن الملائكة يحبون طلاب العلم، ولأن الملائكة يحبون مجالس العلم، ويحفونها إلى عنان السماء.

يقول ﷺ: «**وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع**»، ويقول ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[(١)].

ثالثاً: لأن الذي يتعلم هذا العلم، ويعمل به، ويعلم الناس هذا الخير، فإن المخلوقات كلها في السموات والأرض يدعون له ويستغفرون له، والله ﷻ يذكره في الملأ الأعلى.

يقول ﷺ: «**وإن العالم ليستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء**»، ويقول ﷺ: «**إن الله وملائكته حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر، ليصلون على معلّم الناس الخير**»[(٢)].

رابعاً: لأن العلماء في الأرض كالنجوم في السماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب.

كما أخبر بذلك ﷺ في وصيته: «**وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب**».

عباد الله! ومثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء.

---

(١) **صحيح**: د: (١٤٥٥)، [«ص.ج» (٥٥٠٩)].

(٢) **صحيح**: طب: (٨/ ٢٣٤)، [«ص.ج» (١٨٣٨)].

• فالنجوم في السماء زينة للسماء كما أخبر ربنا ـ جل وعلا ـ والعلماء في الأرض زينة للأرض.

• النجوم في السماء يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، والعلماء في الأرض يُهتدى بهم في ظلمات الفتن.

• النجوم في السماء جعلها الله رجوماً للشياطين، والعلماء في الأرض جعلهم الله رجوماً لشياطين الإنس والجن، ولذلك فإن الشيطان يفرح بموت العلماء؛ ففقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، وإذا رأيت إنساناً يأكل لحوم العلماء، وينتهك أعراض العلماء، فاعلم أنه من شياطين الإنس.

خامساً: رسولنا ﷺ يوصي أمته بطلب العلم؛ لأن العلم الشرعي يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة. قال ـ تعالى ـ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

ويقول ﷺ: «**إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين**»[١]، ويقول ﷺ: «**يُقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت تُرتل في دار الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها**»[٢]. فانتبهوا يا طلاب العلم! يا من زهدتم في كتاب الله، يا من زهدتم أن تحفظوا آية واحدة من كتاب الله.

أمة الإسلام! أستحلفكم بالله، كل واحد ينظر الآن إلى قيمة القرآن عنده في البيت، وإلى المحافظة على قراءة القرآن في البيت، وإلى قيمة المفسديون والجلوس أمامه، والمحافظة على المفسديون، لتعلموا أنكم في واد والقرآن في وادٍ آخر، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) **صحيح**: م: (٨١٧).

(٢) **صحيح**: د: (١٤٦٤)، ت: (٢٩١٤)، حم: (٢/ ١٩٢)، حب: (٧٦٦)، ك: (١/ ٧٣٩)، ش: (٦/ ١٣١)، هب: (٢/ ٤٣٦)، [«ص.ج» (٨١٢٢)].

سادساً: لأن العلم الشرعي تجارة رابحة في الدنيا، وبعد الموت، ويوم القيامة.

يقول ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلَّمهُ**»[١]، إذا أردت أن تكون من خير الناس فتعلم القرآن وعلم الناس القرآن. يقول ﷺ: «**من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم، مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**»[٢]، وقال ﷺ لعلي رضي الله عنه: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمُر النعم**»[٣]، وقال ﷺ: «**الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه وعالماً أو متعلماً**»[٤]. هذه هي الدنيا التي نعض عليها بالنواجذ، والتي تركنا الصلاة من أجلها، وتركنا دروس العلم من أجلها! راجعوا أنفسكم هل أنتم من هؤلاء؟.

ويقول ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[٥]. هذا الذي ينفع بعد الموت، فالعلم تجارة رابحة.

- ولذلك قال علي رضي الله عنه: (العلم خير من المال؛ العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو بالنفقة والمال تنقصه النفقة)[٦].

- وقال رجل لابنه: (عليك بالعلم الشرعي؛ فإن افتقرت كان لك مالاً، وإن استغنيت كان لك جمالاً).

- وقال آخر: (من أراد الدنيا فعليه بالعلم الشرعي، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم الشرعي، ومن أراد الدنيا والآخرة فعليه بالعلم الشرعي).

سابعاً: لأن العلم بمنزلة الجهاد في سبيل الله. فطالب العلم الشرعي

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٧٣٩). (٢) **صحيح**: م: (٢٦٧٤).

(٣) **صحيح**: خ: (٣٤٩٨)، م: (٢٤٠٦).

(٤) **حسن**: ت: (٢٣٢٢)، هـ: (٤١١٢)، طس: (٤/٢٣٦)، [«ص.ج» (٣٤١٤)].

(٥) **صحيح**: م: (١٦٣١). (٦) حل: (١/٨٠).

الذي يأتي لدروس العلم ويقطع المسافات، ويتحمل الصعاب، هو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ولذلك قال ﷺ: «**من جاء مسجدي هذا، لم يأته إلا لخير يتعلمه، أو يعلمه، فهو في منزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره**»(١)، وقال ﷺ: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**»(٢)، والجهاد باللسان يكون بالحجة والبرهان، وهذا يحتاج إلى علم كما قال ربنا ـ جل وعلا ـ لرسوله ﷺ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ ـ أي: بالقرآن ـ ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]. والله ﷻ سمّى الخروج في طلب العلم نفيراً، وسمّى الخروج في سبيل الله لملاقاة العدو نفيراً. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: ٤١].

ولذلك قال أبو الدرداء: (من رأى الغدوة والروحة في طلب العلم ليست بجهاد فقد نقص عقله ورأيه).

ثامناً: لأن العلم الشرعي يورث الخشية، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

تاسعاً: لأن العلم الشرعي يحيي القلوب الميتة، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ ـ بالجهل ـ ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ ـ بالعلم ـ ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

---

(١) **صحيح**: هـ: (٢٢٧)، حم: (٢/ ٤١٨)، ع: (١١/ ٣٥٩)، ش: (٢/ ١٤٨)، هب: (٢/ ٢٦٣)، [«ص.ج» (٦١٨٤)].

(٢) **صحيح**: د: (٢٥٠٤)، ن: (٣٠٩٦)، حم: (٣/ ١٢٤)، مي: (٢٤٣١)، ك: (٢/ ٩١)، هق: (٩/ ٢٠)، [«ص.ج» (٣٠٩٠)].

عاشراً: لأن العلم الشرعي يحمي صاحبه عند الفتن، فالعلم نور والجهل ظلمات بعضها فوق بعض، فالعالم يرى الفتنة إذا أقبلت، والجاهل لا يرى ولا يعرف الفتنة إذا أقبلت، ولذلك قالوا: الفتنة إذا أقبلت لا يعرفها إلا العلماء، وإذا أدبرت وافتتن بها الناس عرفها العالم والجاهل، ولذلك قسَّم الله الناس إلى رجلين: عالم وجاهل.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد: ١٩] وبالمثال يتضح البيان: هذه فتنة المال عندما أقبلت على الناس، وافتتن بها الناس أيام قارون عندما خرج عليهم بزينته فانظروا إلى الجهلة، وإلى طلاب الدنيا فقد افتتنوا مباشرة عندما نظروا إلى قارون وإلى ما هو فيه من النعمة والمال قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [القصص: ٧٩].

وأما الذين تعلموا، فقد حفظهم الله بالعلم من الفتنة، بل ونصحوا الناس عند الفتنة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص: ٨٠].

عباد الله! من رأى نفسه يذهبُ إلى مجالس العلم، ويجلس يتعلم، فليعلم بأن الله أراد به الخير.

يقول ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»(١). وإياك يا عبد الله أن يمنعك الكبر عن التعلم، وإياك أن يمنعك المال عن التعلم، وإياك أن يمنعك المنصب عن التعلم، وإياك أن تمنعك العشيرة عن التعلم. فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله ـ وهذا في مجالس العلم ـ وما والاه ـ من الشكر وهذا في مجالس العلم ـ وعالماً ـ وهذا في مجالس العلم ـ ومتعلماً ـ وهذا في مجالس العلم ـ.

---

(١) **صحيح**: خ: (٧١)، م: (١٠٣٧).

وأما إذا رأى أحدنا نفسه لا يذهب إلى مجالس العلم، ولا يعكف على العلم الشرعي ليتفقَّه في الدين، فليعلم بأن الله لم يرد به خيراً وإن ملك الدنيا وما فيها، فما في الدنيا للدنيا، والذي ينفعك في الدنيا وبعد الموت ويوم القيامة هو العلم الشرعي.

عباد الله! العلم نعمة عظيمة من نعم الله على العباد.

- فقد امتن الله بنعمة العلم على رسوله ﷺ.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

- وامتن الله على المؤمنين بنعمة العلم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة: ١٥١]، فالعلم نعمة عظيمة تحتاج إلى شكر، وهذا الشكر على هذه النعمة يحتاج إلى شكر حتى تلقى الله ﷻ وهو راضٍ عنك.

عباد الله! تعلموا العلم الشرعي، واعلموا بأن الله ﷻ نفى التسوية بين أهل العلم وغيرهم من أهل الجهل، كما نفى التسوية بين الأعمى والبصير، وبين الظلمات والنور، وبين الظل والحرور، وبين الطيب والخبيث، وبين أهل الجنة والنار. فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ﴾ [فاطر: ١٩ ـ ٢٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِۚ﴾ [المائدة: ١٠٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: ٢٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ﴾ [الزمر: ٩].

واعلموا أن الله ﷻ لم يأمر رسوله ﷺ أن يطلب المزيد من شيء إلا من العلم الشرعي، فقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾

[طه: ١١٤]، فكان ﷺ إذا صلى صلاة الصبح يقول: «**اللّهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً**»[1].

فيا أخا الإسلام! أقبل على مجالس العلم؛ ففيها خير عظيم، فإن منَّ الله على المجلس برحمة أصابتك معهم، وإن منَّ الله على المجلس بمسألة فقهية ففهموها فهو خير لك من الصلاة النافلة. وإياك أن تفتن بالدنيا، واصبر على ذلّ العلم ساعة، ولا تصبر على ذل الجهل مدى الحياة، فالعلم وطلب العلم كالجهاد في سبيل الله.

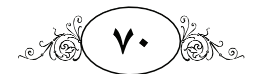
ومن لم يذق ذلَّ التعلم ساعةً تجرَّع ذلَّ الجهل طولَ حياتِهِ

اللّهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، وزدنا علماً

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: هـ: (٩٢٥)، حم: (٦/ ٢٩٤)، لس: (١٦٠٥)، طب: (٢٣/ ٣٠٥)، ع: (١٢/ ٣٦١)، عب: (٢/ ٢٣٤)، ش: (٦/ ٣٣)، هب: (٢/ ٢٨٤)، [«ص.هـ» (٧٥٣)].



الوصية الثامنة: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثامنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك**»[١].

عباد الله! وصية عظيمة من رسول عظيم كُلنا في أمسِّ الحاجة إليها في هذا الزمان العجيب الذي قُلبت فيه الموازين، ففي هذا الزمان يُخَوَّنُ الأمين، ويؤتمن الخائن، يُكذَّب الصادق، ويصدَّق الكاذب، يُكرم اللئيم، ويهان الفاضل، فإنا لله وإنا إليه راجعون، رسولنا ﷺ يأمر أمته في الشطر الأول من هذه الوصية بأداء الأمانة: «**أَدِّ الأمانة إلى من ائتمنك**»، وقد أمر الله ـ عز وجل ـ في كتابه بأداء الأمانة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [النساء: ٥٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

أمة الإسلام! الأمانة في هذا الزمان عليها السلام إلا ما رحم ربي! الأمانة: شيء عظيم، الأمانة: أمر خطير لا يقدر على حملها إلا الرجال. ومن هم هؤلاء الرجال؟ إنهم الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، الذين يظنون أَنهم ملاقوا ربهم غداً. فالأمانة عرضت على السموات والأرض والجبال ـ والتي هي مِنْ أقوى المخلوقات وأعظمها ـ، فَأَبَيْن أن يحملنها

---

(١) **صحيح**: د: (٣٥٣٥)، ت: (١٢٦٤)، مي: (٢٥٩٧)، ك: (٢/ ٥٣)، قط: (٣/ ٣٥)، طس: (٤/ ٥٥)، هب: (٤/ ٣١٩)، هق: (١٠/ ٢٧١)، [«ص.ج» (٢٤٠)].

وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً، فبظلمه وجهله حمل الأمانة..

عبادَ الله! وبعد أن حمل الإنسان الأمانة انقسم الناس فيها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: التزم بالأمانة ظاهراً وضيّعها باطناً، وهم المنافقون والمنافقات، فهؤلاء أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر.

القسم الثاني: ضيّعوا الأمانة ظاهراً وباطناً، وهم المشركون والمشركات وهؤلاء أظهروا الكفر وأبطنوا الكفر.

القسم الثالث: التزموا بالأمانة ظاهراً وباطناً، وهم المؤمنون والمؤمنات، نسأل الله أن يجعلنا وإياك منهم، وبيَّن الله ﷻ في كتابه أن القسم الأول والثاني ـ وهم المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات ـ الذين خانوا الأمانة ـ أعد الله لهم عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة، وأما القسم الثالث الذين أدوا الأمانة فقد أدخلهم الله في رحمته، ويوم القيامة يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢، ٧٣].

عباد الله! اعلموا أن الأمانة لها علاقة بالعقيدة السليمة، فإذا وجد الإيمان في القلوب وجدت الأمانة، وإن غاب الإيمان عن القلوب ضاعت الأمانة، لتعلموا يا أمة الإسلام أَنها العقيدة أولاً لو كان يعلمون.

يقول ﷺ رابطاً بين الأمانة والعقيدة: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**»[(١)]، الناس اليوم يتفننون في النصب والاحتيال حتى

---

(١) **صحيح**: حم: (٣/ ١٣٥)، حب: (١٩٤)، طس: (٣/ ٩٨)، ع: (٥/ ٢٤٦)، هق: (٦/ ٢٨٨)، حب: (٤/ ٧٨)، [«ص.ج» (٧١٧٩)].

إن كثيراً من أهل الفضل الذين يملكون الأموال امتنعوا أن يقرضوا غيرهم خوفاً من ضياع أموالهم بسبب قلة أمانة الكثير من الناس.

عباد الله! اعلموا أن أول ما يرفع من الناس الأمانة.

يقول ﷺ: «**أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخِرُ ما يبقى من دينهم الصلاة، وربَّ مُصَلٍّ لا خلاق له عند الله تعالى**»[١].

واعلموا عباد الله أن الأمانة إذا رفعت من بين الناس فقد أزفت الآزفة، واقتربت الساعة، وظهرت علاماتها الصغرى. جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يقول: يا رسول الله! متى الساعة؟ فقال ﷺ: «**إذا ضيِّعت الأمانة فانتظر الساعة**» قال: كيف إضاعتها؟ قال ﷺ: «**إذا وُسِّد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة**»[٢]، إذا وضع الرجل غير المناسب في المكان المناسب فانتظر الساعة، وهذا قائم بين المسلمين اليوم، اللئيم (الساقط الهابط) هو الذي يتحكم في رقاب المؤمنين، بينما العلماء الأتقياء ورثة الأنبياء يملأون السجون، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

عباد الله! يقول ﷺ: «**ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت ثم ينام النومة فتقبض فيبقى فيها أثرها مثل أثر المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً وليس فيه شيء، ويصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان**»[٣].

وهذا الواقع اليوم، فظاهر أحدهم مسلم وقلبه ليس فيه ذرة من إيمان، ولكن الخير في الأمة موجود، والأمانة موجودة بين الناس وإن أساء إليها الخونة الذين خانوا الناس في أمانتهم فأساؤوا للمسلمين. وهناك والحمد لله من المسلمين من يملك الآلاف والملايين ويعطي مِن

---

(١) **حسن**: [«ص.ج» (٢٥٧٥)]. (٢) **صحيح**: خ: (٥٩).

(٣) **صحيح**: خ: (٦٦٧٥)، م: (١٤٣).

ماله ولا يبالي، للمحتاجين الذين في قلوبهم الإيمان، فالإيمان هو الذي سيجعله يرد الأمانة فهو يؤمن بالوقوف بين يدي الله يوم القيامة، أما الفاسق والفاجر والذي خلا قلبه من الإيمان فحتى وإن أخذت عليه العهود والمواثيق، فما يرده ذلك أبداً؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**»[١].

عباد الله! ورب سائل يسأل: وما هي الأمانة؟

الأمانة: ـ التي أبت السموات والأرض والجبال أن تحملها ـ هي كل ما استُحفِظَ الإنسانُ عليه من الحقوق، سواء كانت هذه الحقوق لله أم كانت لعباد الله.

● فالعقيدة أمانة، فمن مات يدعو غير الله، أو مات يستغيث بغير الله، أو مات يتوكل على غير الله فقد خان الأمانة.

● والصلاة أمانة، فمن حافظ عليها في وقتها في المسجد في جماعة وحافظ على ركوعها وسجودها وطمأنينتها فقد أدى الأمانة، ومن ضيّع الصلاة فقد خان الأمانة.

● والوضوء أمانة، والغسل من الجنابة أمانة، والزكاة أمانة، إلى غير ذلك مما يحبه الله ويرضاه من الحقوق والواجبات.

ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب أمانة، ووضع الرجل غير المناسب في المكان المناسب خيانة.

والله ﷻ يسألنا معشر المسلمين عن المساجد يوم القيامة، فإذا عُيِّن لهذا المسجد إمامٌ عالمٌ حافظٌ للقرآن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يدعو الناس بالليل والنهار لا يطلب شكراً ولا مالاً فقد أدينا الأمانة، وإن عينَّا للمسجد إماماً لا يحفظ إلا قليلاً من القرآن، ولا يحسن القراءة، ولا يحافظ على الصلاة بالناس، ولا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر إلا

---

(١) **صحيح**: [«ص.ج» (٧١٧٩)] وقد تقدم تخريجه ص١٠٨.

بمقابل فقد خُنّا الأمانة، وكذلك كل موظف يشعر أنه في مكان هو ليس له أهلاً فقد خان الأمانة. وبالمثال يتضح البيان:

عن أبي ذر ﷺ قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: «**يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدَّى الذي عليه فيها**»[١] الذين يركضون على المناصب وينفقون الأموال الكثيرة ليصلوا إليها، الذين يظلمون الناس ليرتقوا في مناصبهم، فليتذكروا «إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها».

• ومن الأمانة أيضاً الإخلاص في العمل؛ فعلى الموظف أن يخلص في عمله ما دام أَنه راض بهذ العمل بشرط ألا يظلم؛ لأن كثيراً من الموظفين إذا أراد أن يترقى إلى رتبة ويعلو إليها لا يكون ذلك إلا بأن يكذب على الآخرين، وإلا أن يكون ذلك على حساب ظلم الآخرين، أو لا يكون إلا بالرشوة، فهناك بعض الموظفين على استعداد أن يبيع الشركة أو المصلحة التي يقوم بالعمل فيها إذا دفعت له رشوة، ولكن يوم القيامة ماذا سيقول لربه؟ يقول ﷺ: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يُرفع لكل غادر لواء، فقيل: هذه غدرة فلان ابن فلان**»[٢]؛ أي: خيانة فلان؛ أي: هذا فلان ابن فلان الذي كان يرتشي، هذا فلان ابن فلان الذي كان يسرق، فهذا يوم تبلى السرائر، فيا أيها الموظف يا من نزلت إلى أخس المستويات لترتشي! ماذا تقول لربك يوم القيامة؟ فالعمل أمانة والإخلاص فيه أمانة.

• ومن الأمانة أيضاً ما يكون بين الرجل وزوجته في البيت، وما يكون بين الرجل وامرأته في غرفة نومه كذلك أمانة، فإنّ من أشر الناس منزلة عند الله الذي يجلس بين أصدقائه ويتكلم عما كان بينه وبين زوجته

---

(١) **صحيح**: م: (١٨٢٥). (٢) **صحيح**: م: (١٧٣٥).

بالليل، هذا من أحقر الناس، ومن أهبط الناس؛ يقول ﷺ: «**إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة: الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه ثم ينشر سرَّها**»[(١)]، فالذي بينك وبين أهلك أمانة، فإياك أن تتكلم عما يكون بينك وبين أهلك ولو مازحاً.

● ومن الأمانة ما استرعاك الله عليه من النعم، فالبصر أمانة، السمع أمانة، الفرج أمانة، اليد أمانة، الرجل أمانة، الأولاد أمانة، الرعية التي استرعاك الله عليها أمانة، فمن ضيّع الأمانة ندم يوم القيامة وباءَ بخزي وندامة.

فاذكروا يا عبادَ الله أن كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته.

يقول ﷺ: «**ولا تخن من خانك**»؛ أي: إذا خانك إنسان فلا تخنه، الله أكبر!! على هذا ربّى الإسلام هذه الأمة الإسلامية! ولا تخن من خانك، «واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»؛ فرسولنا ﷺ يحذر أمته من الخيانة. والله ـ عز وجل ـ في كتابه قد حذر عباده من الخيانة يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧].

الخيانة ليست من خلق المؤمنين، أتدرون لِمَ حذرنا الله منها وحذّر الرسول ﷺ منها؟

أولاً: لأنها من أخلاق اليهود. فاليهود هم أهل الخيانة وهم أهل الغدر. يقول الله عز وجل: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ﴾ [آل عمران: ٧٥]. فالخيانة من شيم اليهود وأخلاقهم، وهذا التاريخ يشهد عليهم بذلك فما عاهدوا عهداً إلا غدروا به، وما ائتمنوا على أمانة إلا خانوها.

ثانياً: لأن الخيانة من أخلاق المنافقين، يقول ﷺ: «**آية المنافق**

---

(١) **صحيح**: م: (١٤٣٧).

ثلاث: **إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمِنَ خان**»[١]، وفي رواية: «**وإن صلّى وصام وزعم أنه مسلم**»[٢]. فالمنافق هو من يخون، والمؤمن لا يخون. ولذلك وصّى الرسول ﷺ أمته بأداء الأمانة وحذرهم من الخيانة لأن الله لا يحب الخائنين، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

فيا أخا الإسلام! الأمانةَ الأمانةَ، أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك وصية عظيمة، واللهِ إذا قام التاجر وأداها في هذا الزمان فهو من أصدق التجار، وإذا أداها المسلم في عمله ووظيفته فهو من أخلص الموظفين.

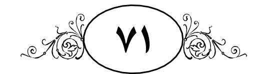
ويا أمة الإسلام! قد ائتمننا الله على هذا الدين العظيم، على الإسلام، فإذا حافظنا على هذه الأمانة أعزنا الله، وإذا ضيّعنا هذه الأمانة أذلّنا الله. كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنا كنا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزَّ بغير ما أعزنا الله به؛ أذلنا الله)[٣].

أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم
أن يرد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٣)، م: (٥٩). (٢) **صحيح**: م: (٥٩).
(٣) **صحيح**: ك: (١/ ١٣٠)، [«س.ص» (١/ ١/ ١١٨)].



الوصية التاسعة؛ (أ): «إذا تبايعتم بالعينة..»

عباد الله!

لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية التاسعة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزَّرع، وتركتم الجهاد، سلّط الله عليكم ذلّاً، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»[(١)].

أمة الإسلام! يقول ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة**» وهي: نوع من أنواع الربا، «**وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع**» وهو كناية عن حب الدنيا، والركون إليها، ونسيان الآخرة، «**وتركتم الجهاد، سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه** ـ أي: عنكم ـ **حتى ترجعوا إلى دينكم**».

أمة الإسلام! وصية عظيمة من رسول كريم، الأمة في هذا الزمان في أمس الحاجة أن تأخذ بهذه الوصية وأَن تعض عليها بالنواجذ، وأن تعمل بها لتسعد في الدنيا والآخرة؛ وذلك يا عباد الله لأن الرسول ﷺ في هذه الوصية بَيَّنَ الداء والدواء، بيَّن أسباب الذل الذي نعيشه معشر المسلمين في هذا الزمان ووضع لنا العلاج.

السبب الأول: من أسباب الذل: «**إذا تبايعتم بالعِينة**»، والعينة: نوع من أنواع الربا، ويا ليتنا وقفنا عند العينة فقط بل أكلنا الربا بجميع أبوابه!

---

(١) **صحيح**: د: (٣٤٦٢)، هق: (٥/٣١٦)، حل: (٥/٢٠٩)، [«ص.ج» (٤٢٣)].

السبب الثاني: «**وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع**»، كناية عن حب الدنيا، والركون إليها، ونسيان الآخرة، ووقع ذلك منا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

السبب الثالث: «**إذا تركتم الجهاد**».

العقاب: «**سلّط الله عليكم ذلاً**»، العلاج: «**لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**».

عباد الله! ولما كان المرض قد انتشر في الأمة، ولا يختلف اثنان في أَننا معشر المسلمين أكلنا الربا وركنا إلى الدنيا، وتركنا الجهاد في سبيل الله، ولذلك سلّط الله علينا الذل والهوان. فأردت أن نعيش وإياكم في هذا اليوم مع السبب الأول من أسباب الذل والهوان لعلنا نتوب إلى الله، ألا وهو: «**إذا تبايعتم بالعينة**»؛ أي: إذا أكلتم الربا، وإذا تعاملتم بالربا، والله إن كثيراً من المسلمين ـ إلا ما رحم ربي ـ يتعاملون بالربا ويأكلون الربا، ولا يبالون أنهم بارزوا الله بالمعاصي.

فيا أمة الإسلام: إذا اقترف الإنسان جريمة أكل الربا ذلَّ وهلك، وإذا اقترفت الأمة والشعوب هذه الجريمة ذلت وهلكت.

عباد الله! أُذكِّر والذكرى تنفع المؤمنين: أن الربا حرام بالكتاب والسنّة وإجماع الأمة، فالله ـ ﷻ ـ قال في كتابه: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فيا من تأكلون الربا أما سمعتم هذه الآية، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠].

وقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» ـ فذكر منها ـ «**وأكل الربا**»[١]، وأجمعت الأمة على حرمة الربا. واعلموا عباد الله أن الله ﷻ أعلن

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٦١٥)، م: (٨٩).

الحرب على أكلة الربا، لتعلموا يا من اقترفتم الربا أَنكم في حرب مع الجبار.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩] حرب على الأعصاب والقلوب، حرب على البركة والأولاد، حرب على الصحة والعقول، حرب على السعادة! أين السعادة؟ أين البركة؟ أين الطمأنينة؟ نزعت. سلّط الله علينا إخوة القردة والخنازير فأذلونا، إذا تكلمنا لا يُسمع لنا، وإذا تكلموا يسمع لهم، أتدرون لِمَ؟ لأننا تورطنا في الربا، وطأطأنا الرؤوس فذللنا، وصدقت يا رسول الله، فمن اقترب من الربا ذل، حرب من الله على الأمة، ذل، هوان، مجاعة، غلاء، ضنك. . . .

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

واعلموا عباد الله: أن المرابي مصيره إلى الجنون؛ الذي يأكل الربا يتخبط في دنياه كالمجنون، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

أما جلستم يا عباد الله مع آكل ربا ونظرتم إليه وهو يفكر بالليل والنهار كيف يتخلص من أموال الربا التي سموها له بالفوائد؟ فهو لا يستطيع أن يسد الفوائد الربوية ومتى يسد ما أخذ من المال؟ فتراه يفكر بالليل والنهار، فهو في ضنك في حياته ولا يشعر بطعم السعادة.

واعلموا عباد الله! أن مال الربا والمرابيَ مصيرُهما إلى الهلاك، فمال الربا مصيره إلى الهلاك، والمحق، والقلة. قال ـ تعالى ـ: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [البقرة: ٢٧٦]، كم من الناس أخذ الربا فمحقه الله، ونحن نرى ذلك بأم أعيننا وفيما بيننا، فلان اقترض من بيوت الربا يبني بيتاً فما سكنه! وفلان اقترضَ بنى مصنعاً فأحرقه الله! وهكذا على مستوى الأفراد، والدول، والشعوب والأمم،

قال ﷺ: «**ما أحدٌ أكثر من الربا، إلا كان عاقبة أمره إلى قلة**»[(١)]، مهما علا الربا فمصيره إلى الدمار، ومهما كثرت أموال الربا فمصيرها إلى الهلاك.

عباد الله! الربا سبب لنزول العذاب، قال ﷺ: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية، فقد أحلّوا بأنفسهم عذاب الله**»[(٢)].

أمة الإسلام! هل ظهر الزنا في بلاد المسلمين؟ الجواب نعم، هل ظهر الربا في بلاد المسلمين؟ الجواب: نعم، إذن؛ فقد أحلّوا بأنفسهم عذاب الله، وإن عذاب الله لشديد.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢]. بالليل والنهار زلازل، أمراض، ضنك، حرب من الله، فانتبهوا يا أمة الإسلام.

عباد الله! آكل الربا يسبح في نهر من دم؛ فقد رأى رسول الله ﷺ رؤيا ـ ورؤيا الأنبياء حق ـ فأخبر ﷺ أصحابه بتلك الرؤيا وكان مما رأى فيها، يقول ﷺ: «**فانطلقت فإذا نهر من دم فيه رجل، وعلى شاطىء النهر رجل بين يديه حجارة، فيقبل الرجل الذي في النهر، فإذا دنا ليخرج رمى في فِيهِ حجراً فرجع إلى مكانه**»، وعندما سأل ﷺ عن حال هذا الذي في النهر قيل له: فذاك آكلُ الربا»[(٣)].

فالمرابي آكلٌ لدماء المسلمين، اليوم الكثير من التجار أَفلسوا، وانتقلت الأموال من أيديهم إلى البنوك، وانتقلت الأموال من البنوك إلى البنك الدولي فسيأتي يومٌ لن تجد قرشاً واحداً في أيدي الناس، وإنما ذهبت الأموال إلى البنوك ومن البنوك إلى البنك الدولي الذي تقوده اليهودية والنصرانية.

---

(١) **صحيح**: هـ: (٢٢٧٩)، [«ص.ج» (٥٥١٨)].
(٢) **صحيح**: ك: (٢/ ٤٣)، هب: (٤/ ٣٩٧)، [«ص.ج» (٦٧٩)].
(٣) **صحيح**: خ: (١٣٢٠).

لماذا حرّم الله الربا؟ لأن المرابي يعطي مائة ويأخذ منك مائة وعشراً، فبعد أيام ينتقل المال من أيدي الناس إلى المرابي فيتحكم في رقاب الناس، وهذا الذي وقع، فالمرابي يسبح في نهر من دم لأنه أمتص أموال الناس، وأتعجب مما يحصلُ في بلاد المسلمين ممن يصلّون فإنك إذا ذهبت تقترض منه مبلغاً من المال قال لك: الألف بكذا، والمائة بكذا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

اعلموا عباد الله! أن أكل الربا أشد عند الله من الزنى. يقول ﷺ: «**دِرهم ربا يأكله الرجل، وهو يعلم، أشد عند الله من ستةٍ وثلاثين زنية**»[(١)].

واعلموا عباد الله! أن آكل الربا كالذي ينكح أمه. يقول ﷺ: «**الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه، وإن أربى الربا عِرضُ الرجُلِ المسلم**»[(٢)]، اذهب إلى آكل الربا قل له: أنت كالذي ينكح أمه يقيم الدنيا ويقعدها على رأسك، أما إنه كالذي ينكح أمه بالليل والنهار ولكنه لا يدري ويوم القيامة سيدري وسيندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

أمة الإسلام! من اقترب من الربا فهو ملعون، فلقد «**لعن رسول الله ﷺ آكِلَ الرِّبا، وموكلهُ، وكاتبه وشاهديه، وقال: هم سواء**»[(٣)]. كثير من الناس يقول: أنا لا آكل الربا، ولكن أوزعه على الفقراء والمساكين! ما ذنب الفقراء تطعمهم مالاً خبيثاً حراماً؟! فتوبوا إلى الله حتى يرفع عنا الذل. فالربا سبب من أسباب الذل، وبالرجوع إلى الله يرفع عنا الذل، يقول ﷺ في وصيته الجامعة: «**لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**». فلا بُدَّ أن نرجع إلى الله، أن نرجع إلى ديننا، وما هو ديننا الذي ارتضاه الله لنا؟ إنه الإسلام: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/ ٢٢٥)، قط: (٣/ ١٦)، [«ص.ج» (٣٣٧٥)].
(٢) **صحيح**: ك: (٢/ ٤٣)، هب: (٤/ ٣٩٤)، [«ص.ج» (٣٥٣٩)].
(٣) **صحيح**: م: (١٥٩٨).

• والإسلام هو الدين الذي يُقْبَلُ عند الله يوم القيامة: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

• وإذا رجعنا إلى ديننا، عادت لنا العزة، يقول عمر الفاروق: (إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العزَّ بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله)[١]، والرجوع إلى الدين يكون بالتوبة النصوح، فيا آكل الربا، تُب إلى الله قبل أن تندم في وقت لا ينفع فيه الندم، وفي سورة البقرة بعد أن ذكر الله المرابين وأكلة الربا وأنه أعلن الحرب عليهم قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩]. يحثنا ربنا على التوبة، يدفعنا إليها، فيا آكل الربا! اتق يوماً ترجع فيه إلى الله، ويا آكل الربا! اتق يوماً تقف فيه بين يدي الله، اتق يوماً تقف فيه على الميزان بين يدي الجبار يسألك فيه عن مالك من أين اكتسبته وفيمَ أنفقته؟ أفتقول يوم القيامة: اكتسبته من الربا، وأنفقته في معصية الله، أَعِدَّ للسؤال جواباً يا آكل الربا!

أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم
أن يرد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁

(١) **صحيح**: ك: (١/ ١٣٠)، [«س.ص» (١/ ١/ ١١٨)].



الوصية التاسعة (ب): «إذا تبايعتم بالعينة..»

عباد الله!

يقول ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»(١).

إنها وصية عظيمة، والناسُ في أمس الحاجة إلى معرفتها، يبيّن فيها المصطفى ﷺ أسباب الذل، ويصف للأمة العلاج. وفي الجمعة الماضية تكلمنا عن السبب الأول من أسباب الذل: ألا وهو «**إذا تبايعتم بالعينة**» ـ أي: تعاملتم بالربا ـ فتكلمنا عن الربا وتبيّن لنا من القرآن والسنّة أن الربا سبب للذل وسبب للهلاك، وتبيّن لنا أن كثيراً من الناس قد اقترفوا جريمة أكل الربا، فذكرنا أولئك والذكرى تنفع المؤمنين، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع السبب الثاني والثالث من أسباب الذل.

عباد الله! **أما السبب الثاني من أسباب الذل فهو:**

حب الدنيا، ونسيان الآخرة، كما قال ﷺ: «**وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع**»؛ أي: انشغلتم بالدنيا، ونسيتم الآخرة.

أمة الإسلام! حب الدنيا ونسيان الآخرة سبب من أسباب الذل، فمن انشغل بالدنيا ونسي الآخرة أذلّه الله في الدنيا قبل الآخرة، حب الدنيا ونسيان الآخرة سبب لكل شر. حب الدنيا ونسيان الآخرة سبب لهلاك الأمم، ولذلك قال ﷺ: «**فوالله ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكنِّي أخشى أن**

---

(١) **صحيح**: د: (٣٤٦٢)، هق: (٥/٣١٦)، حل: (٥/٢٠٩)، [«ص.ج» (٤٢٣)].

تبسط الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»(١).

دليل صحيح صريح أن حب الدنيا والركون إليها، ونسيان الآخرة سبب لهلاك الأمم؛ وذلك لأن الناس إن أحبوا الدنيا وركنوا إليها، انشغلوا بها وبجمعها من حلّها وغير حلّها ـ فلا همَّ لهم إلا أن يجمعوا الدنيا ـ فيدفعهم ذلك إلى إضاعة الصلاة والوقوع في معصية الله. ولذلك قال ـ تعالى ـ في كتابه رابطاً بين تضييع الصلاة وبين الشهوات فقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾ [مريم: ٥٩].

عباد الله! حب الدنيا، ونسيان الآخرة سبب للذل والهلاك والدمار، من أجل ذلك حذرنا ربنا في كتابه من الدنيا، ووصفها لنا لنكون على علم بها فلا نغتر بها، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾ [فاطر: ٥]؛ أي: إن الموت حق، وإن القبر حق، وإن القيامة حق، وإن الميزان حق، وإن الجنة حق، وإن النار حق.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾ [لقمان: ٣٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨﴾ [يونس: ٧، ٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾ [هود: ١٥، ١٦].

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٧٩١)، م: (٢٩٦١).

والله ﷻ الذي خلق الدنيا يصفها لنا في كتابه، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟! قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠].

ابن آدم! انظر إلى ما ترى في الدنيا من مال، وقصور، وسياراتٍ، وملكٍ، ورئاسةٍ، وضعْها في ميزان الله كما تسمع من كتاب الله، هكذا الدنيا تخضر أمامك ثم تهيج ثم تصير حطاماً، وتخرج منها يا عبد الله دون أن تأخذ من حطامها شيئاً، وفي الآخرة عذاب شديد لمن انشغل بالدنيا عن الآخرة، ومغفرة من الله ورضوان لمن انشغل بالآخرة عن الدنيا. ثم بعد ذلك يقول ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١] عبادَ الله، سابقوا، سارعوا، إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

عباد الله! رسولنا الكريم ﷺ يحذر أمته من الدنيا، فيقول ﷺ كما سمعتم في وصيته: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع**» فبيَّن أن من أسباب الذل الركون إلى الدنيا، وقال ﷺ: «**إن لكل أمة فتنة، وإن فتنة أمتي المال**»[(١)]، وقال ﷺ: «**فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**»[(٣)]، وقال ﷺ: «**من كانت همَّه الآخرة، جمع الله له شمله، وجعل غناه في قلبه وأتتهُ الدنيا راغمةً، ومن كانت همَّه الدنيا،**

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٣٣٦)، ك: (٤/ ٣٥٤)، [«ص.ج» (٢١٤٨)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٧٤٢).

(٣) **صحيح**: خ: (١٣٩٦)، م: (١٠٥٢).

فرَّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له»[١].

فيا عباد الله! يا من تركتم الصلاة، وأكلتم الربا، وضيّعتم الطاعة، ووقعتم في المعصية، والله إنا لنجلس مع الأغنياء أصحاب الملايين فلا يشتكون إلا الفقر!! لأن من ترك طاعة الله جعل الله فقره بين عينيه، وهناك من الأغنياء من وضع الدنيا خلف ظهره فحافظ على الصلاة في الجماعة، وحافظ على دروس العلم، وانشغل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا همَّ له إلا الآخرة فجعل الله غناه في قلبه وفي يده، أما من انشغل بالدنيا عن الآخرة فإن الله ﷻ جعل فقره بين عينيه، وفرق شمله، فتراه يجمع الدنيا من الشمال والجنوب، والشرق والغرب، فلم يأتِه من الدنيا إلا ما قدَّر اللهُ له، قال ﷺ لابن عمر: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، وكان ابن عمر يقول: «**إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك**»[٢]، وزاد في رواية أخرىٰ: «**وعدَّ نفسك من أصحاب القبور...، فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غداً**»[٣].

إخوة الإسلام! رسولنا ﷺ يبيّن لنا قيمة الدنيا في ميزان الله، مرَّ ﷺ بالسوق داخلاً من بعض العالية والناس كنفته فمرّ بجدي أسكَّ ميتٍ، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال ﷺ: «**أيكُم يُحِبُ أن هذا له بدرهم؟**» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟ قال: أتحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه لأنه أسكُّ فكيف وهو ميت! فقال: فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»[٤].

---

(١) **صحيح**: هـ: (٤١٠٥)، طب: (٥/ ١٤٣)، [«ص.ج» (٦٥١٦)].
(٢) **صحيح**: خ: (٦٠٥٣).
(٣) **صحيح**: ت: (٢٣٣٣)، هب: (٧/ ٣٤٩)، [«ص.غ.هـ» (٣٣٤١)].
(٤) **صحيح**: م: (٢٩٥٧).

هذه هي قيمة الدنيا التي من أجلها تركنا الصلاة، التي من أجلها قتل بعضنا بعضاً، التي من أجلها أكلنا الربا، التي من أجلها حَرَمَ الآباءُ الإناثَ من الميراث، التي من أجلها تركنا القرآن، ودروس العلم، هذه هي الدنيا التي من أجلها تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه هي قيمة الدنيا، فاجمع يا ابن آدم من الدنيا ما شئت ولكن ليس على حساب الآخرة.

ابن آدم! لا تنس الآخرة، واعلم أنك راجع إلى الله، واعلم أن ما على التراب تراب، واتق يوماً ترجع فيه إلى الله، واعلم أن ما عندك ينفد وما عند الله باق، واعلم أن الميت إذا مات وخرج من الدنيا تبعه ثلاث: أهله، وماله، وعمله فيرجع اثنان: ـ ترجع الدنيا ـ المال، والولد، ويبقى (العمل) إن كان صالحاً أكرمك، وإن كان غير ذلك أهانك.

ابن آدم:

لا شيءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بَشَاشتُهُ ... يَبْقَى الإلهُ ويَفْنَى المالُ والولدُ
لم تُغْنِ عنْ هُرْمُزٍ يوماً خزائِنُهُ ... والخلدَ قد حاولتْ عادٌ فما خَلدُوا
ولا سليمانَ إذْ تَجْري الرياحُ لهُ ... والإنسُ والجنُ فيما بينَها تردُ
أينَ الملوكُ التي كانَتْ لعزتِهَا ... منْ كلِّ أوبٍ إليها وافدٌ يَفِدُ
حوضٌ هُنالكَ مَوْرودٌ بلا كَذِبٍ ... لا بدَّ من ورده يوماً كمَا وردوا

ابن آدم! أين قارون الذي جمع المال؟ مات، أين ماله؟ ذهب، أين فرعون الذي قال: أنا ربكم الأعلى؟ مات! أين ملكه؟ ذهب، أين عاد الذين قالوا: من أشد منا قوة؟ ذهبوا، أين الأنبياء؟ أين الصالحون؟ أين الأغنياء؟ أين الضعفاء؟ أين الأقوياء؟ ذهبوا، وذهب المال، وذهبت الدنيا.

ابن آدم!

تزوَّدْ منْ معاشك للمعادِ ... وقُمْ للهِ وأجمَعْ خيرَ زادِ
ولا تجمعْ منَ الدنيا كثيراً ... فإنَّ المالَ يُجْمَعُ للنفادِ

أتـرضـى أنْ تـكـونَ رفـيـقَ قـومٍ　　　لـهـمْ زادٌ وأنـتَ بـغـيـرِ زادِ

عباد الله! أما السبب الثالث من أسباب الذل فهو: «**إذا تركتم الجهاد في سبيل الله**».

الجهاد في سبيل الله سبب من أسباب العزة والكرامة، فبالجهاد في سبيل الله نحمي الدين والمال والعرض والوطن، وإذا فرطنا في الجهاد في سبيل الله، وتركناه خلف ظهورنا ضاع الدين والوطن والعرض والمال وسلّط الله علينا الكفار فأذلونا، وإذا تكلمنا لا يُسمع لنا، وإذا اعترضنا لا ينظر في اعتراضنا، وها نحن قد تكالبت علينا الأمم لضعفنا يوم تركنا الجهاد في سبيل الله. وهناك كثير من الناس يظن ويعتقد أن الجهاد في سبيل الله فقط هو أن تجاهد الكفار، نعم، جهاد الكفار وإعداد العُدة للكفار، والاستعداد لملاقاتهم جهاد في سبيل الله، ولكنه نوع من أنواع الجهاد، ويجب على المسلمين أن يفهموا مراتب الجهاد ليجاهد كل مسلم حسب استطاعته، وخير البشر من جاهد بالمراتب الأربعة كما فعل ﷺ.

عباد الله! اعلموا أن مراتب الجهاد أربعة:

المرتبة الأولى: جهاد النفس.

المرتبة الثانية: جهاد الشيطان.

المرتبة الثالثة: جهاد الكفار والمنافقين.

المرتبة الرابعة: جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات.

عبادَ الله! أربعة مراتب للجهاد في سبيل الله، تعلّموا؛ حتى إذا سمعتم إنساناً يتكلم عن الجهاد في سبيل الله، وهو لا يجاهد نفسه ولا شيطانه، فاعلموا أنه يكذب، إذا رأيت إنساناً يتكلم عن الجهاد في سبيل الله وهو لا يحافظ على الصلاة في المسجد، ولا يحجِّب امرأته، ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، فاعلموا أَنه يكذب. فالجهاد في سبيل الله أربعة مراتب، ويكون ذلك أن تجاهد نفسك: بأن تتعلم دين الله، وأن تجاهد نفسك بأن تعمل بما تعلمت، وأن تجاهد نفسك بأن تدعو

الناس لهذا العلم، وأن تجاهد نفسك بأن تصبر على الدعوة في سبيل الله، وأن تدعو الناس إلى هذا العلم. المرتبة الثانية: جهاد الشيطان ـ الذي يجري منك يا ابن آدم مجرى الدم ـ أن تجاهده في رد ما يلقيه عليك من الشبهات والشهوات. المرتبة الثالثة: جهاد الكفار والمنافقين، ويكون ذلك بالقلب وباللسان وبالسلاح، وبالمال، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، أَما أن ننشغل بجهاد الكفار، ونترك جهاد النفس وجهاد الشيطان، فهذا تضييع للوقت، ولذلك من انتبه منكم يا عباد الله إلى الوصية العظيمة التي بين أيدينا حيث يقول ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة.... سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم**»، ما قال ﷺ: لا ينزعه عنكم حتى تجاهدوا في سبيل الله، بل قال: «**حتى ترجعوا إلى دينكم**» أولاً، ثم عندها ترفع راية الجهاد في سبيل الله. المرتبة الرابعة: جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات؛ جاهدهم باليد إن استطعت، فإن عجزت فباللسان والحجة والبيان، فإن عجزت فبالقلب وذلك أضعف الإيمان. كما قال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[1].

فيا أمة الإسلام! حكّاماً ومحكومين، هل من عودة إلى الكتاب والسنّة؟ هل من رجوع إلى هذا الدين العظيم؟ لنتعلم هذا الدين وندعوا الناس إليه وعندها إن نصرَنا الله في أنفسنا نصرْنا الله: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

اللّهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً



---

(١) **صحيح**: م: (٤٩).



الوصية العاشرة (أ): «استوصوا بالنساءِ خيراً..»

عباد الله! الإيمان بالرسل الكرام ركن من أركان العقيدة. وها نحن لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ والتي من الواجب على المسلمين نحو رسول الله ﷺ أن يقبلوها، وأن يعملوا بها، وأن يعضوا عليها بالنواجذ.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية العاشرة، **عن أبي هريرة** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خُلقن من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً**»(١).

وصية عظيمة من رسول عظيم يوصي فيها الرجال بالنساء.

عباد الله! والذي دفعني للحديث عن المرأة في هذا اليوم أمران اثنان:

الأمر الأول: أن كثيراً من الزنادقة، وأعداء الإسلام ينبحون كالكلاب في كل مكان يقولون: إن الإسلام لم يعطِ للمرأة حقها، فأردت أن أبيّن لكم من خلال الكتاب والسنّة أن الإسلام وحده هو الذي أعطى للمرأة حقها وأكرمها.

الأمر الثاني: أننا نسمع في هذا الزمان العجيب عن كثير من الآباء تجرَّأوا، وتعدُّوا حدود الله وحرموا الإناث من الميراث، فنقول لهؤلاء

(١) **صحيح**: خ: (٤٨٩٠).

الآباء، لقد ظلمتم وتعديتم حدود الله، وجُرْتم في الوصية وستندمون في وقت لا ينفع فيه الندم.

عباد الله! من العدل قبل أن نتكلم عن المرأة في الإسلام أن نشير إلى المرأة قبل الإسلام أي: في الجاهلية، وفي بلاد الكفر اليوم، ليتبيّن لنا بوضوح أن الإسلام وحده هو الذي كرّم المرأة وهو الذي أعطاها حقها.

عباد الله! المرأة قبل الإسلام أي: في الجاهلية، كانت بمثابة العار، والله ﷻ يصور لنا في كتابه مشهداً عظيماً يبيّن لنا فيه حال الرجل في الجاهلية إذا بُشر بالأُنثى، يقول الله ـ ﷻ ـ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٥٩﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

فهل هذا يتكرر في القرن العشرين يا معشر المسلمين؟ إذا بُشر أحدهم بالأُنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم ـ أي: يهرب من القوم ـ من سوء ما بُشر به؟ الجواب: نعم، ماذا يفعل هذا الجاهل؟ أيمسكه على هون ـ أي على ألم ـ أم يدسه في التراب؟ وهذه هي جريمة وأد البنات، جريمة شنعاء يشترك فيها الرجال والنساء. وبالمثال يتضح البيان:

• كان الرجل في الجاهلية إذا جاءته الأنثى، أمسكها على مضض وألم، حتى إذا بلغت السادسة من عمرها زينها وطيبها وأخذها من يدها إلى الصحراء، حتى إذا وجد بئراً من الآبار قال لابنته: انظري في هذا البئر، فإذا نظرت فيه دفعها من الخلف، وأهال عليها التراب، ورجع سعيداً مسروراً لأنه تخلص من العار.

• وكانت المرأة في الجاهلية إذا حملت وجاءها المخاض أي: جاء وقت الولادة، ذهبت إلى الصحراء، وجلست بجوار البئر، فإن وضعت

غلاماً حملته ورجعت إلى أهلها، وإن وضعت أنثى ألقتها في البئر، وهذا يبيّن لنا أن المرأة كانت في الجاهلية بمثابة العار.

● أما المرأة في بلاد الكفر اليوم فإنهم لا يحبونها طفلة، وإذا بلغت سن الشباب فهي عندهم سلعة تجارية رخيصة يصورونها على السلع، فلا تباع السلعة إلا إذا وضعت عليها صورة فتاة جميلة، حتى وجدنا ذلك على شفرات الحلاقة، وعلى إطارات السيارات، فهي رخيصة عندهم، وحتى عرضها رخيص عندهم، فإن الرجل في بلاد الكفر ـ ولو كان مسلماً يتسمى بالإسلام ـ يترك ابنته تتخذ صديقاً لها، فما هي إلا أيام يذهب بها ويمرح معها، وينام معها ـ وهذا شيء متفق على مشروعيته في بلاد الكفر ـ وما هي إلا أيام وإذا هو قد أفقدها أعز ما تملك! أفقدها شرفها!! فهي رخيصة جداً عندهم وقد جاءت إحصائية تفيد أَن ٨٠٪ من طالبات المدارس الثانوية في بلاد الكفر حبالى من الزنا. وأما إذا بلغت المرأة سن الشيخوخة عند الكفار فإنهم لا يطيقون وجودها فيأخذونها ليودعوها دار المسنين مقابل مبلغ من المال يدفعونه، وفي يوم واحد في السنة يزورونها، وهذا ما يسمى بعيد الأم عندهم والذي قلدناهم فيه! إنها السَّنَنُ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

عبادَ الله! هذا حال المرأة في الجاهلية أي قبل الإسلام، وهذا حال المرأة في بلاد الكفر، وأما حالها في الإسلام فقد أعطى الإسلام للمرأة حقها طفلة عند أبيها، وزوجة عند زوجها، وأماً عند أبنائها. فالحمد لله على نعمة الإسلام والسنّة الذي جعل من المرأة جوهرة ثمينة فكرمها وأعطاها حقها وعن ذلك كله حدث ولا حرج:

أولاً: جاء الإسلام فكرَّم المرأة كما كرم الرجل، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا ٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠].

ثانياً: جاء الإسلام فحرَّم قتل البنات، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ

سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير: ٨، ٩]. وقال ﷺ: «**إن الله تعالى حرَّم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات...**»(١) إلخ؛ أي: قتل البنات.

ثالثاً: جاء الإسلام فحرّم على الرجال أن يظلموا النساء، فقال ﷺ: «**اللّهم إني أحرج** ـ أي: أحذر ـ **حق الضعيفين: اليتيم والمرأة**»(٢).

رابعاً: جاء الإسلام فكرّم المرأة، فإن الله ـ عز وجل ـ قدّم في كتابه هبة الإناث على هبة الذكور.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]. وأنزل سورة كاملة في كتابه باسم النساء تكريماً للمرأة.

خامساً: أعطى الإسلام للمرأة حقها من الميراث: عند أبيها فقال ـ تعالى ـ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾ [النساء: ١١]، وأعطى للمرأة حقها من الميراث عند زوجها، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ﴾ [النساء: ١٢].

سادساً: جاء الإسلام فكرّم المرأة فجعل الإحسان إليها ستراً من النار، فقال ﷺ: «**من ٱبْتُلِيَ من البنات بشيء، فأحسن إليهن كن له ستراً من النار**»(٣).

سابعاً: جاء الإسلام فجعل الإحسان إلى المرأة سبباً لدخول الجنة مع رسول الله، فقال ﷺ: «**من عال جاريتين حتى يُدركا، دخلت أنا وهو الجنة، كهاتين**»(٤).

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٢٧٧)، م: (٥٩٣).

(٢) **حسن**: هـ: (٣٦٧٨)، حم: (٢/٤٣٩)، ك: (١/١٣١)، هق: (١٠/١٣٤)، [«ص.هـ» (٢٩٦٧)].

(٣) **صحيح**: م: (٢٦٢٩).

(٤) **صحيح**: خد: (٨٩٤)، ك: (٤/١٩٦)، م: (٢٦٣١)، [«ص.ج» (٦٣٩١)].

ثامناً: وكرّم الإسلام المرأة فأمرها بالجلوس في بيتها قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وهذا الأمر من الله تكريمٌ للمرأة؛ فالمرأة إذا جلست في بيتها لخدمة زوجها ولتربية أولادها فهذا تكريم من الله لها، وكرّمها كذلك حين حذّرها من التبرج فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فالمرأة إذا تحجبت فهي مصونة عفيفة مُكرَّمة قد حافظ عليها أبوها إذ حجبها، وحافظ عليها زوجها إذ حجبها، ولكن إذا باعت لحمها في الشوارع فهي رخيصة. والله ﷻ عندما أمر المرأة بالحجاب، وحذرها من التبرج كان هذا تكريماً للمرأة. فالإسلام أعطى للمرأة حقها في الدنيا والآخرة كما أعطى الرجل، فقال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]. فيا دعاة تحرر المرأة في القرن العشرين، ويا دعاة التبرج والزندقة، نقول لكم: الإسلام وحده هو الذي أعطى للمرأة حقها عند أبيها، وعند زوجها، وعند أولادها.

عبادَ الله! أمّا حقُّ المرأة عند أَبيها فهو:

أولاً: أُمر الوالد أن يحسن تربية البنات كما سمعتم من قوله ﷺ: «**من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار**»[1] وأمره أن يأمرها بالصلاة، وبالحجاب، والعفاف، وأن يربيها على الإسلام وعلى مائدة القرآن والسنّة.

ثانياً: أمر الإسلام الوالد أن يختار لابنته الزوج الصالح، وألا يؤخر زواجها بسبب الدراسة أو بسبب رفع المهور، أو بسبب أنه يبحث لها عن

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦٢٩).

الغني، أو صاحب المنصب، قال ﷺ: «**إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوِّجوه**»(١).

ثالثاً: جاء الإسلام وأعطى المرأة حقها في الميراث، فنقول للآباء: من حق المرأة على والدها ألا يحرمها من الميراث؛ لأن الله ﷻ وصَّاك أيها الوالد بذلك فقال ـ تعالى ـ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [النساء: ١١]، فيا معشر الآباء! يا من تجرأتم على حِرمان الإناث، أَلا ترضى يا عبد الله بقسمة الله! أَلا ترضى يا عبد الله بحدود الله! أأنتم أعلم أم الله؟ وقد فرض الله عليك أيها الأب هذا النصيب للبنت، فقال ـ تعالى ـ: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ٧﴾ [النساء: ٧]، فالذي يحرم الإناث ويعطي الذكور قد تعدى حدود الله، ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ [الطلاق: ١].

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشهده أنه أعطى أحد أبنائه دون الآخرين فقال له ﷺ: «**فلا تشهدني إذا؛ فإني لا أشهد على جَوْر**»(٢).

يا من حرمتم الإناث، هذه حادثة أضعُها بين أيديكم لكي تتذكروا يا معشر الآباء.

(هذا أبٌ ظالم تعدى حدود الله، وجار في الوصية، وأعطى تركته للأبناء وحرم الإناث، ونام هذا الوالد الجائر في فراش الموت، وجاءت ابنته تزوره وتهمس في أذنه: يا أبي، أعطني حقي من الميراث ـ ألوف مؤلفة حرمها منها ـ يا أبي ما هي إلا لحظات وتنتقل إلى الدار الآخرة، أعطني حقي من الميراث، فرفض هذا الأبُ الجائر الظالم، فقالت الفتاة بقلب منكسر: اللّهم أحرم أبي الجنة كما حرمني حقي من الميراث).

---

(١) **حسن**: ت: (١٠٤٨)، هـ: (١٩٦٧)، طب: (٢٢/ ٢٩٩)، طس: (١/ ١٤١)، هق: (٧/ ٨٢)، [«مشكاة المصابيح» (٣٠٩٠)].

(٢) **صحيح**: م: (١٦٢٣).

عباد الله! الإسلام قد أعطى للمرأة حقها عند أبيها؛ فأوصاه أن يربيها على الإسلام، أن يزوجها لرجل صالح وألا يحرمها من الميراث، فاحذروا يا معشر الآباء فإن المرأة ضعيفة، إذا دعت عليك أيها الأب استجاب الله لها، والرسول ﷺ يقول: «**اللّهم إني أُحرِّجُ حق الضعيفين اليتيم والمرأة**»(١). فليحذر كل من يجور على الضعيفين: المرأة واليتيم، وإياكم يا معشر الآباء من الحيل، فالذي تفعله يا عبد الله في حياتك هو: إما أن تقسم كما شرع الله، وإما أن تترك الميراث لهم يقسمون بعد الموت، فإن جاروا؛ فالظلم عليهم، والإثم عليهم. أما أَن تتجرأ على حدود الله، وتعطي للأولاد الألوف المؤلفة وتعطي البنات الدنانير القليلة آلله أمرك بهذا؟ ماذا تقول لربك إذا وقفت بين يديه للحساب؟ وأنتم يا معشر الأولاد، أنصحكم إذا أعطاكم الأب شيئاً من الميراث وشعرتم أن ذلك ظلم للبنات فلا تقبلوا، فإن من يقبل من أبيه فقد تعاون معه على الإثم والعدوان وقد اشترك معه في الجريمة.

أما حق المرأة عند زوجها فهذا ما سنعرضه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

* أما حق المرأة عند أولادها فيكفينا في ذلك تكريماً للمرأة أن جعل الله ﷻ أحب الأعمال إليه بعد عبادته بر الوالدين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣] وفي المقدمة الأم، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «**يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك**»(٢). صحبة حسنة للأم من أبنائها بالليل والنهار سراً وعلانية، ويا ويل من فرط في أمه، يا ويل من ماتت أمه وهي غضبانة عليه، والله سيرى الذل في الدنيا قبل الآخرة؛ يقول ﷺ

---

(١) **حسن**: هـ: (٣٦٧٨)، حم: (٢/٤٣٩)، [«ص.هـ» (٢٩٦٧)].

(٢) **صحيح**: خ: (٥٦٢٦)، م: (٢٥٤٨).

لرجل: «**الزم رجلها فثم الجنة**»[(١)]، وجاء شاب إلى رسول الله ﷺ يستأذنه في الجهاد في سبيل الله فقال ﷺ: «**أحي والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد**»[(٢)]. الذين يأخذون الآباء والأمهات ويضعونهما في دور المسنين فيا حسرة عليهم! حملتك في بطنها، وأرضعتك، وربتك، وأنفقت من قلبها ودمها عليك فلما صرت رجلاً وتزوجت أخذت بحسن الصحبة لزوجتك؟! حالنا يقول: من أحق الناس بالصحبة؟ زوجتك، ثم من؟ زوجتك، ثم من؟ زوجتك، ثم من؟ أمي، إلا من رحم ربي.

عباد الله! الإسلام أعطى للمرأة حقها بنتاً عند أبيها، وأُماً عند أبنائها، فاتق الله في ابنتك ولا تحرمها من الميراث، واتق الله في أمك وبرّها فما هي إلا أيام وتفارقك بالموت، يا عبد الله! إنها إذا دعت لك ثم انتقلت إلى الدار الآخرة فستعيش مطمئناً بعد ذلك، ولكن إذا فرطت فيها وأهملتها، وماتت وهي غاضبةٌ عليك، ستندم والجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان.

اللّهم اجعلنا من البارين بوالدينا

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح لغيره**: هـ: (٢٧٨١)، ش: (٥/ ٢١٩)، طب: (٨/ ٣١١)، [«ص.غ.هـ» (٢٤٨٤)].

(٢) **صحيح**: خ: (٢٨٤٢)، م: (٢٥٤٩).



الوصية العاشرة (ب): «استوصوا بالنساءِ خيراً..»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن الوصية العاشرة من وصايا المصطفى ﷺ.

يقول ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء**»[1]. وصية عظيمة من رسول عظيم يوصي فيها المصطفى ﷺ الرجال بالنساء.

- وقد قلنا في الجمعة الماضية: إن المرأة في الجاهلية قبل الإسلام كانت بمثابة العار.

- وقلنا أيضاً: إن المرأة في بلاد الكفر سلعة رخيصة يتاجرون بها، ولا يعرفونها إلا عند الشهوة، أو وهي تعمل بين الرجال وفيما عدا ذلك فلا قيمة لها، وتبيّن لنا في الجمعة الماضية أن الإسلام وحده هو الذي أعطى للمرأة حقها، بنتاً عند أبيها، وزوجة عند زوجها، وأُماً عند أبنائها. وقد تكلمنا في الجمعة الماضية عن حق المرأة عند أبيها، وقلنا: إنه يجب على الأب نحو ابنته أن يربيها تربية إسلامية، وأن يبحث لها عن صاحب الدين، وأن يعطيها حقها من الميراث، وتكلمنا أيضاً عن حق المرأة عند أولادها.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع حق المرأة عند زوجها.

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٨٩٠)، م: (١٤٦٨).

عباد الله! الزواج بين الذكر والأنثى سنّة من سنن الله في هذا الكون، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات: ٤٩]، ومن التقاء الذكر بالأنثى خلق الله الناسَ، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

وشرع الله ﷻ الزواج لكي يسكن الزوج إلى زوجته، والزوجة إلى زوجها، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١].

عباد الله! والأسرة التي تتكون من الرجل والمرأة لا بد لها من قيِّم يقوم عليها، ولا بد لها من راعٍ يرعاها، ولا بد لها من رئيس يترأسها، فمن لهذا المنصب يا عباد الله، الرجلُ أم المرأة؟ الله ﷻ الذي خلق الرجال والنساء هو الذي وضع القوامة في يد الرجل، فقال ـ تعالى ـ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ﴾ ـ أي على النساء ـ ﴿دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. فالله ﷻ هو الذي أعطى للرجل هذه الدرجة، وهو الذي جعل قوامة الأسرة في يده، وانظروا معي إلى بيت تكوّن من رجل وامرأة، القوامة في يد الرجل، هو الذي يخرج خارج البيت، ويأتي بالطعام والشراب، والمرأة في بيتها لخدمة زوجها وأبنائها، فهي أسرة سعيدة ترفرف رايات السعادة عليها، أما إذا قلبت الموازين ووضعت القوامة في يد المرأة، فهي التي تعمل، والرجل يجلس في البيت، وهي التي تأمر وتنهى، فإذا بها أسرة منحلة، أسرة مهددة لا تنجب رجالاً للمجتمع بل تنجب الشياطين، وهذا ما نراه ونسمعه كثيراً في مجتمعات هذا القرن العجيب، فإن كثيراً من الأسر خرج فيها الزمام من يد الرجل وأصبح في يد المرأة فهلك الجميع.

عباد الله! الرجل قوَّام على المرأة بنص القرآن، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞ﴾.

عباد الله! من أجل سعادة الزوجين في بيت الزوجية جاء الإسلام وجعل للزوج حقوقاً على زوجته، وللزوجة حقوقاً على زوجها. كما قال ﷺ: «**إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً**»(١)، فإذا أدى الزوج حق الزوجة وأدت الزوجة حق الزوج عاشا في سعادة ما بعدها سعادة.

وموعدنا في هذا اليوم فقط مع حق الزوجة على زوجها.

عباد الله! يجب على الرجال أن يعترفوا بأن للزوجة حقاً على زوجها كما قال ﷺ: «**ولنسائكم عليكم حقاً**»، وكما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَهُنَّ﴾؛ أي: النساء ﴿مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فبنص القرآن وبنص السنّة للنساء على الرجال حق فيجب على الرجل أن يعترف وأن يُقِرَّ أن للزوجة عنده حقاً، ويجب عليه أن يؤدي هذا الحق.

الحق الأول ـ أن يعاشرها بالمعروف؛ فعلى الزوج أن يتقي الله ﷻ في زوجته التي جاءت من عند أبيها لخدمته وليستمتع بها بشرع الله، وعليه أن يعاشر هذه المرأة بالمعروف كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩].

فيا معشر الرجال، الله ﷻ يقول: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ فإذا صدر من المرأة شيء تكرهه فاصبر عليها، ﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾، كم من الرجال إذا بدا من زوجته شيء ربما طلقها بسبب هذا الشيء البسيط ولم يصبر عليها.

• اذهبوا إلى المحاكم، وانظروا إلى المطلقات من النساء، واللهِ هناك من الفتيات ما بلغن السادسة عشرة من أعمارهِنَّ وذهبن إلى

---

(١) **حسن**: ت: (١١٦٣)، هـ: (١٨٥١)، [«ص.ج» (٧٨٨٠)].

المحكمة ليُطَلَّقن، ما السبب؟ عدم الصبر من الزوج على زوجته، شباب لا دين لهم، والوالد يزوج ولده وهو يعلم أنه لا يعرف شيئاً من دينه، فإذا بدر من هذه الزوجة القليل أو ربما تراكم هذا الشيء وتضخم وكَبُرَ فلربما يطلقها بسبب هذا الأمر، ولو صبر على هذا الشيء الذي كرهه لكان خيراً له. يقول ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخيارُكُم خياركم لنسائهم**»[(١)]، ويقول ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[(٢)].

الحق الثاني ـ أن يخلّصها من عذاب جهنم:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦]. ويكون ذلك استجابة لأمر الله وابتغاء مرضاة الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦]. فعلى الزوج أن يتقي الله في زوجته، وأن ينّجيها ويخلِّصها من عذاب جهنم وذلك بأمور:

الأَمر الأول: أن يفقهها في دينها، ولا يكون ذلك إلا بأن يتفقه في دينه أولاً، ويفقه أهله ثانياً، لقوله ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[(٣)].

- فإما أن يأتي إلى المسجد ليتعلم دين الله، ثم يعود إلى أهله ويعلّمها هذا الدين، وإما أن يأتي بها إلى دروس العلم لتتعلم؛ لتتعلم كيف تعبد الله، لتتعلم كيف تنجو من عذاب الله، لتتعلم كيف تطيع زوجها ابتغاء مرضاة الله، أو أن يأتي إلى البيت بما يساعدها على أن تتفقه في دينها بأن يشتري لها كتاباً دينياً أو شريطاً دينياً لتتفقه في دينها.

---

(١) **صحيح**: ت: (١١٦٢)، حب: (٤١٧٦)، [«ص.ج» (١٢٣٢)].

(٢) **صحيح**: هـ: (١٩٧٧)، بز: (٣/ ٢٤٠)، هب: (٧/ ٤٦٦)، [«ص.ج» (٣٣١٤)].

(٣) **صحيح**: خ: (٧١)، م: (١٠٣٧).

• أما من جاء لزوجته بالمفسديون فأفسد دينها ودنياها، فوالله يا أيها الراعي لهذا البيت إنك مسؤول عن رعيتك يوم القيامة، فإذا فسدت الزوجة، أو فسد الأولاد بسبب المفسديون الذي اشتريته أنت بمالك وجئت به إلى البيت، فيا ويل من استرعاه الله على رعية فضيع رعيته وخانها.

الأمر الثاني: أن يأمر زوجته بالصلاة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم: ٥٥]؛ لأنها إذا تركت الصلاة وماتت على ذلك دخلت النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٣].

عباد الله! كم منا من يأتي إلى المسجد يصلّي وأولاده وزوجته لا يصلّون، والله يا عبد الله، لسوف تُسْأَل يوم القيامة عن ذلك، تسمع المواعظ وتصلّي، وزوجتك في اليبت لا تصلّي!!! إنا لله وإنا إليه راجعون.

الأمر الثالث: أن يأمرها بالحجاب؛ لأنها إذا تبرجت هلكت، يقول ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات،...**»[(١)] الحديث. فليسمع الذي سمح لزوجته بالتبرج، والذي يمشي في الشارع وزوجته بجواره متبرجة، وإذا سألتَ عنه وجدته يصلّي ويسمى أحمد، أو محمد، أو إبراهيم، أو علي، فيا حسرة على العباد!! أترضى يا عبد الله للحمك وعرضك أن يباع رخيصاً في الشوارع للذئاب؟!!.

أمة الإسلام! ما نراه في شوارع المسلمين اليوم من أين جاءنا؟ أوجدنا هذا في كتب الفقه، أو وجدنا هذا عن أمهات المؤمنين! من أين جاءنا! من المفسديون نقلد تقليداً أعمى، تركنا الحبل على الغارب، ولا

---

(١) **صحيح**: م: (٢١٢٨).

نتنبه إلا إذا حملت المرأة من الزنا، عندها نتنبه، وعندها نقتل، وأين نحن عندما اشترينا المفسديون، وأين نحن عندما اشترينا الملابس الخليعة؟ وأين نحن عندما سمحنا للزوجة والفتاة أن تتبرج؟ أين الغيرة؟! أين الشهامة؟ أين الكرامة والعزة؟ ماذا أقول؟!! المقام لا يسمح أن أذكر، ولكن اللبيب بالإشارة يفهم. وإلى من عنده ذرة من الإحساس وقد سمح لزوجته وابنته أن تبيع لحمها للذئاب في الشوارع، أقول فليتقِ الله وليعلم أنه سيموت، وسيقف أمام الله وسيُسأَل عن هذا العرض، وإن الإنسان إذا أصيب في ماله يتحمل، وإذا أصيب في صحته يتحمل ويصبر، إذا حرق بيته يتحمل، ولكن إذا أصيب في عرضه طأطأ رأسه، وأسود وجهه، وخرس لسانه.

الحق الثالث ـ أن يطعمها ويسقيها من الحلال، وأن يؤدبها كما أمره الله إذا رأى منها نشوزاً.

يا أيها الزوج، الزوجة جاءت من بيت أبيها لا من أجل الطعام والشراب، ولا جاءت عندك عبدة، إنما هي إنسانة ولها كرامة، والإسلام أعطاها حقها، يقول الله ﷻ: ﴿وَالَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾ ـ المرحلة الأولى أن تعظ الزوجة إذا نشزت ـ ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤] وعظ، ثم هجر في البيت، ثم ضرب غير مبرح، هكذا يؤدب الرجل زوجته ابتغاء مرضاة الله. ورسولنا ﷺ في حجة الوداع بعد أن حمد الله وأثنى عليه وعظ الناس وذكرهم، قال ﷺ: «**ألا واستوصوا بالنساء خيراً؛ فإنما هنَّ عوان عندكم ليس تملكون منهنَّ شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبيَّنة؛ فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرِّح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً**»[١]. والفاحشة هنا ليست الزنا، وقال ﷺ للذي سَأَلَ عن حق الزوجة على الزوج: «**أن تُطعِمها إذا طَعِمت، وتكسوها إذا**

(١) **حسن**: ت: (١١٦٣)، هـ: (١٨٥١)، [«ص.ج» (٧٨٨٠)].

اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبِّح، ولا تهجر إلا في البيت»[١]، فحرام على الزوج أن يضرب زوجته على وجهها، وحرام على الرجل أن يضرب ابنه أو خادمه على وجهه.

الحق الرابع ـ أن يحفظ سرها:

أي كل ما كان بين الزوج والزوجة من أسرار الفراش فلا يخبر بذلك أحداً، وهناك كثير ممن لا عقل له ـ مازحاً بين أصحابه ـ يذكر ما بينه وبين أهله بالليل، وهؤلاء من أشر الناس منزلة يوم القيامة.

يقول ﷺ: «**إن من أشَرِّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه ثم ينشُرُ سِرَّها**»[٢]، وقالت أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: كنا عند رسول الله ﷺ، والرجال والنساء قعود، فقال ﷺ: «**عسى رجل يحدث بما يكون بينه وبين أهله، أو عسى امرأة تحدث بما يكون بينها وبين زوجها، فأرم القوم ـ أي: سكتوا وجلين ـ فقالت أسماء: إِي والله يا رسول الله إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن، قال ﷺ: فلا تفعلوا؛ فإن مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة في ظهر الطريق فغشيها والناس ينظرون**»[٣].

الحق الخامس ـ أن يحافظ على عِرضها وشرفها:

ويكون ذلك يا عباد الله بأمور:

أولاً: أن يعطي الزوج زوجته حقها في الفراش، كما قال ﷺ: «**ولزوجك عليك حقاً**»[٤] فالزوجة لها حق، ـ حق المعاشرة، حق الزوجية ـ فالمرأة تأكل وتشرب وتنام في بيت أبيها، وإنما تزوجت للغريزة التي أوجدها الله في المرأة والرجل، فإن فرّط الزوج في هذا الحق بأن كان

---

(١) **صحيح**: د: (٤١٤٢)، حم: (٤/ ٤٤٧)، هق: (٧/ ٣٠٥)، «ص.غ.هـ» (١٩٢٩)].
(٢) **صحيح**: م: (١٤٣٧).
(٣) **حسن**: طب: (٢٤/ ١٦٢)، حم: (٦/ ٤٥٦)، ش: (٤/ ٣٩)، [«ص.ج» (٤٠٠٨)].
(٤) **صحيح**: خ: (١٨٧٤)، م: (١١٥٩)].

يخون زوجته، أو كان يزني، أو كان طوال يومه مع صاحباته في العمل؛ دفع زوجته بذلك إلى أن تخونه، ويُسأل هو يوم القيامة عن ذلك.

ثانياً: أن يمنع زوجته منْ مجالسة الرجال الأجانب لقوله ﷺ: «... **ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان**..»[(١)]، وهناك كثير من الأزواج يسمح لزوجته أن تجلس مع ابن عمها، وابن خالها، وابن خالتها، وصديقه إلى غير ذلك، فكم من الأسر هدِّمت بسبب هذه الفوضى؟!.

ثالثاً: على الزوج ألا يتأخر كثيراً بعد العشاء عن زوجته، وليتق الله كل من يسهر مع أصحابه إلى وقت متأخر من الليل ويعود آخر الليل وربما يعود سكران لا يدري أين بيته، وأين زوجته، فالمرأة في بيتها في حاجة إلى زوج كما هي في حاجة إلى الطعام والشراب، وليتق الله الذين يسافرون من أجل الدنيا إلى بلاد بعيدة ويتركون نساءهم.

الحق السادس ـ على الزوج إذا تزوج على زوجته أن يعدل بين زوجتيه:

يقول ﷺ: «**من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل**»[(٢)]، فمن حق الزوج على زوجته إذا تزوج عليها أن يعدل بينهما.

عباد الله! الحياة الزوجية تحتاج إلى صبر من الزوج والزوجة، وإذا صبر الزوج على زوجته وقَبِلَ هذه الوصية سَعِدَ في الدنيا والآخرة، يقول ﷺ: «**واستوصوا بالنساء خيراً**»[(٣)]، وقال ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلُقاً رضي منها آخر**»[(٤)].

اللّهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

---

(١) **صحيح**: ت: (٢١٦٥)، حم: (١/١٨)، حب: (٥٥٨٦)، ك: (١/١٩٧)، فع: (١٢٠٧)، لس: (٣١)، طس: (٣/٢٠٤)، [«ص.ج» (٢٥٤٦)].

(٢) **صحيح**: د: (٢١٣٣)، مي: (٢٢٠٦)، [«ص.ج» (٦٥١٥)].

(٣) **صحيح**: خ: (٤٨٩٠)، م: (١٤٦٨).

(٤) **صحيح**: م: (١٤٦٩).



٧٥

الوصية الحادية عشرة
«لا يصلح لبشرٍ أن يسجد لبشر»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ، وفي الجمعة الماضية تكلمنا عن حق الزوجة على زوجها، وقلنا: إن للزوجة على زوجها حقاً عظيماً بنص القرآن الكريم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَهُنَّ﴾ ـ أي: للنساء ﴿مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وبنص السنّة النبوية:

قال ﷺ: «**ولنسائكم عليكم حقاً**»(١)، وقال ﷺ: «**واستوصوا بالنساء خيراً**»(٢)، وقال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»(٣)، فمن هذه الأدلة يا عباد الله تبيّن شرعاً أن للزوجة حقاً على زوجها، فليتقِ الله كل منا في زوجته ويعطي لها حقها طاعة لله ولرسوله ﷺ.

عباد الله! ومن العدل أن نتكلم عن حق الزوج على زوجته لتعيش الأسرة في سعادة في الدنيا والآخرة إن شاء الله تعالى؛ لأن الزوج له حق على زوجته عظيم، يقول ﷺ: «**ألا إنَّ لكم على نسائكم حقاً...**»(٤).

عباد الله! وحق الزوج على زوجته عظيم يظهر لنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى من الوصية الحادية عشرة من وصايا المصطفى ﷺ:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يصلح لِبَشرٍ**

---

(١) **حسن**: ت: (١١٦٣)، هـ: (١٨٥١)، [«ص.ج» (٧٨٨٠)].
(٢) **صحيح**: خ: (٤٨٩٠)، م: (١٤٦٨).
(٣) **صحيح**: هـ: (١٩٧٧)، بز: (٣/ ٢٤٠)، هب: (٧/ ٤٦٦)، [«ص.ج» (٣٣١٤)].
(٤) **حسن**: ت: (١١٦٣)، هـ: (١٨٥١)، [«ص.ج» (٧٨٨٠)].

أن يسجد لبشر، ولو صلح أن يسجد بشر لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عِظم حقه عليها، والذي نفسي بيده لو أن من قدمه إلى مفرق رأسه قُرحةٌ تنبجس بالقيح والصديد ثم أقبلت تلحسُهُ ما أدت حقه»[١].

عباد الله! اسمعوا وعوا وانقلوا ذلك لنسائكم؛ فالمرأة إذا تربّت على مائدة القرآن والسنّة سعدت في الدنيا في بيت زوجها، وفي الآخرة في جنات النعيم، وإذا تربت على مائدة المفسديون والفساد فلن تشعر بطعم السعادة في الدنيا مع زوجها وستندم في الآخرة عند ربها ﷻ.

وأين المرأة التي ترفع صوتها على زوجها من هذه الوصية؟ وتلك المرأة التي تشتم زوجها أين هي من هذه الوصية؟ والمرأة التي تدعو على زوجها أين هي من هذه الوصية؟ ولكن متى تعرف الزوجة حق زوجها عليها؟ إذا مات عنها وترمَّلت وتعرضت لكلام الناس، وتعرضت للقيل والقال، عندها تعرف حق زوجها وتعرف قيمته، عندما تعيش بعده وتقول: يا ليته بقي معي ولو كان مريضاً لا يخرج من البيت.

عباد الله! والسؤال المهم الذي علينا معرفة إجابته هو:

ما هو حق الزوج على زوجته من الكتاب والسنّة؟

عباد الله! حقوق الزوج على زوجته كثيرة ولكن نشير إلى أهمها، واللبيب تكفيه الإشارة.

أولاً: يجب على الزوجة أن تطيع زوجها في كل ما أمر ما لم يأمر بمعصيةٍ؛ لأن في طاعته سبب لدخولها الجنة. قال ﷺ: «**إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت»**[٢].

- وأما إذا عصت الزوجة زوجها وأنكرت حقه فسيكون مصيرها

---

(١) **صحيح**: حم: (٣/ ١٥٨)، [«ص.ج» (٧٧٢٥)].

(٢) **حسن لغيره**: حم: (١/ ١٩١)، [«ص.غ.هـ» (١٩٣٢)].

النار يقول ﷺ: «**اطلعتُ في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**»[(١)].

عباد الله! ولكن يجب على المرأة المؤمنة التي تطيعُ زوجها طاعة لله ولرسوله، أن تعلم أنها لا يجوز لها أن تطيعه في المعصية؛ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وبالمثال يتضح البيان:

● إذا طلب الزوج من زوجته أن تتزين له بإزالة الشعر من وجهها، أو بترقيق حواجبها فلا طاعة له؛ لأنها معصية، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**لعن الله النامصة والمتنمصة**»[(٢)]، أستحلفكم بالله كم منا تقع زوجته في هذه المعصية؟! الجواب معلوم حتى ممن يدعون الالتزام، إذا نظر المرء إلى زوجته يراها وقد رقَّقَت حواجبها، عباد الله، اعلموا أن ذلك حرام، وأن ذلك معصية؛ والمرأة بفعلها هذا ملعونة لأن الله لعن النامصة والمتنمصة.

مثال آخر: إذا طلب الزوج من زوجته أن تخرج إلى الشارع متبرجة كاسية عارية سافرة، أراد أن يتباها بها في الشارع، أراد أن يعرضها في الشارع، أراد هذا الزوج الديوث أن يبيع لحمه وعرضه رخيصاً في الشارع، فلا يجوز للمرأة أن تستجيب لطلبه لأنه معصية، والله ﷻ يضع العاصي في نار جهنم إذا أصر على معصيته، فالله ﷻ قال: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[(٣)].

مثال ثالث: إذا طلب الزوج من زوجته أن يجامعها في الحيض، أو يجامعها في غير المكان الذي شرعه الله فلا طاعة له، قال ﷺ: «**من أتى**

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٠٦٩)، م: (٢٧٣٧).

(٢) **صحيح**: م: (٢١٢٥).

(٣) **صحيح**: م: (٢١٢٨).

حائضاً ـ أي جامعها في الحيض ـ أو امرأة في دبرها، أو كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[1]، فلا طاعة للزوج إذا طلب ذلك لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

مثال رابع: إذا طلب الزوج من زوجته أن تجلس مع الرجال الأجانب، وأن تصافحهم، وأن تخلو بهم فلا طاعة له، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. وقال ﷺ: «**إيَّاكم والدخول على النساء!**»، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحموُ الموتُ!**»[2]؛ أي: الموت. الشر والدمار لا يأتي إلا من قبل أقارب الزوج إذا دخلوا وخلوا بالزوجة في غياب زوجها، فإذا طلب الزوج من زوجته أن تصافح أخاه أو تجلس معه أو تخلو بأخيه، أو أن تسمح له بأن ينظر إليها فلا طاعة للزوج في ذلك؛ لأن هذا هو الحمو، والحمو الموت، وكم من الأسر تهدمت بسبب دخول الأخ على زوجة أخيه في غياب أخيه، بل ربما في غياب الزوج يدخل ابن العم، وابن الخال على زوجة قريبه، والناس لا يبالون بذلك فيقع الزنا، وتقع الفضيحة وتتهدم الأسرة، وتترمل المرأة، ويحصل القتل، بسبب هذا التقصير والإهمال، صحيح أن أخا الزوج محرَّم ولكن تحريمه مؤقت، فإذا مات الزوج جاز للأخ أن يتزوج زوجة أخيه، ولا يجوز للزوج أن يخلو بأخت زوجته كذلك لأنه إذا ماتت الزوجة جاز للزوج أن يتزوج أخت زوجته، فلا يجوز له أن يصافحها، ولا أن يخلو معها، ولا أن يسافر معها.

• قال بعض الصالحين: (لو ائتمنوني على ملء الأرض ذهباً لائتُمنت، ولو ائتمنوني على جارية سوداء دميمة ما ائتمنت).

---

(١) **صحيح**: ت: (١٣٥)، هـ: (٦٣٩)، حم: (٢/٤٧٦)، مي: (١١٣٦)، [«ص.غ.هـ» (٢٤٣٣)].

(٢) **صحيح**: خ: (٤٩٣٤)، م: (٢١٧٢).

ثانياً: ومن حق الزوج على زوجته أن تتزين له، وأن تتجمل له، وأن تكون دائماً في أحسن صورة، وأن لا تعبس في وجهه أبداً، قال ﷺ: «**خير النساء من تُسركَ إذا أبصرت، وتطيعك إذا أمرت، وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك**»(١). فكوني يا أمة الله من خير النساء، فالمرأة لا بد أن تكون دائماً في أحسن صورة في بيتها لزوجها، وهي تؤجر على ذلك وتدخل الجنة بذلك، وانظروا عباد الله إلى نساءنا في هذا الزمن العجيب في بيتها كالقرد وإذا خرجت إلى الشارع تزينت وتبرجت ولبست، ووضعت على وجهها ما لا يعلمه إلا الله، فهل تزوجتِ الشارع يا أمة الله؟ آلله أمركِ بهذا؟ آلرسول أمركِ بهذا؟ الجواب: لا، إذا أردتِ الأجر من الله تزيني لزوجك في بيتك. والمرأة الصالحة أيضاً إذا غبتَ عنها لم تخرج من بيتها إلى فلان وفلان، ولم تذهب إلى السوق، وتختلط بالرجال، وتمازح هذا وذاك لا، إذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك.

ثالثاً: من حق الزوج على زوجته إذا دعاها لحاجته وإلى فراشه أن تجيبه إلا مِنْ عذرٍ شرعي، والله لقد تبيّن لنا من خلال الأسئلة التي توجه إلينا من الرجال والنساء، أن المشاكل الزوجية كلها من هذا الباب، أن المرأة لا تعطي للزوج حقه عليها في الفراش، فيا أمة الله إذا دعاك الزوج إلى حاجته وإلى فراشه فعليك أَن تجيبي ولو كنت على التنور، يقول ﷺ: «**إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور**»(٢). والتنور هو المكان الذي يصنع فيه الخبز، فإذا رفضت الزوجة وقصّرت في حق زوجها ونام الزوج غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح، وكان الذي في السماء غضبان عليها وساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها. يقول ﷺ: «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى**

---

(١) **صحيح**: [«ص.ج» (٣٢٩٩)].

(٢) **صحيح**: ت: (١١٦٠)، حب: (٤١٦٥)، طب: (٨/ ٣٣١)، ش: (٣/ ٥٥٨)، هق: (٧/ ٢٩٢)، [«ص.ج» (٥٣٤)].

عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها»[١] ـ أي زوجها ـ، ويقول ﷺ: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأتِهِ فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح**»[٢]. فلتتقِ الله الزوجة في زوجها لأنها إذا رفضت ذلك الطلب لزوجها عرّضته إلى أن يخرج ويزني فيعصي الله ﷻ وهي آثمة وحرام عليها فعل ذلك.

رابعاً: حق الزوج على زوجته أن تحرص على رضاه دائماً وأن تعمل على أن تعيش معه لآخر لحظة، ولا تسأله الطلاق بدون سبب شرعي، يقول ﷺ: «**أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة**»[٣].

• المرأة التي تطلب من زوجها الطلاق لأنه لم يشتر لها مفسديون! ماذا تقول لربها يوم القيامة؟.

• المرأة التي تطلب من زوجها الطلاق لأنه رفض أن يبني لها بيتاً فارهاً! ماذا تقول لربها يوم القيامة؟

• المرأة التي تطلب من زوجها الطلاق لأنه يذهب إلى والديه ليتق الله فيهما! ماذا تقول لربها يوم القيامة؟

• المرأة التي تطلب من زوجها الطلاق لأنه أراد أن يتزوج عليها الثانية والثالثة! ماذا تقول لربها يوم القيامة؟.

وعلى الزوج إذا أراد أن يتزوج أن يتقي الله ويعدل، قال ﷺ: «**من استطاع منكم الباءة فليتزوج**»[٤]. والزواج شُرِع لغض البصر وليحصن الإنسان فرجه، فإذا غض الإنسان بصره وحصن فرجه من زوجة واحدة

---

(١) **صحيح**: م: (١٤٣٦).

(٢) **صحيح**: خ: (٣٠٦٥)، م: (١٤٣٦).

(٣) **صحيح**: د: (٢٢٢٦)، ت: (١١٨٧)، هـ: (٢٠٥٥)، حم: (٥/ ٢٨٣)، مي: (٢٢٧٠)، حب: (٤١٨٤)، ك: (٢/ ٢١٨)، [«ص.ج» (٢٧٠٦)].

(٤) **صحيح**: خ: (٤٧٧٨)، م: (١٤٠٠).

فكفى، وإن أراد أن يتزوج الثانية ليغض بصره وفرجه فله ذلك، لكن الزوجة إن شمت من بعيد أن زوجها يريد أن يتزوج عليها أول ما تطلب تطلب الطلاق! فهل هذا عذر شرعي؟! نقول للمرأة: «**أيما امرأة سألت زوجها الطلاق**..»[(١)] الحديث، فيا أمة الله لا يكون في ملك الله إلا ما قدَّره الله، فإذا قدَّر الله لهذا الزوج أن يتزوج عليكِ فوالله سيتزوج عليكِ، وإذا لم يقدّر الله له ذلك لو أنك بحثتِ له عن زوجة لم يتزوج، فاتركِي الأمور لله فإن هو عصى الله فيك فاتقِ الله فيه واحذري أن تطلبي الطلاق لأنه أراد أن يتزوج، واحذري أن تتركِي بيتك وأولادك لأن زوجك أراد أن يتزوج، وماذا تقولين لربك يوم القيامة يا أمة الله؟ وإن الرجل إذا تزوج الأولى والثانية والثالثة والرابعة، وعدل بينهن لا يُسْأل يوم القيامة عن الزواج إنما يسأل عن العدل، فإنْ عدل بينهنَّ، فلا شيءَ عليه،، وإنْ هو مال إلى إحداهن دون الأخرى جاء يوم القيامة وشقه مائل، أما أنت أيها الزوجة إذا طلبت الطلاق بسبب أن زوجك أراد أن يتزوج عليك فحرام عليك رائحة الجنة.

خامساً: من حق الزوج على زوجته: ألا تصوم نافلة وهو شاهد إلا بإذنه. فإذا أرادت أن تصوم فعليها أن تستأذن من زوجها، قال ﷺ: «**لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد** ـ أي: عندها ـ **إلا بإذنه**»[(٢)]؛ لأنه ربما أراد الزوج أن يجامع زوجته في النهار فيجدها صائمة فيمنعه ذلك منْ قضاء وطره منها، عبادَ الله، والزوج قد تزوج وأتى بزوجته من عند أبيها لحاجته، وكلنا يزوج بناته شرعاً على الكتاب والسنّة من أجل ذلك، والفتاة لا تنتقل من بيت أبيها إلى بيت زوجها لتأكل وتشرب فقط، إنما جاءت لحاجة الزوج الشرعية التي بسببها يكون الأولاد.

---

(١) **صحيح**: د: (٢٢٢٦)، ت: (١١٨٧)، هـ: (٢٠٥٥)، حم: (٥/ ٢٨٣)، [«ص.ج» (٢٧٠٦)].

(٢) **صحيح**: خ: (٤٨٩٩).

فلا يجوز للمرأة أن تقدم طاعة ربها في النوافل على طاعة زوجها، ونقول هنا لأهل الغرب والكفار: مَنْ الذي أعطى للمرأة حقها؟ إنه الإسلام أراد بذلك أن يحافظ على المرأة.

سادساً: من حق الزوج على زوجته، إذا أنفقت من أموالها في بيتها وعلى أولادها أن لا تمنَّ عليه بذلك؟ فالمَنُّ بالعطية حرام ومبطلٌ لها، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**» قال: فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: «**المُسبل إزاره** ـ أي: الذي ثوبه وبنطاله زاد على الكعبين فهو يجر على الأرض ـ **والمنَّان** ـ أي: الذي لا يعطي شيئاً إلا منّة ـ **والمُنَفِّق سلعته بالحلف الكاذب**»(١). فعلى الزوجة ألَّا تمنّ على زوجها لأن ذلك سبب لكثير من المشاكل.

سابعاً: ومن حق الزوج على زوجته ألا تخرج من بيته إلا بإذنه، ولا تُدْخِلَ في بيته أحداً إلا بإذنه ولا تطلب منه ما لا يطيق، فكثير من النساء تطلب من زوجها أشياء غالية فيضطر هذا المسكين أن يمد يده إلى الرشوة، أو إلى البنوك ليقترض من الربا.

فعلى الزوج أن يتقي الله في زوجته، وعلى الزوجة أن تتقي الله في زوجها ليسعدا في الدنيا والآخرة.

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه

❀ ❀ ❀

---

(١) **صحيح**: م: (١٠٦).

٧٦

الوصية الثانية عشرة: «ما تركت بعدي فتنةً»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ يقول الله ﷻ: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

عباد الله! وفي الجمع الماضية تكلمنا عن حق المرأة في الإسلام، وتبيّن لنا أن الإسلام وحده هو الذي أعطى للمرأة حقها، وكرمها ورفع من شأنها، وتبيّن لنا أن الإسلام أعطى للمرأة حقها طفلة عند أبيها، وزوجة عند زوجها، وأُمّاً عند أبنائها.

وأردنا بذلك أن نرد على دعاة الإباحية، وعلى كلاب الغرب الذين يدَّعون أن الإسلام هضم حق المرأة، وأنه منعها من الخروج من بيتها ومنعها من الاختلاط بالرجال الأجانب، ومنعها من التبرج وظنوا أن هذا تضييع لحق المرأة، وغفل المساكين أن ذلك حفظٌ وتكريم للمرأة.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثانية عشرة من وصايا المصطفى ﷺ:

يقول ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء**»[(١)]. الإسلام هو الذي وصّى الرجال بالنساء، فقال ﷺ: «**استوصوا بالنساء**

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٨٠٨)، م: (٢٧٤١).

خيراً»[١]، وهو أيضاً الذي يحذر الرجال من فتنة النساء فيقول ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء**»، ويقول ﷺ: «**فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»[٢].

عباد الله المرأة فتنة عظيمة:

أولا: لأن الرجل بطبيعته يشتهي المرأة، فالله ﷻ عندما خلق الرجل جعل فيه ميلاً للمرأة، وعندما خلق المرأة جعل فيها ميلاً للرجل، هذا صنع الله، فالرجل يشتهي المرأة، والمرأة في مقدمة الشهوات التي يشتهيها الرجل.

قال ـ تعالى ـ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [آل عمران: ١٤]، فالمرأة فتنة للرجل لأنه يشتهيها.

ثانياً: لأن المرأة إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان؛ (أي: زينها في أعين الرجال ولو كانت قبيحة). يقول ﷺ: «**المرأة عورة، فإذا خرجت** ـ أي: من بيتها ـ **استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها**»[٣]، فالشيطان يزينها في أعين الرجال.

ثالثاً: لأنها إذا خرجت من بيتها وأقبلت على الرجل؛ أقبلت في صورة شيطان، وإذا أدبرت عن الرجل أدبرت في صورة شيطان، ولذلك الرجل يشتهي المرأة وهي قادمة إليه ويشتهيها إذا ولّت عنه، فإذا نظر الرجل إلى المرأة من الأمام اشتهاها، وإذا أدبرت عنه ونظر إليها من الخلف اشتهاها، (لِمَ)؟ كما أخبر ﷺ فقال: «**إن المرأة تقبل في صورة شيطانٍ، وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة أعجبته فليأت أهله فإن ذلك يردُ ما في نفسه**»[٤].

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٨٩٠)، م: (١٤٦٨).

(٢) **صحيح**: م: (٢٧٤٢).

(٣) **صحيح**: ت: (١١٧٣)، خز: (١٦٨٥)، حب: (٥٥٩٩)، بز: (٥/ ٤٢٧)، [«ص.غ.هـ» (٣٤٦)].

(٤) **صحيح**: حم: (٣/ ٣٣٠)، هب: (٤/ ٣٦٧)، [«ص.ج» (١٩٤٠)].

عباد الله! وحرصاً من الإسلام على الرجال مِنْ أن يقعوا في فتنة النساء، وحرصاً على النساء من الوقوع في شِبَاكِ الرجال، جاء الإسلام بما يلي فاسمعوا وعوا.

أولاً: أمر الرجال بغض البصر حتى لا يقعوا في فتنة النساء، فقال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور: ٣٠]، وأمر النساء كذلك أن يغضضنَ أبصارهن عن الرجال الأجانب فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]. فالإسلام أمر الرجال بغض البصر عن النساء، وأمر النساء أن يغضضن أبصارهن عن الرجال أتدرون (لِمَ)؟ لأن المصائب كلها تقع بعد النظر ولا يستطيع الإنسان أبداً أن يحفظ فرجه إلا بعد أن يغض بصره، ولذلك كما سمعتم فحفظ الفرج لا يكون أبداً إلا بعد غض البصر، وإذا لم يغض الإنسان بصره وقع في المحظور وكما قالوا: نظرة، فابتسامة، فموعد، فلقاء، وإذا التقى الرجل بالمرأة في مكان فَمنْ سيكون ثالثهما؟ الشيطان، والشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر وكما قال القائل:

كلُّ الحوادثِ مَبْدَاها منَ النظرِ ... ومُعْظَمُ النارِ منْ مُسْتَصْغر الشَّررِ
والمرءُ ما دامَ ذا عينٍ يقلِّبُهَا ... في أعْيُنِ العِيْن موقوفٌ على الخطرِ
كم نظرةٍ فعلت في قلب صاحبِهَا ... فعلَ السهامِ بلا قوسٍ ولا وترِ
يسرُ ناظرَهُ ما ضرَّ خاطرَهُ ... لا مرحباً بسرورٍ جاءَ بالخطرِ

كم من نظرة من الرجل إلى المرأة قضت على بيته فخرَّب بنظرته بيته؟، فرُب رجل نظر إلى المرأة وهي تعمل معه فافتتن بها، وصار عبداً لها بعد هذه النظرة، فجاء يطلق زوجته ليتزوج بزميلته التي نظر إليها، والزميلة المتزوجة تطلب الطلاق من زوجها لأنها افتتنت بزميلها، فكم من نظرة فعلت في قلب صاحبها، فخرَّب المسكين بيته، وخرَّب بيت الآخر بنظرة، وكم من إنسان نسي القرآن بنظرة إلى امرأة؟، وكم من إنسان حرم الأمن بنظرة إلى امرأة؟، وكم من إنسان أصبح عبداً لبشر بنظرة إلى امرأة؟

وهذا جرير بن عبد الله يقول: (سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري)[١]، وقال ﷺ لعلي رضي الله عنه: «**يا علي، لا تتبع النظرة النظرة؛ فإن لك الأولى وليست لك الآخرة**»[٢].

فالإسلام جاء وأمر بغض البصر حتى لا يقع الرجل في فتنة النساء، فيا عبد الله، إقبلْ هذه الوصية من رسول الله، وإقبل الأمر من الله، واعمل على غض البصر لأن البلاء سيكون في المستقبل إذا بقيت تعطي لبصرك الحبل على الغارب فستقع في المحظور، وستندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

ثانياً: جاء الإسلام فمنع اختلاط الرجال بالنساء وأمر بعزل النساء عن الرجال.

يا أمة الإسلام! يا من يقيمون الأعراس والأفراح والاختلاط بين الرجال والنساء، وكل رجل يأخذ ٱمرأته وقد تزينت كأنها هي العروس، ليختلط الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، وينظر الرجال إلى النساء، وتنظر النساء إلى الرجال، أتدرون ماذا يحدث بعد هذا! ترجع المرأة وقد أبغضت زوجها، ويرجع الرجل وقد أبغض زوجته، ولا يطيق زوجته؛ لأنه قد رأى من هي أجمل منها، ورأت الزوجة من هو أجمل من زوجها فخربت البيوت بسبب هذه الفوضى والإباحية. ولذلك يقول ربنا ـ جل وعلا ـ ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. الخطاب لمن؟ لأصحاب رسول الله أتقى الناس بعد رسول الله، ومن المخاطب بشأنه؟ أمهات المؤمنين، ومع ذلك يأمر الله الصحابة: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فما بالنا نحن يا أبناء القرن العشرين، أبناء المفسديون نختلط رجالاً ونساء في كل شيء،

---

(١) **صحيح**: م: (٢١٥٩).

(٢) **حسن**: د: (٢١٤٩)، ت: (٢٧٧٧)، حم: (٥/٣٥٣)، ك: (٢/٢١٢)، مي: (٢٧٠٩)، هب: (٤/٣٦٤)، [«ص.ج» (٧٩٥٣)].

في المناسبات، وغير المناسبات فتأتي البلايا وما سُتر أعظم، وما لا يعرفه الزوج أعظم.

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

يقول ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء**»**!** فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو، قال: «**الحمو الموت!**»(١)، والحمو هو قريب الزوج.

عباد الله! إذا اقتربت المرأة من الرجل الأجنبي كان الشر، وإذا ابتعدت المرأة عن الرجل الأجنبي كان الخير ولو كان ذلك في داخل المسجد. يقول ﷺ: «**خير صفوف الرجال أوَّلها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرُّها أوَّلُها**»(٢)، انظر الشر إذا اقترب الرجل من المرأة، والخير إذا ابتعدت المرأة عن الرجل.

ثالثاً: جاء الإسلام ومنع المرأة أن ترقق صوتها حتى لا يفتتن بها الذي في قلبه مرض. فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

رابعاً: جاء الإسلام ومنع المرأة من التبرج، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وأمر المرأة بالحجاب الشرعي فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، والجلباب الشرعي هو الذي توفرت فيه الشروط التالية:

١ ـ أن يغطي جميع بدن المرأة.

٢ ـ أن لا يكون ثوب شهرة.

٣ ـ أن يكون واسعاً لا يصف.

٤ ـ أن يكون سميكاً لا يشف.

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٩٣٤)، م: (٢١٧٢).

(٢) **صحيح**: م: (٤٤٠).

٥ ـ أن لا يكون مطيباً ولا معطراً.

٦ ـ أن لا يكون في نفسه زينة.

٧ ـ أن لا يشبه لباس الرجال.

٨ ـ أن لا يشبه لباس الكافرات.

شروط ثمانية اشترطها الإسلام في جلباب المرأة.

خامساً: جاء الإسلام ونهى المرأة أن تلفت أنظار الرجال بحليها أو بعطرها، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقال ﷺ: «**أيما امرأة استعطرت ثم خرجت، فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية، وكل عين زانية**»[١].

سادساً: جاء الإسلام وأمر المرأة أن تجلس في بيتها لخدمة زوجها وتربية أبنائها، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣] أمرٌ؛ لأن المرأة إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان، كما قال ﷺ: «**المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»[٢]، ولا مانع للمرأة أن تخرج من بيتها عند الضرورة كما قص علينا ربنا جل وعلا في سورة القصص عندما توجه موسى ﷺ إلى ماء مدين فوجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان ـ قال موسى ﴿مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ ـ لا نختلط بالرجال وأمّا السبب الذي أخرجنا من بيتنا ـ ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣]، فيجوز للمرأة أن تخرج من بيتها عند الضرورة دون أن تختلط بالرجال، ودون أن تمازح الرجال، حتى لا تقع في الفتنة.

---

(١) **حسن**: خز: (١٦٨١)، حب: (٤٤٢٤)، هب: (١٧١/٦)، هق: (٢٤٦/٣، [«ص.ج» (٢٧٠١)].

(٢) **صحيح**: ت: (١١٧٣)، بز: (٤٢٨/٥)، [«ص.ج» (٦٦٩٠)].

عباد الله! الإسلام هو الذي وصى الرجال بالنساء: «**واستوصوا بالنساء خيراً**»[١].

• والإسلام أيضاً هو الذي حذّر الرجال من فتنة النساء فقال ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء**»[٢]، وقال ﷺ: «**فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**»[٣]، وهنا سؤال مهم.

ـ لماذا حذّر الإسلام الرجال من فتنة النساء؟

الجواب: حتى لا تقع فاحشة الزنا في المجتمعات الإسلامية؛ لأن الزنا كما جاء في الكتاب والسنّة فاحشة وساء سبيلاً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢]، قاتل الله الزناة فقد لوَّثوا المجتمعات، الزنا يسوِّد الوجوه البيضاء، الزنا يطأطأ الرؤوس العالية، الزنا يخرس الألسنة البليغة. ولذلك قال ﷺ: «**فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**»، الزنا من أكبر الذنوب بعد الشرك بالله وبعد قتل النفس، يقول ابن مسعود رضي الله عنه سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله نِداً وهو خلقك**»، قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: «**وأن تقتل ولدك تخاف أن يَطْعَمَ معك**»، قلت: ثم أي؟ قال: **أن تُزاني حَلِيلَةَ جَارِك**»[٤].

• الزنا سبب لخراب الديار، وسبب لنزول العذاب، يقول ﷺ: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»[٥]. وعذاب الله: زلازل، براكين، غلاء، ضنك، كرب، همّ، أمراض، حزن، تسليط الكفار علينا، تسليط إخوة القردة والخنازير علينا، حرب من الله علينا لعلنا نرجع إلى الله.

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٨٩٠)، م: (١٤٦٨).
(٢) **صحيح**: خ: (٤٨٠٨)، م: (٢٧٤١).
(٣) **صحيح**: م: (٢٧٤٢).
(٤) **صحيح**: خ: (٤٢٠٧)، م: (٨٦).
(٥) **صحيح**: ك: (٢/٤٣)، طب: (١/١٧٨) [«ص. ج» (٦٧٩)].

● الزنا سبب لعذاب القبر؛ أي: سبب للعذاب في حياة البرزخ: «**رأى رسول الله ﷺ في منامه مثل التنور، أعلاه ضيق، وأسفله واسع يوقد تحته نار، فيه رجال ونساء عراة، فإذا أوقدت ارتفعوا، حتى يكادوا أن يخرجوا، فإذا أُخمدت رجعوا فيها، فقلت: ما هذا؟ قيل: هم الزناة**»(١).

عذاب في الدنيا، وعذاب في حياة البرزخ، وعذاب يوم القيامة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩].

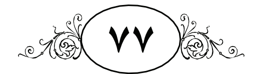
فيا عباد الله: اتقوا فتنة النساء، فليتق الله كل منا في بصره، وليتق الله كل منا في عرضه، فإن المرأة إذا خرجت من بيتها متبرجة وقعت الفتنة! لا، بل هي فتنٌ بعضها فوق بعض، المرأة التي تبرجت وخرجت واختلطت بالرجال، ونظرت إلى هذا وذاك ليست فتنة واحدة إنما هي فتن بعضها فوق بعض، فإذا افتتن الرجال بهذه المرأة ووقعت فاحشة الزنا، أقول لزوجها ولأبيها ولأخيها: والله لقد شاركتم في هذه الفتنة، وفي هذه الجريمة، والله سائلكم يوم القيامة عن أعراضكم ونسائكم.

اللّهم قد بلّغت، اللّهم فاشهد

اللّهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً



(١) **صحيح**: خ: (١٣٢٠)، وانظر الحديث بتمامه.



الوصية الثالثة عشرة: «الخمر أمُّ الفواحش...»

عباد الله! قلنا سابقاً إن الإيمان بالرسل الكرام ركن من أركان العقيدة الصحيحة. ونحن لا زلنا في صدد الحديث عن رسولنا ﷺ وعن وصاياه، وقلنا: إن الواجب على المسلمين في كل زمان ومكان أن يقبلوا وصايا المصطفى ﷺ، وأن يعملوا بها وأن يعضوا عليها بالنواجذ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله ـ مع الوصية الثالثة عشرة:

● **عن ابن عباس** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الخمر أم الفواحش، وأكبر الكبائر، من شربها وقع على أمه، وخالته، وعمته**»(١)؛ أي من شرب الخمر زنا بأمه، وخالته، وعمته.

عباد الله! وصية عظيمة من رسول عظيم يحذر فيها أمته من الخمر، وقد انتشرت الخمر في هذا الزمان، وملأت بلايا الخمر البلاد، والذي دفعني للحديث عن الخمر أمور أربعة فاسمعوا وعوا.

الأمر الأول: أن هناك فريقاً من الناس لا خلاق لهم يقولون ويدَّعون أَن الخمر ليست حراماً، وأنه لم تأتِ آية في كتاب الله تقول: حُرِّمت عليكم الخمر، بل يقولون: إن الله ﷻ قال: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]، ورداً على هؤلاء الشياطين، ودفعاً لهذه الشبهة التي تدار في المجالس نقول: حرّم الله الخمر، فالخمر حرام إلى يوم القيامة، وتحريمها جاء في القرآن والسنّة، ولقد أجمعت الأمة على تحريمها.

---

(١) **حسن**: قط: (٤/ ٢٤٧)، طب: (١١/ ١٦٤)، طس: (٣/ ٢٧٦)، [«ص.ج» (٣٣٤٥)].

• فالدليل من كتاب الله على تحريم الخمر: يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: ٩٠ ـ ٩٢].

عباد الله! إلى الذين يقولون بأنه لم تأتِ آية من كتاب الله تقول: حُرِّمت عليكم الخمر، نقول لهؤلاء: حرّم الله الخمر في هذه الآية من ثمانية أوجه:

الوجه الأول: أنها رجس، والرجس حرام كالخنزير وعبادة الأوثان.

الوجه الثاني: أنها من عمل الشيطان، وعمل الشيطان حرام.

الوجه الثالث: فاجتنبوه، والأمر للوجوب، والاجتناب أشد من التحريم.

الوجه الرابع: لعلكم تفلحون، علّق الله فلاح الدنيا والآخرة على ترك الخمر.

الوجه الخامس: أن الخمر سبب لوقوع العداوة والبغضاء، وهذا حرام.

الوجه السادس: أنها تصد عن ذكر الله، وهذا حرام.

الوجه السابع: أنها تصد عن الصلاة، وهذا حرام.

الوجه الثامن: ثم قال: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾؟ [المائدة: ٩٠] وهذا استفهام يدل على الردع والزجر من الله ﷻ.

ولذلك عندما نزلت هذه الآية قال الفاروق عمر: (انتهينا، انتهينا)[١]، وقال بعض الصحابة ـ وكان منهم من يشرب الخمر ـ عندما

---

(١) **صحيح**: د: (٣٦٧٠)، ت: (٣٠٤٩)، ن: (٥٥٤٠)، حم: (١/ ٥٣)، ك: (٢/ ٣٠٥)، [«الموسوعة الحديثية»].

سمعوا الآية: (انتهينا ربنا)[1]، وقالوا: (قم يا أنس، ـ وكان هو الذي يصب الخمر لهم ـ: فأهرقها، فأهرقتها)[2]، هكذا تربوا في مدرسة محمد ﷺ، هكذا تربوا على عقيدة التوحيد، هكذا تربوا على السمع والطاعة كما وصفهم الله فقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]، فهذا الدليل من القرآن.

أما من السنّة: فقال ﷺ: «**كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام**»[3]، وأجمعت الأمة في مشارق الأرض ومغاربها على تحريم الخمر، فمن استحلها وادعى أنها حلال، وزعم أنها ليست بحرام فهو كافر خارج عن ملة الإسلام يحل دمه، وماله، وعرضه، وإذا مات لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في قبور المسلمين.

الأمر الثاني: الذي دفعني للحديث عن الخمر، أن هناك فريقاً من الناس ـ وللأسف الشديد ـ يصلّون، ولكنهم يشربون الخمر ويقولون الصلاة شيء، والخمر شيء آخر، نقول لهم: نعم، الصلاة فرضها الله عليكم فمن صلاها وأداها بشروطها وأركانها في أوقاتها أدخله الله الجنة، والذي فرض عليكم الصلاة هو الذي حرّم عليكم الخمر، فالخمر حرام، ثم نقول لهؤلاء الذين يصلون ويشربون الخمر: الخمر حرام فمن شربها:

أولاً: لم يقبل الله منه صلاة أربعين يوماً.

يقول ﷺ: «**الخمر أُم الخبائث، فمن شربها لم تُقبل صلاتُهُ أربعين يوماً، فإن مات وهي في بطنه مات ميتةً جاهلية**»[4].

ثانياً: نقول لهم: من شرب الخمر أو اقترب منها فهو ملعون من الله؛ قال ﷺ: «**لعن الله الخمر، وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها،**

---

(١) **حسن لغيره**: حم: (٢/ ٣٥١)، [«الموسوعة الحديثية»].

(٢) **صحيح**: خ: (٥٢٦٠).

(٣) **صحيح**: م: (٢٠٠٣).

(٤) **حسن**: قط: (٤/ ٢٤٧)، طس: (٤/ ٨١)، [«ص.ج» (٣٣٤٤)].

وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكِل ثمنها»(١)، زوجة لا تشرب الخمر ولكنها تقدم لزوجها الخمر فهي ملعونة، موظف لا يشرب الخمر ولكنه يقدم الخمر للزبائن فهو ملعون، موظف لا يشرب الخمر ولكنه يبيع الخمر فهو ملعون، من اقترب من الخمر ملعون من الله.

ثالثاً: نقول لهؤلاء الذين يشربون الخمر ويصلّون: من شرب الخمر انقطع عنه نور الإيمان ونزع من قلبه، يقول ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**»(٢).

ويقول ﷺ: «**من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه**»(٣). ويقول عثمان رضي الله عنه: (اجتنبوا الخمر؛ فإنها أم الخبائث... ... والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه)(٤).

رابعاً: نقول للذين يشربون الخمر ويصلون: الرسول ﷺ قال: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان بما أعطى**»(٥).

خامساً: نقول لهؤلاء: من شرب الخمر سقاه الله في النار من طينة الخبال، يقول ﷺ: «**إن على الله** عز وجل **عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال،** قالوا: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: **عرق أهل**

---

(١) **صحيح**: د: (٣٦٧٤)، حم: (٢/ ٩٧)، ك: (٢/ ٣٧)، طس: (٨/ ١٦)، ع: (٩/ ٤٣١)، هق: (٥/ ٣٢٧)، [«ص.ج» (٥٠٩١)].

(٢) **صحيح**: خ: (٥٢٥٦)، م: (٥٧).

(٣) **ضعيف**: ك: (١/ ٧٣)، [«ض.ج» (٥٦١٠)].

(٤) انظر تخريجه في الصفحة التالية.

(٥) **صحيح**: ن: (٢٥٦٢)، حم: (٢/ ١٣٤)، حب: (٧٣٤٠)، ك: (٤/ ١٦٣)، [«ص.ج» (٣٠٧١)].

النار، أو عصارة أهل النار»(١)، فهل هناك عاقل يشرب الخمر بعد ذلك ولا سيما إن كان يصلّي.

الأمر الثالث: الذي دفعني للحديث عن الخمر أن هناك فريقاً من الناس كالحيوانات، بل هم أضل، شرب الخمر فوقع على أمه، وخالته، وعمته، لا يفرق بين المحارم وغير المحارم، وأظنكم قد سمعتم قبل أسابيع عن الذي وقع على عمته، ونسمع ونُسأل عبر الهاتف عمن وقع على أمه، وعلى أخته، وعلى خالته، وعلى زوجة أخيه، ومنهم من وقع على زوجة أبيه، وإذا سألنا وجدنا أنه كان سكران. نعم يا عباد الله فإن شرب الخمر يفتح على شاربها باباً إلى كل شر، قال ﷺ: «**ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر**»(٢)، وقد أخبرنا ﷺ في الوصية التي معنا اليوم فقال: «**الخمر أم الفواحش...**»، وبالمثال يتضح البيان.

• يقول عثمان رضي الله عنه: (اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل ممن خلا قبلكم تعبد فعلقته امرأة غوية، فأرسلت إليه جاريتها فقالت: إنا ندعوك للشهادة فانطلق مع جاريتها، فطفقت كلما دخل باباً أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة جالسة، عندها غلام وباطية خمر فقالت: إني والله ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع عليّ أو تشرب من هذه الخمرة كأساً أو تقتل هذا الغلام [فإن أبيت صحت بك وفضحتك قال: فلما رأى لا بد له من ذلك]، قال: فاسقيني من هذا الخمر كأساً فسقته قال: زيدوني فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس فاجتنبوا الخمر فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه)(٣). صدقت يا رسول الله، الخمر أم الفواحش، الخمر أم

---

(١) **صحيح**: م: (٢٠٠٢).

(٢) **صحيح**: هـ: (٤٠٣٤)، هب: (٥/ ١١)، [«ص.ج» (٧٣٣٩)].

(٣) **صحيح موقوف**: ن: (٥٦٦٦)، حب: (٥٣٤٨)، عب: (٩/ ٢٣٦)، هب: (٥/ ١٠)، هق: (٨/ ٢٨٧)، [«ص.ن» (٥٢٣٦)].

الخبائث، هي مفتاح لكل شر، وها نحن نسمع يا عباد الله عن الذين شربوا الخمر كيف سرقوا وزنوا ووقعوا على المحارم.

الأمر الرابع: الذي دفعني للحديث عن الخمر أن هناك فريقاً من الناس يشربون الخمر ويسمونها بغير اسمها، ورسولنا الكريم ﷺ أخبرنا عن هؤلاء فقال ﷺ: «**يشرب ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها**»[(١)]، وهذا نراه ونسمعه في هذا القرن العجيب، فلو سأل سائل: **ما هي الخمر الحرام؟** نقول له: يقول ﷺ: «**كل مسكر خمر، وكل خمرٍ حرام**»[(٢)] ـ أياً كان اسمه، وأياً كان شكله، كيفما كان صنعه.

• فلو قال هذا السائل: أشرب الخمر ولا أسكر، قلنا له يقول ﷺ: «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**»[(٣)].

• فلو قال هذا القائل: أشرب الخمر لا لأتلذذ بها، ولكن من أجل التداوي والعلاج، قلنا له يقول ﷺ ـ «**إنها** ـ أي: الخمر ـ **داءٌ وليست بدواء**»[(٤)].

عباد الله! هذا نداء إلى كل إنسان آمن بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وعلم وأيقن أنه راجع إلى الله، وأنه موقوف بين يدي الله، نقول له: اتق الله في نفسك، لإنك إذا شربت الخمر وقعت على أمك، وخالتك، وعمتك، وزنيت بالمحارم، وفقدت العقل الذي ميَّزك الله به عن الحيوانات.

ونقول للمسؤولين في كل بلاد الدنيا، الخمر مفتاح كل شر.

---

(١) **صحيح**: ن: (٥٦٥٨)، [«ص.ج» (٨٠٩٢)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٠٠٣).

(٣) **صحيح**: د: (٣٦٨١)، ت: (١٨٦٥)، ن: (٥٦٠٧)، هـ: (٣٣٩٣)، حم: (٢/ ١٦٧)، ك: (٣/ ٤٦٦)، [«ص.ج» (٥٥٣٠)].

(٤) **صحيح**: حم: (٤/ ٣١٧)، قط: (٤/ ٢٦٥)، عب: (٩/ ٢٥١)، ش: (٥/ ٣٨)، [«الموسوعة الحديثية»].

ونقول للمسؤولين: سترجعون إلى الله وستقفون بين يدي الله، والله سائلكم يوم القيامة عما استرعاكم، «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»[(١)].

فوالله لو شرب إنسان الخمر فغاب عقله، وسرق، وزنا، وقتل فهو مجرم ولكن قد اشترك معه في الجريمة الذي باع له الخمر، والذي فتح الخمارة، واشترك معه في الجريمة الذي وقّع ووافق على فتح الخمارة، واللهِ، قد اشترك معه في الجريمة الذي صنع الخمر، وفتح مصنع الخمر، وحمل له الخمر، وجهز عبوات الخمر، وكل من اقترب من الخمر وساهم فيها اشترك في هذه الجريمة، والله سائله يوم القيامة عنها.

● يقول طبيب ألماني: أغلقوا لي نصف الخمارات أضمن لكم إغلاق نصف المستشفيات ونصف السجون. ونقول للمسؤولين: يقول لكم رسول الله ﷺ: «**من شرب الخمر فاجلدوه، فإن عاد الثانية فاجلدوه، فإن عاد الثالثة فاجلدوه، فإن عاد الرابعة فاقتلوه**»[(٢)]، وذلك لتطهير المجتمع، فالذي يشرب الخمر قد أزعج المجتمع وأزعج رجال الأمن. جرثومة لا خير فيه إذا فقد عقله خرَّب وفتح على نفسه أبواب كل شر: سرقة، زنا، قتل، وهذا الذي نسمعه في كل بلاد الدنيا السبب فيه هو الخمر.

نسأل الله العظيم أن يطهر مجتمعات المسلمين من الخمر ومن الخمَّارات

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٩٠٤)، م: (١٨٢٩).

(٢) **صحيح**: د: (٤٤٨٥)، ت: (١٤٤٤)، حم: (٢/ ٢١٤)، ك: (٤/ ٤١٣)، لس: (٢٣٣٧)، طب: (٢/ ٣٣٥)، هق: (٨/ ٣١٤)، [«ص.ج» (٦٣٠٩)].



الوصية الرابعة عشرة: «استحيوا مِنَ الله حقَّ الحياء»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الرابعة عشرة:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**استحيوا من الله حق الحياء**»، قال: قلنا: يا رسول الله: إنا نستحيي والحمد لله، قال: «**ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**»[(١)]. وصية عظيمة من رسول عظيم يأمر أمته فيها بالحياء من الله، ونحن والله في أمسِّ الحاجة في هذا الزمان للأخذ بهذه الوصية؛ لأن كثيراً من الناس لا يستحيون من الله ولا يستحيون من عباد الله.

عباد الله! الحياء: خُلق كريم يمنع صاحبه من فعل القبيح ومن التقصير في حق الله، وفي حق عباد الله، والحياء: خُلق الإسلام. يقول ﷺ: «**إن لكل دين خُلقاً، وإن خُلق الإسلام الحياء**»[(٢)]، ولقد جاء ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق، فضرب لأمته مثلاً أعلى في الحياء، يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: (كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه)[(٣)].

---

(١) **حسن**: ت: (٢٤٥٨)، حم: (١/ ٣٨٧)، ك: (٤/ ٣٥٩)، طب: (١٠/ ١٥٢)، طس: (١/ ٢٩٨)، هب: (٦/ ١٤١)، [«ص.ج» (٩٣٥)].

(٢) **حسن**: هـ: (٤١٨١)، طص: (١/ ٣١)، هب: (٦/ ١٣٦)، [«ص.ج» (٢١٤٩)].

(٣) **صحيح**: خ: (٥٧٥١)، م: (٢٣٢٠).

عباد الله! الحياء والإيمان قرناء، فإذا ذهب أحدهما ذهب الآخر، وإذا رفع الإيمان من الرجل رفع الحياء.

يقول ﷺ: «**الحياء والإيمان قُرِنا جميعاً، فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر**»[١]، فإذا ذهب الحياء ثم لحقه الإيمان فَعَلَ الإنسان ما بدا له، وتكلم بما بدا له، ولذلك إذا نظرت إلى شوارع المسلمين ورأيت الكاسيات العاريات فاعلم بأن الحياء قد ذهب من هؤلاء النساء، وذهب معه الإيمان وإذا لم تستح المرأة فعلت ما شاءت، وإذا لم يستح الرجل فعل ما شاء. والرسول ﷺ يقول: «**إن مما أدركَ الناسُ من كلام النبوةِ الأولى: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت**»[٢].

عباد الله! ورسولنا الكريم يحث أمته على الحياء، ويحضها على الحياء، ويرغّب أمته في الحياء. فيقول ﷺ: «**الحياءُ لا يأتي إلا بخيرٍ**»[٣]. ويقول ﷺ: «**الحياء خير كله**»[٤]، ويقول ﷺ: «**الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة..**»[٥]، ويقول ﷺ: «**الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبةٌ من الإيمان**»[٦].

ويبيّن لنا الرسول ﷺ كيف يكون الحياء من الله، فقال ﷺ في الوصية التي معنا: «**من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى..**».

فتعالوا بنا يا عباد الله لننظر هل نحن في هذا الزمان نستحيي من الله حق الحياء؟ فإن كان الجواب لا فالعاقل من اتعظ، والعاقل من استعتب، وأدرك وتاب إلى الله قبل أن يندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

---

(١) **صحيح**: ك: (١/ ٧٣)، حل: (٤/ ٢٩٧)، [«ص.ج»(٣٢٠٠)].
(٢) **صحيح**: خ: (٥٧٦٩). (٣) **صحيح**: خ: (٥٧٦٦)، م: (٣٧).
(٤) **صحيح**: م: (٣٧).
(٥) **صحيح**: ت: (٢٠٠٩)، هـ: (٤١٨٤)، حم: (٢/ ٥٠١)، حب: (٦٠٨)، ك: (١/ ١١٨)، خد: (١٣١٤)، طب: (١٨/ ١٧٨)، [«ص.ج» (٣١٩٩)].
(٦) **صحيح**: خ: (٩).

أولاً ـ بالنسبة لحفظ الرأس وما وعى:

فحفظ الرأس عامة هو: أن يستحيي من الله حق الحياء، وأن يحفظ رأسه من أن تسجد لغير الله، وأن يحفظ رأسه من أن تركع لغير الله، فمن سجد لغير الله فقد أشرك، ومن أشرك دخل النار، يقول ﷺ: «**لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»[(١)]. فلما لم يأمر النبي ﷺ المرأة أن تسجد لزوجها دلّ على أن السجود لغير الله حرام وشرك، الذين يركعون لغير الله! الذين يركعون للدينار وللمنصب ارتكبوا ما هو شرك وحرام، والله ﷻ يقول: ﴿**إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ**﴾ [المائدة: ٧٢].

• وعلى المسلم العاقل أن يحفظ رأسه من أن يتكبر على خلق الله، فمن تكبر وتعالىٰ برأسه على خلق الله حُرِمَ الجنة، يقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[(٢)].

عباد الله! ومن حفظ الرأس وما وعى، أن يحفظ المسلم رأسه وما تحوي من الحواس كالفم، واللسان، والعين، والأذن، أما بالنسبة لحفظ الفم فعلى المسلم أن يستحيي من الله حق الحياء، وأن يحفظ فمه من الحرام، ومن أكل الحرام، ومن شرب الحرام ومن التغذي على الحرام.

فالذي يأكل الربا لا يستحيي من الله، والذي يأخذ الرشوة ويُطعمها نفسه وأولاده لا يستحيي من الله، والذي يدخن الدخان الخبيث المحرم لا يستحيي من الله، والذي يأكل من الغش والسرقة لا يستحيي من الله.

فمن الحياء أن تحفظ الفم من الحرام؛ لأنه إذا نبت هذا الجسد من الحرام فالنار أولى به، يقول ﷺ: «**كل جسد نبت من سُحت فالنار أولى**

---

(١) **حسن صحيح**: ت: (١١٥٩)، هـ: (١٨٥٢)، حم: (٦/ ٧٦)، ك: (٤/ ١٩٠)، مي: (١٤٦٤)، ش: (٣/ ٥٥٨)، هق: (٧/ ٢٩١)، [«ص.غ.هـ» (١٩٤٠)].

(٢) **صحيح**: م: (٩١).

به»[١]، والإنسان إذا أكل الحرام حُرِمَ إجابة الدعاء، والله ﷻ لن يستجيب له.

قال ﷺ: «**إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال ـ تعالى ـ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون: ٥١] ـ الآية. **وقال تعالى ـ** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢] ـ **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء، يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يُستجاب لذلك؟»**[٢].

● أما بالنسبة لحفظ اللسان، فعلى المسلم العاقل أن يحفظ لسانه من قول الفحش، ومن قول الزور، ومن الغيبة والنميمة، ومن الكذب، لقوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[٣]، ولقوله ﷺ لمعاذ: «**كفّ عليك هذا**» ـ وأشار إلى لسانه[٤] ـ فمن حفظ لسانه، ومن أمسكه عن الكذب وعن الغيبة وعن النميمة، وعن شهادة الزور، وعن الغناء، دخل الجنة، قال ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه، أضمن له الجنة**»[٥]، حفظ اللسان فيه النجاة، قال عقبة رضي الله عنه: ما النجاة يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابكِ على خطيئتك**»[٦]، ومن أطلق لسانه يا عباد الله دخل النار، وندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

---

(١) **صحيح**: هب: (٥/٥٦)، حل: (١/٣١)، [«ص.ج» (٤٥١٩)].
(٢) **صحيح**: م: (١٠١٥).
(٣) **صحيح**: خ: (٦١١١٠)، م: (٤٨).
(٤) **صحيح**: ت: (٢٤٠٦)، حم: (٥/٢٥٩)، طب: (١٧/٢٧٠)، هب: (١/٤٩٢)، [«ص.غ.هـ» (٢٧٤١)].
(٥) **صحيح**: خ: (٦١٠٩).
(٦) **صحيح**: ت: (٢٤٠٦)، [«ص.غ.هـ» (٢٧٤١)].

• يقول معاذ رضي الله عنه: وإن لمؤاخذون بما نتكلم يا رسول الله؟ قال: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكبُّ الناسَ في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**»(١).

• أما بالنسبة لحفظ العين: فيجب على المسلم العاقل أن يحفظ عينه من أن تنظر إلى متاع الحياة الدنيا الذي متع الله به الكفار ليفتنهم فيه، فيجب على المسلم العاقل أن يحفظ بصره من النظر إلى متاع الدنيا الزائل. قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١]. والزهرة سرعان ما تذبل، وسرعان ما تزول.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧]. وقال ﷺ: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم ـ أي في الدنيا ـ ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**»(٢). وعلى العاقل أن يحفظ بصره من النظر إلى النساء، استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، واستجابة لقوله ﷺ: «**اصرف بصرك**»(٣)؛ لأن الشر كله في إطلاق النظر، وإن الذين يطلقون أبصارهم في الشوارع على النساء، يعيشون عيشة الجحيم، ويتألمون بالليل والنهار، فإن زنا فبسبب النظر، وإن أبغض زوجته فبسبب النظر، وإن أدرك الشر في بيته فبسبب النظر، كما تدين تدان ولذلك قال القائل:

كلُّ الحوادث مَبْداها من النظر ... ومعظمُ النارِ من مُستصغر الشررِ
والمرءُ ما دامَ ذا عينٍ يقلبُهَا ... في أعْينُ الغِيْدِ موقوفٌ على الخطرِ
كم نظرةٍ فعلتْ في قلبِ صاحبِهَا ... فعلَ السهام بلا قوسٍ ولا وترِ

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٦١٦)، هب: (٣٩٧٣)، حم: (٥/ ٢٣١)، ك: (٢/ ٤٤٧)، لس: (٥٦٠)، عب: (١١/ ١٩٤)، [«ص.ج» (٥١٣٦)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٩٦٣).

(٣) **صحيح**: م: (٢١٥٩).

يسرُ ناظِرَهُ ما ضرَّ خاطِرَهُ   لا مرحباً بسرورٍ جاءَ بالضررِ

• أما بالنسبة لحفظ الأذن: فيجب على المسلم أن يستحيي من الله، فلا يستمع إلى النميمة ولا إلى الغناء والموسيقا ولا إلى الكذب، ولا إلى شهادة الزور، ومن جلس في مجلس غيبة أو نميمة يستمع فقط ولا يغتاب فهو مشترك معهم في الجريمة وهم في الإثم سواء، والله ﷻ قد وصف عباده الصالحين بأنهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٥].

عباد الله! النظر إلى الحرام زنا، والكلام في الحرام زنا، والاستماع إلى الحرام زنا، يقول ﷺ: «**كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا، مُدركٌ ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرِّجْل زناها الخُطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذّبه**»[١].

فاتقوا الله عباد الله، وليحفظ كل منا رأسه وما وعى.

• ومِنْ حِفْظِ الرأس وما وعى.

أن يحفظ الرجل لحيته من الحلق.

فحلق اللحية حرام؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**اعفوا اللحى**»[٢]، «**وفروا اللحى**»[٣]، «**أرخوا اللحى**»[٤] وهذه أوامر، والأمر للوجوب، فمن حلق لحيته فقد خالف أمر رسول الله ﷺ، والله ﷻ يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

• ومن حفظ الرأس وما وعى:

أن تحفظ المرأة وجهها من إزالة الشعر، فمن أزالت الشعر من

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦٥٧).
(٢) **صحيح**: خ: (٥٥٥٤)، م: (٢٥٩). (٣) **صحيح**: خ: (٥٥٥٣).
(٤) **صحيح**: م: (٢٦٠).

وجهها فهي نامصة، وهي ملعونة لأن الرسول ﷺ لعن النامصة والمتنمصة.

ثانياً ـ وليحفظ البطن وما حوى: وحفظ البطن ـ يا عباد الله ـ أن يحفظ كلٌّ منا بطنه من أكل الحرام، وشرب الحرام، والتغذي على الحرام.

• ومن حفظ البطن وما حوى أن يحفظ فرجه من الحرام، وأن يحفظ رجليه من أن تمشي إلى الحرام، وعلى المرأة أن تستحيي من الله، وأن تحفظ ساقيها من أن تكشفهما في الشوارع، فالمرأة الكاسية العارية خرج منها الحياء وتبعه الإيمان، والرسول ﷺ يقول: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»(١).

ثالثاً ـ ولتذكر الموت والبلى:

فالعاقل الذي يستحيي من الله حق الحياء هو الذي يذكر الموت دائماً، وما أدراك ما الموت؟! ويذكر البلى دائماً، وما أدراك ما البلى؟!

• **فالذي يكثر من ذكر الموت ينتفع بما يلي:**

أولاً: يرضى بما قسم الله له؛ لأن الإكثار من ذكر الموت يقلل الكثير، ويكثر القليل، والعبد إذا علم أنه سيموت، وأنه راحل من هذه الدنيا رضي بما قسم الله له.

ثانياً: ذكر الموت يجعلك تستعد للقاء الله؛ لأنه من عَلِم أنه من هذه الدنيا راحل، فليعلم بأنه محتاج إلى زاد، والزاد الذي ينفعه هو التقوى.

تزود منْ معاشِكَ للمعادِ ... وقمْ لله وأجمعْ خيرَ زادِ
ولا تجمعْ منَ الدنيا كثيراً ... فإنَّ المالَ يُجْمَعُ للنفادِ
أترضى أنْ تكونَ رفيقَ قومٍ ... لهمْ زادٌ وأنتَ بغيرِ زادِ؟!

ثالثاً: من أكثر من ذكر الموت والبلى ابتعد عن المعاصي.

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧٦٩).

لأن من علم أَنه سيموت علم أَنه إلى الله راجع، ومن علم أَنه إلى الله راجع فليعلم أَنه موقوف، ومن علم أَنه موقوف فليعلم أنه مسؤول، ومن علم أَنه مسؤول استعد للإجابة من الآن، فأعرض عن المعاصي، وأقبل على الله بالتوبة النصوح، ولذلك قال ﷺ: «**أكثروا من ذكر هاذم اللذات: الموت**»(١). ولذلك انظروا إلى الذين لا يذكرون الموت، ولا يسمعون المواعظ، فتراهم دائماً وأبداً في المعاصي، وانظر إلى هذا الفقير الذي يحافظ على قراءة القرآن، وعلى دروس العلم، وعلى الصلاة في جماعة، ويعمل بما يسمع، ويزور المقابر ليتعظ، تراه دائماً زاهداً الدنيا مقبلاً على الله ﷻ، فمن أخذ بهذه الوصية: «**أكثروا من ذكر هاذم اللذات: الموت**»، انتفع نفعاً عظيماً.

نسيرُ إلى الآجالِ في كلِّ لحظةٍ وأيامُنَا تُطْوى وهُنَّ مراحلُ

ولَمْ أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنَّه إذا ما تخطتْهُ الأمانيُّ باطلُ

ترحلْ منَ الدنيا بزادٍ منَ التقى فعمركَ أيامٌ وهُنَّ قلائلُ

رابعاً ـ ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا:

وإن منَ الاستحياءِ منَ الله أن تُقبل على الآخرة، وأن تترك زينة الحياة الدنيا.

عباد الله! المسلم في هذه الدنيا غريب، وعليه في بلد الغربة أن يستعد ويتجهز حتى يسافر إلى وطنه الأصلي الذي كان فيه أبوه آدم إلى الجنة، ولذلك يقول ﷺ لابن عمر: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»(٢). فالمسلم في هذه الدنيا يرغب في الآخرة ويتجهز للآخرة، أما إذا ركن إلى الدنيا وتجهز للدنيا، وعمل للدنيا، وتعلم للدنيا، وسافر

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٣٠٧)، ت: (١٨٢٤)، هـ: (٤٢٥٨)، حم: (٢/٢٩٢)، حب: (٢٩٩٢)، ك: (٤/٣٥٧)، طس: (٦/٥٦)، [«ص.ج» (١٢١٠)].

(٢) **صحيح**: خ: (٦٠٥٣).

للدنيا، ونام واستيقظ على حب الدنيا، ورضي بالدنيا عن الآخرة، فهذا نادم لا محالة، والعاقل من اتعظ بغيره.

• فهذا قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم؛ لأنه رضي بالدنيا، وزينتها، ونسي الآخرة.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٩]. . . إلى أن قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].

عباد الله! «استحيوا من الله حق الحياء. . .».

نسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم

أن يرد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

* * *



الوصية الخامسة عشرة:
«يا معشر المهاجرين، خصال خمس...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله ـ تعالى مع الوصية الخامسة عشرة.

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر المهاجرين، خصال خمسُ إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تُدركوهن: لم تظهر الفاحشةُ في قومٍ قط حتى يُعلنوا بها؛ إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكنْ مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجَور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنِعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلَّط الله عليهم عدوهم من غيرهم، فأخذوا بعض ما كان في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله عز وجل ويتحرَّوا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم**»[(١)].

أمة الإسلام! وصية عظيمة من رسول عظيم ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤]، يحذر فيها ﷺ أمته من الذنوب والمعاصي، ويبيّن لهم أن المعاصي والذنوب سبب لكل شر، فيقول ﷺ لأمته ناصحاً أميناً: «**لم تظهر الفاحشة في قوم قط..**» الوصية.

---

(١) **صحيح**: هـ: (٤٠١٩)، طس: (٥/ ٦١)، ك: (٤/ ٥٨٢)، هب: (٧/ ٣٥١)، حل: (٨/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤)، [«ص.ج» (٧٩٧٨)].

١ ـ إذا ظهرت الفاحشة في قوم وأعلنوا بها ـ هذه هي المعصية ـ عاقبهم الله بأن فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا.

٢ ـ وإذا نقصوا المكيال والميزان ـ هذه هي المعصية ـ ابتلاهم الله بالسنين أي: بالجدب والقحط، وشدة المؤنة؛ أي: بالضنك وغلاء المعيشة وجور السلطان عليهم فيسومهم سوء العذاب.

٣ ـ إذا منعوا زكاة أموالهم حرمهم الله القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا.

٤ ـ وإذا نقضوا عهد الله وعهد رسوله سلّط الله عليهم الأعداء مِنْ كل مكان فأخذوا ما في أيديهم، ولم يرقبوا في مؤمن إلّاً ولا ذمة.

٥ ـ وإذا تحاكموا لغير ما أنزل الله جعل الله بأسهم بينهم، نعم يا عباد الله الجزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربك أحداً. قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت: ٤٦].

أمة الإسلام! اصدقوني القول، هل ظهرت فينا الفاحشة؟ هل أعلنَّا بها؟ هل ظهر الزنا في بلاد المسلمين؟ هل ظهر العري والسفور في بلاد المسلمين؟ هل ظهر اللواط في بلاد المسلمين؟ هل ظهرت الفاحشة؟ الجواب: نعم.

● هل أعلنا بها؟ هل في بلاد المسلمين اليوم من يمشي من الرجال بين الناس في المناطق العامة ويدلل على العاهرات مقابل مبلغ من المال؟ هل يوجد هذا في بلاد المسلمين؟ هل هناك من العاهرات في بلاد المسلمين من تطوف على المحلات التجارية وتعرض نفسها للفاحشة مقابل مبلغ من المال؟ هل ظهر هذا في بلاد المسلمين؟ فهل حلّ بنا العقاب؟ وظهرت فينا الأمراض التي لم نسمع بها من قبل؟ كل منا يسأل والده هل سمع بمرض الإيدز الذي نسمع به اليوم، الجواب سيكون: لا، ولكننا لما

اقترفنا المعاصي، حلّت بنا الأمراض التي لم نسمع بها من قبل كما أخبر النبي ﷺ فقال: «**إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**».

• هل نقصنا المكيال والميزان، هل من التجار من يغش ويتلاعب في المكيال والميزان؟ هل نغش في البيع والشراء؟ فابتلانا الله بالقحط والجدب والضنك، وغلاء المعيشة، وجور السلطان، هل ابتلينا بذلك؟ انظروا إلى بلاد المسلمين، الأمة الوحيدة التي يُقتل ويُسجن في كل مكان أبناؤها هي أمة الإسلام! أعرفتم السبب؟ إنهم حين نقصوا المكيال والميزان أُخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجَور السلطان عليهم، فهل ظهر هذا في بلاد المسلمين؟ الجواب: نعم.

• هل منع الأغنياء ـ إلا من رحم ربي ـ زكاة المال؟ فحرمنا الله القطر من السماء؟

عباد الله! المطر يريد أن ينزل وترفعه معاصينا، والله الذي لا إله غيره لو أن عاقلاً ينظر بعينه إلى المطر يجده يريد أن ينزل ولكن حرمنا الله منه بسبب معاصينا وخطايانا ومنعنا للزكاة، فحلَّ بنا ما أخبر به النبي ﷺ: «**إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا**»، هل منع الأغنياء زكاة أموالهم؟ ويا ليتهم منعوا زكاة أموالهم فقط، بل وضعوا أموالهم في البنوك لتربوا، ولا تربوا عند الله، بارزوا الله بالمعاصي بأموالهم.

• هل نقضنا عهد الله وعهد رسوله؟ فسلّط الله علينا الأعداء من كل مكان فلا يرقبون فينا إِلّاً ولا ذمة؟ عباد الله! ها هم إخوة القردة والخنازير سلّطهم الله على خير أمة أخرجت للناس، والسبب: أننا نقضنا عهد الله، وعهد رسوله.

• هل تحاكمنا إلى القوانين الوضعية، وتركنا حكم الله؟ الجواب: نعم، في كل بلاد الدنيا إلا من رحم ربي.

• هل جعل الله بأسنا بيننا؟ نعم؛ فُرقة، تحاسد، كل حزب بما

لديهم فرحون ولا يظلم ربك أحداً، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس: ٤٤]، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء: ٧٩] أي: بذنبك. يقول ﷺ: «**المصائب، والأمراض، والأحزان في الدنيا جزاء**»[1] أي: من الله ﷻ بسبب الذنوب، والله ﷻ يؤاخذ الناس ببعض ما كسبوا، قال ـ تعالى ـ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]. الفساد ظهر في البر والبحر ليس بما كسبت أيدي الأسماك، ولا بما كسبت أيدي الطيور، ولا بما كسبت أيدي الدواب، إنما بما كسبت أيدي الناس. يا ابن آدم! ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [عبس: ١٧] السمك يموت في البحر بسبب معاصينا، الطيور تموت في الجو بسبب معاصينا، الفساد ظهر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون، ولو أذاق الله الناس بكل ما عملوا ما ترك على ظهر الأرض من دابة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر: ٤٥].

فالجزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربك أحداً، أعمالٌ صالحة جزاؤها الخير عاجلاً وآجلاً.

والله ﷻ ربط سعادة الدنيا والآخرة بالأعمال الصالحة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ﴾ [النحل: ٩٧]، والأعمال السيئة جزاؤها الضنك

(١) **صحيح**: حل: (٨/ ١١٩)، [«ص.ج» (٦٧١٧)].

والعذاب عاجلاً وآجلاً. فالله ﷻ ربط بين الضنك في الحياة، وبين الأعمال السيئة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤]. وإذا عدنا يا عباد الله إلى الوصية العظيمة التي بين أيدينا يقول ﷺ: «**إذا ظهرت الفاحشة في قوم وأعلنوا بها..**» فبسبب وجود الفاحشة، والإعلان بها يكون العقاب: أمراض خطيرة فتاكة تعذب بني آدم. ولعل سائل يسأل **ما هي الفاحشة؟ نقول:**

• الزنا فاحشة كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢]، وكما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ [النساء: ١٥].

• العري والسفور فاحشة، كما قال تعالى عن كفار مكة عندما طافوا بالبيت عراة رجالاً ونساءً: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف: ٢٨]، الله لا يأمر بالفحشاء، الله ينهى عن الفحشاء، أما الذي يأمر بالفحشاء فهو إبليس وجند إبليس.

• اللواط فاحشة، قال لوط لقومه: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠] وقد ظهر الزنا، واللواط، والتبرج، في بلاد المسلمين وفي بيوت بعض المصلّين، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا يظلم ربك أحداً، (ستلايت)، مفسديون، مجلات خليعة، انحلال في الأسرة، سقوط من الأب، سقوط من الأولاد!! ماذا تنتظر بعد ذلك؟ إنها الفاحشة، وإذا لم تتذكر وتستيقظ يا عبد الله الآن فستندم بعد فوات الأوان، ستندم إذا طأطأت الرأس، ستندم إذا وقعت الفاحشة، ستندم إذا حملت ابنتك، أو حملت أنت جرثومة الإيدز، فضيحة في الدنيا، وخزي يوم القيامة أمام الله.

ويقول ﷺ في وصيته: «**ولم ينقصوا المكيال والميزان..**»، إلَّا

عُوقبوا بالجدب، والقحط، والضنك، وشدة المؤنة وجَور السلطان عليهم.

عباد الله! **التلاعب في الكيل والميزان جريمة.** الله ﷻ قال: ﴿أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ١٨١﴾ [الشعراء: ١٨١]، والله ﷻ قال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ٨﴾ [الرحمن: ٧، ٨].

● وتوعد الله ﷻ الذين يتلاعبون في الكيل والميزان، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [المطففين: ١ ـ ٦].

أيها المتلاعب في الكيل والميزان، أيها الغشاش في البيع والشراء:

مَثِّلْ وقوفَكَ يومَ العرض عُرياناً ... مُستوحِشاً قَلِقَ الأحشاءِ حيرانا

والنارُ تلهبُ منْ غيظٍ ومَنْ حَنَقٍ ... على العصاةِ وربُ العرشِ غضبانا

إقرأْ كتابَكَ يا عبدي على مَهَلٍ ... فهلْ ترى فيهِ حرفاً غيرَ ما كانا

لما قرأت ولم تنكر قراءته ... إقرارَ مَنْ عرفَ الأشياءَ عِرْفانا

نادى الجليل: خذوهُ يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنارِ عطشانا

المجرمون غداً في النار يلتهبوا ... والمؤمنون في دار الخلد سكانا

عبادَ الله! ويقولُ ﷺ في وصيته: «**وإذا منعوا زكاة أموالهم**».

فمنع الزكاة جريمةٌ؛ لأن الزكاةَ ركنٌ منْ أركان الإسلام ولقد قرن الله الزكاة مع الصلاة في مواضع كثيرة من كتابه العزيز، والذين يصلّون ويمنعون الزكاة قد وقعوا في إثم عظيم، وحاربوا الله ﷻ، وتسببوا في نشر الفساد في البر والبحر، وحرمت البشرية المطر بسبب ظلمهم، فليتق الله الأغنياء الذين منعوا الزكاة فحرمنا الله المطر بسببهم.

● ويقول ﷺ في وصيته الجامعة: «**ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله..**».

عباد الله! العهد الذي بيننا وبين الله أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئاً وألا نعبد الشيطان.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ۝٦٢﴾ [يس: ٦٠، ٦٢].

• والعهد الذي بيننا وبين رسول الله أن نسلك منهجه، وأن نسلك سبيله، وأن نمشي خلفه إلى أن نصل إلى الجنة.

كما قال ﷺ: «**فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة**»[1].

• ويقول ﷺ في وصيته الجامعة: «**وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله..**».

أمـــة الإســـلام! ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة: ٥٠]، أرضيتم يا أمة الإسلام بالقوانين الوضعية، ونبذتم كتاب ربكم وراء ظهوركم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٧٩﴾ [البقرة: ١٧٩]، الأمان والأمن في ظل الإسلام وفي تطبيق الإسلام، وإذا تحاكمنا إلى القوانين الوضعية حرمنا الله الأمن والأمان وجعل بأسنا بيننا!

فيا أمة الإسلام! عودوا إلى ربكم، وتوبوا إلى الله من المعاصي، فالمعاصي والذنوب شؤم في الدنيا والآخرة، وسيندم الإنسان في وقت لا ينفع فيه الندم، إنها الذكرى والذكرى تنفع المؤمنين.

اللّهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، ولا تهلكنا بما فعل المبطلون

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: [«س.ص» (٢٧٣٥)] وقد تقدم تخريجه.



٨٠

الوصية السادسة عشرة: أيُّ المؤمنين أَفضلُ؟

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية السادسة عشرة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنت مع رسول الله ﷺ فجاءه رجل من الأنصار فسَلَّمَ على النبي ﷺ ثم قال: يا رسول الله، أي المؤمنين أفضل؟ قال: «**أحسنهم خُلقاً**»، قال: فأيُ المؤمنين أكيس؟ قال: «**أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم لما بعده استعداداً، أولئك الأكياس**»(١). وصية عظيمة من رسول عظيم يبيّن فيها لأمته من هو أفضل المؤمنين، ومن هو أعقل المؤمنين.

أمة الإسلام! جاء الإسلام ـ وهو الدين العظيم ـ إلى البشرية جمعاء يدعوها إلى مكارم الأخلاق، يدعوها إلى كل خُلق كريم، وإلى كل خُلق حميد، وإلى كل خُلق حسن. بُعِثَ ﷺ في الناس ليتمم مكارم الأخلاق، كما قال ﷺ: «**إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(٢). وضرب ﷺ مثلاً أعلى في حسن الخُلق ويكفيه شهادة الله فيه، فالله عز وجل قال في كتابه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

ولقد رَّغب ﷺ في حسن الخلق.

- فبيّن لأمته أن حسن الخلق يجعل صاحبه من أفضل المؤمنين كما

---

(١) **حسن**: هـ: (٤٢٥٩)، هب: (٦/ ٢٣٥)، [«ص.غ.هـ» (٣٣٣٥)].

(٢) **صحيح**: صحيح: (٢/ ٦٧٠)، هق: (١٠/ ١٩١)، [«س.ص» (٤٥)].

تبيّن لنا من هذه الوصية التي بين أيدينا، يا رسول الله، من أفضل المؤمنين؟ فقال ﷺ: «**أحسنهم خلقاً**».

• وبيَّن ﷺ لأمته أن حسن الخلق يجعلك من أكمل المؤمنين إيماناً، فقال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً**»(١).

• وبيَّن ﷺ لأمته أن حسن الخلق يجعلك من خيرة الناس، فقال ﷺ: «**إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً**»(٢).

• وبيَّن ﷺ مرغباً أُمّته في حسن الخلق أنه يثقل الميزان يوم القيامة فقال ﷺ: «**ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق**»(٣).

• وبيَّن ﷺ أن حسن الخلق سبب من أسباب دخول الجنة حين سُئِل ﷺ عن أكثر ما يدخل الجنة، فقال ﷺ: «**تقوى الله وحسن الخلق**»(٤).

عباد الله! كيف يصل أحدنا إلى هذه الدرجة من الخلق الحسن؟.

أولاً: عليه أن يلتجئ إلى الله ﷻ، ويطلبَ منه بالليل والنهار أن يحسِّن خُلقه، تقول عائشة ؅: كان ﷺ يكثر من قوله ودعائه: «**اللّهم كما أحسنت خَلْقي؛ فأحسن خُلُقي**»(٥).

ثانياً: علينا أن نتأسى برسول الله ﷺ، فقد ضرب لنا ﷺ مثلاً أعلى

---

(١) **صحيح**: د: (٤٦٨٢)، حم: (٢/ ٥٢٧)، مي: (٢٧٩٢)، حب: (٤٧٩)، ك: (١/ ٤٣)، ش: (٥/ ٢١٠)، هـب: (١/ ٦٠)، هـق: (١٠/ ١٩٢)، [«ص.ج» (١٢٣٠)].

(٢) **صحيح**: خ: (٥٦٨٨)، م: (٢٣٢١).

(٣) **صحيح**: د: (٤٧٩٩)، حم: (٦/ ٤٤٨)، ش: (٥/ ٢١١)، هب: (٦/ ٢٣٨)، حل: (٥/ ٢٤٣)، [«ص.غ.هـ» (٢٦٤١)].

(٤) **حسن**: ت: (٢٠٠٤)، حب: (٤٧٦)، خد: (٢٩٤)، لس: (٢٤٧٤)، هب: (٥/ ٥٥)، [«س.ص» (٩٧٧)].

(٥) **صحيح**: حم: (٦/ ٦٨)، حب: (٩٥٩)، لس: (٣٧٤)، ع: (٩/ ٩)، هب: (٦/ ٣٦٤)، [«ص.غ.هـ» (٢٦٥٧)].

في حسن الخلق، والله ﷻ أمرنا أن نتأسى به فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ثالثاً: علينا أن نتخلق بما جاء في القرآن؛ فرسولنا ﷺ تخلَّق بما أمره الله في القرآن، فقد سُئلت عائشة ﵂ عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: «... **فإن خُلق نبي الله ﷺ كان القرآن...**»(١).

رابعاً: علينا بمصاحبة الصالحين وبمجالسة الأخيار، فالمرء على دين خليله كما قال ﷺ: «**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»(٢)، وكما قال القائل:

عن المرء لا تَسَلْ وسَلْ عنْ قرينِهِ
فكُل قرينٍ بالمقارَنِ يقتدي

عباد الله! من أفضل المؤمنين؟ يقول ﷺ: «**أحسنهم خلقاً**»، ثم يسأل الصحابي الجليل: يا رسول الله من أكيس الناس؟ فيقول ﷺ: «**أكثرهم للموت ذكراً..**».

عباد الله! الرسول ﷺ يخبرنا أن العاقل هو الذي يكثر من ذكر الموت أتدرون لِمَ يا عباد الله؟ لأن الإنسان إذا أكثر من ذكر الموت قلَّ عنده الكثير، وكثر عنده القليل، وهانت عليه الدنيا، واستعد للموت وما بعد الموت، وهذا والله هو عين العقل؛ لأن العاقل هو الذي يعلم أنه عن هذه الدنيا راحل، وإلى الله راجع، وأمام الله موقوف، وعن كل صغيرة وكبيرة مسؤول، فيستعد للموت وما بعد الموت.

• والمجنون هو الذي نسي الموت وانشغل بالدنيا وبجمع المال من حله ومن غير حله حتى نزل به الموت فقال: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾، يقال له: ﴿كَلَّآ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] فالعاقل مَنْ أكثر

---

(١) **صحيح**: م: (٧٤٦).

(٢) **حسن**: د: (٤٨٣٣)، ت: (٢٣٧٨)، حم: (٢/ ٣٣٤)، ك: (٤/ ١٨٨)، لس: (٢٥٧٣)، هب: (٧/ ٥٥)، [«ص.ج» (٣٥٤٥)].

مِنْ ذكر الموت وجعل الموت دائماً بين عينيه، والله ﷻ في كتابه يذكرنا بالموت، فالله ﷻ يقول لرسوله ﷺ ولكل البشرية: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣٠]، ويقول الله ﷻ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن: ٢٦]، ويقول الله ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ويقول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨]. ويقول الله ﷻ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨].

وهذا جبريل عليه السلام يذكِّر محمداً ﷺ وأمته بالموت، يقول جبريل عليه السلام: «**يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به**»[1].

عباد الله! هل يستطيع كل منا الآن أن يضع نفسه مكان محمد ﷺ ويعتبر هذا الخطاب موجهٌ من جبريل عليه السلام له؟!.

• يا جامع الملايين، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب يا صاحب المال من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به.

• ويا ظالمُ، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به.

• ويا تارك الصلاة، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزي به.

ورسولنا ﷺ يأمرنا بالإكثار من ذكر الموت فيقول ﷺ: «**أكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت**»[2].

ابن آدم! أكثر من ذكر الموت لأنه يهدم اللذات التي استعبدتك من دون الله، فالموت يأتيك بغتة ليخرجك من الدنيا وأنت لا تحب أن تخرج

---

(١) **حسن**: ك: (٤/ ٣٦٠)، طس: (٤/ ٣٠٦)، هب: (٧/ ٣٤٩)، حل: (٣/ ٢٥٣)، [«ص.ج» (٧٣)].

(٢) **صحيح**: ت: (٢٣٠٧)، ن: (١٨٢٤)، هـ: (٤٢٥٨)، حم: (٢/ ٢٩٢)، حب: (٢٩٩٢)، ك: (٤/ ٣٥٧)، [«ص.ج» (١٢١٠)].

منها، وكان ﷺ إذا انقضى ثلثا الليل قام من نومه ﷺ يقول: «**يا أيها الناس! اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه**»[(١)].

وكان السلف الصالح يكثرون من ذكر الموت.

• فهذا الفاروق عمر رضي الله عنه يكثر من ذكر الموت وكان كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات، يعظ نفسه ويذكَّرها بالموت فيقول:

لا شيءَ مما ترى تبقى بشاشتُهُ يبقى الإلهُ ويفنى المالُ والولدُ
لم تغن عنْ هرمزٍ يوماً خزائنُهُ والخلدَ قد حاولتْ عادٌ فما خلدوا
ولا سليمانَ إذ تجري الرياحُ لهُ والإنسُ والجنُ فيما بينها تردُ
أينَ الملوكُ التي كانتْ لعزتِهَا منْ كل أوبٍ إليها وافدٌ يفدُ
حوضٌ هنالك مورودٌ بلا كذبٍ لا بد منْ ورده يوماً كما وردوا

يا صاحبَ المنصبِ، يا صاحب المال، يا صاحب الجاه والسلطان، يا صاحب الوزارة، يا أيها المريض، يا أيها الفقير، يا أيها الغني، تجهزْ للموت قبل أن يفاجئك؛ فالموت يأتي بغتة.

تجهز للذي لا بُدَّ منه فإنَّ الموت ميقات العبادِ

• وهذا رجل ممن سبق إلى الله جلس يوماً يعاتب نفسه ويذكرها بالموت، وكان اسمه يزيد فيقول لنفسه: (ويحك يا يزيد، من ذا يصلّي عنك بعد الموت؟ ويحك يا يزيد من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ ويحك يا يزيد من ذا يُرْضي عنك ربك بعد الموت؟ ثم يقول الرجل: يا أيها الناس، ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم، من الموت طالبه، والقبر بيته، والتراب فراشه، والدود أنيسه، وبعد ذلك ينتظر الفزع الأكبر، ثم يبكي الرجل حتى يقع مغشياً عليه).

---

(١) **حسن صحيح**: ت: (٢٤٥٧)، ك: (٢/ ٤٥٧)، هب: (٢/ ١٨٧)، [«ص.غ.هـ» (١٦٧٠)].

عباد الله! إن الإكثار من ذكر الموت دليل رجحان العقل.

ومن الأمور التي تعين على الإكثار من ذكر الموت:

١ ـ زيارة القبور: فيا جامع المال، ويا طالب المنصب، إذا أردت أن تتذكر الموت فاذهب إلى المقابر فإن في زيارتها تذكرة للآخرة.

يقول ﷺ: «**نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإن في زيارتها تذكرة**»(١). وفي رواية أخرى: «**ألا فزوروها فإنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجرا**»(٢). فيا عبد الله! اذهب إلى المقابر، واجلس عندها وسلم على أهلها، وقل لنفسك: يا نفس، أصحاب القبور عاشوا في الدنيا، وبنوا القصور ووصلوا إلى المناصب، ومع ذلك جاءهم الموت، وانتقلوا إلى القبور، قل لها: يا نفس انظري إلى أموال الأموات قسمت على الورثة، قل لها: يا نفس، انظري إلى نساء الأموات تزوجت! قل لها: يا نفس انظري إلى أولاد الأموات تيتَّموا! قل لها يا نفس انظري إلى مناصب الأموات انتقلت إلى غيرهم، قل لها: يا نفس، أنت صائرة إلى ما صاروا إليه فتوبي إلى الله، وعودي إلى الله قبل فوات الأوان.

● (كان عثمان ـ رضي الله عنه ـ إذا وقف على قبرٍ يبكي حتى تبتل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**»، قال: وقال رسول الله ﷺ: «**ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه**»)(٣).

---

(١) **صحيح**: د: (٣٦٩٨)، طب: (٢/ ١٩)، عب: (٣/ ٥٦٩)، هق: (٩/ ٢٩٢)، [«ص.ج» (٦٧٨٨)].

(٢) **صحيح**: حم: (٣/ ٢٣٧)، ك: (١/ ٥٣٢)، هب: (٧/ ١٥)، هق: (٤/ ٧٧)، [«ص.ج» (٤٥٨٤)].

(٣) **حسن**: ت: (٢٣٠٨)، هـ: (٤٢٦٧)، حم: (١/ ٦٣)، ك: (١/ ٥٢٦)، هب: (١/ ٣٥٩)، هق: (٤/ ٥٦)، [«ص.هـ» (٣٤٤٢)].

عباد الله! ومن الأمور التي تذكر بالموت.

٢ ـ أن تحضر وتشاهد المحتضَرين وهم في سكرات الموت.

انظر إليه وهو يتألم، وانظر إليه وهو في شدة ما بعدها شدة، فالموت له سكرات كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩﴾ [ق: ١٩]. ورسولنا الكريم ﷺ وهو في سكرات الموت كان «**يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ إن للموت سكرات**»[(١)].

• وفاطمة رضي الله عنها بجواره تقول: واكرب أباه، فيقول لها ﷺ: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**»[(٢)]. الموت له سكرات قالوا: هي أشد من ضرب السيوف، وأشد من نشر المناشير، وأشد من قرض المقاريض، الألم يطغى على كل عضو في الإنسان حتى على لسانه فلا يستطيع الميت حتى أن يتأوَّه.

٣ ـ ومن الأمور التي تعين على ذكر الموت: الصلاة على الجنائز، فإذا صليت على جنازة فقل لنفسك: يا نفس، أنتِ الآن تصلين على الجنازة وغداً يصلّى عليكِ، وإذا حُملتْ الجنازة على الأعناق فقل لها، يا نفس أنتِ الآن تشاهدين الجنازة وغدا تُحملين على الأعناق، وإذا وضعت الجنازة في القبر وأهيل عليها التراب فقل لها: يا نفس، غداً تكونين في هذا المكان. فتوبي إلى الله.

أعرفتم يا عباد الله من العاقل؟ يقول ﷺ: «**أكثرهم للموت ذكراً**».

عباد الله! ويسأل السائل يا رسول الله: «**من أكيس المؤمنين فيقول** ﷺ: «**أكثرهم للموت ذكراً...**».

فالعاقل هو الذي يكثر من ذكر الموت، والعاقل هو الذي يستعد في الدنيا لما بعد الموت، والله ﷻ في كتابه يحذرنا من التفريط قبل الندم.

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٤٥).

(٢) **صحيح**: خ: (٤١٩٣).

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر: ١٨]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ٩ ـ ١١].

ورسولنا ﷺ يأمرنا بالاستعداد للموت والاستعداد لما بعد الموت قال ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً، ويصبح كافراً، يبيع دينه بعَرَض من الدنيا**»[(١)].

● ابن آدم، تجهز بالزاد الذي ينفعك بعد الموت، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [البقرة: ١٩٧].

أنت في دار العمل، والعمر ينتهي فجأة، والعمر قليل، والعمر هو رأس المال فإن ذهب العمر في جمع المال فمن يصلّي عنك بعد الموت، ومن الذي يُرْضي عنك ربك بعد الموت.

ابن آدم!

نسيرُ إلى الآجالِ في كلِّ لحظةٍ ... وأيامُنَا تُطوى وهنَ مراحلُ
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنهُ ... إذا ما تخطتْهُ الأمانيُّ باطلُ
ترحلْ منَ الدنيا بزادٍ منَ التقى ... فعمركَ أيامٌ وهنَّ قلائلُ

ابن آدم! تزود من حياتك فالموت يأتي بغتة، يأتي الوزير في وزارته، يأتي الرئيس في رئاسته، يأتي العريس في ليلة عرسه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: ٣٤].

---

(١) **صحيح**: م: (١١٨).

ابن آدم!

تزودْ منَ التقوى فإنكَ لا تدري إذا جنَّ ليلٌ هلْ تعيشُ إلى الفجرِ
فكمْ من صحيح ماتَ منْ غير علةٍ وكم من عليلٍ عاش حيناً منَ الدهرِ
وكم من صغار يُرْتَجى طولُ عمرِهم وقد أُدخلتْ أجسادُهُم ظلمةَ القبرِ
وكم من فتىً يمسي ويصبحُ ضاحكاً وقدْ نُسجتْ أكفانُهُ وهوَ لا يدري
وكمْ منْ عروسٍ زيَّنوها لزوجها وقدْ قبُضت أرواحُهُمْ ليلةَ القدرِ

أسأل الله العظيم أن يخرجنا من الدنيا على (لا إله إلا الله)
اللّهم توفنا وأنت راض عنا

❊ ❊ ❊

٨١

الوصية السابعة عشرة (أ)
«أيّ الأعمالِ أحبّ إلى الله؟»

عباد الله! قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله ـ مع الوصية السابعة عشرة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله؛ أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربةً، أو يقضي عنه ديناً، أو يطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحبُ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد (يعني: مسجد المدينة) شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظهُ ـ ولو شاء أن يمضيه أمضاه ـ ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام، [وإن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل]**»[1].

---

(١) **حسن**: طب: (١٢/ ٤٥٣)، طس: (٦/ ١٣٩)، طص: (٢/ ١٠٦)، [«س. ص» (٩٠٦)].

وصية عظيمة نعيش معها ـ إن شاء الله تعالى ـ في يومنا هذا وفي الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية؛ فالآجال لا يعلمها إلا الله.

عباد الله! الصحابة رضوان الله عليهم جيل فريد اختاره الله لصحبة نبيّه، كانوا يسألون عن الخير ليفعلوه.

فكما ذكرنا في الجمعة الماضية أن رجلاً جاء يسأل: يا رسول الله؛ أي المؤمنين أفضل؟ ليكون منهم، وفي وصية اليوم رجل آخر يسأل: يا رسول الله؛ أي الناس أحب إلى الله؟ ليكون منهم، يا رسول الله: أي الأعمال أحب إلى الله؟ ليقوم بفعلها ابتغاء مرضاة الله.

فيتبيّن لنا أن الصحابة كانوا يسألون عن الخير ليستعدوا به لما بعد الموت، وهذا دليل صريح صحيح على أن الصحابة من أعقل الناس لأنه قد تبيّن لنا في الجمعة الماضية أن العاقل هو الذي يستعد للموت، وما بعد الموت، أما المجنون فهو الذي يعمل للدنيا ليلاً ونهاراً، ولا يعرف ربه إلا إذا نزل بساحته الموت فيقول: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ ـ فيقال له: ﴿كَلَّآ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

عباد الله! السائل يسأل يا رسول الله! من أحب الناس إلى الله؟

قال ﷺ: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس**».

كلما ازداد نفع العبد لإخوانه في الله كلما ازدادت محبة الله له، وكلما نقص نفع العبد لإخوانه في الله كلما نقصت محبة الله له.

والنفع في الوصية لا يقتصر على النفع المادي فقط، إنما يمتد إلى النفع بالعلم، وبالرأي، وبالنصيحة، وبالمال، وبالجاه، وبكل ما تملك، فمن أعطاه الله علماً نافعاً فنفع إخوانه بعلمه ابتغاء مرضاة الله أحبه الله، ومن أعطاه الله مالاً فنفع إخوانه في الله بماله ابتغاء مرضاة الله أحبه الله، ومن أعطاه الله جاهاً ومنصباً فنفع إخوانه في الله به ابتغاء مرضاة الله أحبه الله.

ابن آدم! وإذا أحبك الله لأنك تنفع الناس، حبَّب فيك جبريل وحبَّب فيك أهل السماء وجعل لك قَبولاً في الأرض.

يقول ﷺ: «**إن الله تعالى إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله تعالى يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضعُ له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضهُ، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض**»(١).

• وإذا أحب الله عبداً جعله عبداً ربانياً لا يسمع إلا ما يرضِي الله، ولا يتكلم إلا بما يرضي الله؛ أي إذا جعلك الله عبداً له، استخدمك في طاعته، ولئن سألته استجاب لك، ولئن استعذته أعاذك، ولئن استغفرته غفر لك، كما جاء في الحديث القدسي قال ﷺ قال تعالى: «... **وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذ بي لأعيذنَّه**..»(٢).

• وإذا أحبك الله لا يعذبك أبداً في النار. لأن الله لا يعذب حبيبه في النار، ولذلك قال ﷺ: «**والله لا يلقي الله حبيبه في النار**»(٣).

ولذلك لما قالت اليهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه قال الله ـ عز وجل ـ لرسوله ﷺ قل لهم: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ﴾ [المائدة: ١٨]، فإنهم إن زعموا وكذَّبوا، قيل لهم فإن كنتم أحبابه فلم يعذبكم بذنوبكم؟ فالله لا يعذب حبيبه.

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦٣٧). (٢) **صحيح**: خ: (٦١٣٧).

(٣) **صحيح**: حم: (٣/ ٢٣٥)، ك: (٤/ ١٩٥)، ع: (٦/ ٣٩٧)، هب: (٥/ ٤٢٢)، [«س.ص» (٢٤٠٧)].

عباد الله! والسائل يسأل: أي الأعمال أحب إلى الله؟ فيقول ﷺ: «**سرور يدخله على مسلم**».

فإدخال السرور على قلوب المسلمين من أحب الأعمال إلى الله، وإدخال الحزن على قلوب المسلمين من أبغض الأعمال إلى الله، فهنيئاً لمن أدخل السرور على قلوب المسلمين، ويا ويل من أدخل الحزن على قلوب المسلمين.

والسرور يختلف من إنسان إلى آخر، ومن وقت إلى آخر، ومن حين إلى آخر، فهناك من الناس من إذا ابتسمت في وجهه أدخلت السرور على قلبه، وهناك من الناس من إذا زرته في بيته أدخلت السرور على قلبه، وهناك من الناس من إذا قدمت له هدية ابتغاء مرضاة الله أدخلت السرور على قلبه.

يا رسول الله ما هي أحب الأعمال إلى الله؟ فقال ﷺ: «**أن تكشف عن مؤمن كربة**»، والكربة: هي الشدة التي تنزل بالعبد في الدنيا فتورثه الغم والهم والكرب. والله ﷻ وعد على لسان نبيه ﷺ أن من رفع كربة من كرب الدنيا عن مسلم رفع الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.

يقول ﷺ: «**من نفَّس عن مسلم كُربةً من كُرب الدنيا نفَّس الله عنه كُربة من كُرب يوم القيامة**»[1].

وَكُرَبُ الدنيا بالنسبة لكرب يوم القيامة لا شيء، فالكرب يوم القيامة شديدة، والأمر عظيم، والناس في أرض المحشر ينتقلون من شدة إلى شدة، ومن موقف إلى موقف.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ [الانشقاق: ١٩]؛ أي تنتقلون من شدة إلى شدة.

يقول الله ـ ﷻ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦٩٩).

شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ١، ٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان: ٣٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾﴾ [المزمل: ١٧، ١٨].

في هذا اليوم: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧].

الكل يقول: نفسي نفسي، والأنبياء يقولون في أرض المحشر اللّهم سلِّم سلِّم، الناس في هذا الموقف أجسادهم عارية، وأقدامهم حافية، ورؤوسهم شاخصة، والزحام شديد، والحر شديد.

ابن آدم!

مثلْ لِنَفْسِكَ أيُّهَا المَغْرورُ	يومَ القيامةِ والسماءُ تمورُ
إذا كورتْ شمسُ النهارِ وأدنيتْ	حتى على راسِ العبادِ تسيرُ
وإذا النجومُ تساقطتْ وتناثرتْ	وتبدلتْ بعدَ الضياءَ كُدورُ
وإذا البحارُ تفجرتْ منْ خوفها	ورأيتَها مثلَ الجحيم تَفورُ

عباد الله! آن الآوان أن نستيقظ، فالكرب يوم القيامة عظيم، ومن أراد أن ينجو من كرب يوم القيامة فليتقِ الله في الفقراء والمساكين والمكروبين. وليرفع كربة بماله، أو بصحته، أو بعشيرته، أو بمنصبه، عن مؤمن في الدنيا ليرفع الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.

أما والله لو عَلِمَ الأنامُ	لِمَا خُلِقُوا لما هَجَعُوا وناموا
لقدْ خُلِقُوا لأمر لو رأتْهُ	عيونُ قلوبهِمْ تاهُوا وهامُوا

مَـمَـاتٌ ثـمَّ قـبـرٌ ثـمَّ حـشـرٌ وتـوبـيـخٌ وأهـوالٌ عِـظَـامُ
ليومِ الحشرِ قدْ عمِلَتْ رجالٌ فصلوا منْ مخافتِهِ وصامُوا
ونـحـنُ إذا أُمِـرْنَـا أو نُـهِـيْـنَـا كـأهـلِ الـكـهـفِ أيـقـاظٌ نِـيـامُ

عبادَ الله! نسمع المواعظ وكأننا لا نسمعُ، فكم منا يعلم أن الربا حرام ولا زال يأكل الربا؟ وكم منا يعلم أن التبرج حرام ولا يزال يسمح لزوجته وابنته بالتبرج؟.

وكم منا يعلم أن الغيبة حرام، ولا يزال يغتاب؟.

وكم منا يعلم أن النميمة حرام، ولا يزال ينم وينقل الكلام؟.

● السائل يسأل: يا رسول الله ما أحب الأعمال إلى الله؟ يقول ﷺ: «**أو يقضي عنهُ ديناً**»، قضاء الدين عن المدينين من أحب الأعمال إلى الله.

والمدين هو: الذي أثقلته الديون وعجز عن تسديدها، فتسديد الديْن عنه من أحب الأعمال إلى الله، والله ﷻ جعل للغارمين أي المدينين نصيباً من أموال الزكاة.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة: ٦٠].

فيا عبد الله، إذا منَّ الله عليك بمال وبارك لك فيه فتفقد إخوانك في الله الذين أثقلتهم الديون، وسدد عنهم هذا الديْن، فقد سمعت من رسول لله ﷺ أن من أحب الأعمال إلى الله ـ تعالى ـ أن تقضِي عن مسلمٍ ديناً.

● السائل يسأل يا رسول الله ما أحب الأعمال إلى الله؟ فيقول ﷺ: «**أو تطرد عنه جوعاً**»، طرد الجوع عن الجائعين من أسباب دخول الجنة، وما أدراك ما الجوع!؟ وهناك أُسَرٌ تنام بلا طعام، والأغنياء لا يدرون أين يُلقون فضلات الطعام!

● طرد الجوع عن الجائعين من أسباب دخول الجنة.

يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢)﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٢].

عباد الله! البخل وعدم طرد الجوع عن الجائعين من أسباب دخول النار دار البوار.

قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤)﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٤].

ولقد حث الله عز وجل عباده على إطعام الجائعين.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦)﴾ [البلد: ١١ ـ ١٦].

والرسول ﷺ حث أمته على إطعام الجائعين فقال ﷺ: «**أطعموا الجائع، وعودوا المريض وفكوا العاني**»(١)، وقال ﷺ: «**أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام**»(٢).

- والله عز وجل توعَّد الذين لا يحضون على إطعام الطعام.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤)

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٠٥٨).

(٢) **صحيح**: هـ: (٣٢٥١)، حم: (٥/ ٤٥١)، مي: (١٤٦٠)، ك: (٣/ ١٤)، طس: (٥/ ٣١٣)، ش: (٧/ ٢٥٧)، هب: (٦/ ٤٢٤)، [«ص.غ.هـ» (٦١٦)].

فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: ٢٥ ـ ٣٧].

• ولقد نفى الرسول ﷺ الإيمان عمن بات شبعان وجاره جائع.

فقال ﷺ: «**ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه**»(١).

عباد الله! إذا نظرنا إلى سؤال السائل في الجمعة الماضية وفي وصية اليوم حيث يقول: يا رسول الله؛ أي الناس أحب إلى الله؟ يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله؟ وجدنا أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يسألون ليعملوا وهذا هو الفارق بيننا وبينهم، فإنهم كانوا يسألون ليعلموا فإذا علموا عملوا، ونحن إذا سألنا وسمعنا المواعظ تركنا العمل وهذا هو الفارق المهم بيننا وبينهم.

فالقرآن بين أيدينا، والسنّة بين أيدينا، ولكنهم أخذوا بالكتاب والسنّة وما التفتوا يميناً ولا شمالاً، لا إلى حضارة الفُرس ولا إلى حضارة الروم، أخذوا من الكتاب والسنّة وعملوا ونحن بين أيدينا القرآن والسنّة، ولكننا التفتنا إلى حضارة الشرق والغرب، وتركنا العمل بالكتاب والسنّة فهذا حالنا، وذاك حالهم فتحوا الدنيا من مشرقها إلى مغربها ونحن قد ضيعنا الدنيا من مشرقها إلى مغربها، ولن تصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فارجعوا إلى الكتاب والسنّة.

عباد الله! ويتبيَّن لنا من الإجابة أن الرسول ﷺ كان يربي أمته على أنهم كالجسد الواحد، وكالبنيان الواحد مهما تباعدت بينهم المسافات، قال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(٢)، وقال ﷺ:

---

(١) **صحيح**: خد: (١١٢)، طب: (١٢/ ١٥٤)، ع: (٥/ ٩٢)، هب: (٥/ ٣١)، هق: (١٠/ ٣)، [«س.ص» (١٤٩)].

(٢) **صحيح**: خ: (٥٦٦٥)، م: (٢٥٨٦).

(«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»، وشبك بين أصابعه)[١].

وقال ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم: لا يظلمهُ ولا يخذلهُ ولا يحقره. التقوى ههنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه»[٢].

اللّهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٦٧)، م: (٢٥٨٥).

(٢) **صحيح**: م: (٢٥٦٤).



الوصية السابعة عشرة (ب)
«أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن الوصية السابعة عشرة، عن ابن عمر رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ؟ فقال: يا رسول الله؛ أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: **«أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة، أو يقضي عنه ديْناً، أو يطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخٍ في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد (يعني مسجد المدينةَ) شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، من كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجةٍ حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام، وإن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل»**[1].

وصية عظيمة عشنا في الجمعة الماضية مع القسم الأول منها وتبيّن لنا أن أحب الناس إلى الله ـ تعالى ـ: «**أنفعهم للناس**»، وتبيّن لنا أيضاً أن أحب الأعمال إلى الله ـ تعالى ـ: «**سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة** ـ أي: من كرب الدنيا ـ **أو يقضي عنه ديناً، أو يطرد عنه جوعاً**».

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الحديث عن باقي هذه الوصية العظيمة.

---

(١) **حسن**: طب: (١٢/٤٥٣)، طس: (٦/١٣٩)، طص: (٢/١٠٦)، [«س.ص» (٩٠٦)].

يقول ﷺ: «**ولأن أمشي مع أخٍ في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف شهراً (يعني في مسجد المدينة)**».

يبيّن ﷺ أن من مشى في حاجة أخيه وقضاها له، فهذا من أحب الأعمال إلى الله تعالى وهو خير من أن يعتكف شهراً كاملاً في مسجد رسول الله، فيتبيّن لنا يا عباد الله أن الذي يمشي في قضاء حوائج المسلمين يبتغي بذلك رضا الله والجنة أن ذلك خير له من أن يعتكف شهراً كاملاً في مسجد رسول الله ﷺ.

عباد الله! ورسولنا ﷺ يربي أمته على أن يمشي كلُ منهم في قضاء حوائج الآخرين لأن ذلك يورث المحبة.

ولذلك قال ﷺ: «**من نَفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**»(١).

وقال ﷺ: «**واللهُ في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»(٢).
ويقول ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته..**»(٣).

فيبيّن لنا الرسول ﷺ أن من كان دائماً عوناً للآخرين، ومن كان يسعى في قضاء حوائج الآخرين كان الله دائماً عوناً له، وكان الله دائماً في حاجته، ولذلك فالعاقل واللهِ إذا أراد حاجة لنفسه فعليه أن يستعين على قضائها بقضاء حوائج الآخرين، لأن من قضى حوائج الآخرين قضى الله حاجته. ورسولنا ﷺ يضرب مثلاً أعلى في ذلك، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (كانت الأَمَة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت)(٤)؛ أي: حتى يقضي لها حاجتها، وكان ﷺ إذا جاءه صاحب حاجة نظر إلى جلسائه فقال لهم: «**اشفعوا تؤجروا...**»(٥) أي

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦٩٩). (٢) **صحيح**: م: (٢٦٩٩).
(٣) **صحيح**: خ: (٢٣١٠)، م: (٢٥٨٠).
(٤) **صحيح**: خ: (٥٧٢٤). (٥) **صحيح**: خ: (١٣٦٥).

يأمرهم أن يشفعوا وأن يتنافسوا في قضاء حاجة هذا المحتاج.

• والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتنافسون في خدمة الآخرين، وفي قضاء حوائج الآخرين، يتقربون بذلك إلى رضا الله والجنة.

• وفي الصحيحين عن أنس ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ في السفر فمنا الصائم ومنا المفطر قال: فنزلنا منزلاً في يوم حار، أكثرنا ظلاً صاحب الكساء، ومنا من يتقي الشمس بيده، قال: فسقط الصوَّام، وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب فقال رسول الله ﷺ: «**ذهب المفطرون اليوم بالأجر**»(١)، أتدرون لم؟ لأنهم قاموا على خدمة الآخرين.

عباد الله! ثم يبيّن لنا ﷺ في وصيته التي معنا أن «**من مشى مع أخيه في حاجةٍ حتى تتهيأ له** ـ أي: حتى يقضيها له ـ **أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام**».

أتدرون يا عباد الله متى تزول الأقدام يوم القيامة؟ على الصراط، وما أدراك ما الصراط؟ إنه: جسر دقيق منصوب على متن جهنم، أحدُّ من السيف، وأدق من الشعر، الناس يمرون عليه على قدر أعمالهم.

• الصراط يا عباد الله مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب تتخطف الناس لا تثبت عليه إلا أقدام الذين يثبتهم الله، ومنهم الذين يمشون في قضاء حوائج المسلمين.

• الصراط ممر خطير ويشهد لخطورته: تقول عائشة ﷺ يوماً: يا رسول الله أيعرف الرجل أهله يوم القيامة؟ فقال ﷺ: «**أمَّا في ثلاثة مواطن فلا، عند الميزان وعند الكتاب، وعند الصراط**»(٢)، فعلى الصراط لا يعرف الزوج زوجته، وعند الميزان لا يعرف الأخ أخته، وعند تطاير الصحف لا يعرف الأبُ ابنه، لا يعرف أحدٌ أحداً في ثلاثة

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٧٣٣)، م: (١١١٩).

(٢) **ضعيف**: د: (٤٧٥٥)، ك: (٤/ ٦٢٢)، ش: (٧/ ٨٨)، حم: (٦/ ١١٠)، [«ض.ج» (١٢٤٥)].

مواضع، عند تطاير الصحف حتى يعلم أأخذ بيمينه أم أخذ بشماله، وعند الميزان حتى يعلم أثقلت موازينه أم خفت موازينه، وعلى الصراط حتى يعلم أناجٍ أم واقع على أم رأسه في نار جهنَّم، وحين يمر الناس على الصراط فإن رسولنا ﷺ يقف عند الصراط على جانبيه ويقول: «**اللّهم سلِّم سلِّم**»[(١)].

عباد الله! هذا الذي يقوم في خدمة الآخرين يبتغي بذلك وجه الله، أما الذي يقوم بقضاء حوائج المحتاجين لا يريد بذلك وجه الله إنما يريد رشوة تدفع له وكثير ما هم وإنا لله وإنا إليه راجعون فهو آثمٌ. وإذا نظرنا إلى كثير من الموظفين اليوم ـ إلا من رحم ربي ـ نراهم يقومون على خدمة الآخرين، ويقضون حوائج الآخرين ولكن ليس لوجه الله إنما مقابل رشوة!

• فهذا رجل يقوم على خدمة الناس فإذا ذهبت إليه لخدمة قام معك يقضيها لك ولكن ماذا يريد؟ وماذا يبتغي؟ يبتغي منك أن تعطيه صوتك يوم الانتخابات ولا يريد بذلك وجه الله!

• وهذا آخر يقوم على قضاء حوائج الآخرين، ولكن مقابل أن تدفع له مبلغاً من المال رشوة حتى أن هناك من الموظفين مَنْ أصبح لا يستحيي من الناس ولا من الله فيطلب منك المبلغ صراحة وقد يتفاوض معك!

• وآخر يقوم في خدمة الآخرين ولكنه يطلب منك هدية لقاءَ قيامِه لك بهذه الخدمة، والهدية تختلف من موظف إلى آخر باختلاف وضعه الاجتماعي.

• فهذا موظف كبير لا يرضى إلا بعشرات الدُنُمات هدية! ويسمونها هديةً ولا يستحون من الله.

• وهذا لا يقبل هدية إلا سيارة فاخرة، وهذا لا يقبل هدية إلا بيتاً يتكون من طابق أو اثنين، كلٌ يطلب حسب ما يريد، وإنا لله وإنا إليه

---

(١) **صحيح**: خ: (٧٧٣)، م: (١٨٢).

راجعون، نقول لهؤلاء: إن هذه رشوة، والرشوة حرام، حرّمها الإسلام فهي حرام إلى يوم القيامة.

يقول ﷺ: «**لعنة الله على الراشي والمرتشي**»[(١)].

الراشي: هو الذي يدفع الرِشوة.

المرتشي: وهو الآخذ للرشوة.

كثير من الناس يقول لا تمشي حاجتي إلا إذا دفعتُ مالاً، نقول له: أنت راشٍ وأنت ملعون، ونقول له: العلاج ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

الأمر الدنيوي الذي يجعلك تضطر إلى دفع الرشوة أتركه يا عبد الله، واصبر على جوع الدنيا، وعذاب الدنيا خير لك من عذاب الآخرة.

ولكن ما أظن إلا أننا وقعنا في هذا البلاء وعلى جميع المستويات إلا من رحم ربي. واعلموا عباد الله أن المال الذي يجمع من الرشوة مال حرام خبيث.

فاعلم أيها المرتشي أن المال الذي جمعته من الرشوة، والسيارة التي ركبتها من الرشوة، والبيت الذي بنيته من الرشوة، اعلم أن هذا مالٌ حرامٌ إن أنفقته على أولادك وعلى نفسك لم يُبَارك لك فيه، وإذا تصدقت به لم يقبل منك؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإذا تركت هذا المال خلفك ورحلت من الدنيا إلى الآخرة فهو زادك إلى نار جهنم.

واعلموا عباد الله! أن العبد سيقف أمام الله يوم القيامة يُسأل عن كل شيء سؤالاً واحداً إلا المال يسأل عنه سؤالين، السؤال الأول من أين اكتسبت هذا المال؟ السؤال الثاني أين أنفقت هذا المال؟

- فيا أيها الراشي ستقف بين يدي الله يوم القيامة عريانَ كيوم

---

(١) **صحيح**: د: (٣٥٨٠)، ت: (١٣٣٧)، هـ: (٢٣١٣)، حم: (٢/ ٢١٢)، حب: (٥٠٧٧)، [«ص.ج» (٥١١٤)].

ولدتك أمك يُوجه لك هذا السؤال، أين أنفقت هذا المبلغ من المال؟ فتقول لله ﷻ: أعطيته رشوة!

- ويا أيها المرتشي إذا سُئلت أمام الله من أين اكتسبت هذا المال؟ تقول أخذته رشوة!

واعلموا عباد الله! أن تغيير الأسماء لا يجعل الحرام حلالاً، فلو غيروا اسم الخمر، إلى أي اسم فهي حرام، وإن سمَّوا الرِشوة بغير اسمها فهي حرام، فهم يسمُّونها هدية، وإكرامية، ويسمونها بغير اسمها وهي حرام لأنها دفعت لك وأنت تعمل في هذه الوظيفة.

وبالمثال يتضح البيان:

استعمل رسول الله ﷺ رجلاً على صدقات بني سُليم، يدعى ابن اللتبية، فلما جاء حاسبه قال: هذا مالكم وهذا هدية. فقال رسول الله ﷺ: «**فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً**» ثم خطبنا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد فإني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولّاني الله فيأتي فيقول: هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته، والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه، إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر**»(١).

يا أيها الموظف، ألا جلست في بيت أبيك وأمك حتى يهدى إليك، وهذه هي العلة لِمَ قُدِّمَتْ لك هذه الهدية؟ لأنك تعمل في هذا العمل، والراشي والمرتشي يعلمون أنها رشوة ولكنهم يخدعون أنفسهم ويوم القيامة يندمون في وقت لا ينفع فيه الندم.

يقول ﷺ: «**والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة**»(٢).

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٥٧٨)، م: (١٨٣٢).

(٢) **صحيح**: المصدر السابق.

• فيا من أخذ عشرات من الدنمات رشوة، أتستطيع أن تحملها على ظهرك أمام الخلائق يوم القيامة يوم الفضيحة الكبرى؟!.

• يا آخذ السيارة رشوة أتستطيع أن تحملها على ظهرك يوم القيامة؟!.

عباد الله! أقول لكم كما قال ربنا ـ جل وعلا ـ ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

واعلموا عباد الله! أن هذه نِعمٌ: الوظيفة نعمة، الجاه نعمة، المنصب نعمة، فإن حافظت عليها بخدمة الآخرين ابتغاء مرضاة الله دامت لك وإن تقاضيت الرشوة زالت عنك وانتقلت إلى غيرك.

ثم يقول ﷺ: «**ومن كفَّ غضبه ستره الله عورته يوم القيامة..**».

عباد الله! الغضب جريمة فإنا إذا غضب أحدنا أوقع نفسه فيما لا يحمد عقباه، وكلنا يغضب وما منا إلا قد غضب وأساء. فهناك من يغضب فيطلق زوجته، وهناك من يغضب فيسب الدين والرب، وهناك من يغضب فيظلم الآخرين، ولذلك جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله، أوصني، قال ﷺ: «**لا تغضب**»، فردد مراراً قال: «**لا تغضب**»[(١)].

كلنا يغضب ولكن ما هو العلاج الشرعي للغضب؟ كثير من الناس إذا غضب أشعل (سيجارته) وكأنه يعتقد أن إشعال السيجارة يذهب الغضب، لا يا عبادَ الله، أين نحن من دين الإسلام؟! فالإسلام ما ترك شيئاً يقربنا من الجنة إلا وبيّنه لنا.

• فإذا غضب أحدنا ماذا عليه أن يفعل؟.

أولاً: أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

إذا غضب أحدنا عليه أن يقول: «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»؛

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧٦٥).

أي: أَلتجئ إلى الله من الشيطان الرجيم، الدليل قوله ﷺ: «**إذا غضب الرجل فقال: أعوذ بالله، سكن غضبه**»(١). واستب رجلان عند رسول الله ﷺ فغضب أحدهما حتى احمر وجهه، وانتفخت أوداجه فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد**»(٢).

ثانياً: السكوت وعدم التكلم، إذا غضبت لا تتكلم لأنك إذا تكلمت ستندم يقول ﷺ: «**إذا غضب أحدكم فليسكت**»(٣).

ثالثاً: أن تغير من حالك الذي أنت عليه، فإذا غضبت واقفاً فاجلس، فإن ذهب الغضب وإلا فاضطجع يقول ﷺ: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليقعد، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**»(٤).

والذي يدفع عنك الغضب يا عبد الله أن تعرف ما أعده الله ـ عز وجل ـ لمن كفّ غضبه، يقول ﷺ: «**ومن كفّ غضبه ستر الله عورته**»، ويقول ﷺ: «**من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة**»، ويقول ﷺ: «**من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله سبحانه على رؤوس الخلائق ـ يوم القيامة ـ حتى يخيّره من الحور العين ما شاء**»(٥).

عباد الله! بعد أن بيّن الرسول ﷺ أحب الأعمال إلى الله للسائل، بيّن له وأرشده وأرشدنا جميعاً إلى الأمور التي تفسد هذا العمل، فالأعمال الصالحة لها ثواب عند الله وهناك من الأعمال السيئة ما يفسد ثواب هذه الأعمال.

---

(١) **صحيح**: طس: (٧/ ١١٧)، [«س.ص» (١٣٧٦)].

(٢) **صحيح**: خ: (٣١٠٨)، م: (٢٦١٠).

(٣) **صحيح**: حم: (١/ ٢٣٩)، خد: (٢٤٥)، لس: (٢٦٠٨)، [«س.ص» (١٣٧٥)].

(٤) **صحيح**: د: (٤٧٨٢)، حم: (٥/ ١٥٢)، حب: (٥٦٨٨)، هب: (٦/ ٣٠٩)، [«ص.ج» (٦٩٤)].

(٥) **حسن لغيره**: د: (٤٧٧٧)، ت: (٢٤٩٣)، هـ: (٤١٨٦)، حم: (٣/ ٤٤٠)، ع: (٣/ ٦٦)، هب: (٦/ ٣١٣)، هق: (٨/ ١٦١)، [«ص.غ.هـ» (٢٧٥٣)].

• ومن هذه الأعمال السيئة سوء الخلق، يقول ﷺ مرشداً للسائل: «**وإن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل**»، أعمال صالحة ولكن صاحبها سيء الأخلاق فثوابها يذهب بسوء خلقه.

• ولذلك جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها، وغير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال ﷺ: «**هي في النار**»، قال الرجل: يا رسول الله، فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصلاتها وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها قال ﷺ: «**هي في الجنة**»(١)، وقال ﷺ: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»(٢).

• فالعبد بسوء خلقه يضيع ثواب أعماله، ولذلك قال ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال ﷺ: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»(٣).

عباد الله! الرسول ﷺ جاء ليتمم مكارم الأخلاق، والأعمالُ الصالحةُ تطهر الإنسان من الأخلاق الرديئة، وتكسبه الاتصاف بالأخلاق الحميدة فمثلاً:

١ ـ **الصلاة:** تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

---

(١) **صحيح**: حم: (٢/ ٤٤٠)، حب: (٥٧٦٤)، ك: (٤/ ١٨٤)، [«ص.غ.هـ» (٢٥٦٠)].

(٢) **صحيح**: د: (٤٧٩٨)، حم: (٦/ ٩٠)، ك: (١/ ١٢٨)، هب: (٦/ ٢٣٦)، [«ص.غ.هـ» ٢٦٤٣)].

(٣) **صحيح**: م: (٢٥٨١).

٢ ـ **الزكاة**: تُطهر العبد من أمراض الشح والبخل. قال ـ تعالى ـ: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

٣ ـ **الحج**: يطهر العبد من الأخلاق الرديئة. قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾ [البقرة: ١٩٧].

٤ ـ **الصيام**: يربي العبد على الصبر وتحمل الأذى.

قال ﷺ: «**... والصيام جُنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم**»(١).

عباد الله! الأعمال الصالحة تربي صاحبها على حسن الخلق، وحسن الخلق يحفظ ثواب هذه الأعمال، أما سوء الخلق فيُفسد الأعمال الصالحة وإن كانت كالجبال كما يفسد الخل العسل يقول ﷺ: «**اللّهم كما حسنت خَلْقي فحسن خُلُقي**»(٢).

يقول ﷺ: «**اللّهم أنت الملك لا إله إلا أنت،... واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت**»(٣)، يقول ﷺ: «**اللّهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها**»(٤).

اللهم حسن أخلاقنا

* * *

---

(١) **صحيح**: خ: (١٨٠٥)، م: (١١٥١).
(٢) **صحيح**: حم: (١/٤٠٣)، حب: (٩٥٩)، لس: (٣٧٤)، ع: (٩/٩)، هب: (٦/٣٦٤)، [«ص.ج» (١٣٠٧)].
(٣) **صحيح**: م: (٧٧١).
(٤) **صحيح**: م: (٢٧٢٢).



الوصية الثامنة عشرة: «عليكم بقيامِ الليل»

عباد الله! الإيمان بالرسل الكرام ركن من أركان العقيدة الصحيحة، وقد تكلمنا عن الرسل الكرام وعن أولي العزم منهم. وانتهى الحديث بنا ـ يا عباد الله ـ إلى رسولنا محمد ﷺ وقلنا: إن من الواجب على المسلمين نحوه ﷺ أن يقبلوا وصاياه، وأن يعملوا بها، وأن يعضوا عليها بالنواجذ، ولا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثامنة عشرة:

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم**»[1].

وصية عظيمة من رسول عظيم يحث أُمّته فيها على قيام الليل.

عباد الله! وقيام الليل هو: الصلاة التي يصليها المسلم بالليل. وهذه الصلاة تجوز بعد صلاة العشاء، وتجوز في وسط الليل، وتجوز في ثلث الليل الأخير، وأفضلها ما كان في ثلث الليل الأخير؛ ذلك لأن الرسول ﷺ يقول: «**أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن**»[2].

---

(١) **حسن لغيره**: ت: (٣٥٤٩)، خز: (١١٣٥)، ك: (١/ ٤٥١)، طب: (٨/ ٩٢)، هق: (٢/ ٥٠٢)، [«ص.غ.هـ» (٦٢٤)].

(٢) **صحيح**: ت: (٣٥٧٩)، ن: (٥٧٢)، خز: (١١٤٧)، ك: (١/ ٤٥٣)، [«ص.ج» (١١٧٣)].

ويقول ﷺ: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له**»[(١)].

فالصلاة في جوف الليل الأخير هي الأفضل، وإن صلّى العبد قيام الليل بعد صلاة العشاء أو في أي وقت من الليل جاز له ذلك.

عباد الله! وقيام الليل سنّة مؤكدة، وهي أفضل صلاة بعد صلاة الفريضة. لقوله ﷺ: «**أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم**»[(٢)].

وأقل صلاة الليل ركعة، وأكثرها إحدى عشر ركعة، تقول عائشة رضي الله عنها: «**ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة**»[(٣)].

عباد الله! والذي دفعني للحديث عن قيام الليل في هذا اليوم أمران اثنان:

الأمر الأول: أن كثيراً من المسلمين ـ وللأسف الشديد ـ فرطوا في قيام الليل حتى أمسى عندهم نسياً منسياً، وبالتالي ضيّعوا صلاة الفجر وذلك بسبب سهرهم على شاشات المفسديون، وسهرهم في مجالس القيل والقال.

الأمر الثاني: إقبال ضيف كريم علينا وهو شهر رمضان، والقيام فيه ـ وهو ما يسمى عند الناس بالتراويح ـ له أجر عظيم.

يقول ﷺ: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه**»[(٤)]. ومع الأسف الشديد فإن الكثير من المسلمين يفرطون في قيام رمضان، ومنهم من يصليه يوماً ولا يتبعه آخر، ومنهم من يصليه أسبوعاً

---

(١) **صحيح**: خ: (١٠٩٤)، م: (٧٥٨). (٢) **صحيح**: م: (١١٦٣).
(٣) **صحيح**: خ: (٣٣٧٦)، م: (٧٣٨).
(٤) **صحيح**: خ: (٣٧)، م: (٧٥٩).

ولا يتبعه آخر، ولا يحافظ على قيامه إلا من رحم ربي، فأردت أن أذكر الجميع بفضل قيام الليل والذكرى تنفع المؤمنين.

عباد الله! الله ﷻ في كتابه يحث عباده على قيام الليل ويبيّن لهم أن قيام الليل عنوان الإيمان.

يقول الله ـ ﷻ ـ: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة: ١٥ ـ ١٦].

ويبيّن ربنا ـ جلّ وعلا ـ في كتابه أن قيام الليل دليل الإحسان، والإحسان هو أعلى مراتب الإيمان.

يقول الله ـ ﷻ ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٨].

آخذين ما أتاهم ربهم أي: في الجنة، لم؟ إنهم كانوا قبل ذلك أي: في الدنيا محسنين، دليل الإحسان: كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ـ أي: كانوا قليلاً من الليل ما ينامون وبالأسحار هم يستغفرون.

عباد الله! كانوا لا ينامون من الليل إلا قليلاً، ماذا يفعلون؟ أكانوا يسهرون على أنغام الموسيقى؟! أكانوا يسهرون على شاشات المفسديون؟! أكانوا يشربون الخمر ويسكرون احتفالاً بذكرى رأس السنة؟! مسلم يسمى بمحمد أو علي أو عبد الله ويحتفل بعيد رأس السنة الميلادية، ويا ليته احتفل بها قياماً ولكنه احتفل بها سكرانَ راقصاً إلى أن طلع الفجر، فقارنوا يا عباد الله بين هؤلاء وهؤلاء، هؤلاء الذين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون يُمْطرون وتنزل عليهم الرحمة، أما الذين ينامون أو يقومون الليل سكارى احتفالاً برأس السنة فكيف يمطرون؟! والله لقد نزل المطر وارتفع بسبب المعاصي، ولو أُمطروا فيكون بسبب البهائم، ولولا البهائم لم يمطروا.

• دليل إحسانهم: كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، كانوا طوال الليل يصلون ومع ذلك في وقت السحر جلسوا يستغفرون، وكأنهم باتوا يعصون الله، وأما نحن فطوال الليل سكارى وعند الفجر وفي السحر جيف منتنة، عُبَّادٌ بالنهار للدنيا وجيف منتنة بالليل، أما أهل الجنة فقد ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨].

عباد الله! والله ـ عز وجل ـ في كتابه فرّق بين الذين يقومون الليل وبين الذين لا يقومون ولم يسوي بينهم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝٩﴾ [الزمر: ٩].

عباد الله! ورسولنا الكريم ﷺ يحث أمته على قيام الليل، فيقول ﷺ كما سمعتم في الوصية التي معنا: «**عليكم بقيام الليل** ـ أي: إذا أردتم المطر فعليكم بقيام الليل، إذا أردتم النصر فعليكم بقيام الليل، إذا أردتم العزة في الدنيا والآخرة عليكم بقيام الليل ـ **فإنه دأب الصالحين قبلكم...**». ويقول ﷺ: «**يا أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلامٍ**»[(١)].

وقال ﷺ: «**إن في الجنة غُرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**إن في الليل لساعة لا يوافقها رجلٌ مسلم يسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاهُ إياه، وذلك كلَّ ليلةٍ**»[(٣)].

---

(١) **صحيح**: هـ: (٣٢٥١)، حم: (٥/ ٤٥١)، مي: (١٤٦٠)، ك: (٣/ ١٤)، طس: (٥/ ٣١٣)، ش: (٧/ ٢٥٧)، هب: (٦/ ٤٢٤)، [«ص.ج» (٧٨٦٥)].
(٢) **حسن**: حم: (٥/ ٣٤٣)، حب: (٥٠٩)، هق: (٤/ ٣٠٠)، [«ص.ج» (٢١٢٣)].
(٣) **صحيح**: م: (٧٥٧).

وقال ﷺ: «**إن الله ليضحك إلى رجلين: رجل قام في ليلة باردةٍ من فراشهِ ولحافهِ ودثاره ـ** أي: غطاؤه ـ **فتوضأ ثم قام إلى الصلاة، فيقول الله** ﷻ **لملائكته: ما حمل عبدي هذا على ما صنع؟ فيقولون: ربنا رجاءَ ما عندك، وشفقةً مما عندك، فيقول: فإني قد أعطيته ما رجا، وأمَّنته مما يخاف**»[(١)].

وقال ﷺ: «**إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلّى ركعتين جميعاً كُتبا في الذاكرين والذاكرات**»[(٢)].

عباد الله! على هذا فاسهروا، على هذا أيقظ أهلك، وليس على الخمر أو على الاحتفالات المبتدعة، قال ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقهُ آناء الليل وآناء النهار**»[(٣)]، ويقول ﷺ: «**من قام بعشرِ آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين**»[(٤)]. ويقول ﷺ يوماً لعبد الله بن عمر: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلّي بالليل**»[(٥)]، فكان ابن عمر بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً، وقال ﷺ: «**يا عبد الله، لا تكن مثل فلان كان يقوم بالليل فترك قيام الليل**»[(٦)].

• وذُكِرَ عندَ رسولِ الله ﷺ رجل نام ليلةً حتى أصبح فقال ﷺ: «**ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه**»[(٧)].

---

(١) **صحيح لغيره موقوف**: طب: (٩/١٠١)، [«ص.غ.هـ» (٦٣٠)].

(٢) **صحيح**: د: (١٣٠٩)، هـ: (١٣٣٥)، ك: (٢/٤٥٢)، طس: (٣/٢١٨)، طص: (١/١٦٠)، ش: (٢/٧٣)، [«ص.غ.هـ» (٦٢٦)].

(٣) **صحيح**: خ: (٧٠٩١)، م: (٨١٥).

(٤) **صحيح**: د: (١٣٩٨)، خز: (١١٤٤)، حب: (٢٥٧٢)، [«ص.ج» (٦٤٣٩)].

(٥) **صحيح**: خ: (٣٥٣٠).

(٦) **صحيح**: خ: (١١٠١)، م: (١١٥٩).

(٧) **صحيح**: خ: (٣٠٩٧)، م: (٧٧٤).

نام حتى أصبح أي حتى طلع الفجر، ولم يضيع صلاة الفجر فما بالنا يا عباد الله وقد ضيّعنا قيام الليل وصلاة الفجر!!

عباد الله! وهذا رسولنا ﷺ يضرب لنا مثلاً أعلى في قيام الليل فقد كان ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، تقول عائشة ﵂: «**إن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل ـ أي يصلي ـ حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال** ﷺ: «**أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً**»(١).

عباد الله! يقول ﷺ: «**عليكم بقيام الليل..**» الوصية.

الرسول ﷺ يحثنا على قيام الليل لم؟ لأن لقيام الليل آثار عظيمة وطيبةً على العبد في الدنيا والآخرة، فمن آثار قيام الليل على الإنسان:

أولاً: أن قيام الليل سبب لحل عُقَد الشيطان؛ فالشيطان يعقد على قافية رأس العبد، وقيام الليل يفسد هذه العقد، والعقد هي السحر كما قال ربنا في كتابه: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: ٤].

والعقد ـ وهي السحر ـ من فعل شياطين الإنس والجن، فمن أراد ـ يا عباد الله ـ أن يحفظ نفسه وأولاده من السحر، ومن السحرة، ومن فعل الشياطين فعليه بقيام الليل، الدليل على ذلك:

قوله ﷺ: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدةٍ: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلّى انحلت عُقدهُ فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»(٢).

ابن آدم! قم الليل وانظر إلى نفسك في اليوم الثاني وسترى نفسك نشيطاً طيب النفس طوال اليوم، أما الذي ضيَّع قيام الليل فتراه خبيث

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٥٥٧)، م: (٢٨٢٠).

(٢) **صحيح**: خ: (١٠٩١)، م: (٧٧٦).

النفس كسلان، فمن أراد أن يحفظ نفسه من فعل الشياطين فعليه بقيام الليل، في جوف الليل والناس نيام.

ثانياً: أن القيام يرفع صاحبه منزلة وشرفاً في الدنيا والآخرة، يقول ﷺ: «**أتاني جبريل فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس**»(١). والشرف: هو المنزلة والرفعة، يناله الرجل في الدنيا والآخرة.

● أما يوم القيامة فيكفيهم الجنة التي فيها من النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كما سمعتم: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٧].

ثالثاً: ومن آثار قيام الليل على صاحبه أنه يقربه من الله، ويكفر عنه السيئات، ويبعده عن المعاصي كما سمعتم في الوصية التي معنا «**عليكم بقيام الليل**»؛ أي: أن الذي يقوم من الليل فيصلي لله ـ عز وجل ـ يبتعد بهذه الصلاة عن المعاصي وعن الآثام.

رابعاً: ومن آثار قيام الليل على صاحبه: النور في الوجه لأن الرسول ﷺ قال: «**الصلاة نور**»(٢)، فيا عباد الله، المُوَفَّقُ من وُفِّقَ لقيام الليل، والسعيد من وفق لقيام الليل، والشقي المحروم هو من حُرم من قيام الليل.

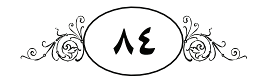
اللّهم أرنا الحق حقاً وأرزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه

❁ ❁ ❁

---

(١) **حسن**: ك: (٤/ ٣٦٠)، طس: (٤/ ٣٠٦)، حل: (٣/ ٢٥٣)، لس: (١٧٥٥)، [«س. ص» (٨٣١)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٢٣).



الوصية التاسعة عشرة:
«يا أيها الناس، توبوا إلى الله»

عباد الله! نحن لا نزال في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية التاسعة عشرة:

عن الأغرِّ بن يسار المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس، توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أتوب إلى الله واستغفره في كل يوم مائة مرة**»[(١)] وصية عظيمة من رسول عظيم يأمر أمته فيها بالتوبة إلى الله وبالاستغفار من الذنوب والمعاصي.

عباد الله! والذي دفعني للحديث عن التوبة والاستغفار في هذا اليوم بالذات، أن فصل الشتاء قد انتصف بل تعدى النصف ولم ينزل المطر علينا حتى الآن، أقول: ذلك بسبب معاصي العصاة، وبسبب ظلم الظالمين، وبسبب إجرام المجرمين، وبسبب فسق الفاسقين، ومع ذلك وحتى الآن لم يفكر العصاة والمجرمون والفسقة في التوبة إلى الله، وفي الإنابة إلى الله، حتى ينزل المطر، فأردت يا عباد الله أن أقول ناصحاً ومحذراً: ألم يأنِ للعصاة أن يتوبوا إلى الله؟! ألم يأن الأوان للعصاة والمجرمين أن يتوبوا إلى الله ويرجعوا إلى الله حتى ينزل علينا المطر؟!

● ألم يأن الأوان لأكلة الربا أن يتوبوا إلى الله استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾ [آل عمران: ١٣٠].

● ألم يأنِ الأوان للزناة أن يتوبوا إلى الله استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢].

(١) **صحيح**: م: (٢٧٠٢)، حم: (٤/ ٢٦٠ ـ ٢٦١)، [«س.ص» (١٤٥٢)].

• ألم يأن الأوان للمتبرجات أن يتبن إلى الله استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

• ألم يأن الأوان لشارب الخمر أن يتوب إلى الله استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

• ألم يأن الأوان للذين يأكلون لحوم الأبرياء في مجالس الغيبة والنميمة أن يتوبوا إلى الله استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

أظن أنه قد آن الآوان للعصاة أن يتوبوا إلى الله، فماذا ينتظرون؟

ينتظرون أن تنزل علينا حجارة من السماء! ينتظرون أن يزلزل الله الأرض من تحت أقدامهم! ينتظرون أن يأتي يوم يطلبون فيه الماء فلا يجدونه! أظن أنه قد آن الآوان للعصاة أن يعودوا إلى الله، والعاقل من اتعظ بغيره، فالله ـ ﷻ ـ للعصاة بالمرصاد.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ٦ ـ ١٤].

إن ربك لبالمرصاد فيمنع المطر بسبب المعاصي والذنوب.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢]، الجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحداً، أظن أنه قد آن الأوان أن تتوبوا إلى الله، فالذي يأمر المطر أن ينزل علينا هو الله، والذي يأمر المطر أن يمر من فوق رؤوسنا إلى غيرنا

هو الله، ولو استسقينا ودعونا بالليل والنهار ونحن عاكفون على المعاصي ما استجاب الله لنا.

وذكر ﷺ: «... **الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول: يا رب، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك**»(١).

أنستسقي وقد أكلنا الربا؟! أنستسقي والزنا بيننا؟! أنستسقي ونساؤنا تخرج كاسيات عاريات؟! أنستسقي وقد حاربنا الله بالمعاصي؟!

يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة: ٦٨ ـ ٧٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤].

الذي ينزل الغيث هو الله وحده، وإذا نزل الماء على الأرض من الذي يمسكه على الأرض لتشربوا منه؟ إنه هو الله وحده: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾ [الملك: ٣٠].

أمريكا! روسيا! الشرق! الغرب! أموالكم التي في البنوك! أظن أنه قد آن الأوان للعصاة أن يتوبوا.

واللهِ ما نزل بلاء على أمة إلا بذنب ولا يُرْفَعُ إلا بتوبة، تريدون الماء توبوا إلى الله وارجعوا إليه فهو الذي ينزل الغيث وحده.

فواللهِ إن لم تتوبوا إلى الله وترجعوا إليه فلن ينزل المطر، وإنْ نزل فمن أجل البهائم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾ [الرعد: ١١].

---

(١) **صحيح**: م: (١٠١٥).

عباد الله! **السبب الثاني**: أن كثيراً من العصاة يؤخرون التوبة ويسوِّفونها، غداً أتوب، بعد غدٍ أتوب فأردت أن أقول:

أولاً: التوبة تقبل قبل طلوع الشمس من مغربها، فإن طلعت الشمس من مغربها أغلقت أبواب التوبة.

كما قال ﷺ: «**إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»(١).

وقال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨].

ثانياً: التوبة تقبل قبل الموت، فإذا نام الإنسان في فراش الموت وبلغت الروح الحلقوم وغرغر أُغلقت في وجهه أبواب التوبة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨].

وقال ﷺ: «**إن الله ﷻ يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(٢).

وبالمثال يتضح البيان:

● فهذا رجل أخبرنا عنه المصطفى ﷺ أنه قتل مائة نفس، ولكنه تاب قبل أن يموت، وعاد إلى الله قبل أن يغرغر فتاب الله عليه، وأدخله الجنة، وهو لم يسجد لله سجدة(٣).

● وهذا فرعون عليه لعنة الله ملأ الأرض فساداً واستكبر حتى إذا نزل به الموت قال إني تبت، فرد الله ﷻ عليه توبته ووبخه وقال له:

---

(١) **صحيح**: م: (٢٧٥٩).

(٢) **حسن**: ت: (٣٥٣٧)، هـ: (٤٢٥٣)، حم: (٢/ ١٣٢)، ع: (١٠/ ٨١)، ش: (٧/ ١٧٣)، حب: (٦٢٨)، حل: (٥/ ١٩٠)، [«ص.ج» (١٩٠٣)].

(٣) **صحيح**: خ: (٣٢٨٣)، م: (٢٧٦٦)، انظر الخبر بتمامه.

﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٩١) فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ (٩٢)﴾ [يونس: ٩١، ٩٢].

فيجب على العصاة أن يتوبوا على الفور من المعصية ولا يؤخرونها استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. واستجابة لقوله ﷺ: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه..**»، فالله ﷻ أخبرنا في كتابه أنه يقبل التوبة من الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ـ أي: يتوبون على الفور.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧].

ووصف الله عباده المتقين بأنهم ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥)﴾ [آل عمران: ١٣٥].

السبب الثالث: أنه قد حل بنا ضيف كريم، وهو شهر رمضان، شهر تغلق فيه أبواب النيران، شهر تفتح فيه أبواب الجنان، شهر تصفد فيه الشياطين، شهر ينادي فيه منادٍ: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر.

والناس في هذا الشهر الكريم ـ الذي بدأ هذا اليوم ـ يقبلون على الله فيحافظون على الصلاة في المساجد، والمساجد تفرح بالتائبين الذين نسوا المساجد طوال العام فلم يعرفوها إلا في رمضان! ويحك يا عبد الله المسلم، تبخل على نفسك أن تأتي إلى بيت الله في كل يوم خمس مرات فلا تأتي إلا في شهر رمضان! ويحك أيها المسلم ما أبخلك!!

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

ولأن الكثير من الناس يقبل على الله في شهر رمضان، أردت في

هذا اليوم أن أذكر وأن أُبشر التائبين الذين تابوا إلى الله وعادوا إلى الله بما أعد الله للتائبين لعلهم يستقيموا على توبتهم في رمضان وبعد رمضان.

اعلم أيها التائب إلى الله ما أعد الله لك:

أولاً: أن الله يحبك، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وإذا أحبك الله ﷻ حبَّب فيك جبريل، وحبب فيك أهل السماء، وحبَّبك إلى أهل الأرض، وإذا أحبك الله أيها التائب لا يعذبك في النار. كما قال ﷺ: «**والله لا يلقي الله حبيبه في النار**»(١).

ثانياً: اعلم أيها التائب أن الملائكة المقربين، حملة العرش، يدعون لك بالليل والنهار.

يقول الله ـ ﷻ ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾ [غافر: ٧ ـ ٩].

ثالثاً: اعلم أيها التائب أن الله يفرح بتوبتك: قال ﷺ: «**لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللّهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح**»(٢).

رابعاً: اعلم أيها التائب أن الله يغفر ذنبك مهما كان كبيراً.

---

(١) **صحيح**: ك: (٤/ ١٩٥)، حم: (٣/ ٢٣٥)، ع: (٦/ ٣٩٧)، هب: (٥/ ٤٤٢)، «س. ص» (٢٤٠٧)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٧٤٧).

يقول الله ﷻ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾ لمن يا ربنا ﴿لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، من تاب من كفره غفر الله له، من تاب من الزنا غفر الله له، من تاب من الربا غفر الله له.

ويقول الله ـ ﷻ ـ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

خامساً: اعلم أيها التائب أن الله ﷻ يغفر ذنبك ويبدل سيئاتك حسنات، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

عباد الله! الذنوب والمعاصي سبب لكل شر، والتوبة من الذنوب والمعاصي سبب لكل خير، ونحن حُرمنا المطر بسبب الذنوب والمعاصي، والمطر ينزل بالتوبة من الذنوب والمعاصي، ولذلك أمر الله عباده بالتوبة: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وأمر رسولنا ﷺ أمته بالتوبة: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه**»، فسعادة الدنيا والآخرة بالتوبة النصوح من الذنوب والمعاصي، والتوبة النصوح التي تقبل عند الله هي التوبة التي تتوفر فيها الشروط التالية:

الشرط الأول: أن تقلع أيها العاصي عن الذنب، يا آكل الربا أترك الربا، يا تارك الصلاة حافظ على الصلاة، يا أيها العاق لوالديه عد إلى برهما.

الشرط الثاني: الندم على فعل الذنب.

الشرط الثالث: العزم الأكيد على عدم العودة إلى المعصية مرة ثانية.

الشرط الرابع: أن تتوب قبل طلوع الشمس من مغربها، وقبل أن تنام في فراش الموت.

هذا إذا كان الذنب بينك وبين الله، أما إذا كان الذنب بينك وبين آدمي فعليك مع الشروط السابقة أن تتحلل ممن وقعت في عرضه أو ظلمته أو أكلت ماله في الدنيا قبل الآخرة، فتتحلَّل منه وتؤدي إليه حقه قبل أن لا يكون درهم ولا دينار.

عباد الله! وبعد أن أمر الرسول ﷺ بالتوبة أمرنا بالاستغفار فقال: «**واستغفروه فإني أستغفر في اليوم مائة مرة**»، لماذا يا عباد الله يأمر ﷺ أمته بالاستغفار بعد التوبة؟ أتدرون لم؟.

أولاً: لأن الاستغفار يجلي القلوب من صدأ المعاصي، فالقلب يصدأ بالمعصية وجلاء هذا القلب بالاستغفار. يقول ﷺ: «**إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**»[١]، ومن الذي يستغفر؟ إنه رسول الله الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما بالك بآكل الربا، والظالم، والنمام، والغشاش. ويقول ﷺ: «**إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب صُقِلَ قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه وهو الران الذي ذكر الله ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾**» [المطففين: ١٤][٢].

ثانياً: الاستغفار سبب لمغفرة الذنوب وإن كانت تملأُ ما بين السماء والأرض، يقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أُبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم**

---

(١) **صحيح**: م: (٢٧٠٢).

(٢) **حسن**: ت: (٣٣٣٤)، هـ: (٤٢٤٤)، حم: (٢/ ٢٩٧)، حب: (٢٧٨٧)، ك: (١/ ٤٥)، هب: (٥/ ٤٤٠)، [«ص.ج» (١٦٧٠)].

لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»(١).

ثالثاً: الاستغفار سبب كل خير، تريد مطراً؟ عليك بالاستغفار، تريد ولداً؟ عليك بالاستغفار، تريد مالاً؟ عليك بالاستغفار، تريد جاهاً؟ عليك بالاستغفار. يقول الله ـ عز وجل ـ على لسان رسوله نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٣].

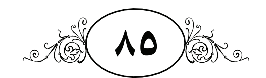
عباد الله! التوبة من المعاصي والاستغفار هو السبيل الوحيد أمامنا لنزول المطر فهل من تائب؟ وهل فكرتم في التوبة إلى الله لينزل علينا المطر وحتى إذا رفعنا أيدينا واستسقينا ودعونا الله عز وجل استجاب لنا فأنا أخشى بسبب الذنوب والمعاصي أن يموت الأطفال، وكبار السن، والبهائم! ويحك أيها العاصي واللهِ إن الله سائلك يوم القيامة عمن ماتوا بسبب معصيتك، فتنبه.

ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ولا تهلكنا بما فعل المبطلون

❊ ❊ ❊

---

(١) **حسن**: ت: (٣٥٤٠)، طس: (٣١٥/٤)، حل: (٢٣١/٢)، [«ص.ج» (٤٣٣٨)].



الوصية العشرون: «تابعوا بين الحج والعمرة...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية العشرين:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد**»(١).

وصية عظيمة من رسول عظيم، يحث فيها أمته على المتابعة بين الحج والعمرة، ويبيّن لهم أنهما ينفيان الفقر والذنوب عن المسلم كما ينفي الكير خبث الحديد.

عباد الله! والذي دفعني للحديث عن الحج والعمرة في هذا اليوم بالذات أمور ثلاثة:

الأمر الأول: أننا في شهر رمضان المبارك، وفي هذا الشهر الكريم ترى الناس يُقبلون على الله بالتوبة النصوح، ويُقبلون على الله عز وجل بالأعمال الصالحة، ويتنافسون في أعمال البر فأردت يا عباد الله أن أذكر ـ والذكرى تنفع المؤمنين ـ بفضل العمرة في رمضان.

يقول ﷺ: «**عمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي**»(٢)، فبيّن ﷺ أن العمرة في شهر رمضان تعدل حجة معه ﷺ، ويقول ﷺ في فضل

---

(١) **صحيح**: ت: (٨١٠)، ن: (٢٦٣٠)، هـ: (٢٨٨٧)، حم: (١/ ٢٥)، حب: (٦٣٩٣)، طب: (١١/ ١٨١)، طس: (٤/ ١٣٩)، بز: (٥/ ١٣٤)، [«س.ص» (١٢٠٠)].

(٢) **صحيح**: خ: (١٧٦٤)، م: (١٢٥٦).

العمرة عامة: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»[(١)]، وقال ﷺ كما سمعتم في الوصية التي معنا: «**تابعوا بين الحج والعمرة...**».

ولذلك يجب على المسلم أن يبادر بعمرة في رمضان إن استطاع إلى ذلك سبيلاً؛ لأن الأيام تمر، والعمر ينقضي، والموت يأتي بغتة.

نسيرُ إلى الآجال في كلِّ لحظةِ ... وأيامُنا تُطوى وهن مراحلُ
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنه ... إذا ما تخطتُه الأماني باطلُ
وما أقبحَ التفريطَ في زمن الصبا ... فكيف به والشيبُ للرأس شاعلُ
ترحلْ من الدنيا بزادٍ من التُّقى ... فعمرُك أيامٌ وهن قلائل

الأمر الثاني: أَننا على أبوابِ أشهر الحج فأردت أن أُذكر بفضل الحج والذكرى تنفع المؤمنين، والدال على الخير كفاعله.

• فاعلموا عباد الله! أن الحج إلى بيت الله ﷻ من أفضل الأعمال إلى الله، سُئل ﷺ: أي العمل أفضل؟ فقال ﷺ: «**إيمان بالله ورسوله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**»[(٢)].

• واعلموا عباد الله؛ أن الحج ينفي الخطايا والذنوب، قال ﷺ: «**من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع** ـ أي: من حجه ـ **كيوم ولدته أمه**»[(٣)]. وكما سمعتم في الوصية التي معنا: «**تابعوا بين الحج والعمرة..**».

• واعلموا عباد الله! أَن الحج جهاد في سبيل الله، يقول ﷺ: «**جهاد الكبير والصغير، والضعيف والمرأة، الحج والعمرة**»[(٤)]. فالحج يا عباد الله! جهاد بالمال والنفس في سبيل الله.

---

(١) **صحيح**: خ: (١٦٨٣)، م: (١٣٤٩).
(٢) **صحيح**: خ: (٢٦)، م: (٨٣). (٣) **صحيح**: خ: (١٤٤٩).
(٤) **حسن لغيره**: ن: (٢٦٢٦)، [«ص.غ.هـ» (١١٠٠)].

• واعلموا يا أمة الإسلام: أن الحج سبب لدخول الجنة، يقول ﷺ: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»(١).

• واعلموا عباد الله! أن الحج سبب لإجابة الدعاء، يقول ﷺ: «**الغازي في سبيل الله، والحاج والمعتمر وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم**»(٢).

• واعلموا عباد الله! أَن الحج ركن من أركان الإسلام كما قال ﷺ: «**بني الإسلام على خمسٍ: شهادةِ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان**»(٣). ولذلك يجب على المسلم إن استطاع أن يحج أن يبادر إلى الحج استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

عباد الله! **أما الأمر الثالث** الذي دفعني للحديث عن الحج والعمرة، هو أَن كثيراً من المسلمين يستطيعون الحج ولكنهم تكاسلوا عنه، أما بالنسبة للدنيا فهم يسافرون إلى بلاد الغرب ولا يملون، ولكنهم عن الحج يتكاسلون، من أجل الدنيا يسافرون ويتغربون ويبتعدون عن أهليهم، وترى كثيراً من أغنياء المسلمين يستطيعون الحج، ولكنهم للأسف الشديد لا يذهبون إلى الحج، فأقول لهؤلاء ناصحاً أميناً:

• يقول ﷺ: «**من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد يمرضُ المريض، وتضل الضالَّة، وتعرضُ الحاجة**»(٤). اليوم صحة غداً مرض، اليوم غنًى

---

(١) **صحيح**: خ: (١٦٨٣)، م: (١٣٤٩).
(٢) **صحيح**: هـ: (٢٨٩٣)، حب: (٤٦١٣)، طب: (١٢/ ٤٢٢)، هب: (٣/ ٤٧٦)، [«ص.ج» (٤١٧١)].
(٣) **صحيح**: خ: (٨)، م: (١٦).
(٤) **حسن**: هـ: (٢٨٨٣)، حم: (١/ ٢١٤)، طب: (١٨/ ٢٨٨)، هق: (٤/ ٣٤٠)، [«ص.ج» (٦٠٠٤)].

غداً فقر، اليوم حياة غداً موت، ولذلك كان ﷺ يقول لابن عمر: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»(١)، فكان ابن عمر بعدها يقول: (إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك، ومن غناك لفقرك، وعد نفسك يا عبد الله من أصحاب القبور فإنك لا تدري ما اسمك غداً)(٢).

• نقول لهؤلاء: يقول ﷺ: «**يا أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا**»(٣).

على المسلم إن استطاع الحج أن يبادر إلى الحج قبل أن ينام على فراش الموت، فيكون قد فرّط فيندم في وقت لا ينفع فيه الندم، ويقول: رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت ـ فيقال له: كلَّا.

ابن آدم!

تزودْ من التقوى فإنك لا تدري   إذا جَنَّ ليل هل تعيشُ إلى الفجرِ
فكم من صحيح مات من غير علة   وكم من عليل عاش حيناً من الدهر

***عباد الله!* اعلموا أن للحج شروطاً خمس:**

فمن توفرت فيه هذه الشروط فعليه أن يبادر بالحج.

الشرط الأول: الإسلام، فالحج لا يجب على الكافر؛ لأن الله ﷻ اشترط في قبول الأعمال الإيمان، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النحل: ٩٧].

الشرط الثاني: العقل، فالحج لا يجب على المجنون؛ لأنه قد رفع عنه القلم.

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٠٥٣).
(٢) **صحيح**: ت: (٢٣٣٣)، ش: (٧/ ٧٥)، هب: (٧/ ٢٦٢)، [«ص.غ.هـ» (٣٣٤١)].
(٣) **صحيح**: م: (١٣٣٧).

الشرط الثالث: البلوغ، فالحج لا يجب على الصبي؛ لأنه قد رفع عنه القلم.

الشرط الرابع: الحرية، فالحج لا يجب على العبد؛ لأنه ليس مستطيعاً.

الشرط الخامس: الاستطاعة، فالحج لا يجب على العاجز.

وهذه الشروط يا عباد الله في حق الرجال والنساء، ولكن بالنسبة للنساء فهناك **شرط سادس**: ألا وهو المَحْرَمُ، فلا بد من توفر المحرم للمرأة وإلا فلا يجب عليها الحج، فمن كانت ذات محرم تحج، والتي لم يتوفر لها المحرم فلا يجب عليها الحج.

وذلك لأن الرسول ﷺ نهى أن تسافر المرأة بدون محرم فقال ﷺ: «**لا يخلُونَّ رجل بامرأةٍ إلاَّ ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا ومعها ذي محرم**» فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجَّة، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، قال ـ ﷺ ـ: «**انطلق فحج مع امرأتك**»[(١)]. فنهى المرأة أن تحج بدون محرم، وسمح للرجل أن يتخلف عن الغزو في سبيل الله ليحج مع امرأته، فليتقِ الله الذين يسمحون لبناتهم أن يسافرن إلى الخارج للدراسة من أجل الشهادة بدون محرم، فالعرض غالٍ ولا يعرف قيمة العرض إلا من فقده، فليتقِ الله أولياء الأمور.

فها هو رسول الله ﷺ قد نهى المرأة أن تسافر إلى الحج ـ إلى بيت الله ـ مع المسلمين الأتقياء وهي بدون محرم، فما بالنا بفتاة لا دين لها تذهب إلى بلاد الكفر والإلحاد مع شباب لا يعرفون الله، ثم إذا فقدت شرفها وعرضها، عندها ينتبه هذا المجنون، ويقول: يا ليتني ما فعلت. فالعرض غالٍ يا عبد الله، وأنت راعٍ ومسؤول أمام الله يوم القيامة عن هذه الرعية.

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٩٣٥)، م: (١٣٤١).

عباد الله! يقول ﷺ في وصيته الجامعة «**تابعوا بين الحج والعمرة...**» فيا عباد الله، من استطاع منكم أن يتابع بين الحج والعمرة فلا يتأخر ولا يقصر فإنهما ينفيان عنك الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد.

واعلموا عباد الله! أنه يجب على الحاج والمعتمر ما يلي:

أولاً: الإخلاص لله ﷻ: فمن أراد الحج أو العمرة فعليه أن يبتغي بذلك وجه الله ـ ﷻ ـ والدار الآخرة؛ لأن الله ـ ﷻ ـ قال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيّة، وإنما لامرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»(١).

ثانياً: يجب على الحاج والمعتمر أن يحج ويعتمر كما فعل رسول الله ﷺ؛ لأن الرسول ﷺ حج أمام أصحابه وقال: «**خذوا عني مناسككم**»(٢)، وقال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٣).

ولذلك يجب على المسلم إذا أراد الحج أو العمرة أن يتعلم كيف يحج، وأن يتعلم كيف يعتمر لأن كثيراً من الناس يذهبون إلى الحج والعمرة ويعودون بدون حج ولا عمرة لأنهم عبدوا الله كما هووا وكما شاءوا، وكما أرادوا.

ثالثاً: يجب على الحاج والمعتمر أن يتقي الله ﷻ في ماله عامةٍ وفي المال الذي يذهب به إلى الحج والعمرة خاصة، وذلك لأن الذي يجمع المال من الحرام يتعرض لسخط الله.

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٤)، م: (١٩٠٧).

(٢) **صحيح**: ن: (٣٠٦٢)، حم: (٣/٣١٨)، خز: (٢٨٧٧)، هب: (٥/١٢٥)، [«ص.ج» (٧٨٨٢)].

(٣) **صحيح**: م: (١٧١٨).

يقول ﷺ: «**أيها الناس إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله ـ تعالى ـ أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال ـ تعالى ـ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: ٥١] الآية، **وقال ـ تعالى ـ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ـ **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟**»[١].

فاتقِ الله في مالك يا عبد الله؛ فأنت واقف بين يدي الله يوم القيامة.

❊ ❊ ❊

---

(١) **صحيح**: م: (١٠١٥).

٨٦

الوصية الحادية والعشرون: «مَنْ آتاه الله مالاً فلم يُؤَدِّ زكاته»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الحادية والعشرين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته، مُثِّل له شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه** ـ أي: شدقيه ـ **يقول: أنا مالك أنا كنزك ثم تلا هذه الآية:** ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ **إلى آخر الآية**»[1] [آل عمران: ١٨٠].

عباد الله! واللهِ إنها لوصية عظيمة من رسول عظيم يهدد فيها مانع الزكاة، ويحذره ويخوّفه مِنْ جريمة منع الزكاة.

عباد الله! والذي دفعني للحديث عن الزكاة في هذا اليوم أمور ثلاث:

الأمر الأول: أن كثيراً من المسلمين في هذا الزمان بخلوا بزكاة أموالهم، وقطَّع البخل قلوبَهم حتى أنهم بخلوا على أنفسهم، وعلى أولادهم، وعلى الفقراء؛ فمنعوا إخراج الزكاة وحتى الإنفاق من هذا المال، لا همَّ لهم إلا أن يجمعوا المال ثم يخرجوا من هذه الدنيا ويتركوه خلفهم! فأردت ـ يا عباد الله مذكِّراً وناصحاً أميناً ـ أن أُذكر هؤلاء الذين يجمعون الأموال ويبخلون بالزكاة بالوعيد والتهديد الذي جاء

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٢٨٩).

في الكتاب والسنة لمانع الزكاة لعلهم بالذكرى يتوبون وينتبهون من غفلتهم ويقومون بإخراج الزكاة لمستحقيها في هذا الشهر المبارك فأقول: يا أيها البخيل بالزكاة على الفقراء، اعلم بأن هذا المال الذي تجمعه بالليل والنهار ستطوق به يوم القيامة في أرض المحشر، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار: ١٧ ـ ١٩].

ويقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

ورسولنا الكريم ﷺ يفسر لنا هذه الآية فيقول كما سمعتم في الوصية: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤدِ زكاته مثل له شجاعاً أقرع له زبيبتان..**» الحديث. فهل تقدر على هذا العذاب يا أيها البخيل بالزكاة. واعلم أيها البخيل بالزكاة أن هذا المال يوم القيامة يحول إلى صفائح من نار يُكوى بها جبينك، وظهرك، وجنبك. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

ورسولنا ﷺ يفسر لنا هذه الآية فيقول ﷺ: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار**»[١].

يعذب البخيل بماله يوم القيامة جزاءً وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً.

---

(١) **صحيح**: م: (٩٨٧).

عباد الله! وإذا تأملنا هذه الآية وجدنا بأن الله ـ عز وجل ـ لم يستثن شيئاً؛ أي: لم يستثن حُلِيَّ المرأة.

فانتبهوا وأفهموا وعوا، إذا نظرنا إلى الآية الكريمة لم يستثن ربنا ـ جلّ وعلا ـ شيئاً مما تجب فيه الزكاة من الذهب والفضة حتى أنه لم يستثن ما كان حلياً إذا بلغ النصاب ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الآية.

هل استثنى ربنا ـ جل وعلا ـ في الآية ما كان حلياً يا عباد الله؟ الجواب: لا. وانظروا إلى تفسير رسول الله ﷺ للآية هل استثنى ما كان حلياً؟ يقول ﷺ: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها، إلا مثل له شجاعاً أقرع له زبيبتان...**».

● بل قد جاء في السنّة أن امرأة من اليمن أتت النبي ﷺ ومعها ابنةٌ لها وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب فقال لها: («**أتعطين زكاة هذا**» قالت: لا. قال: «**أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟**» قال: فخلعتهما فألقتهما إلى النبي ﷺ وقالت: هما لله ولرسوله)[1].

فتبيّن أن الصحيح من أقوال العلماء في حلي المرأة قول من قال: إن في حلي المرأة زكاة إذا بلغ النصاب فللعلماء في حلي المرأة قولان:

● فريق قالوا: لا زكاة في حلي المرأة.

● وفريق قالوا: فيه الزكاة.

والفريق الذي قال بالزكاة في حلي المرأة إذا بلغ النصاب كما سمعتم هم الذين معهم الدليل، ولكن الفتوى الأخرى التي تقول بعدم الزكاة في حلي المرأة هي التي تتناسب مع هوانا ومع حبنا للمال، ولذلك نرى كثيراً من الناس يأخذون بها ولا يخرجون زكاة الذهب عندهم، حتى

---

(١) **حسن**: د: (١٥٦٣)، ت: (٦٣٧)، ن: (٢٤٧٩)، حم: (٢/ ٢٠٤)، طب: (٢٤/ ١٧٠)، [«ص.غ.هـ» (٧٦٨)].

أَنَّ هناك من الناس من يخزن في بيته بخمسين ألف دينار من الذهب، ويقول: إنه لزينة المرأة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، تذكر أنك ستعذب به يوم القيامة يا من بخلت بزكاته.

عباد الله! ثم نقول لهذا البخيل بالزكاة:

• اعلم أيها البخيل أن الملائكة تدعو عليك بالفقر بالليل والنهار، يقول ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللّهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللّهم أعط ممسكاً تلفاً**»[١].

ووالله ما سمعنا عن أحدٍ منع الزكاة، وحرم الفقراء من ماله، إلا حرمه الله هذا المال إما بحريق، وإما بسرقة، وإما أن يأخذه ورثته من بعده ويُسْأَل هو عن هذا المال أمام الله.

• أيها البخيل بالزكاة، اعلم أن منع الزكاة سبب لمنع المطر من السماء، قال ﷺ: «**يا معشر المهاجرين خصال خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن**»، ـ فذكر من هذه الخمس ـ: «**ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا**»[٢].

• أيها البخيل بالزكاة، اعلم أنك ستعذب في النار، قال ﷺ: «**مانع الزكاة يوم القيامة في النار**»[٣].

• واعلم أيها البخيل أن البخل بالزكاة، والبخل بالإنفاق في سبيل الله سبب لسفك الدماء: يقول ﷺ: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**»[٤].

---

(١) **صحيح**: خ: (١٣٧٤)، م: (١٠١٠).
(٢) **صحيح**: هـ: (٤٠١٩)، ك: (٤/ ٥٨٢)، [«ص.ج» (٧٩٧٨)].
(٣) **حسن**: طص: (٢/ ١٤٥)، [«ص.ج» (٥٨٠٧)].
(٤) **صحيح**: م: (٢٥٧٨).

فيا عباد الله! جامع المال، الذي بخل بإخراج الزكاة يعذب في الدنيا بجمع هذا المال فتراه لا يعرف طعم النوم لأنه يفكر في جمع المال، وله عذاب عند الموت وهو يفارق هذا المال؛ لأنه يحبه والفراق صعب عليه، فعندما يفارق البخيل هذا المال تراه يتألم لأنه يفارق حبيبه! وعذاب له يوم القيامة عندما يقف أمام الجبار يسأله عن هذا المال من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟ فالعاقل هو الذي ينفق من هذا المال، ويقدم منه بَيْن يديه عند الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

فقدّم يا ابن آدم لنفسك في حياتك ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، ولذلك يقول ربنا ـ جل وعلا ـ محذراً عباده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ٩ ـ ١١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ [إبراهيم: ٣١].

فيا أيها البخيل بالزكاة، أتمنع الزكاة بعدما سمعت؟!! أترضى لنفسك هذا العذاب يوم القيامة؟ أتصبر على عذاب جهنم؟ أظن أن الجواب: لا. فأنفق وأخرج الزكاة قبل أن تندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

عباد الله! أما **الأمر الثاني** الذي دفعني للحديث عن الزكاة أن هناك فريقاً من الناس، وقليل ما هم ـ يخرجون زكاة أموالهم في هذا الشهر المبارك فأردت أن أبشرهم بمالهم عند الله من النعيم المقيم.

فأقول: أيُّها المزكي، أبشر إذا أخرجت زكاة مالك، فالله ﷻ

يطهرك ويطهر هذا المال. قال ـ تعالى ـ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

طهرةٌ وزكاة للنفس والمال، ولذلك من يُخْرِج زكاة ماله بعد أن يتغلب على نفسه الشحيحة، يشعر باللذة، ويشعر بحلاوة الإيمان وبطمأنينة النفس؛ لأنه زكى نفسه من مرض الشح والبخل حين أنفق في سبيل الله.

أما الذي يمنع الزكاة فتراه دائماً في كرب وفي نكد، وفي ضنك، لم؟ لأنه مريض بمرض خطير ألا وهو مرض الشح والبخل.

• أيها المزكي لمالك، أبشر، فأنت من المرحومين يوم القيامة عند الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾ [التوبة: ٧١].

• اعلم أيها المزكي أنك من الذين يمكنون في الأرض إن شاء الله. قال ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)﴾ [الحج: ٤١].

• اعلم أيها المزكي أنك إن شاء الله ـ تعالى ـ من أهل الجنة، قال تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩)﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٩].

عباد الله! **أما الأمر الثالث الذي دفعني للحديث عن الزكاة فهو** أن كثيراً من المسلمين في هذا الزمان يتهاونون في أمر الزكاة، ويتساهلون في أمر الزكاة، ويحتالون على الله في الزكاة، فأقول لهم محذراً:

• اعلموا أن الزكاة ركن من أركان الإسلام ـ وهي الركن الثالث فيه؛ يقول ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن**

محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان»[(١)].

• واعلموا عباد الله أن الله ﷻ ولأهمية الزكاة قرنها مع الصلاة في كتابه في اثنين وثمانين موضعاً.

• واعلموا أن أهمية الزكاة جعلت الصدِّيقُ ﷺ يحارب الذين منعوا الزكاة وفرّقوا بين الصلاة والزكاة.

• واعلموا عباد الله أن من أنكر الزكاة وجحد فرضية الزكاة فهو كافر خارج عن ملة الإسلام يحل دمه وعرضه، وإذا مات لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين.

• واعلموا عباد الله أن الزكاة فرض على كل مسلم حرٍ ملك النصاب.

• واعلموا عباد الله أن الزكاة لا تجب على المال إلا إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول.

عباد الله! أما بالنسبة لزكاة الفطر، فحكمها: أنها واجبة على كل مسلم ومسلمة، الدليل قول ابن عمر رضي الله عنهما: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدَّى قبل خروج الناس إلى الصلاة)[(٢)].

أما حكمتها: أي الحكمة من زكاة الفطر: أنها طهرةٌ للصائم من الرفث، ومن اللغو، وطعمة للمساكين.

يقول ابن عباس رضي الله عنه: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرةٌ للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين)[(٣)].

---

(١) **صحيح**: خ: (٨)، م: (١٦). (٢) **صحيح**: خ: (١٤٣٢).

(٣) **حسن**: د: (١٦٠٩)، هـ: (١٨٢٧)، ك: (١/٥٦٨)، قط: (٢/١٣٨)، [«ص.غ.هـ» (١٠٨٥)].

أما مقدارها: فعن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: (كنا نخرج زكاة الفطر ـ أي: على عهد رسول الله ﷺ ـ صاعاً من طعام أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من أقط، أو صاعاً من زبيب)(١).

هل سمعتم أنهم أخرجوا ديناراً أو نصف دينار؟ لقد كانوا يخرجونها كما فرض رسول الله ﷺ لأن خير الهدي هدي محمد ﷺ.

أما وقتها: فتخرج قبل صلاة العيد ـ أي: إذا انتهى رمضان أخرجها الناس قبل صلاة العيد كما قال ابن عباس: (فمن أدّاها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات)(٢).

اللّهم فقهنا في ديننا
اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه

❁ ❁ ❁

(١) **صحيح**: خ: (١٤٣٥).
(٢) **حسن**: [«ص.غ.هـ» (١٠٨٥)] وقد تقدم تخريجه.



الوصية الثانية والعشرون:
«إنَّ الدعاء ينفع ممّا نزل وممّا لم ينزل...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثانية والعشرين:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء**»[(١)]، وصية عظيمة من رسول عظيم يحث أُمّته فيها على الدعاء، ويبيّن لهم أن الدعاء ينفع صاحبه مما نزل ومما لم ينزل.

عباد الله! الله ـ عز وجل ـ أمرنا بدعائه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ ووعدنا بالإجابة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال ﷺ: قال الله عز وجل: «**قسّمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل**»[(٢)].

ويقول ﷺ: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة**»[(٣)].

---

(١) **حسن لغيره**: ت: (٣٥٤٨)، ك: (١/ ٦٧٠)، [«ص.غ.هـ» (١٦٣٤)].

(٢) **صحيح**: م: (٣٩٥).

(٣) **حسن**: ت: (٣٤٧٩)، ك: (١/ ٦٧٠)، [«ص.ج» (٢٤٥)].

عباد الله! واللهُ ﷻ يحب من عبده أن يسأله من كل شيء، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢].

فليسأل أحدكم ربه حاجته كلها، حتى يسأله الملح، وحتى يسأله نعله إذا انقطع.

واعلم يا عبد الله! أن الله ﷻ يغضب عليك إذا لم تدعه، فالله ﷻ يفرح ويرضى منك أن تدعوه وتطلب منه كل شيء ويغضب عليك إذا تركت سؤاله.

يقول ﷺ: «**إنه من لم يسأل الله يغضب عليه**»[(١)]، وقال القائل:

لا تسألنَّ بُنَيَّ آدم حاجةً ... وَسَلِ الذي أبوابُه لا تُحْجبُ

الله يغضبُ أن تركتَ سؤالَه ... وبُنَيُّ آدمَ حين يُسأل يغضبُ

واعلموا! أن الله ـ ﷻ ـ توعّد الذين يستكبرون عن دعائه بالنار.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

فالله ـ ﷻ ـ أمرنا بدعائه، ووعدنا بالإجابة وعلمنا في كتابه وعلى لسان رسوله كيف ندعوه، فمن أراد أن يدعو الله ﷻ فعليه أن يتعلم ما يلي:

أولاً: عليك ـ يا عبد الله ـ إذا أردت أن تدعو الله ـ ﷻ ـ أن تدعوه بربوبيته، أن تقول وأنت رافع يديك: يا رب، يا رب، يا رب.. لأن الله علمنا ذلك في كتابه واقرءوا آخر سورة البقرة حيث علمنا الله ـ ﷻ ـ فيها كيف ندعوه.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا

---

(١) **حسن**: ت: (٣٣٧٣)، ك: (١/ ٦٦٧)، خد: (٦٥٨)، ع: (١٢/ ١٠)، [«ص.ت» (٢٦٨٦)].

طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وفي آخر سورة آل عمران علمنا ربنا ـ جل وعلا ـ كيف ندعوه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ.... إلى أن قال: إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، يقول الله ـ عز وجل ـ بعد أن علمنا الدعاء: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وكذلك إذا قرأت دعاءً لنبي من الأنبياء في كتاب الله تجده يقول ربنا.

ثانياً: أن تسأل الله ـ عز وجل ـ بأسمائه الحسنى، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وسمع الرسول ﷺ رجلاً يدعو وهو يقول: (اللّهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد)، فقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سئل به أعطى**»(١).

ثالثاً: على الداعي إذا دعا الله ـ عز وجل ـ أن يستغل الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء، كوقت إفطار الصائم ـ فللصائم دعوة مستجابة ـ وفي يوم الجمعة بعد العصر ـ ففي يوم الجمعة ساعة إذا دعوت الله فيها استجاب الله لك ـ وفي يوم عرفة، وبين الآذان والإقامة حيث لا يرد الدعاء، وعندما تكون ساجداً لله فإنك أقرب ما تكون من ربك قال ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**»(٢)، وكذلك في شهر رمضان عامة وفي ليلة القدر خاصة، تقول عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله أرأيت إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال ﷺ: «**قولي: اللّهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**»(٣)، فالعاقل

---

(١) **صحيح**: د: (١٤٩٣)، ت: (٣٤٧٥)، حم: (٥/ ٣٥٠)، حب: (٨٩١)، ك: (١/ ٦٨٣)، [«ص.غ.هـ» (١٦٤٠)].

(٢) **صحيح**: م: (٤٨٢).

(٣) **صحيح**: ت: (٣٥١٣)، هـ: (٣٨٥٠)، حم: (٦/ ١٨٣)، ك: (١/ ٧١٢)، هب: (٣/ ٣٣٩)، [«ص.غ.هـ» (٣٣٩١)].

هو الذي يستغل هذه الأوقات التي يجاب فيها الدعاء كشهر رمضان وليلة القدر، وها نحن يا عباد الله في العشر الأواخر من رمضان ولقد بيَّن لنا الرسول ﷺ وأرشدنا إلى أن نلتمس ليلة القدر لكنك ترى الكثير من المسلمين يجلسون في بيوتهم فإذا جاءت ليلة السابع والعشرين هرولوا إلى المساجد وظنوا واعتقدوا أنها هي فقط ليلة القدر، لا يا عباد الله، أرشدنا رسول الله ﷺ أن نلتمس هذه الليلة في الليالي العشر الأخيرة من رمضان وفي الوتر منها خاصة، فربما تكون في ليلة الحادي والعشرين، وربما تكون ليلة الثالث والعشرين، وربما تكون ليلة الخامس والعشرين، وربما تكون ليلة السابع والعشرين، وربما تكون ليلة التاسع والعشرين، وكلها أوقات فاضلة، على العاقل أن يستغلها وأن يقول: يا رب، ويسأل الله من خير الدنيا والآخرة فالله ﷻ أمرنا بالدعاء ووعدنا بالإجابة.

عباد الله! وهنا سؤال مهم.

هل ينفع الدعاء صاحبه والله ﷻ قد قدَّر كل شيء؟ رسولنا الكريم ﷺ يجيب عن هذا السؤال، ويبيّن أن الدعاء ينفع صاحبه مما نزل ومما لم ينزل، فقال في وصيته التي معنا: «**إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل...**»، وبالمثال يتضح المقال.

- لنضرب مثالاً يبيّن لنا أن الدعاء ينفع صاحبه مما نزل.

- هذا أيوب عليه السلام نزل به الضرّ، ونزل به البلاء في جسده، وفي أهله، وفي ماله، فماذا فعل أيوب عليه السلام؟ دعا الله ﷻ فانتفع بدعائه، إذ رفع الله عنه الضر وشفاه من مرضه، وأعطاه أهله ومثلهم معهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

- وهذا يونس عليه السلام عندما سُجن في بطن الحوت، دعا الله ﷻ أن

يكشف غمه، وأن يرفع كربه، فاستجاب الله ليونس عليه السلام في دعائه بأن رفع عنه البلاء بعد ما نزل.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

أما الأمثلة على كون الدعاء ينفع ما لم ينزل:

• فهؤلاء قوم يونس عليه السلام عندما عصوه وهددهم بالعذاب من عند الله، خرجوا إلى الصحارى يجأرون إلى الله، يرفعون أيديهم إلى الله، ويدعون الله أن يرفع عنهم العذاب فاستجاب الله لهم ورفع عنهم العذاب. قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٨].

مثال آخر:

• وهذا زكريا عليه السلام اشتاق إلى الولد، يريد أن يكون له وريث يرث دعوته إلى الله ـ عز وجل ـ، فدعا الله أن يرزقه غلاماً فاستجاب الله له ووهب له غلاماً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

وحينما كان رسولنا صلى الله عليه وسلم يخطب في الناس الجمعة طلب الناس منه أن يستسقي لهم، أن يطلب السقيا من الله ـ عز وجل ـ فرفع صلى الله عليه وسلم يديه إلى السماء، ودعا الله ـ عز وجل ـ وطلب الغيث، فما هي إلا لحظات وتكونت السحب ونزل المطر أسبوعاً كاملاً[1].

---

(١) **صحيح**: خ: (٩٧٣)، انظر الحديث بتمامه.

• فالدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، ولذلك قال ﷺ: «**لا يرد القضاء إلا الدعاء**»(١).

يا أيها البخيل لا تبخل على نفسك بالدعاء، وادعُ الله ﷻ بالليل والنهار واطلب منه ما شئت من خير الدنيا والآخرة، فالله ﷻ غني وأنتَ فقير، فالله ﷻ خزائنه ملأى لا تنفد أبداً، سحَّاء بالليل والنهار يعطي الإنس والجن، يرزق الجميع، فالله ﷻ يريد منك يا عبد الله أن ترفع يديك وتقول: يا رب، اشفني فيشفيك، يا رب، ارزقني فيرزقك، يا رب أعطني الولد فيعطيك، فهو سبحانه قدير، يعطي ما شاء لمن شاء في أي وقت شاء.

عباد الله! وهناك موانع تحول بينكم وبين الإجابة، فنذكر منها أمثلة لعلنا نتذكر قبل فوات الأوان.

المانع الأول: غفلة القلب عند الدعاء: كثير من الناس يرفع يديه ويقول: يا رب، وقلبه غافل لاهٍ، وقلبه مشغول بالدنيا الفانية، وهذا لا يستجاب له؛ إذ لا بد وأنت تدعو يا عبد الله أن تجمع قلبك وعقلك وتعلم أَنك تدعو الكريم، وأنك واقف بَيْن يدي الجبار ﷻ.

يقول ﷺ: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يقبل دعاءً من قلبٍ غافل لاهٍ**»(٢).

المانع الثاني: أكل الحرام: كثير من الناس يصلي ويدعو ولكنه يملأ بطنه من الحرام، امتدت يده إلى الرشوة وأكل الربا، وأكل الحرام فيرفع يده ويقول: يا رب، يا رب، يقول ﷺ: «**فأنى يستجاب لذلك**»! قال ﷺ: «**إن الله تعالى طيّب لا يقبل إلا طيباً ـ إلى أن ذكر ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام،**

---

(١) **حسن**: ت: (٢١٣٩)، بز: (٦/ ٥٠١)، [«ص.ج» (٧٦٨٧)].

(٢) **حسن**: ت: (٣٤٧٩)، ك: (١/ ٦٧٠)، [«ص.ج» (٢٤٥)].

ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»[١].

فاتقوا الله في بطونكم، واتقوا الله في أجسادكم، فأيما جسد نبت من سُحت فالنار أولى به.

المانع الثالث: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن الإنسان إذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم دعا لم يُسْتَجب له.

وإذا تركنا كأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعونا الله ﷻ أن ينصرنا على أعدائنا، وإن يسقينا الغيث لم يُستجب لنا، وإن سقانا سقانا من أجل البهائم، «**ولولا البهائم لم يمطروا**»[٢].

يقول ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لتأمرنّ بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**»[٣].

فيا عبد الله إذا أردت الإجابة فعليك بالدعاء، وعليك بالابتعاد عن هذه الآفات؛ لأن الله ﷻ طيب لا يقبل إلا طيباً.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم

أن يتقبل صيامنا وقيامنا وأن يوفقنا لطاعته في رمضان وبعد رمضان

❀ ❀ ❀

---

(١) **صحيح**: م: (١٠١٥).

(٢) **صحيح**: هـ: (٤٠١٩)، ك: (٤/ ٥٨٢)، طس: (٥/ ٦١)، هب: (٣/ ١٩٦)، [«ص.ج» (٧٩٧٨)].

(٣) **حسن**: ت: (٢١٦٩)، حم: (٥/ ٣٩١)، [«ص.ج» (٧٠٧٠)].



الوصية الثالثة والعشرون:
«كل أمتي يدخلون الجنة إلاَّ من أبىٰ»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثالثة والعشرين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: **من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبىٰ**»(١).

وصية عظيمة من رسول عظيم بيَّن فيها أَن من أطاع الله ورسوله دخل الجنة، ومن عصى الله ورسوله دخل النار، ولا يظلم ربك أحداً. والله عز وجل في كتابه أخبرنا بذلك: بأن من أطاعه وأطاع رسوله دخل الجنة، ومن عصاه وعصى رسوله دخل النار، ليهلِك من هلك عن بيِّنه ويحيا من حي عن بينة.

يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٨٥١).

عباد الله! والذي دفعني للحديث عن الطاعة، وعن المعصية في هذا اليوم بالذات أمران اثنان:

الأمر الأول: أن هناك فريقاً من الناس ـ وقليل ما هم ـ استقاموا على طاعة الله ورسوله في رمضان، ويريدون أن يستقيموا على طاعة الله ورسوله بعد رمضان، ونسأل الله أن نكون وإياكم من هؤلاء، فأردت أن أُبيِّن لهؤلاء وأُذكرهم ببعض الأعمال الصالحة التي أخبر المصطفى ﷺ أن من عملها بعد رمضان دخل الجنة.

أما الأمر الثاني: فهو أن فريقاً من الناس ـ وكثير ما هم ـ إذا انتهى رمضان انتكسوا على أُمِّ رءوسهم وعادوا إلى المعاصي مرة ثانيةً، وبارزوا الله بالمعاصي، وحاربوا الله ورسوله بالليل والنهار وودَّعوا المساجد، والصيام، والصلاة، فأردت أن أحذر هؤلاء من الرجوع إلى المعاصي مرة ثانية، والذكرى تنفع المؤمنين.

نقول للفريق الأول: ـ الذين أطاعوا الله ورسوله في رمضان ويريدون أن يستقيموا على الطاعة بعد رمضان ـ نذكِّر هؤلاء ببعض الأعمال الصالحة التي هي سبب لدخول الجنة التي قال فيها الرسول ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**».

يقول ﷺ: «**إن في الجنة غرفاً يُرَىٰ ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلَّى بالليل والناس نيام**»(١).

عباد الله! إن في الجنة من النعيم «**ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»(٢).

ومن هذا النعيم: غرف يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من

---

(١) **حسن**: حم: (٥/ ٣٤٣)، حب: (٥٠٩)، طب: (٣/ ٣٠١)، هب: (٣/ ٤٠٤)، [«ص.ج» (٢١٢٣)].

(٢) **صحيح**: خ: (٣٠٧٢)، م: (٢٨٢٤).

ظاهرها، إنه منظر جميل لا يرى إلا في الجنة، وهذه الغرف أعدها الله ﷻ لمن آمن وعمل صالحاً.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [العنكبوت: ٥٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ: ٣٧].

هذه الغرف لمن آمن وعمل صالحاً، وصبر على إيمانه وعلى الأعمال الصالحة في رمضان وبعد رمضان، ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾ [الفرقان: ٧٥].

• ومن الأعمال الصالحة التي ذكَّرنا بها رسول الله ﷺ والتي هي سبب لدخول الجنة إلانة الكلام.

والكلام اللين: هو الكلام الطيب، والمؤمن لا يخرج منه إلا الطيب، والله ﷻ طيب لا يقبل إلا طيباً.

والكلام الطيب سبب لدخول الجنة.

يقول الله ـ ﷻ ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًاۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحج: ٢٣، ٢٤].

• **الكلام الطيب صدقة:**

فإذا عجزت يا عبد الله عن التصدق بالمال فلا تعجز عن الكلام الطيب، يقول ﷺ: «**الكلمة الطيبة صدقة**»[١].

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٨٢٧)، م: (١٠٠٩).

والكلمة الطيبة صدقة أفضل من الصدقة التي يتبعها الأذى، فإذا جاءك سائل ولم يكن معك ما تعطيه فاصرفه بالكلمة الطيبة، يقول الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٣]. اصرفه بكلمة طيبة خير لك عند الله من أن تعطيه مالاً بذلٍ وإهانة.

• **الكلمة الطيبة في الدعوة إلى الله سبب لكل خير وسبب لنجاح الداعية.**

فكثير من الدعاة نجحوا في دعوتهم بالكلمة الطيبة، ولذلك أمر الله نبيّه موسى وهارون عندما أرسلهما إلى فرعون أن يقولا له قولاً ليناً، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٣، ٤٤]، فيا معشر الدعاة، عليكم بالكلمة الطيبة لتنجحوا في دعوتكم.

• **الكلمة الطيبة تنجيك من عذاب النار:**

يقول ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلِّمه الله ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار، ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة**»[١].

من أجل ذلك أمر الله عَزَّ وَجَلَّ عباده المؤمنين أن يتكلموا دائماً بالكلام الطيب، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء: ٥٣].

بالله عليكم، كم من رجل طلق امرأته بسبب كلمة بذيئة؟ كم من رجل عقَّ والديه بسبب كلمة نابية؟ فالكلام السيء سبب لكل شر، والكلام الطيب سبب لكل خير، والعاقل الذي أراد الجنة، وأراد أن يسكن في هذه الغرف في الجنات فعليه بلين الكلام؛ لأنَّ النبي ﷺ قال: «**أعدها الله لمن ألان الكلام**».

---

(١) **صحيح**: خ: (٧٠٧٤)، م: (١٠١٦).

الخصلة الثانية ـ وأطعم الطعام:

وهذا عامٌّ في رمضان وبعد رمضان، بالليل والنهار، سراً وعلانية، للأغنياء والفقراء، إطعام الطعام مهما كان حتى ولو كان للكلاب تدخل بسببه الجنة.

- فهذهِ امرأة بغي سقت كلباً عطشانَ فغفر الله لها[١].
- وهذهِ امرأة مسلمة حبست هرة لم تطعمها فأدخلها الله النار[٢].
- ***عباد الله!*** إن إطعام الطعام سبب لسكنى الجنة.

يخبر الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ عن أهل الجنة أَنهم كانوا يطعمون الطعام.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٢].

ويقول ﷺ مبيِّناً أن إطعام الطعام سبب لدخول الجنة: «**يا أيها الناس، أفشوا السلام** ـ أي: على من عرفتم وعلى من لم تعرفوا ـ **وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»[٣]. وبيَّن لنا ربنا ـ جل وعلا ـ أن البخل بإطعام الطعام سببٌ لسكنى النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٤]، وبيَّن لنا الرسول ﷺ فقال: «**دخلت امرأةٌ النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**»[٤].

---

(١) **صحيح**: م: (٢٢٤٥).

(٢) **صحيح**: خ: (٣٢٩٥)، م: (٢٢٤٢).

(٣) **صحيح**: هـ: (٣٢٥١)، حم: (٥/ ٤٥١)، مي: (١٤٦٠)، ك: (٣/ ١٤)، طس: (٥/ ٣١٣)، [«ص. هـ» (٧٨٦٥)].

(٤) **صحيح**: خ: (٣١٤٠)، م: (٢٢٤٢).

الخصلة الثالثة ـ وتابع الصيام:

وهو صيام التطوع المشروع واعلم يا عبد الله أنه ليس فرضاً عليك كما فرض رمضان إنما هو تطوع منك لتفوز بهذه الغرف التي يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها.

- ومن الأيام التي بيّنها لنا الرسول ﷺ وشُرع لنا صيامها بعد رمضان:

- ستة أيام من شوال.

يقول ﷺ: «**من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر**»(١)، فلا تبخل على نفسك يا عبد الله، وصيام هذه الأيام يجوز متتالياً بعد يوم العيد، ويجوز مفرقاً خلال شهر شوال إلا أن تصوم الجمعة منفرداً لقوله ﷺ: «**لا تصوموا يوم الجمعة مفرداً**»(٢)، فإن صمت يوماً قبله جاز، وأما صيام السبت فلا يجوز للمسلم أن يصومه إلا في الفريضة لقوله ﷺ: «**لا تصوموا يوم السبت إلا في فريضة...**»(٣).

- صيام الاثنين والخميس من كل أسبوع، فلقد صامهما الرسول ﷺ، ولما سُئل عن ذلك قال: «**إن أعمال العباد تعرض يوم الاثنين والخميس**»(٤).

- صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

- صيام يوم عاشوراء وتاسوعاء.

---

(١) **صحيح**: م: (١١٦٤).

(٢) **صحيح**: حم: (١/ ٢٨٨)، ك: (٣/ ٧٠٤)، طب: (٢/ ٢٨١)، [«س.ص» (٩٨١)].

(٣) **صحيح**: د: (٢٤٢١)، ت: (٧٤٤)، هـ: (١٧٢٦)، خز: (٢١٦٣)، حب: (٣٦١٥)، ك: (١/ ٦٠١)، [«ص.ج» (٧٣٥٨)].

(٤) **صحيح**: د: (٢٤٣٦)، [«ص.ج» (١٥٧٠)].

• صيام يوم عرفة، والأيام العشر من ذي الحجة إلى غير ذلك من الأيام التي شرعها لنا الرسول ﷺ[١].

فلا تحرم نفسك أن تصوم يوماً تطوعاً لله، فالعمر يمر سريعاً فإن مرَّ عليك يومٌ وقد صمته فاحمد الله عليه، أما إذا مرت الأيام والليالي ولم تصم، ولم تقم بالليل تصلي فإنك ستندم عند فراق هذه الدنيا.

الخصلة الرابعة: وقد سبق أن تكلمنا عنها وهي: «**وصلَّى بالليل والناس نيام**».

• ***عباد الله!*** الصلاة بالليل سبب لدخول الجنة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٨].

ويقول ﷺ: «**نِعْمَ الرجل عبد الله لو كان يصلِّي من الليل**»[٢] وقال ﷺ: «**لا تكن كفلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل**»[٣]. فمن وفق في رمضان لقيام رمضان فلا يحرم نفسه بعد رمضان أن يقوم بالليل في بيته، أو أن يقوم بأهله فيصلي بهم ركعتين في جوف الليل فيكتب بذلك عند الله من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

عباد الله! كل هذه أعمال صالحة نزفها للذين يريدون أن يستقيموا بعد رمضان إن حافظوا عليها فازوا بهذه الجنة.

ثم نقول للفريق الثاني: الذين يريدون أن ينتكسوا إلى المعاصي بعد رمضان، ونحذرهم ونذكرهم فنقول: يا من تريدون أن تعودوا بعد رمضان إلى معصية الله اعلموا:

---

(١) انظر كتاب «الوجيز» (ص٢٠٠، ٢٠١) للشيخ عبد العظيم بدوي حفظه الله.
(٢) **صحيح**: خ: (١٠٧٠)، م: (٢٤٧٩).
(٣) **صحيح**: خ: (١١٠١)، م: (١١٥٩).

أولاً: أن العمر قليل وأن الأيام تمر بسرعة، وأن الموت يأتي بغتة، فبالأمس القريب استقبلنا رمضان وها نحن اليوم ربما نودع رمضان، وهكذا تمر الأيام:

نسير إلى الآجال في كلِّ لحظةٍ وأيامُنا تُطوى وهنَ مراحلُ
ولم أرَ مثل الموتِ حقاً كأنه إذا ما تخطتْه الأماني باطلُ
وما أقبح التفريطَ في زمن الصبا فكيفَ بهِ والشيبُ للرأس شاعلُ
ترحلْ من الدنيا بزادٍ من التقى فعمرُك أيامٌ وهنَّ قلائل

قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)﴾ [الجمعة: ٨].

وهناك ستندم أيها العاصي في وقت لا ينفع فيه الندم.

ثانياً: اعلموا أن المعاصي سبب لحياة الضنك في الدنيا وفي الآخرة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤)﴾ [طه: ١٢٤].

ثالثاً: نقول للعصاة الذين يصرون على المعاصي بعد رمضان.

اعلموا أن المعاصي شؤم على صاحبها، وشؤم على المجتمع الذي تعيشون فيه، فالعاصي شؤم على بيته، شؤم على أولاده، شؤم على مجتمعه، شؤم على أمته يقول ﷺ: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»(١).

رابعاً: اعلم أيها العاصي أن المعاصي سببٌ لانتشار الأمراض الخبيثة.

أيها العاصي إذا أصبت بمرض خبيث عضال لا شفاء منه فلا تلومن إلا نفسك، يقول ﷺ: «**لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا..**»(٢).

---

(١) **صحيح**: ك: (٢/٤٣)، طب: (١/١٧٨)، [«ص.ج» (٦٧٩)].

(٢) **صحيح**: هـ: (٤٠١٩)، ك: (٤/٥٨٢)، هب: (٧/٣٥١)، طس: (٥/٦١)، [«ص.ج» (٧٩٧٨)].

فإذا ابتليت بالإيدز، أو السرطان، أو بمرض خبيث بسبب معاصيك فلا تلومن إلا نفسك.

ونقول لهؤلاء: العاقل من اتعظ بغيره، فتعال يا من تريد أن تعود إلى المعاصي مرة ثانية واعتبر بمن قبلك، اعتبر بهذا العاصي وهو يندم عند الموت لتفريطه في جنب الله. قال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ ـ لِـمَ ـ ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ فيقال له: ﴿كَلَّآۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

فالآن عد إلى الله، الآن تب، من الآن استمر على الطاعة بعد رمضان. وإياك والانتكاس فالموت يأتي بغتة.

• واستمع إلى هذا العاصي في أرض المحشر يوم القيامة وقد ظلم نفسه بالمعاصي وفرّط في جنب الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

قرين السوء ـ الصاحب السيء ينتظرك، قرين السوء بعد رمضان ينتظرك لتدخن معه فتعصي الله معه، ذئب بشري يأخذك إلى المعاصي فاحذر منه واعتبر بهذا الذي يندم ويعض على أصابعه من الندم.

• واستمع إلى العصاة في النار لتعتبر يا عبد الله حتى لا تعود إلى المعاصي فتكون من هؤلاء، يقول الله ـ عز وجل ـ في وصف أهل النار: ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٧].

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه..

❊ ❊ ❊



الوصية الرابعة والعشرون:
(أ) «ثلاث مهلكات...»

عباد الله! الإيمان بالرسل الكرام ركن من أركان العقيدة الصحيحة، والإيمان برسولنا ﷺ يستلزم منا معشر المسلمين أن نقبل وصاياه، وأن نعمل بها وأن نعض عليها بالنواجذ.

ولذلك فنحن لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الرابعة والعشرين:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث كفَّارات، وثلاث درجاتٌ، فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى مُتَّبع، وإعجاب المرء بنفسه، وأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية، وأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات. وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام**»[(١)].

أمة الإسلام! وصية واللهِ عظيمة من رسول عظيم يبيّن فيها لأمته ما يهلكها، وما ينجيها، وما يكفر خطاياها، وما يرفع درجاتها، لمن أراد أن يذَّكَّرَ أو أراد شكوراً، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ليهلِكَ من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة. ولذلك قررنا ـ إن شاء الله

---

(١) **حسن**: طس: (٦/ ٤٧)، [«ص.ج» (٣٠٤٥)].

تعالى ـ أن نعيش مع هذه الوصية شهراً كاملاً لنتكلم أولاً عن المهلكات، ثم نتكلم ثانياً عن المنجيات، ثم نتكلم ثالثاً عن الكفارات، ثم نتكلم رابعاً عن الدرجات.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ فقط مع الحديث عن المهلكات.

فاسمعوا وعوا عباد الله لتنجوا من هذه المهلكات، فرسولنا الكريم ﷺ يخبرنا أنها تهلك: «**ثلاث مهلكات**»، ما هي يا رسول الله؟ فيقول: «**فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**» أمراضٌ خطيرة إذا أصيب بها الإنسان هلك: «**الشح، الهوى، العُجب**».

فاسمع يا ابن آدم! هل أصبت بأحد هذه الأمراض؟ فإن كان الجواب: نعم فالفرصة أمامك الآن في الدنيا لتستعتب، ولتطهر نفسك من هذه الأمراض، وإن كنت لم تُصَبْ بها بعد فاحمد الله وكن منها على حذر.

المرض الأول ـ «شح مطاع»:

• الشح: هو أعلى درجات البخل، وهو مرض خطير قد أصاب كثيراً من الناس فأهلكهم، فرسولنا ﷺ يخبرنا أن الشح يهلك صاحبه، فقال ـ في الوصية التي معنا ـ: ثلاث من المهلكات فعد منها «شح مطاع»، وقال في حديث آخر: «**اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم**»[(١)].

• الشح شر على صاحبه في الدنيا والآخرة، يقول ﷺ: «**شَر ما في الرجل شُحٌّ هالع، وجبنٌ خالعٌ**»[(٢)]. والله ـ عز وجل ـ يخبرنا بذلك في كتابه،

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٧٨).

(٢) **صحيح**: د: (٢٥١١)، حم: (٢/٣٠٢)، حب: (٣٢٥٠)، ش: (٥/٣٣٢)، هب: (٧/٤٢٤)، [«ص.ج» (٣٧٠٩)].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠].

● ومن شر الشح على صاحبه في الدنيا أنه سبب لزوال النعم، فإذا بخل الإنسان وابتلي بمرض الشح والبخل فَحَرَمَ الفقراء والمساكين من ماله عاقبه الله فحرمه هذا المال في الدنيا، والعاقل من اتعظ بغيره.

● هؤلاء أصحاب الجنة كانوا يعرفون حق الفقراء والمساكين في بستانهم، فاجتمعوا ذات ليلة وقرروا وعزموا أن يحرموا الفقراء والمساكين من بستانهم، فعاقبهم الله ﷻ على هذا البخل وعلى هذا الشح بأن حرمهم جنتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾ ـ العقاب ـ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم: ١٧ ـ ٢٠].

عباد الله! العاقل من اتعظ بغيره، فهؤلاء شحوا وبخلوا فحرمهم الله المال، وصاحب المصنع، وصاحب المال، وصاحب العقارات، وصاحب الأغنام والأبقار وصاحب السيارات، ومهما ملكت يا ابن آدم اعلم أنك إذا بخلت بحق الفقراء من هذا المال اعلم أَنك معرض ـ أنت والمال ـ للهلاك في أي لحظة، واعتبر بأصحاب الجنة.

● أما شر الشح على صاحبه في الآخرة فهو سبب لعذابه في النار. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

● وأيضاً فإن الشح ينافي الإيمان فإيمان وشح في قلب الرجل لا يجتمعان أبداً، يقول ﷺ: «**لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد**

أبداً»[١]. إذا وجد الإيمان وجد الكرم ووجد الإنفاق، وكلما زاد الإيمان في القلب كلما قال الإنسان بماله هكذا في مرضاة الله، وكلما قل الإيمان زاد الشح والبخل. وانظر إلى الذي منع الزكاة ولم ينفق في سبيل الله وستراه لا يعرف أبواب المساجد، وستراه إن كان يصلي لا يعرف قيمة الصلاة.

فالشح خطير إن وُجِدَ ضَعُفَ الإيمانُ، وإذا غاب زاد الإيمان، إنه مرض خطير منع الكثير من الناس من إخراج زكاة أموالهم، ومنع الكثير من الناس من النفقة في سبيل الله.

والعلاج: أن تطهر نفسك من هذا المرض، وتزكيها فقد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها، ومن نقَّى نفسه من الشح نال فلاح الدنيا والآخرة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦] فكونوا من الشح على حذر.

المرض الثاني ـ «وهوى متَّبع»:

الهوى: مرض خطير يهلك صاحبه يا عباد الله أتدرون لم؟ لأن الهوى يمنع صاحبه من الاستجابة لله ولرسوله ﷺ. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، عباد الله! هناك من يستمع لهذا النداء، وهناك من لا يستجيب لهذا النداء، أتدرون ما السبب؟ إنه الهوى، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

- كثير من الناس سمع آلاف المرات، وقرأ في كتاب الله وفي سنّة

---

(١) **صحيح**: ن: (٣١١٠)، حم: (٢/٤٤١)، حب: (٣٢٥١)، خد: (٢٨١)، هب: (٤/٢٦)، ش: (٤/٢٢١)، [«ص.ج» (٧٦١٦)].

رسول الله أن الربا حرام وحتى هذه اللحظة لم يستجب، السبب: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ﴾.

• ومن النساء من تصلي وتعلم علم اليقين أن التبرج حرام، وأن الله حرّم التبرج، وأن الله أمرها بالحجاب! ولكنها وحتى هذه اللحظة تخرج إلى الشارع متبرجة، السبب: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ﴾.

والإنسان يا عباد الله إذا استجاب لهواه، ـ إذا أمره ائتمر وإذا نهاه انتهى ـ فقد اتخذ هواه إلهاً من دون الله، وكثير من الناس من يعبدون أهواءهم، والله ﷻ أخبرنا عن هؤلاء. فقال ـ تعالى ـ: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣]، فالهوى إله يعبد عند كثير من الناس:

فالذي يدخن قل له: الدخان حرام، يقول لك: نعم، قل له: لم تدخن؟ لسان حاله يُجيب: الهوى.

الذي يحلق لحيته قل له: أما تعلم أن الرسول ﷺ أمر بإعفاء اللحية، فحلقها حرام؟ يقول لك: نعم، قل له: لم تحلقها؟ الجواب: ﴿أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ﴾، وقس على ذلك جميع المعاصي وبالمثال يتضح البيان.

• الظالم يعلم أن الظلم حرام، ومع ذلك يظلم لِمَ؟ اتبع هواه، قال ـ تعالى ـ: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۖ﴾ [الروم: ٢٩].

• الرجل يتزوج بأكثرَ من امرأة فيميل إلى إحداهن دون الأخرى، والذي دفعه لذلك الهوى.

• الرجل يعطي أحد أولاده، ويحرم الآخر وهذا من الجوْر في

الوصية، ما الذي دفعه لذلك؟ الهوى، ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ۚ﴾ [النساء: ١٣٥].

إذا اتبعتم الهوى جُرْتم، وإذا خالفتم الهوى عدلتم.

الذين يُحَكِّمُون القوانين الوضعية، ويتركون حكم الله في كل بلاد المسلمين السبب: أنهم اتبعوا أهواءهم، واتبعوا أهواء الناس، فحكّموا القوانين الوضعية وتركوا حكم الله.

ولذلك يقول ربنا ـ جل وعلا ـ لرسوله ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨﴾ [الجاثية: ١٨]، إياك إياك أن تتبع أهواء الذين لا يعلمون.

• فإلى الذين يظنون أن القوانين الوضعية خير من حكم الله. نقول لهم قال الله ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩]، وأن احكم بينهم بأي شيء! بما أنزل الله في كتابه وفي سنّة نبيّه ولا تتبع أهواءهم، ويقول الله ـ ﷻ ـ في كتابه: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ۝٢٦﴾ [ص: ٢٦]، فالهوى مضلٌّ لصاحبه يا عبادَ الله.

• وهناك من اعوجوا في دعوتهم من الجماعات الإسلامية حين سلكوا طريقاً أعوج في الدعوة إلى الله ما أنزل الله به من سلطان أتدرون ما هو السبب؟ اتبعوا أهواءهم واتبعوا أهواء الناس، وإذا طلب الناس منهم طلباً استجابوا لهم.

والله ـ ﷻ ـ يقول لرسوله ﷺ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْۖ﴾ [الشورى: ١٥]، إذا اتبع الدعاة أهواء الناس ضلوا وأضلوا ولذلك فإن الكثير ممن يدعون إلى الإسلام يدعون إلى الضلال المبين، ويظنون أنهم يحسنون صنعاً، وإذا قلت لهم: هذا لا يجوز، وهذا غير الذي فعله أصحاب المصطفى ﷺ تجد عندهم مبررات... وما هي إلا الأهواء.

فيا إخوة الإسلام: الهوى مهلك، والعلاج: أن تخالف الهوى، وأن تنهى نفسك عن الهوى، ولذلك قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧ ـ ٤١].

عباد الله! يقول ﷺ: «**ثلاث مهلكات: فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**».

فالمرض الثالث ـ «وإعجاب المرء بنفسه»:

العُجب: مرض خطير جداً قد يصاب به العالِم بسبب علمه، إذا لم يكن هذا العالم على تقوى من الله، وقد يعجب الغني بغناه، وقد يعجب صاحب التجارات بتجارته، وقد يعجب المرء أحياناً بعشيرته، فتراه يتصدر المجالس ويُظهر للناس أنه من عشيرة كذا، وكأنه يرى أنه يرتفع على الناس بعشيرته أو بماله أو بمنصبه، أو بعلمه.

العجب يهلك صاحبه؛ فالمعجب بنفسه ترى دائماً حاله يقول: أنا خير منه. وهذه (أنا خير منه) مهلكة، والعاقل من اتعظ بغيره.

• فهذا إبليس نظر إلى نفسه وقد خلق من النار، ونظر إلى آدم فوجده خلق من طين: فلما أُمر بالسجود لآدم ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، وكثير من الناس الآن يجلس في المجالس فتراه يقول: أنا فلان، ولا يقول: أنا خير منك، ولكن عندما يقول: أنا فلان أما تعرفني فهو إما أن يعرِّف نفسه بمنصبه، وإما أن يعرِّف نفسه بعشيرته، وإما أن يعرِّف نفسه بعلمه. المهم أنه هالك لأنه يرى نفسه أفضل من الجالسين، فلقد قالها إبليس من قبل فهل هلك؟ الجواب: «**نعم**».

قال ـ تعالى ـ لإبليس: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ [ص: ٧٧، ٧٨]. انظروا عباد الله: هلك بسبب إعجابه بنفسه فأُخرجَ من الجنة إلى النار أبد الآباد مطروداً من رحمة الله ملعوناً إلى يوم القيامة.

● مثال آخر:

صاحب الجنتين في سورة الكهف: اغتر ببستانه، اغتر بما عنده من ملك، كما نرى اليوم صاحب الأموال تراه ينظر إلى مصانعه، أو إلى أراضيه أو إلى سياراته أو إلى قصره، وكأنه يمشي على الأرض وما عليها إلا هو، نقول له: يا ابن آدم ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧]. أنت فقير وضعيف، والله ﷻ قادر على أن يحرق مصنعك وسيارتك في ساعة واحدة، فاعتبر أيها المغرور بصاحب الجنتين الذي عندما رأى ما فيها قال لصاحبه الفقير وهو يحاوره: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾، فلما اغتر ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾، النتيجة التي تهمُنا هل هلك بهذا الغرور؟ «نعم»، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٣٤، ٣٦، ٤٢]. هل ينفع الندم؟ لا ينفع، لماذا هلك؟ لأنه قال للفقير: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾.

من الذي أعطاك المال؟ الله، من الذي يأخذه منك؟ الله، يعز من يشاء ويذل من يشاء فسبحانه وتعالى.

● مثال ثالث:

● قارون ملك مالاً كثيراً، فاغترَّ بماله وأعجب بنفسه، فقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨]، كما يقول الأغنياء اليوم هذه الأموال التي معنا إنما هي بسفرنا وبتجارتنا وجهدنا لا دخل لله فيها فلم نصلّي؟ الذي يصلّي هو الفقير لأنه في حاجة إلى الله، أما نحن معشر الأغنياء فحالنا يقول لِمَ نصلّي؟! ونحن عندنا هذه الأموال التي لو أنفقنا منها الدهور الطويلة ما انتهت! نقول لأولئك: هذا قارون امتلك مالاً أكثر من ميزانية أكثر الدول اليوم، فاغتر بماله فقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾، فانظروا إلى النتيجة ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١]، فقارون يتجلجل في الأرض من يوم أن خسف الله به وبداره إلى يوم القيامة.

إنه العُجْب! ابن آدم إياك والعُجْبَ، رسولنا ﷺ يقول: «**ثلاث مهلكات منها إعجاب المرء بنفسه**»، وإياك يا طالب العلم أن تُعْجَبَ بعلمك، إياك أن ترى نفسك شيئاً عظيماً بما عندك من علم، فالذي وفقك للعلم هو الله، وهو سبحانه قادرٌ على أن يبتليك بمرض فتنسى ما عندك من علم، وأنت يا صاحب المال إياك أن تغتر بالمال، فالذي أعطاك المال هو الله، وهو سبحانه قادر على أن يأخذه منك أو يأخذك منه.

فاتقوا الله عباد الله في أنفسكم وطهروها مِنْ هذه الأمراض، وأظن أن هذه الأمراض ابتلي بها الكثير من الناس، «**شح مطاع، هوى متبع، إعجاب المرء بنفسه**».

اللّهم نجنا من هذه الأمراض واحفظنا منها



٩٠

الوصية الرابعة والعشرون (ب):
«... وثلاثٌ منجيات»

عباد الله! في الجمعة الماضية بدأنا الحديث عن الوصية الرابعة والعشرين من وصايا المصطفى ﷺ فتكلمنا عن المهلكات التي قال عنها ﷺ: «**فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**».

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المنجيات.

يقول ﷺ: «**وثلاث منجيات، ثم قال ﷺ: فأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية**»[(١)] وبسبب المطر الغزير، والبرد الشديد قررنا أن نتكلم عن اثنتين منهم ونؤجل الأخرى إلى الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

عباد الله! **أولىٰ المنجيات.**

يقول ﷺ: «**العدل في الغضب والرضى**».

عباد الله! من أراد أن ينجو من عذاب الله في الدنيا والآخرة فعليه أن يعدل في كل شيء في حالة الغضب وفي حالة الرضى. فالله ـ عز وجل ـ أمرنا بالعدل في كل شيء، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨]،

---

(١) **حسن**: [«ص.ج» (٣٠٤٥)] وقد تقدم تخريجه.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾ [النساء: ١٣٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، فأمرنا الله ـ عز وجل ـ بالعدل في كل شيء، وجاء الإسلام ينهى عن الظلم في كل شيء، ويحذر من الظلم في كل شيء.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩].

والرسول ﷺ يقول: «**إياكم والظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**»[١]، فجاء الإسلام يأمر بالعدل في كل شيء، وجاء الإسلام ينهى عن الظلم في كل شيء.

عباد الله! يغلبُ على الإنسان منا الجورُ والظلم عند الغضب والرضى، وبالمثال يتضح البيان:

المثال الأول:

● هذا رجل عنده أولاد فرضي عن أحد أبنائه فأعطاه عطاءً، وخصَّه بشيء من الميراث دون الآخرين، فماذا فعل هذا الوالد في حال الرضى؟ جار في وصيته وظلم.

● رجل آخر عنده أولاد فغضب على أحد أبنائه فحرمه من الميراث وأعطى الآخرين فدفعه الغضب إلى أن جارَ وظلم.

---

(١) **صحيح**: حم: (٢/ ١٠٥)، مي: (٢٥١٦)، طب: (٢٠/ ٢٥)، طس: (٦/ ٣٤٧)، ش: (٧/ ١٩٢)، هب: (٦/ ٤٧)، [«الموسوعة الحديثية»].

فيا عباد الله! الجور والظلم في حالة الغضب والرضى حرام في الإسلام، والدليل على ذلك: عن النعمان بن بشير أن أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال: إني نحلت ابني هذا غلاماً فقال: «**أكل ولدك نحلت مثله**»، قال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «**فارجعه**»[(١)]؛ أي: ارجع العطاء مرة ثانية. وفي رواية أخرى: قال ﷺ للرجل: «**أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟**»، قال: لا، قال: «**فاتقوا الله واعدلوا في أولادكم**». قال: فرجع ـ أي: الرجل ـ فرد عطيته[(٢)]. وفي رواية ثالثة: قال له ﷺ: «**ألك ولد سوىٰ هذا؟ قال: نعم يا رسول الله، قال أكلهم وهبت لهم مثل هذا؟** قال: لا يا رسول الله، فقال ﷺ: «**فلا تشهدني إذاً فإني لا أشهد على جور**»[(٣)].

عباد الله! كم منا من منع أحد أولاده بسبب الغضب أو أعطى أحدهم بسبب الرضى؟! أعطى هذا وحرم هذا، أظن أن كثيراً منا قد فعل ذلك ـ إلَّا مَنْ رحم ربي ـ ولعل ممن يسمعنا الآن يعلم أنه قد وقع في هذا فنقول له: ارجع عما فعلت كما رجع الصحابي عما فعل، طاعة لله ولرسوله، واعلم أن النجاة في العدل في الغضب والرضى.

عباد الله! اتقوا الله واعدلوا في أولادكم، وهذا مثال آخر:

هذا رجل تزوج بامرأتين فرضي عن واحدة، وغضب على الأخرى فمال إلى الأولى وأعطاها وحرم الثانية، فبسبب الرضى والغضب جار في القسمة بين نسائه وهذا حرام في الإسلام، يقول ﷺ: «**من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى جاء يوم القيامة وشقه مائل**»[(٤)]. فمن أراد النجاة فعليه بالعدل في الغضب والرضى.

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٤٤٦)، م: (١٦٢٣).

(٢) **صحيح**: خ: (٢٤٤٧).

(٣) **صحيح**: خ: (٢٥٠٧)، م: (١٦٢٣).

(٤) **صحيح**: د: (٢١٣٣)، ن: (٣٩٤٢)، هـ: (١٩٦٩)، مي: (٢٢٠٦)، هب: (٦/ ٤١٣)، [«ص.ج» (٦٥١٥)].

ولذلك جاء الإسلام ينهى القاضي أن يقضي بين اثنين وهو غضبان، فقال ﷺ: «**لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان**»(١).

أتدرون لم؟ خشية أن يجور في حكمه وقال ﷺ: «**لا يقضين أحد في قضاءٍ بقضاءين، ولا يقضين أحد بين خصمين وهو غضبان**»(٢).

فإياك والجور، وإذا أردت النجاة فعليك بالعدل في حالة الغضب والرضى، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

عباد الله! أما ثاني المنجيات فيقول ﷺ: «**القصد في الفقر والغنى**»، إذا أردتم النجاة من عذاب الله في الدنيا والآخرة فعليكم بالقصد في الفقر والغنى.

فالشح والبخل كما قلنا في الجمعة الماضية أهلكا صاحبيهما، وكذلك الإسراف والتبذير والترف يهلك صاحبه.

عباد الله! اللهُ ـ عز وجل ـ أمرنا بالإنفاق، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم﴾ [المنافقون: ١٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

● وفي الوقت الذي أمرنا الله فيه بالإنفاق حذرنا من الإسراف والتبذير فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]؛ وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

● في الوقت الذي أمرنا الله فيه بالإنفاق، وحذرنا من الإسراف والتبذير والترف، حذرنا من البخل.

---

(١) **صحيح**: هـ: (٢٣١٦)، حم: (٥/ ٣٧)، حب: (٥٠٦٣)، فع: (١٣٢٧)، قط: (٤/ ٢٠٥)، طص: (٢/ ٣٣)، [«ص.هـ» (١٨٧٤)].

(٢) **صحيح**: ن: (٥٤٢١)، [«ص.ج» (٧٧٥٦)].

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ﴾ [محمد: ٣٨].

• وقد جمع الله ﷻ بين التحذير من البخل والتحذير من الإسراف في آية واحدة. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ ـ نَهْيٌ عن الشح والبخل ـ ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ نَهْيٌ عن الإسراف والتبذير والترف ـ ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

النجاة يا عباد الله في القصد في الفقر والغنى، ولذلك وصف ربنا ـ جل وعلا ـ عباده (عباد الرحمن) بأنهم إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].... إلى أن قال ربنا ـ ﷻ ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

فمن أراد النجاة فعليه بالقصد في الفقر والغنى، وبعد ما تبيّن لنا يا عباد الله! أن الشح والبخل سبب للهلاك كما قلنا في الجمعة الماضية، فاعلموا كذلك أن الإسراف والتبذير والترف في الدنيا سبب للهلاك في الدنيا والآخرة.

الله ـ ﷻ ـ قال: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: ١٦] هذا في الدنيا.

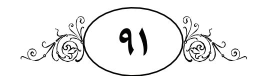
• أما الهلاك في الآخرة فهو دخول النار، قال ـ تعالى ـ واصفاً لأهل النار: ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الواقعة: ٤١ ـ ٤٥]؛ أي: في الدنيا، فإياكم والترف يا عباد الله.

عباد الله! إذا رأينا المترفين الأغنياء الذين لا دين لهم يفسدون في الأرض ويملئون الأرض فساداً بأموالهم فهذا مبشر يبشر بالشر، فليتق الله كل منا في ماله، ولنقتصد في الفقر والغنى، فالنجاة يا عباد الله في العدل في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم

أن يرزقنا العدل في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى





الوصية الرابعة والعشرون (حـ):
«... وثلاث منجيات...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن الوصية الرابعة والعشرين من وصايا المصطفى ﷺ، وفي الجمعة الماضية تكلمنا عن المنجيات التي قال فيها ﷺ: «**وثلاث منجيات**»، ثم قال ﷺ: فأما المنجيات: «**العدل في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية**»(١).

وفي الجمعة الماضية تكلمنا عن العدل في الغضب والرضى، وعن القصد في الفقر والغنى.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع ثالث المنجيات وهو «**خشية الله في السر والعلانية**».

عباد الله! خشية الله ـ تعالى ـ في السر والعلانية تنجي صاحبها من عذاب الله في الدنيا والآخرة.

وخشية الله ـ تعالى ـ هي: الخوف من الله ﷻ، ويكون ذلك بالعلم، فكلما ازداد الإنسان علماً ازداد لله خشية.

● والله ـ ﷻ ـ في كتابه أخبرنا أن خشية الله من صفات الملائكة.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨﴾ [الأنبياء: ٢٨].

---

(١) **حسن**: [«ص.ج» (٣٠٤٥)] وقد تقدم تخريجه.

وقال - تعالى - في موضع آخر يصف الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠].

الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار ولا يفترون، ويقول ﷺ فيهم: «**أطَّت السماء ويحق لها أن تئِطَّ، والذي نفس محمد بيده، ما فيها موضع شبرٍ إلا وفيه جبهةُ ملك ساجد يسبح الله بحمده**»[1]، ومع ذلك كله فهم من خشيته مشفقون، وأنت يا ابن آدم تعصي الله بالليل والنهار وتجمع إساءةً وأمناً!؟ ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [عبس: ١٧].

• وأخبرنا الله ﷻ في كتابه أن خشيته سبحانه وتعالى من شيم الأنبياء ومن صفاتهم.

قال - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وقال تعالى في وصف النبيين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: ٥٨]، وقال - تعالى - في وصف الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

• خشية الله تعالى من شيم العلماء، كلما ازداد الإنسان علماً ازداد لله خشية.

• قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ﴾ [فاطر: ٢٨].

• خشية الله من صفات المؤمنين الصادقين، قال - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنبياء: ٤٩]، وقال

---

(١) **صحيح**: [«ص.ج» (١٠٢٠)].

ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠، ٦١].

تقول عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «**لا يا ابنة الصديق، لكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يقبل منهم**»(١).

قال الحسن البصري: (والله عملوا بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا ألا تقبل منهم)، ثم قال: (المؤمن جمع إحساناً وشفقة، والمنافق جمع إساءة وغرة)(٢).

● أي: المؤمن يعمل الصالحات، ويخشى ألا تقبل منه فهو على خوف شديد من الله عز وجل.

● أما المنافق: فجمع إساءةً؛ أي: معاصي، وأمناً؛ أي: أنه أمن مكر الله ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

عباد الله! الله ـ عز وجل ـ في كتابه أوجب علينا خشيته في السر والعلانية، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

● وهذا رسولنا صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه على خشية الله في السر والعلانية، يقول أبو ذر رضي الله عنه: (أوصاني خليلي أن أخشى الله كأني أراه فإن لم أكن أراه فإنه يراني).

ويقول ابن عمر رضي الله عنه: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي ثم قال: «**اعبد الله**

---

(١) **صحيح**: ت: (٣١٧٥)، هـ: (٤١٩٨)، حم: (٦/ ٢٠٥)، هب: (١/ ٤٧٧)، [«ص.ت» (٢٥٣٧)].

(٢) انظر سبب ذكر هذا القول للحسن البصري رحمه الله كما في: طس: (١/ ١٨١).

كأنك تراه»[١]، وقال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**اتق الله حيثما كنت**»[٢]، الله ـ عز وجل ـ يأمرنا بخشيته، والرسول ﷺ يربي أصحابه على خشية الله سبحانه.

أتدرون لم يا عباد الله؟

لأن الخشية تنجي صاحبها من عذاب الله في الدنيا والآخرة، فللخشية ثمار عظيمة في الدنيا والآخرة.

فمن ثمارها في الدنيا:

أولاً: البكاء من خشية الله، فالخشية إذا تمكنت في القلب أبكت العيون، فهل عرفتم لم جمدت العيون يا عباد الله؟ لأن الخشية قد غابت عن القلوب، إذا سكن الخوف قلباً عَمُرَ، وإذا فارق الخوف قلباً خَرِبَ، وانظروا إلى أهل الدنيا العصاة ترونهم مقبلين على معصية الله بالليل والنهار، أتدرون لم يا عباد الله؟ لأن الخوف من الله قد فارق قلوبهم.

الخشية تورث البكاء، فالذي يخشى الله تراه يبكي بالليل والنهار، إذا سمع القرآن بكى، وإذا وقف في صلاته بكى، وإذا تذكر القيامة بكى، وإذا تذكر الجنة والنار بكى خوفاً من الله.

• هذا صهيب الرومي لا ينام، يتقلب على فراشه كما يتقلب العصفور في المقلى تقول له زوجته: (يا صهيب ألم يجعل اللهُ عز وجل الليل سكناً؟ فيقولُ لها: نعم لكل الناس إلا لصهيب، فقالت له: ولم؟ قال: إذا تذكرت الجنة طار نومي شوقاً لها فلا أنام، وإذا تذكرت النار طار نومي خوفاً منها فلا أنام).

• وهذا عمر بن عبد العزيز: تذكر يوماً موقفاً من مواقف يوم القيامة (فبكى وهو أمير المؤمنين، فبكت فاطمة ـ زوجته ـ فبكى أهل الدار لا

---

(١) **إسناده صحيح**: حم: (٢/ ١٣٢)، حل: (٦/ ١١٥)، [«الموسوعة الحديثية»].

(٢) **حسن**: حم: (٥/ ٢٣٦)، طب: (٢٠/ ١٤٥)، طس: (٤/ ١٢٥)، طص: (١/ ٣٢٠)، هب: (٦/ ٢٤٤)، [«ص.ج» (٩٧)].

يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء فلما تجلى عنهم العبر قالت له فاطمة: بأبي أنت يا أمير المؤمنين مم بكيت قال: ذكرت يا فاطمة منصرف القوم من بين يدي الله ﷻ فريق في الجنة وفريق في السعير قال: ثم صرخ وغشى عليه)[(١)].

يقول: الله ـ ﷻ ـ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧، ١٠٨].

ويقول ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» منهم: «**ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**»[(٢)]، عيون سهرت على كتاب الله تبكي من خشية الله، أما العيون التي باتت على شاشات المفسديون، والبطون التي امتلأت بالربا فأنّىٰ تبكي من خشية الله؟ يقول ﷺ: «**حُرِّمَ على عينين أن تنالهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس الإسلام وأهله من أهل الكفر**»[(٣)].

الثمرة الثانية في الدنيا:

أن خشية الله تعالى تدفعك إلى طاعة الله وإلى الأعمال الصالحة، فكلما ازداد الإنسان خشية لله كلما أقبل على الأعمال الصالحة، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

قام طوال الليل ساجداً وقائماً لله، ما الذي دفعه لذلك؟ يحذر

---

(١) حل: (٥/ ٢٦٩).

(٢) **صحيح**: خ: (١٣٥٧)، م: (١٠٣١).

(٣) **حسن**: ك: (٢/ ٩٢)، هب: (٤/ ١٦)، [«ص.ج» (٣١٣٦)].

الآخرة ويخاف من الوقوف بين يدي الله، ويرجو رحمته سبحانه، قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، فالعلم دفعه إلى العبادة، والعلم أورثه الخشية، والخشية دفعته إلى الطاعة، ورسولنا ﷺ يضرب مثلاً أعلى في ذلك. فيقول ﷺ: «**فوالله إني أعلمهم بالله، وأشدهم له خشية**»[١]، فكان ﷺ يقوم من الليل حتى تورَّمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال ﷺ: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**»[٢].

عباد الله! من ثمار الخشية المسارعة إلى الأعمال الصالحة، فهذا أبو بكر الصديق: صاحب رسول الله، ثاني اثنين إذ هما في الغار، خليفة رسول الله، أحد العشرة المبشرين بالجنة، الذي بُشر بالجنة من رسول الله، ونزل فيه قرآنٌ يتلى إلى يوم القيامة، ومع ذلك كان يبكي دائماً حتى اشتهر بين كل الناس أن أبا بكر كثير البكاء، جلس يوماً فنظر إلى طائر يطير على الشجر فقال له: (طوبى لك يا طير، والله لوددت أني كنت مثلك، تقع على الشجر، وتأكل من الثمر ثم تطير وليس عليك حساب ولا عذاب)[٣]، أبو بكر تمنى أن يكون طائراً لا حساب ولا عذاب عليه، علماً بأنه قد بشر بالجنة، ومع ذلك يخشى ويخاف من الله، ومن الوقوف بين يدي الله، ومع أنه بُشِّر بالجنة، ولكن الخشية دفعته إلى المسارعة في الأعمال الصالحة، فما سبقه أحد من الصحابة وكان دائماً سباقاً لكل خير.

• انظروا يا عباد الله، واستمعوا إلى هذا الموقف الفريد لأبي بكر رضي الله عنه والذي يدل على أنه ما ترك خيراً إلا وكان يسارع إليه.

يجلس ﷺ يوماً مع أصحابه فيسأل: «**من أصبح منكم اليوم صائماً**»؟ يقول أبو بكر: أنا ـ السؤال في نفس المجلس ـ، ثم قال ﷺ: «**فمن تبع**

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٨٧١)، م: (٢٣٥٦).

(٢) **صحيح**: خ: (٤٥٥٦)، م: (٢٨١٩).

(٣) ش: (٧/ ٩١)، هب: (١/ ٤٨٥).

منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟**» قال أبو بكر: أنا، قال: «**فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟**» قال أبو بكر أنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن في امرئٍ إلا دخل الجنة**»[(١)].

مسارعة إلى الأعمال الصالحة: تقوم الليل، تصوم النهار، تحافظ على دروس العلم، تأمر بالمعروف تنهى عن المنكر، هذه هي ثمار الخشية.

الثمرة الثالثة في الدنيا للخشية: أنها تحول بينك وبين معصية الله.

فالذين يخافون من الله يبتعدون عن المعاصي، يقول ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ـ فذكر منهم ـ: ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين**»[(٢)]. امرأة ذات منصب أي: إذا لم يفعل ما تأمره فإنها تقدر على سجنه، وجمال أي: أنها تغريه بجمالها، ومع ذلك فالرجلُ قال: إني أخاف الله، إنها الخشية.

• هذا يوسف عليه السلام في بيت امرأة العزيز، سيدته! وهي التي تأمره وكانت امرأة جميلة! غلَّقت الأبواب! وهي التي قالت له: هيت لك! ومع ذلك، قال: معاذ الله، فحالت الخشية بينه وبين المعصية.

• وهؤلاء الثلاثة الذين دخلوا الغار وأُغلق عليهم الغار، فأيقنوا الهلاك. **أما الأول:** فكان قد منعته خشية الله عز وجل من عقوق الوالدين، ودفعته إلى برهما.

وأما الثاني: فكان قد منعته خشية الله عز وجل من الوقوع في الزنا، ودفعته إلى تركه بعد أن قدر عليه.

وأما الثالث: فكان قد منعته خشية الله عز وجل من أن يأكل أجر الأجير، ودفعته أن يعطي حق الأجير كاملاً.

---

(١) **صحيح:** م: (١٠٢٨).

(٢) **صحيح:** خ: (٦٤٢١)، م: (١٠٣١).

فدعوا الله بأعمالهم تلك فاندفعت الصخرة عن باب الغار وأنقذهم الله من الموت المحقق(١).

أما ثمار الخشية في الآخرة فهي كثيرة جداً، منها:

أولا: المغفرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك: ١٢].

ثانياً: تنجي صاحبها من النار، قال ﷺ: «**لا يلج النار رجل بكى من خشية الله...**»(٢).

ثالثاً: الفوز يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٥٢﴾ [النور: ٥٢].

رابعاً: الجنة ورضوان الله ـ ﷻ ـ، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾ [البينة: ٧، ٨].

عباد الله! خشية الله في السر والعلانية سبب لكل خير كما وصَّانا بها رسول الله ﷺ وبيَّن لنا أن المنجيات هي: «**العدل في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية**».

وهنا سؤال مهم ألا هو: ما هي الأسباب التي يتحصل بها الإنسان على الخشية في السر والعلانية؟

الأسباب كثيرة نوجزها فيما يلي:

أولاً: العلم الشرعي. العلم بالله، فكلما تعلم الإنسان كلما ازداد لله خشية، وإذا تعلمت يا ابن آدم العلم الشرعي، وزادك الله خشية فهنيئاً لك،

---

(١) **صحيح**: خ: (٢١٥٢)، انظر القصة كاملة.

(٢) **صحيح**: ت: (١٦٣٣)، ن: (٣١٠٨)، حم: (٢/ ٥٠٥)، ك: (٤/ ٢٨٨)، لس: (٢٤٤٣)، ش: (٧/ ١٢٧)، هب: (١/ ٤٩٠)، [«ص.ج» (٧٧٧٨)].

وإذا تعلمت يا ابن آدم وزادك العلم تكبراً على الناس فقد ابتعدت عن الله ﷻ، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

فعلى الإنسان أن يتعلم، وأن يَعلم عن الله ﷻ ما جاء في الكتاب والسنة من الأسماء والصفات.

• فإذا علم العبد أن الله ﷻ منتقم، جبار، متكبر، دفعه هذا العلم إلى أن يكون دائماً على حذر من الجبار ومن المنتقم.

• وإذا علم الإنسان أن الله سميع يسمعه: فإنه سيستحي من الله ﷻ فلا يغتاب المسلمين، ويستحيي من الله فلا يكذب، ويستحيي من الله فلا يشهد شهادة زور.

• وإذا علم الإنسان أن الله بصير يراه أينما كان فإنه يستحيي أن يقترف المعاصي. ولذلك نقول للعصاة: إذا كنتم تعتقدون أن الله لا يراكم فقد كفرتم بالله، وإذا كنتم تعتقدون أن الله يراكم فلم جعلتم الله أهون الناظرين إليكم؟! فهل تعتقد يا عبد الله أن الله يراك ومطلع عليك ثم تزني! أو تأكل الربا! أو تقع في أعراض الناس! قال ـ تعالى ـ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [النساء: ١٠٨].

ثانياً: أن تتذكر دائماً ولا تنسى أنك تحت رقابة شديدة، أنت مراقب يا عبد الله رقابة شديدة، فإذا علم الإنسان ذلك خاف من الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١].

فاستحِ من الله وأنت تغش، استحِ من الله وأنت تكذب، استحِ من الله وأنت تخرج بزوجتك متبرجة، استحِ من الله وأنت تأكل الربا، استحِ من الله وأنت ذاهب إلى المحكمة لتشهد شهادة زور.

● إنَّ عليك رقابة من الله، رقابة من الملائكة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧، ١٨].

● رقابة من الأرض التي تدب عليها يا ابن آدم، فهذه الأرض تشهد عليك يوم القيامة إما بالخير وإما بالشر.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ١ ـ ٨].

فمن مشى على الأرض إلى المسجد، وإلى دروس العلم، وللإصلاح بين الناس، وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شهدت له الأرض يوم القيامة بذلك.

ومن مشى على الأرض للإفساد بين الناس، وللزنا، ولشرب الخمر، ولأكل الربا شهدت عليه الأرض يوم القيامة بذلك.

● رقابة من أعضائك يا عبد الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤]، فاتقوا الله عباد الله.

من علم أنه تحت هذه الرقابة كان دائماً على وجل، كان دائماً على خوف من الله ﷻ، ما من كبيرة ولا صغيرة ولا حركة ولا سكنة إلا وتسجل عليك يا عبد الله، وعلمك بهذا يجب أن يورثك الخشية من الله ﷻ.

ثالثاً: أن تتذكر الموت وما بعد الموت من الأهوال العظام.

تذكر الوقوف بين يدي الله، تذكر الناس يوم القيامة وقد تطايرت الصحف، فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله، ثم اسأل نفسك ـ وأنت تضحك ـ يا عبد الله من أي الفريقين أنت؟ تذكر الميزان إذا ثقلت

موازين، وخفت موازين، تذكر ـ وأنت تضحك وجالس أمام المفسدين ـ مع أي الفريقين أنت؟ تذكر يوم القيامة، فريق في الجنة وفريق في السعير واسأل نفسك مع أي الفريقين أنت يا عبد الله؟!

واللهِ لو علمَ الأنامُ لم خلقوا	لمَ هَجَعُوا ونامُوا
لقدْ خُلِقوا لأمرٍ لو رأتْهُ	عيونُ قلوبِهِمْ تاهوا وهاموا
مماتٌ ثم قبرٌ ثم حشرٌ	وتوبيخٌ وأهوالٌ عظامُ
ليوم الحشرِ قد عملتْ رجالٌ	فصلوا من مخافتِهِ وصاموا
ونحنُ إذا أمرنا أو نهينا	كأهلِ الكهفِ أيْقَاظَ نيامُ

رابعاً: إذا أراد الإنسان أن يخشى الله فعليه أن يتذكر ما أعده الله للعصاة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾ [الليل: ١٤، ١٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ﴾ [الكهف: ٢٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧].

فتعلموا يا عباد الله، وحافظوا على دروس العلم، واجتهدوا في قراءة القرآن وفي تدبر القرآن فهذا يورث الخشية، والخشية نجاة لنا في الدنيا والآخرة.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم
أن يرزقنا وإياكم خشيته في السر والعلانية

* * *



٩٢

الوصية الرابعة والعشرون (د): «... وثلاث كفارات...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن الوصية الرابعة والعشرين من وصايا المصطفى ﷺ والتي يقول فيها:

«ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات»، ثم يقول ﷺ: **«فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه، وأما المنجيات: العدل في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية»** ـ وقد تكلمنا عن ذلك في الجمع الماضية ـ **«وأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام»**(١).

ونتكلم في هذا اليوم ـ يا عباد الله ـ فقط عن **إسباغ الوضوء في السبرات**.

وفي الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية نتكلم عن انتظار الصلاة بعد الصلاة، ونقل الأقدام إلى الجماعات.

أمة الإسلام! إسباغ الوضوء في السبرات: أي في شدة البرد، من كفارات الذنوب.

إسباغ الوضوء في شدة البرد سبب لمحو الخطايا والذنوب. وكلنا يا

---

(١) **حسن**: [«ص.ج» (٣٠٤٥)] وقد تقدم تخريجه.

عباد الله في أَمَسِّ الحاجة إلى هذه الوصية؛ لأننا جميعاً بلا استثناء نذنب بالليل والنهار، والعصمة فقط للأنبياء، عصمة من الله سبحانه وتعالى، أما مَنْ دون الأنبياء فيذنب. فأنت يا عبد الله في أمس الحاجة إلى الأخذ بهذه الوصية، وإلى أن تعض عليها بالنواجذ؛ لأنها تبيّن لك الأعمال الصالحة التي تكفِّر؛ أي: تمحو عنك الذنوب والخطايا.

عباد الله! الذنوب والمعاصي شؤم على صاحبها في الدنيا والآخرة.

• أما شؤم الذنوب والمعاصي على صاحبها في الدنيا فهي سبب للهلاك، فما من عاصٍ هلك إلا بذنب، وما من أمة هلكت إلا بذنب. فالله ـ عز وجل ـ قال: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأنعام: ٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠].

• المعاصي شؤم على صاحبها في الدنيا؛ لأنها تحرمه بركات السموات والأرض. كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

• ومن شؤم المعاصي على صاحبها في الدنيا، أنها تجعله يعيش معيشة ضنكاً. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ ـ أي: أقبل على المعاصي والذنوب ـ ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

• والذنوب والمعاصي تحرم صاحبها الرزق وهي سبب لنزول العذاب على الأمم.

أما شؤم المعاصي في الآخرة:

• فإنها تسود الوجوه يوم القيامة. قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آل عمران: ١٠٦].

• ومن شؤم المعاصي يوم القيامة: أنها حمل ثقيل، كل يحمل أثقاله على ظهره، الحر شديد، الزحام شديد، والعرق كثير، والكرب عظيم، ومع ذلك وأنت في هذا الموقف تحمل أوزارك على ظهرك يا عبد الله.

قال - تعالى -: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٥].

وقال - تعالى -: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت: ١٢، ١٣].

وقال - تعالى -: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ﴾ [فاطر: ١٨].

فالمعاصي والذنوب حمل ثقيل يوم القيامة فخفف عن نفسك يا عبد الله.

• ومن شؤم المعاصي يوم القيامة أنها تجعلك من المفلسين يقول ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟... إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار**»(١).

• ومن شؤم المعاصي يوم القيامة: أنها تجعل صاحبها يندم في وقت لا ينفع فيه الندم، قال - تعالى -: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٨١).

• ومن شؤم المعاصي يوم القيامة أنها سبب لدخول صاحبها في النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٧].

عباد الله! هذه مقدمة ليتبيّن لك يا أخا الإسلام أن المعاصي والذنوب شؤم في الدنيا والآخرة.

عباد الله! ومن الأعمال الصالحة التي تكفر هذه الذنوب وهذه المعاصي بعد التوبة: «**إسباغ الوضوء في السبرات**»؛ أي: في شدة البرد كما سمعتم من وصية رسول الله ﷺ.

وقال ﷺ: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفعُ به الدرجات؟ إسباغُ الوضوء على المكاره، وكثرةُ الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**»(١).

وقال ﷺ: «**من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره**»(٢).

وقال ﷺ: «**إسباغُ الوضوء في المكاره، وإعمالُ الأقدام إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، يغسل الخطايا غسلاً**»(٣)، الذهاب إلى المساجد للصلاة فيها، وانتظار الصلاة.

فإسباغ الوضوء شأنه عظيم، وتعلمك كيف تتوضأ أمر عظيم، أما بالنسبة لفضل الوضوء عامة ففضله عظيم.

---

(١) **صحيح**: ت: (٥٢)، ن: (١٤٣)، حم: (٢/٣٠٣)، حب: (١٠٣٨)، هب: (٣/١٥)، [«ص.ج» (٢٦١٨)].
(٢) **صحيح**: م: (٢٤٥).
(٣) **صحيح**: ك: (١/٢٢٣)، ع: (١/٣٧٩)، هب: (٣/١٥)، بز: (٢/١٦١)، [«ص.ج» (٩٢٦)].

أولاً: الوضوء سبب لمغفرة الذنوب، كما قال ﷺ: «**من توضأ كما أُمر، وصلى كما أُمر، غفرله ما قدم من عمل**»[١] أي: لا يجوز لك أن تتوضأ كما توضأ أبوك، ولا أن تتوضأ كما توضأ شيخك، ولا أن تتوضأ كما تعلمت في المجالس، ولا أن تتوضأ مثل الناس، لا، يجب عليك أن تتوضأ كما توضأ رسول الله وهذا يدعوك إلى العلم، وإلى طلب العلم، أما إن كنت طوال اليوم تعمل للدنيا، وبالليل تعكف على شاشات المفسديون فمتى تتعلم الوضوء؟

الكثير من المسلمين ـ إلا من رحم ربي ـ لا يحسن الوضوء، وضوءُه باطل ومن توضأ وضوءاً باطلاً فصلاته باطلة. لأن الرسول ﷺ يقول: «**لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لا يذكر اسم الله عليه**»[٢]. وانظروا حتى إلى صلاة كثير من الناس ترونه يصلي صلاة عجيبة (لم)؟ لأنه لم يتعلم.

ثانياً: ومن فضائل الوضوء أنه سبب لدخول الجنة يقول ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسولُهُ إلا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**»[٣]، وزاد الترمذي: «**اللّهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين**»[٤].

ثالثاً: ومن فضائل الوضوء أنك تُعْرف به يوم القيامة، فيعرفك

---

(١) **حسن**: ن: (١٤٤)، هـ: (١٣٩٦)، حم: (٥/٤٢٣)، مي: (٧١٧)، حب: (١٠٤٢)، طب: (٤/١٥٦)، [«ص.ج» (٦١٧٢)].

(٢) **صحيح**: د: (١٠١)، هـ: (٣٩٩)، حم: (٢/٤١٨)، ك: (١/٢٤٥)، قط: (١/٧٩)، طس: (٨/٩٦)، [«ص.ج» (٧٥١٤)].

(٣) **صحيح**: م: (٢٣٤).

(٤) **صحيح**: ت: (٥٥)، طس: (٥/١٤٠)، عب: (١/١٨٦)، ش: (١/١٣)، [«ص.ج» (٦١٦٧)].

الرسول ﷺ بآثار الوضوء يقول ﷺ: «**إن أمتي يُدعون يوم القيامة غُرّاً محجَّلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غُرَّته فليفعل**»(١).

عباد الله! ولما كان للوضوء هذه الأهمية أردت أن أذكر نفسي وإياكم بشروط الوضوء، وبكيفية الوضوء، وبنواقض الوضوء لأن كثيراً من الناس لا يحضر درساً للعلم، ولا يشتري كتاباً يتعلم منه، فحرصاً مني عليكم وحباً لكم أردت أن أذكركم في هذا المكان بشروط الوضوء التي لا يصح الوضوء إلا بها وبكيفية الوضوء؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدِّث فيهما نفسه، غُفِر له ما تقدم من ذنبه**»(٢).

أما بالنسبة لشروط الوضوء:

الشرط الأول: النية. لقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...**»(٣) والنية محلها القلب، ولا يجوز للسان أن يتدخل في النية، فالذي يقول بلسانه: نويت الوضوء، والذي يقول بلسانه: نويت رفع الحدث، والذي يقول بلسانه: نويت فرائض الوضوء، فهذا قد ابتدع في دين الله؛ لأن النية محلها القلب ولا يجوز للسان أبداً أن يتلفظ بها، وهذا رسولنا ﷺ توضأ وعلمنا كيف نتوضأ فما وجدنا حديثاً صحيحاً ولا ضعيفاً يبيّن أن الرسول ﷺ كان يقول: نويت أن أتوضأ.

الشرط الثاني: التسمية: أن نقول في بداية الوضوء: بسم الله، يقول ﷺ: «**لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه**»(٤)، أن تقول: بسم الله، وتتوضأ. فمن نسي فليسم في وَسَطِه، وليسم إذا ذكر، ومن نسي التسمية ناسياً أو جاهلاً فلا شيء عليه، أما من ترك التسمية عمداً فوضوءه باطل وعليه أن يعيد الوضوء مرة ثانية.

---

(١) **صحيح**: خ: (١٣٦)، م: (٢٤٦). (٢) **صحيح**: خ: (١٦٢)، م: (٢٢٦).
(٣) **صحيح**: خ: (١).
(٤) **صحيح**: [«ص.ج» (٧٥١٤)] وقد تقدم تخريجه.

الشرط الثالث: الموالاة: أن تكون أعمال الوضوء متتالية متتابعة لا يفصل بينها وقت كثير (لِمَ)؟ «**رأى رسول الله ﷺ رجلاً يصلي وفي ظهر قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فأمره النبي ﷺ أن يعيد الوضوء والصلاة**»(١)، فلو كانت الموالاة ليست بشرط لأمره الرسول ﷺ أن يغسل هذا القدر القليل بالماء ثم يصلي، ولكن عندما كان هناك وقت بين رؤية الرسول ﷺ لهذه اللمعة في قدم الرجل وبين وضوئه أمره أن يعيد الوضوء، وأن يعيد الصلاة.

أما بالنسبة لكيفية الوضوء:

إذا أراد المسلم أن يتوضأ فعليه:

١ ـ أن يستحضر النية في قلبه، ولا يتلفظ بها، ثم يستاك بالسواك إذا كان معه ثم يقول: «**بسم الله**».

٢ ـ ثم يغسل كفيه ثلاث مرات ويخلل بين أصابع يديه.

٣ ـ ثم يتمضمض ويستنشق بحفنة واحدة يفعل ذلك ثلاث مرات، ويستنثر باليد اليسرى.

٤ ـ ثم يغسل وجهه ثلاث مرات مع مراعاة تخليل اللحية.

٥ ـ ثم يغسل يديه ثلاث مرات اليمنى ثم اليسرى من أطراف الأصابع إلى المرفقين.

٦ ـ ثم يمسح رأسه بيديه كاملةً يدبر ثم يقبل مرة واحدة ثم يمسح أذنيه بالسبابتين من الداخل والإبهام من الخارج.

٧ ـ ثم يغسل رجليه إلى الكعبين اليمنى ثم اليسرى ثلاث مرات ويخلل بين الأصابع.

ثم يقول: «**أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن**

---

(١) **صحيح**: د: (١٧٥)، حم: (٣/ ٤٢٤)، هق: (١/ ٨٣)، [«ص.د» (١٦١)].

محمداً عبده ورسوله، اللّهم اجعلني من التوابين واجعلني من **المتطهرين**»[١]. ولا يقول شيئاً أثناء الوضوء إلا في أوله: «**بسم الله**»[٢]، وفي آخره: «**أشهد أن لا إله إلا الله...**»، أما ما نسمعه من الأذكار التي يقولها العوام على وضوئهم ما أنزل الله بها من سلطان، فمن قالها وادعى أنه لا شيء فيها فقد استدرك على رسول الله، وقد ظن أن الرسول ﷺ قد انتقل إلى ربه ولم يدلنا على هذا الخير.

قال ﷺ: «**وخير الهدي هدي محمد** ﷺ»[٣]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ [الحشر: ٧]، وقال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٤].

أما بالنسبة لنواقض الوضوء:

الناقض الأول: ما خرج من السبيلين القبل والدبر: من ريح أو غائط أو بول أو مذي أو ودي، هذه الخمس إذا خرجت من القبل أو الدبر انتقض الوضوء، أما غيرها فلا ينقض الوضوء، ولا نص في ذلك.

الناقض الثاني: النوم العميق: أن ينام الإنسان ولا يدري بمن حوله فهذا قد انتقض وضوؤه وإن كان ممكناً مقعدته من الأرض، فإن نام الإنسان ولم يدر بمن حوله فعليه إعادة الوضوء لقوله ﷺ: «**العين وكاء السه فمن نام فليتوضأ**»[٥]. أما الذي ينعس ويدري بمن حوله فوضوءه صحيح ولا شيء عليه.

الناقض الثالث: زوال العقل بسكر أو مرض.

الناقض الرابع: مس الفرج بشهوة بدون حائل، لقوله ﷺ: «**من مس**

---

(١) **صحيح**: ت: (٥٥)، [«ص.ج» (٦١٦٧)] وقد تقدم تخريجه.

(٢) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٢٦٣. (٣) **صحيح**: م: (٨٦٧).

(٤) **صحيح**: خ: (٢٥٥٠)، م: (١٧١٨).

(٥) **صحيح**: هـ: (٤٧٧)، حم: (١/١١١)، قط: (١/١٦١)، هق: (١/١١٨)، [«ص.ج» (٤١٤٩)].

ذكره فليتوضأ»(١)، أما حديث: «**إنما هو بضعة منك**»(٢)، فحكمه يكون إذا لم يقترن بالمس شهوة فيعتبر الذكر عضواً كسائر الأعضاء، أما إذا اقترن بالمس شهوة فيكون حكم الذكر عند ذلك غير حكم الأعضاء فينتقض الوضوء.

الناقض الخامس: أكل لحم الإبل، يقول ﷺ: «**توضئوا من لحوم الإبل، ولا تتوضئوا من لحوم الغنم**»(٣)، من أكل لحم الجزور أي: لحم الإبل فعليه أن يتوضأ، ومن أكل غير ذلك فلا شيء عليه.

فيا إخوة الإسلام: الوضوء شأنه عظيم، وأمره خطير، فتعلموا كيف تتوضئوا؛ لأنكم إذا توضأتم وضوءاً غير صحيح، فالصلاة غير مقبولة، ويجب على العاقل بدل أن يذهب إلى أماكن اللهو واللعب، وبدل أن يشتري مفسديون في بيته لا يتعلم منه شيئاً ينفعه عليه أن يشتري كتاباً أو شريطاً أو أن يحضر درساً في المسجد يتعلم منه كيف يتوضأ، ثم يعلم زوجته، وأمه، وأخته، وأولاده. والرسول ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»(٤).

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يفقهنا وإياكم في ديننا

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: د: (١٨١)، ت: (٨٢)، ن: (٤٤٧)، حم: (٦/٤٠٦)، حب: (١١١٦)، ك: (١/٢٣١)، لس: (١٦٥٧)، طب: (٢٤/١٩٤)، [«ص.ج» (٦٥٥٤)].

(٢) **صحيح**: د: (١٨٢)، ن: (١٦٥)، حم: (٤/٢٢)، حب: (١١٢٠)، قط: (١/١٤٩)، [«ص.د» (١٦٧)].

(٣) **صحيح**: د: (١٨٤)، ت: (٨١)، هـ: (٤٩٥)، حم: (٤/٣٥٢)، حب: (١١٢٥)، طب: (٧/١٦٤)، طس: (٧/٢٤٧)، [«ص.ج» (٣٠٠٦)].

(٤) **صحيح**: خ: (٧١)، م: (١٠٣٧).



الوصية الرابعة والعشرون (هـ):
«.. وثلاث كفارات..»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن الوصية الرابعة والعشرين من وصايا المصطفى ﷺ والتي يقول فيها: «**وثلاث كفارات**»، ثم يقول ﷺ: «**فأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات**»[١].

وقد تكلمنا في الجمعة الماضية عن إسباغ الوضوء في السبرات وتبيّن لنا أن إسباغ الوضوء في شدة البرد من مكفرات الذنوب.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الحديث عن **انتظار الصلاة بعد الصلاة ونقل الأقدام إلى الجماعات**.

عباد الله! وانتظار الصلاة بعد الصلاة من مكفرات الذنوب، انتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الذنوب والخطايا غسلاً، فإذا جاء الرجل إلى المسجد، وصلى ـ مثلاً ـ تحية المسجد ثم جلس في المسجد ينتظر الصلاة فهو في صلاة. وهذا الجلوس في المسجد يكفر عنه الذنوب والخطايا ويغسلها كما قال ﷺ في الوصية التي معنا: «**فأما الكفارات فانتظار الصلاة بعد الصلاة..**»، وقال ﷺ: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**»[٢].

---

(١) **حسن**: [«ص.ج» (٣٠٤٥)] وقد تقدم تخريجه.

(٢) **صحيح**: [«ص.ج» (٢٦١٨)] وقد تقدم تخريجه.

وقال ﷺ: «**إسباغ الوضوء في المكاره، وإعمال الأقدام إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، يغسلُ الخطايا غسلاً**»[١].

عباد الله! الإنسان منا إذا جلس في المسجد ينتظر الصلاة فهو في صلاة ما دامت الصلاة هي التي تحبسه، والملائكة يدعون له يقولون: اللّهم اغفر له، اللّهم ارحمه.

عباد الله! انتظار الصلاة بعد الصلاة عمل عظيم، الله ﷻ يباهي بصاحبه ـ أي: الذي يفعل ذلك ـ الملائكة في السماء.

عَن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب، فرجع مَنْ رجع، وعَقَّبَ من عَقَّب، فجاء رسول الله ﷺ مُسْرعاً قد حفزه النفس، قد حَسر عن ركبتيه، قال: «**أبشروا، هذا ربكم قد فتح باباً من أبواب السماء، يباهي بكم الملائكة، يقول: انظروا إلى عبادي، قد قضوا فريضةً، وهم ينتظرون أُخرى**»[٢].

فهذا عمل جليل يباهي ربنا بأصحابه الملائكة، نقول ذلك يا عباد الله في وقت فيه الكثيرُ من المسلمين اليوم إذا جاءوا إلى المسجد ودخلوا في داخل المسجد فكأنهم يجلسون على جمر من نار يتمنون اللحظة التي تنتهي فيها الصلاة، ويترقبون الوقت الذي يخرجون فيه من المسجد إلى اللهو واللعب، والواحد منهم إذا جلس أمام شاشات المفسديون، أو جلس لمتابعة مباريات كرة القدم لا يكل ولا يمل، ولكنه إذا جاء إلى المسجد، وانتظر دقائق معدودة حتى تقام الصلاة فتراه يرفع صوته (ويهاوش) في داخل المسجد وكأنه في سجن، وكأنه يجلس على جمر.

عباد الله! الجلوس في المسجد لانتظار الصلاة صلاة، والله ﷻ يباهي بهذا الجالس في المسجد الملائكة، فإذا جاء أحدنا إلى المسجد، وصلى تحية المسجد، وجلس ينتظر الصلاة فهو في صلاة ما دامت الصلاة

---

(١) **صحيح**: [«ص.ج» (٩٢٦)] وقد تقدم تخريجه.

(٢) **صحيح**: هـ: (٨٠١)، حم: (١٨٦/٢)، بز: (٣٥٧/٦)، [«ص.غ.هـ» (٤٤٥)].

هي التي تحبسه والملائكة يدعون له، والله يباهي به الملائكة، فمن جاء مثلاً لصلاة المغرب فصلاها، ثم جلس في المسجد ينتظر صلاة العشاء، فهذا له أجر عظيم، وهذا الانتظار ـ إنتظارُ الصلاة بعد الصلاة ـ يغسل صاحبه من الخطايا والذنوب غسلاً.

عباد الله! الصلاة في الإسلام لها شأن عظيم.

• فالصلاة هي عمود الدين، والصلاة هي أول ما فرض من العبادات في السموات العلى مباشرةً على رسولنا ﷺ دون واسطة لأهميتها.

• والصلاة هي آخر ما يفقد من هذا الدين، فإذا نظرنا إلى المسلمين وقد تركوا الصلاة، وضيعوها فقد تخلوا عن دينهم، فهي آخر ما يفقد من هذا الدين، فلم يبق لنا من ديننا إلا الصلاة، فإذا ضيعناها فقد ضيعنا الدين، والله سائلنا يوم القيامة عن هذا الدين.

• والصلاة لأهميتها هي أول ما يُسْأَل عنه العبد يوم القيامة أمام الله، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

• ولأهمية الصلاة وصى الرسول ﷺ بها وهو في أنفاسه الأخيرة، وهو في مرض الموت، فقال ﷺ: «**الصلاةَ الصلاة، وما ملكت أيمانكم**»[1].

أمة الإسلام! من حافظ على الصلاة وأداها في وقتها في جماعة في المسجد دخل الجنة:

قال ـ تعالى ـ في وصف المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ٩ ـ ١١].

---

(١) **صحيح**: هـ: (١٦٢٥)، حم: (٦/ ٢٩٠)، ك: (٣/ ٥٩)، [«ص.هـ» (١٣١٧)].

• من ضيع الصلاة، وتركها، وانشغل بجمع الدنيا الفانية فسيدخل النار ـ والعياذ بالله ـ، قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ (٣٩) فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ (٤٠) عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ (٤٢) قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ (٤٣)﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)﴾ [مريم: ٥٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥)﴾ [الماعون: ٤، ٥].

عباد الله! وإننا إذا نظرنا إلى كثير من المسلمين في هذا الزمان العجيب نراهم قد ضيعوا الصلاة وتركوها، فمنهم من أنكرها، ومنهم من جحدها، ومنهم من تركها تكاسلاً وانشغالاً بجمع الدنيا الفانية، ومنهم من ضيع صلاة الجماعة، ومنهم من لا يعرف المسجد إلا في يوم الجمعة، فإلى هؤلاء نُوَجِّه لهم هذه الرسالة القصيرة، ناصحين مذكرين، والذكرى تنفع المؤمنين.

يا عباد الله! حافظوا على الصلاة، فإنها تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

يا عباد الله! حافظوا على الصلاة، فإنها تطهر صاحبها من الأخلاق الدنيئة ومن الصفات القبيحة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ (٢٢) ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ (٢٣)﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢٣].

يا عباد الله! حافظوا على الصلاة؛ فإنها تطهر صاحبها من الذنوب والخطايا، قال ﷺ: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء،**

قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»(١).

يا عباد الله! حافظوا على الصلاة واستعينوا بها على أمور الدين والدنيا، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣].

يا عباد الله! حافظوا على الصلاة فإنها سبب للحصول على الرزق. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢].

يا عباد الله! حافظوا على الصلاة؛ فهي سبب للتمكين في الأرض، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الحج: ٤١].

يا عباد الله! حافظوا على الصلاة؛ فإنها تصنع الرجال الذين يقودون الأمة إلى ما يحب ربنا ويرضى، قال ـ تعالى ـ: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

عباد الله! ومن مكفرات الذنوب أيضا كما قال ﷺ في وصيته: «**ونقل الأقدام إلى الجماعات**»؛ أي: المشي بالأقدام على الأرض للمحافظة على صلاة الجماعة.

فالذي يذهب إلى المسجد، ويؤدي صلاة الفريضة في المسجد، فهذا له أجر عظيم، وهذا عمل يغسل الذنوب عنه غسلاً، والمشي إلى المساجد، إلى بيوت الله، فيه أجر عظيم، نقول ذلك لكم، ونذكركم بالأجر العظيم في الذهاب إلى المساجد لأداء الفريضة، في الوقت الذي يحافظ فيه العصاة على الذهاب إلى دور السينما، وإلى أماكن الخمور، وإلى أماكن اللهو واللعب!!.

فحافظوا أنتم على الذهاب إلى بيوت الله، لترتفعوا درجات عند الله،

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٠٥)، م: (٦٦٧).

ولتغسلوا عن أنفسكم الذنوب والخطايا، يقول ﷺ: «**من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له في الجنة نزلاً، كلما غدا أو راح**»(١).

ويقول ﷺ: «**من تطهر في بيته، ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطواته إحداها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة**»(٢).

ويقول ﷺ: «**بشر المشائين في الظُّلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»(٣)، بشر المشائين في الظلم إلى المساجد في صلاة العشاء، وفي صلاة الفجر بالنور التام، فكم يا عباد الله ممن يجلسون أمامي الآن قد ضيعوا صلاة الفجر؟! أنا لا أعاتب الذين في خارج المسجد ولا يصلون، بل الذين يجلسون الآن أمامي كم منكم من يتخلف عن صلاة الفجر؟ أظن الجواب يعرفه كل منا، أما تعرف يا عبد الله أن التخلف عن صلاة الفجر والعشاء من شيم المنافقين؟! أما تعرف يا عبد الله أن التخلف عن صلاة الفجر والعشاء يحرمك أجراً عظيماً؟!

عباد الله! صلاة الجماعة في المسجد حكمها: أنها واجبة، والمتخلف عن صلاة الجماعة بدون عذر شرعي آثمٌ عاصٍ لله ولرسوله، ومرتكب لكبيرة من الكبائر.

والدليل على أن صلاة الجماعة في المسجد واجبة:

أولاً: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ـ وإقامة الصلاة فرض ـ ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ـ وإيتاء الزكاة فرض ـ ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣] ـ أي: صلوا في المسجد، وهذا دليل على وجوب صلاة الجماعة.

فقد رسولُ الله ﷺ ناساً في بعض الصلوات فقال: «**لقد هممتُ أَنْ آمرَ رجلاً يصلي بالناس، ثم أُخالفَ إلىٰ رجالٍ يتخلفون عنها فآمر بهم**

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٣١)، م: (٦٦٩). (٢) **صحيح**: م: (٦٦٦).

(٣) **صحيح**: د: (٥٦١)، ت: (٢٢٣)، هـ: (٧٨١)، خز: (١٤٩٩)، ك: (١/ ٣٣١)، لس: (٢٢١٢)، [«ص.د» (٥٢٥)].

فَيُحرِّقوا عليهم بحُزم الحطب بيوتهم، ولو علم أحدهم أنه يجد عظماً سميناً لشهدها. يعني صلاة العشاء»[(١)].

والله ﷻ أمر رسوله والمؤمنين في حالة الحرب بصلاة الجماعة. فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ الآية [النساء: ١٠٢].

فالله أمر رسوله والمؤمنين بصلاة الجماعة في حالة الحرب فوجوبها عليهم في حالة الأمن أولى.

• وجاء رجل أعمى يقول: يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلي في بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال له ﷺ: «**هل تسمع النداء؟**» قال: نعم، قال ﷺ: «**فأجب**»[(٢)].

ويقول ابن مسعود: (من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن ـ أي في المساجد ـ فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن ـ أي: الصلوات الخمس ـ من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها ـ أي عن صلاة الجماعة ـ إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتىٰ يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف)[(٣)] أي: يؤتى بالرجل المريض يهادى أي: يتكأ على الرجلين حتى يقام في الصف.

فيا من يتخلفون عن صلاة الجماعة وهم بصحة وبنعمة وبأمن وأمان متى تصلون في الجماعة؟ يا عباد الله، أذكركم: اليوم حياة وغداً موت، اليوم صحة وغداً مرض، اليوم غنى وغداً فقر، فإن جاءك الموت فجأة

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٨)، م: (٦٥١).
(٢) **صحيح**: م: (٦٥٣).
(٣) **صحيح**: م: (٦٥٤).

فمتى تصلي؟ ومتى تحافظ على صلاة الجماعة؟ فلا صلاة بعد الموت، لا صلاة في القبر، لا صلاة يوم القيامة، ولكنك ستندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

الخلاصة: حافظوا على الصلوات الخمس في المسجد في جماعة تفوزوا في الدنيا والآخرة. فمن أراد الدنيا فعليه بالصلاة، ومن أراد الآخرة فعليه بالصلاة، ومن أراد الدنيا والآخرة فعليه بالصلاة، والله الذي يحافظ على الصلاة قد أفلح في الدنيا والآخرة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، والذي ضيع الصلاة قد خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه



٩٤

الوصية الرابعة والعشرون (و):
«... وثلاثٌ درجات...»

عباد الله! في الجمعة الماضية انتهينا من الحديث عن الكفارات التي قال فيها ﷺ: «**فأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات**»

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الحديث عن الدرجات التي قال فيها ﷺ:

«**وثلاث درجات**»، ثم قال ﷺ: «**فأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام**»(١).

عباد الله! وصية عظيمة من رسول عظيم يبيّن فيها لأمته الأعمال الصالحة التي ترفع درجات المؤمن عند ربه، وهذه الأعمال كما جاءت في الوصية: «**إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام**».

عباد الله! أما بالنسبة لإطعام الطعام فقد سبق أنْ تكلمنا عنه، ولكن نُذكِّر، والذكرى تنفع المؤمنين، فنقول: يا أمة الإسلام، إطعام الطعام يرفع الدرجات.

● إطعام الطعام سبب لمغفرة الذنوب، إطعام الطعام سبب لدخول الجنة. يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا

(١) **حسن**: [«ص.ج» (٣٠٤٥)] وقد تقدم تخريجه.

قَمۡطَرِيرٗا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٢].

ويقول ﷺ: «**بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها، فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر، فملأ خُفَّهُ ماءً ثم أمسكهُ بفيهِ حتى رقي فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له**»، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في هذه البهائم لأجرا؟ فقال: «**في كل كبدٍ رطبةٍ أجر؟**»(١).

سقا كلباً يا عباد الله فشكر الله له هذا العمل، وغفر له ذنبه، وأدخله الجنة. فما بال الذي يطعم بني آدم! الذي يطعم الفقراء والمساكين!

عباد الله! إطعام الطعام سبب لرفع الدرجات، سبب لمغفرة الذنوب، سبب لدخول الجنة.

• وهذه امرأة بغي من بغايا بني إسرائيل ـ أي: امرأة تفعل فاحشة الزنا ـ رأت كلباً كاد يقتله العطش، فنزلت البئر، وملأت خفها، وخرجت فسقت هذا الكلب، يقول ﷺ: «**فغفر لها به**»(٢).

• وفي المقابل يا عباد الله حرمان الجياع سبب لدخول النار، يقول ربنا ـ جل وعلا ـ عن أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٤].

ويقول ﷺ: «**دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**»(٣).

أما بالنسبة لقيام الليل، وللصلاة في جوف الليل، فقد سبق أن تكلمنا عنها أيضاً، يقول الله ـ عز وجل ـ لرسوله ﷺ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٦٣)، م: (٢٢٤٤).
(٢) **صحيح**: خ: (٣٢٨٠)، م: (٢٢٤٥).
(٣) **صحيح**: خ: (٣١٤٠)، م: (٢٢٤٢).

عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]. فقام ﷺ حتى تفطرت قدماه، وقال ﷺ لأمته: «**عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم**»(١).

عباد الله! **أما بالنسبة لإفشاء السلام، فنقول وبالله التوفيق:**

أولاً: اعلموا عباد الله أن السلام تحية المسلمين فيما بينهم، فلا يجوز لمسلم أبداً ـ بل يحرم عليه ـ أن يبدأ كافراً بالسلام أو أن يحيي كافراً بالسلام، فالسلام تحية المسلمين فيما بينهم بل قد جعلها رسول الله ﷺ من أفضل خصال الإسلام.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يقول: يا رسول الله، أيُّ الإسلام خير؟ ـ أي: أي خصال الإسلام خير؟ ـ فقال ﷺ لهذا السائل: «**تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»(٢)؛ أي: من المسلمين.

عباد الله! وإفشاء السلام بين المسلمين له ثمار عظيمة على الفرد وعلى المجتمع في الدنيا والآخرة.

فإفشاء السلام سبب لإلقاء المحبة بين المسلمين، يقول ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»(٣). فهذا الحديث دليل على أن إفشاء السلام يورث المحبة بين المسلمين، فأفشوا السلام فيما بينكم.

وقد علق الرسول ﷺ دخول الجنة على الإيمان، وعلق كمال الإيمان على المحبة، وعلق المحبة على إفشاء السلام.

وفي هذا الحديث ردٌ على مرضى القلوب والعقول الذين يقسِّمون الدين إلى قشور ولباب فيقولون: هذا لباب، وهذه قشور فلا تتكلموا فيها، ولا تقفوا عندها، إذا قلنا لهم: كلِّموا الناس عن إفشاء السلام فإنه

---

(١) **حسن لغيره**: ت: (٣٥٤٩)، خز: (١١٣٥)، ك: (١/ ٤٥١)، طب: (٦/ ٢٥٨)، طس: (٣/ ٣١١)، هب: (٣/ ١٢٧)، [«ص.غ.هـ» (٦٢٤)].

(٢) **صحيح**: خ: (١٢)، م: (٣٩).

(٣) **صحيح**: م: (٥٤).

يورث المحبة: قالوا: هذه قشور لا نتكلم فيها، علينا باللباب، ولا ندري أعندهم أثارة من علم، أو جاءهم كتاب من السماء يقسِّم الدين إلى قشور ولباب.

عباد الله! إفشاء السلام، سببٌ للمحبة، والمحبة سبب لكمال الإيمان، والإيمان سبب لدخول الجنة، هل نقول عن هذا: إنه قشور؟ لا يا عبادَ الله، ديننا كله لباب جاء من عند الله، نزل به الروح الأمين على قلب رسولنا ﷺ الصادق الأمين. ولكنْ هناك في ديننا مهم وأهم، ولكن الذي يقول: هذا مهم، وهذا أهم فإنما هو الشرع، وليس هؤلاء مرضى القلوب والعقول، فإذا جلست مع إنسان وتكلمت له عن شيء في ديننا وقال لك: هذه قشور أتركها الآن! فاعلم أنه مريض القلب والعقل.

عباد الله! إفشاء السلام فيه أجر عظيم، وفيه حسنات كثيرة يغفل عنها الكثير من الناس في هذا الزمان.

عن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فردَّ عليه ثم جلس، فقال النبي ﷺ: «**عَشرٌ**»، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فردَّ عليه، فجلس، فقال النبي ﷺ: «**عشرون**»، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردَّ عليه، فجلس، فقال ﷺ: «**ثلاثون**»[(١)] ـ أي: ثلاثون حسنة.

وفي رواية أخرى: جاء رجل فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته فقال ﷺ: «**أربعون**»[(٢)] ـ أي: أربعون حسنة.

عباد الله! هذه حسنات ضيعَها كثير من الناس.

عباد الله! إذا مررتم بالأسواق، فألقوا السلام على المسلمين، واستمعوا إلى ما يُرَدُّ به عليكم!!.

---

(١) **صحيح**: د: (٥١٩٥)، ت: (٢٦٨٩)، حم: (٤/٤٣٩)، مي: (٢٦٤٠)، حب: (٤٩٣)، [«ص.غ.هـ» (٢٧١٠)].

(٢) **ضعيف**: د: (٥١٩٦)، [«ضعيف سنن أبي داود» (١١١٢)].

• إنكم تتكلمون عبر الهاتف وتلقون السلام، على كثير من المسلمين أتسمعون ما يقولون؟! إنهم يردون عليك بتحية ما أنزل الله بها من سلطان، السبب في ذلك: الجهل بهذا الدين.

• مسلم يقول لك: السلام عليكم، تقول له: هلا!! يا حسرة على العباد حسنات ضاعت منهم، والسبب هو الجهل بالدين وتقليد الكفار في تحيتهم، واحتفالاتهم، انظروا إلى المستوى الذي نزلت إليه الأمة في هذه الأيام، كثير من المسلمين ـ إلا من رحم ربي ـ يهرول إلى شراء هدية بمناسبة عيد الأم، أفعل ذلك أبو بكر؟ أفعل ذلك عمر؟ أجاء ذلك في كتاب الله؟ لا والله، إنما هو التشبه بالكفار فهم الذين يحتفلون بعيد الأم مرة في كل عام.

المسلم يحتفل بأمه في كل ثانية، وكل دقيقة، وكل ساعة، وفي كل لحظة؛ لأن لها عليه فضل عظيم بعد الله ﷻ، ولكننا بسبب الجهل في ديننا قلَّدنا الكفار، وتشبهنا بهم في الاحتفال بعيد الأم. استحلفكم بالله، أوجدتم عالماً من علماء المسلمين يحتفل بعيد الأم، وهم أتقى الناس لله ﷻ، وهم أعلم الناس بديننا، وهم أحرص الناس على بر الأمهات، هل وجدتم عالماً من علماء المسلمين يحتفل بعيد الأم؟! إنما هو الجهل الذي خيم على بيوت كثير من المسلمين، فتراهم زهدوا في الحسنات فلا يعرفون السلام، ولا إفشاء السلام، ولكنهم على البدع والخرافات، ومشابهة الكفار يتهافتون.

عباد الله! إفشاء السلام فيه بركة من الله على المُسَلِّم والمسلَّم عليه. يقول أنس رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا بُنيَّ، إذا دخلت على أهلك فسلِّم يكن بركةً عليك، وعلى أهل بيتك**»(١).

• الرجل إذا دخل بيته يسلِّم، المرأة إذا دخلت على زوجها تسلِّم،

---

(١) **ضعيف**: ت: (٢٦٩٨)، طس: (٦/ ١٢٤)، طص: (٢/ ١٠٠)، [«ض.ج» (٦٣٨٩)].

الولد إذا دخل على أبيه يسلِّم، الولد إذا دخل على أمه يسلم، بيت لا تسمع فيه إلا السلام عليه بركة، وتحفه الملائكة، وتسكنه الملائكة، أما البيوت التي لا تسمع فيها إلا الغناء والموسيقى، وتسمع فيها سب الدين والرب فلا تسكنها إلا الشياطين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

عباد الله! إفشاء السلام سبب لدخول الجنة؛ قال ﷺ: «**يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلُّوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»(١).

عباد الله! السلام، والأمان، والأمن والطمأنينة، والحياة الطيبة في ظل الإسلام فقط، وفي ظل العمل بالإسلام، وبتعاليم الإسلام، فإن تخلينا عن الإسلام فالخوف، والجوع، والضنك، والكرب، والذل بانتظارنا، فاتقوا الله في دينكم، وعودوا إليه عوداً حميداً.

● من أجل ذلك فقد أمر الله عباده بإفشاء السلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [النور: ٢٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء: ٨٦].

● وأمر الرسول ﷺ أمته بإفشاء السلام، فقال ﷺ: «**أفشوا السلام بينكم**»، وهذا أمر، والأمر يقتضي الوجوب، وقال ﷺ: «**يا أيها الناس، أفشوا السلام**»، وقال ﷺ: «**إذا لقي أحدكم أخاه فليسلِّم عليه** ـ وفي هذا أمر ـ **فإن حالت بينهما شجرةٌ أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلّم عليه**»(٢).

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٤٨٥)، هـ: (١٣٣٤)، حم: (٥/ ٤٥١)، مي: (١٤٦٠)، ك: (٣/ ١٤)، طس: (٥/ ٣١٣)، ش: (٧/ ٢٥٧)، [«ص.ج» (٧٨٦٥)].

(٢) **صحيح**: د: (٥٢٠٠)، خد: (١٠١٠)، ع: (١١/ ٢٣٣)، هب: (٦/ ٤٥٠)، [«س.ص» (١٨٦)].

ويقول البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أمرنا رسول الله ﷺ بسبعٍ: وذكر منها: «**إفشاء السلام**»(١)، والأمر للوجوب. فإلقاء السلام واجب، والرد على من ألقى السلام واجب.

وإفشاء السلام تتحصل به على حسنات تنفعك يوم لا ينفع مال ولا بنون.

عباد الله! السلام: اسم من أسماء الله الحسنى، قال ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣].

• السلام: اسم للجنة دار النعيم دار السلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥].

• السلام: تحية الله لعباده المؤمنين يوم القيامة؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

• السلام: تحية الملائكة لأهل الجنة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

• السلام: تحية أهل الجنة، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦].

• السلام: تحية الملائكة للبشر، فضيف إبراهيم من الملائكة عندما دخلوا عليه عَلَيْهِ السَّلَامُ حيوه بالسلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الذاريات: ٢٤، ٢٥].

ويقول ﷺ لعائشة: «**يا عائشة، هذا جبريل يقرأ عليك السلام**» قالت: عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته(٢).

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٨٨٠)، م: (٢٠٦٦).

(٢) **صحيح**: خ: (٣٠٤٥)، م: (٢٤٤٧).

• ***عباد الله!*** الزموا إفشاء السلام وتعوَّدوا عليه ولا تبدؤا الكفار بالسلام، فهذا حرام، وإن سلم عليك كافر فقل: وعليكم؛ فإن أراد بسلامه السلام فعليه، وإن أراد بسلامه السام فعليه.

نسأل الله العظيم أن يرد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً



٩٥

الوصية الخامسة والعشرين (أ):
«إذا مات ابن آدم...»

عباد الله! الإيمان بالرسل الكرام ركن من أركان العقيدة الصحيحة، ومن الإيمان برسولنا محمد ﷺ أن نقبل وصاياه، وأن نعمل بها، وأن نعض عليها بالنواجذ، ولذلك فنحن لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا يا عباد الله في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الخامسة والعشرين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: إلا صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(١).

وصية واللهِ عظيمة من رسول عظيم يبيّن فيها لأمته الأعمال الصالحة التي تنفع صاحبها بعد الموت ألا وهي: العلم النافع، والولد الصالح، والصدقة الجارية.

عباد الله! الله عز وجل خلق الإنسان في هذه الدنيا لعبادته، والإنسان في هذه الدنيا معرَّض للموت في أيةِ لحظة، والموت يأتيه بغتة فينتقل الإنسان من هذه الدنيا إلى القبر، ويوم القيامة يبعث الله عز وجل الناس من قبورهم للحساب والجزاء ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

---

(١) **صحيح**: م: (١٦٣١).

عباد الله! والله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يسجل على الإنسان ما عمل في هذه الدنيا من خيرٍ أو شر في حياته، وبعد مماته، ثمَّ يوم القيامة ينبأ الإنسان بما عمل، أحصاه الله ونسوه، ولذلك قال ـ تعالى ـ في كتابه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢]. فالله عَزَّ وَجَلَّ في هذه الآية يخبرنا عن أربعة أشياء:

أولاً: أنه يحيي الموتى.

ثانياً: أنه يكتب ما قدموا؛ أي: في هذه الحياة الدنيا من خيرٍ أو شرٍ، أي حال حياتهم.

ثالثاً: أنه يكتب آثارهم؛ أي: ما تركوه خلفهم بعد الموت في الناس من خير أو شر.

رابعاً: أنه أحصى ذلك في إمام مبين؛ أي: في كتاب واضح بيِّن لا يغادر صغيرة ولا كبيرة.

عباد الله! أما بالنسبة للأدلة على أن الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يحي الموتى يوم القيامة فقد جاءت الأدلة في الكتاب والسنة كثيرة جداً.

فعلى سبيل المثال:

يقول الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ [الحج: ٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧].

● وأما بالنسبة للأدلة على أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يكتب ما قدموا؛ أي: في حياتهم من خير أو شر.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٧٩، ٨٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧، ١٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية: ٢٩].

فيا ابن آدم، ما من كبيرة ولا صغيرة، ما من حركة ولا سكنة، ما من كلمة ولا نظرة، إلا ويسجل عليك في كتاب مبين.

عباد الله! أما بالنسبة للأدلة على أن الله ﷻ يكتب آثارهم؛ أي: ما عملت في الدنيا قبل الموت، وما تركت في الناس من خير أو شر بعد موتك.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٥].

وقال ﷺ: «**من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنَّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»(١)، فالله ﷻ يسجل عليك ما تركت من خير أو شر.

عباد الله! أما بالنسبة للأدلة على أن الله ﷻ يسجل عليك كل شيء في حياتك وبعد موتك.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣]؛ أي: في كتاب مسطر عليك يا عبد الله.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

وقال ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ إلا وسيكلمه الله يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه، فلا**

(١) **صحيح**: م: (١٠١٧).

يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة»(١).

فيا ابن آدم قَدْ علمت وتبين لك الآن أنك ستموت وتخرج من هذه الدنيا، ولن تخلد فيها أبداً، ويوم القيامة تبعث للحساب والجزاء، فالعاقل هو الذي يستعد للقاء الله بالأعمال الصالحة في حياته وبعد موته.

وفي الجمع الماضية وفي الوصية الرابعة والعشرين تكلمنا عن الأعمال الصالحة التي تنفع صاحبها في حياته، وفي وصية اليوم يخبرنا ﷺ عن الأعمال الصالحة التي تنفعك بعد الموت: العلم النافع، الولد الصالح، الصدقة الجارية.

كما قال ﷺ في الوصية التي معنا: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ينتفع به، ولد صالح يدعو له، صدقة جارية**»، ويقول ﷺ في الحديث الآخر: «**إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً علَّمهُ ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورَّثه، أو مسجداً بناهُ، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراهُ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته**»(٢).

عباد الله! أول هذه الأعمال الصالحة، والتي نتكلم عنها في هذا اليوم (**العلم النافع**) الذي ينفعك في الدنيا وبعد موتك، ويوم القيامة، وقد جاء الإسلام يرغب في نشر العلم وفي تعليمه، وفي بيانه للناس. قال ـ تعالى ـ: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وقال ﷺ: «**خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه**»(٣)، وقال ﷺ: «**بلغوا**

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٧٤)، م: (١٠١٦).
(٢) **حسن**: هـ: (٢٤٢)، خز: (٢٤٩٠)، هب: (٣/ ٢٤٧)، [«ص.هـ» (١٩٨)].
(٣) **صحيح**: خ: (٤٧٣٩).

عني ولو آية»[(١)]، وقال ﷺ: «**نضَّر الله أمرءاً سمع منا شيئاً فبلّغه كما سمعه، فرُبَّ مُبَلَّغ أوعى من سامع**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثلُ أجور من اتبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً**»[(٣)]، وقال ﷺ: «**الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالماً أو متعلماً**»[(٤)]، وقال ﷺ: «**إن الله، وملائكته، وأهل السموات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير**»[(٥)].

عباد الله! وفي الوقت الذي رغَّب الإسلام فيه بنشر العلم وبين فضل العلم وتعليم الناس حذر الإسلام العلماء من:

أولاً: أن يكتموا هذا العلم، علم الكتاب والسنّة عن الناس.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

وقال ﷺ: «**من سُئلَ عن علم فكتمه، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار**»[(٦)].

وحذر الإسلام ـ يا عباد الله ـ العلماء أن يتركوا العمل بعلمهم، أو أن يخالفوا بأفعالهم أقوالهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٢٧٤).
(٢) **صحيح**: ت: (٢٦٥٧)، مي: (٢٣٠)، حب: (٦٦)، طس: (٢/ ٧٨)، بز: (٥/ ٣٨٢)، [«ص.ج» (٦٧٦٤)].
(٣) **صحيح**: م: (٢٦٧٤).
(٤) **حسن**: ت: (٢٣٢٢)، هـ: (٤١١٢)، طس: (٤/ ٢٣٦)، هب: (٢/ ٢٦٥)، [«ص.ج» (٣٤١٤)].
(٥) **صحيح**: ت: (٢٦٨٥)، طب: (٨/ ٢٣٤)، [«ص.ج» (٤٢١٣)].
(٦) **صحيح**: د: (٣٦٥٨)، ت: (٢٦٤٩)، هـ: (٢٦٤)، حم: (٢/ ٤٩٥)، ك: (١/ ١٨١)، طس: (٣/ ٣٣٥)، [«ص.ج» (٦٢٨٤)].

فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

انظروا إلى هذا المثل الذي ضربه الله ﷻ للعالم الذي لم يعمل بعلمه، والعالم الذي ركن إلى الدنيا وترك الآخرة.

وقال ﷺ: «**رأيت ليلة أسري بي رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون**»(١).

يقولون للناس: التبرج حرام، ونساؤهم متبرجات، يقولون للناس: الربا حرام وهم يذهبون ليضعوا أموالهم في البنوك، يقولون للناس: الغيبة حرام: ويأكلون لحوم الناس بألسنتهم، عافانا الله وإياكم من هؤلاء.

وقال ﷺ: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحىٰ، فيجتمعُ إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمُرُ بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه**»(٢).

ثانياً: حذر الإسلام العلماء من الرياء، وحذرهم من أن يبتغوا بأعمالهم غير الله، فقال ﷺ: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه...**» ـ وذكر منهم ﷺ ـ «**ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأُتي به فعرفهُ نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلَّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن**

---

(١) **صحيح**: حم: (٣/ ٢٣١)، حب: (٥٣)، طس: (٨/ ١٤٤)، ع: (٧/ ٦٩)، [«ص.غ.هـ» (٢٣٢٧)].

(٢) **صحيح**: خ: (٣٠٩٤)، م: (٢٩٨٩).

ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»[(١)].

إخوة الإسلام! والله ﷻ لما حذر العلماء من الرياء، ومن كتمان العلم، ومن أن يقولوا ما لا يفعلون بيَّن لهم في كتابه ما ينبغي أن يكونوا عليه فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

ومعناها: أنه يجب على العالم أن يتعلم العلم ابتغاء مرضاة الله، وأن يعمل بعلمه ليتحصل على رضا الله، وأن يعلم الناس العلم ويحتسب الأجر عند الله، فإذا تعلم لله، وعمل بعلمه، وعلم الناس ابتغاء مرضاة الله، فهذا عالم رباني ينادى في ملكوت السموات والأرض عظيماً.

عباد الله! العلم النافع، هو العلم الشرعي وهو الذي ينفع صاحبه في الدنيا وبعد الموت ويوم القيامة، ولذلك جاء الإسلام ورغَّب في نشر العلم وفي تعليم الناس، فرغب الإسلام طلاب العلم في العلم، وحضهم على أن يبادروا إلى مجالس العلم، وأن يتعلموا علم الكتاب والسنة.

فقال ﷺ: **«ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»**[(٢)]، وقال ﷺ: **«ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم، إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضاً بما يصنع، حتى يرجع»**[(٣)]، وقال ﷺ: **«من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو في منزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره»**[(٤)].

---

(١) **صحيح**: م: (١٩٠٥). (٢) **صحيح**: م: (٢٦٩٩).

(٣) **صحيح**: هـ: (٢٢٦)، حم: (٤/ ٢٣٩)، خز: (١٩٣)، حب: (٨٥)، قط: (١/ ١٩٦)، طب: (٨/ ٥٦)، [«ص.ج» (٥٧٠٢)].

(٤) **صحيح**: هـ: (٢٢٧)، حم: (٢/ ٤١٨)، ع: (١١/ ٣٥٩)، ش: (٦/ ٤١٦)، هب: (٢/ ٢٦٣)، [«ص.ج» (٦١٨٤)].

• وفي الوقت الذي رغَّب فيه الإسلام طلاب العلم في طلب العلم حذرهم من الرياء فقال ﷺ: «**من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة**»[(١)]، الذي يتعلم ليتحصل على الدكتوراه فذلك لا يريد بذلك وجه الله، والذي يتعلم ليصل إلى منصب من مناصب الدنيا فذلك لا يخطر على باله رضا الله.

وقال ﷺ: «**من تعلم العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم**»[(٢)].

فيا طالب العلم! الإخلاصَ الإخلاصَ، يا طالب العلم! الإخلاصُ سر النجاح، إياك إياك أن تتعلم من أجل الدنيا.

عباد الله! تعلموا هذا العلم وعلموه لغيركم، فوالله ما وصلنا إلى ما وصلنا إليه من ذل وهوان إلا بسبب الجهل، ووالله ما ضاعت الأرض منا إلا بسبب جهلنا بديننا، ووالله ما فرطنا في أعراضنا إلا بسبب الجهل، وما انقسمنا إلى فرق وأحزاب إلا بسبب الجهل، وما كَفَّرَ بعضنا بعضاً إلا بسبب الجهل، وما أكلنا الربا إلا بسبب الجهل، فما وصلنا إليه سببه الجهل، وحالنا لا يخفى عليكم: إقبال شديد على الدنيا وجمعها، وإعراض منا جميعاً ـ إلا من رحم ربي ـ عن العلم وعن الدين.

فيا عباد الله! تعلموا هذا العلم وانتفعوا به في حياتكم، تنتفعوا به بعد مماتكم وتنتفعوا به يوم القيامة.

اللّهم إنا نسألك علماً نافعاً

❊ ❊ ❊

(١) **صحيح لغيره**: د: (٣٦٦٤)، هـ: (٢٥٢)، حم: (٢/ ٣٣٨)، حب: (٧٨)، ك: (١/ ١٦٠)، ع: (١١/ ٢٦٠)، هب: (٢/ ٢٨٢)، [«ص.غ.هـ» (١٠٥)].

(٢) **صحيح**: د: (٣٦٥٨)، ت: (٢٦٤٩)، هـ: (٢٦٦)، م: (٢/ ٢٦٣)، طب: (١١/ ١٤٥)، [«ص.ج» (٦٢٨٤)].



الوصية الخامسة والعشرون (ب): «إذا مات ابن آدم»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن الوصية الخامسة والعشرين والتي يبيّن فيها ﷺ لأمته الأعمال الصالحة التي تنفع صاحبها بعد الموت.

عباد الله! وفي الجمعة الماضية تكلمنا عن العمل الأول ألا وهو العلم النافع، وقلنا: إنه يجب على العاقل في هذه الدنيا أن يتعلم بالليل والنهار، وأن يعمل بعلمه، وأن يدعو الناس إلى هذا العلم.

لقوله ﷺ: «**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، وعالماً ومتعلماً**»(١).

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم مع الحديث عن: **الولد الصالح، والصدقة الجارية.**

كما قال ﷺ في وصيته الجامعة: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثه إلا من: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(٢).

عباد الله! الولد الصالح عمل صالح ينفع والده بعد موته، والولد يطلق في الكتاب والسنة على الذكر والأنثى.

والأولاد نعمة من نعم الله الكثيرة علينا والتي لا تعد ولا تحصى،

---

(١) **حسن**: [«ص.ج» (٣٤١٤)] وقد تقدم تخريجه.

(٢) **صحيح**: م: (١٦٣١).

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [الإسراء: ٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]، فالأولاد نعمة من الله ﷻ.

عباد الله! والأولاد زينة الحياة الدنيا، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦].

ولكن اعلموا أن الأموال والأولاد فتنة وامتحان من الله لكم، فمن افتتن بماله وأولاده فقد ضل ضلالاً مبيناً، ومن كان على حذر من فتنة الأموال والأولاد فقد نجا وسلك صراط الله المستقيم.

لذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال: ٢٨]. وقد حذر ربنا جل وعلا من فتنة الأموال والأولاد، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩].

فكونوا على حذر من فتنة الأولاد، وأظنكم معي ـ يا عباد الله ـ أن كثيراً من الناس ترك الصلاة، وترك عبادة الله ﷻ، وانشغل بالمال والأولاد، فلا هم له في حياته إلا أن يجمع المال، وأن ينفق على أولاده، حتى وإن كانوا عصاة! حتى وإن كانوا فاسقين! حتى وإن كانوا مجرمين! حتى وإن كانت أشكالهم كأشكال اليهود والنصارى، ورغم ذلك فإنك ترىٰ كثيراً من الآباء يجمع المال، وينفق على أولاده وقد ترك الصلاة وضيع الدين، فهذا الذي فعل ذلك قد افتتن بماله وأولاده فخسر خسراناً مبيناً.

عباد الله! الولد الصالح ينفع والده بعد موت والده كما سمعتم من قوله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**».

لكن الولد الصالح لا يأتي إصلاحه في يوم وليلة كما يظن الكثير! لا والله، إنما يحتاج الوالد أن يسهر بالليل والنهار على تربية أولاده ليتحصل على ولد صالح ينتفع به بعد موته.

عباد الله! وتنشأة الولد الصالح تأتي على مرحلتين:

١ ـ مرحلة قبل وجود الولد.

٢ ـ مرحلة بعد وجود الولد.

فانتبهوا يا أولي الألباب، انتبهوا يا من تريدون أن تتركوا بعدكم ولداً صالحاً يدعو لكم، لتنتفعوا بحسناتكم بعد موتكم، فالولد الصالح لمن أراد أن يترك ولداً صالحاً يأتي على مرحلتين.

● أما بالنسبة للمرحلة الأولى: وهي التي تكون قبل وجود الولد فعلى الوالد ما يلي:

أولاً: على الرجل أن يتقي الله ﷻ إذا أراد أن يتزوج، فعليه أن يبحث لأولاده عن أم صالحة تربي أولاده على مائدة الكتاب والسنة، على مائدة القرآن، على مائدة (قال الله) و(قال رسوله ﷺ).

ولذلك قال ﷺ لكل من أراد أن يتزوج: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[(١)].

«فاظفر بذات الدين»، لم يا عبد الله؟ لكي تربي أولادك على مائدة الكتاب والسنة، فالأم الصالحة تربي بناتها على الحجاب، والأم الفاسقة تربي بناتها على التبرج! فالأم الصالحة تربي أولادها على الصدق والأمانة، والأم الفاسقة تربي أولادها على الفجور! وواقعنا يشهد بذلك.

ثانياً: على الرجل إذا تزوج بالزوجة الصالحة، وأراد أن يأتي أهله أن يدعو الله ﷻ أن يجنبه الشيطان حتى إذا رزق بولد في هذه الليلة وقُدّر بينهم بولد فلا يضره الشيطان بعد ذلك.

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٨٠٢)، م: (١٤٦٦).

قال ﷺ: «**لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله فقال: بسم الله اللّهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنهُ إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبداً**»[1].

ثالثاً: على الرجل أن يدعو الله في كل لحظة أن يرزقه الله الذرية الصالحة، وتعلموا من أنبياء الله.

- فهذا إبراهيم عليه السلام يدعو الله عز وجل أن يرزقه ولداً صالحاً، فقال تعالى على لسان إبراهيم: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾ [الصافات: ١٠٠].

- وهذا زكريا عليه السلام يدعو الله عز وجل أن يرزقه الذرية الطيبة. قال ـ تعالى ـ على لسان زكريا: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾ [آل عمران: ٣٨]. وها هم عباد الرحمن واسمعوا ما يقولون، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾ [الفرقان: ٧٤].

فعلى الرجل إذا أراد الولد الصالح أن يبحث عن الزوجة الصالحة، وعليه أن يذكر الله إذا أتى أهله، وعليه أن يدعو الله عز وجل أن يرزقه الذرية الصالحة، فكثير من الناس يدعو الله أن يرزقه الذرية فقط دون أن يقيد بالذرية الصالحة؛ فالولد إذا لم يكن صالحاً كان وبالاً وفتنة على والده في الدنيا قبل الآخرة.

عباد الله! وأما المرحلة الثانية وهي ما بعد وجود الولد، فعليك أيها الوالد ما يلي:

أولاً: أن تعق عنه في اليوم السابع، العقيقة التي جهلها الكثير من المسلمين وهي: أن تذبح عن المولود في اليوم السابع وتحلق رأسه، وتتصدق بوزن شعره ذهباً أو فضة، لقوله ﷺ: «**الغلام مرتهنٌ بعقيقته،**

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٩٦١)، م: (١٤٣٤).

تذبح عنه يوم السابع، ويُسمى ويُحلق رأسه»(١).

ولقوله ﷺ: «**العقيقة تذبح لسبع، أو لأربع عشرة، أو لإحدى وعشرين**»(٢)، ولقوله ﷺ: «**مع الغلام عقيقة، فاهريقوا عنه دماً، وأميطوا عنه الأذىٰ**»(٣).

ثانياً: على الوالد أن يربي ولده على الصلاة وعلى المحافظة على الصلاة، فعليك أن تأمر أولادك بالصلاة لسبع سنين، وأن تضربهم عليها لعشر سنين. فيا أمة الإسلام! يا من ملأتم البيوت بالمفسديون وما قصرتم لحظة واحدة في أن تأتوا بوسائل الفساد لأبنائكم، يقول ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع**»(٤).

ثالثاً: على الوالد أن يربي أبناءه على عقيدة التوحيد، على العقيدة الصحيحة، على لا إله إلا الله. ولنتعلم يا عباد الله من أنبياء الله، أما تقرءون القرآن! فاسمعوا إلى وصية إبراهيم عليه السلام ويعقوب عليه السلام، التي تتضمن الاهتمام بتربية الأولاد على عقيدة التوحيد.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢].

• وهذا يعقوب عليه السلام عند الموت يجمع أبناءه ليطمئن على العقيدة في قلوبهم، أستحلفكم بالله أرأيتم مسلماً في هذا الزمان العجيب ـ إلا من رحم ربي ـ جمع أبناءه عند مرضه وهو في فراش الموت، وهو في اللحظات الأخيرة ليطمئن على عقيدة التوحيد في قلوبهم؟!

---

(١) **صحيح**: ت: (١٥٢٢)، ن: (٤٢٢٠)، هـ: (٣١٦٥)، حم: (٥/ ١٧)، ك: (٤/ ٢٦٤)، طب: (٧/ ٢٠١)، [«ص.ج» (٤١٨٤)].

(٢) **صحيح**: طس: (٥/ ١٣٦)، طص: (٢/ ٢٩)، [«ص.ج» (٤١٣٢)].

(٣) **صحيح**: خ: (٥١٥٤).

(٤) **حسن**: د: (٤٩٥)، حم: (٢/ ١٨٠)، ك: (١/ ٣١١)، ش: (١/ ٣٠٤)، هب: (٦/ ٣٩٨)، [«ص.ج» (٥٨٦٨)].

هذا يعقوب ﵇ جمع أبناءه عند الموت يريد أن يطمئن، على أي شيء؟ على الأموال! على القصور والسيارات؟ لا يا عباد الله، بل يريد أن يطمئن على عقيدة التوحيد.

يقول الله ـ ﷻ ـ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٣].

عباد الله! هذا والدٌ رَبَّى وأحسن فوجد عند الموت ثمار التوحيد في قلوب أبنائه.

عباد الله! أخجل أحياناً وأنا أنظر إلى بعض شباب المسلمين ـ ويا أسفاه ـ أبوه يصلي في الصف الأول، وهو قد حلق شعره كما يحلق الكفار، والسلسلة في رقبته، يعلك كما تعلك الأنثى، إذا مشى في الشارع، لا تشعر أنك تنظر إلى رجل، في أي مكان تربى هذا الجيل؟ من أين تشبهوا بهؤلاء؟ من المفسديون، وعندما نقول لكم: المفسديون أفسد عليكم الدين والدنيا، تقولون هذا الشيخ في وادٍ والناس في وادٍ آخر، فلينظر كل منا إلى أولاده إلى أشكالهم، إلى لباسهم، إلى صلاتهم إلى أصدقائهم لتعلموا حقيقة الأمر.

فبعض الأبناء يا عباد الله، في السنة الرابعة من المرحلة الابتدائية واللهِ يدخنون ويشربون الخمر إلا من رحم ربي ـ ويفعل بعضهم ببعض الفاحشة، فليراقب كل منكم ابنه أين يذهب، ولا تتركه يذهب إلى أصدقائه وأنت لا تدري ماذا يصنعون بعدك وفي أثناء غيابك، رَبِّ ولدك على عقيدة التوحيد، وعلى مراقبة الله ﷻ.

هذا رسولنا ﷺ يهتم بالأطفال، ويربي الأطفال على عقيدة التوحيد يقول يوماً لابن عباس: «**يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فأسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»[(١)].

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، طب: (١٢/ ٢٣٨)، ع: (٤/ ٤٣٠)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].

• وهذا لقمان الحكيم المربي العظيم يربي ولده على التوحيد ويحذره من الشرك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

يربون أبناءهم على العبودية لله وحده، ونحن نربي أبناءنا في هذا الزمان العجيب على العبودية للدينار، على العبودية للمناصب، على العبودية للدنيا وحب الدنيا، فالولد لا يرى أباه إلا لاهثاً خلف الدنيا، لا يرى أباه إلّا جامعاً للدنيا، فيخرج الولد يعبد الدنيا والدينار والمنصب من دون الله، فاتقوا الله عباد الله في أولادكم.

رابعاً: على الوالد أن يربي ولده على مراقبة الله ﷻ، أن يقول له: يا بني اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، أن يربي ولده على أن الله مطلع عليه، على أن الله يراه أينما ذهب، وانظروا إلى لقمان وهو يقول لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان: ١٦].

خامساً: على الوالد أن يربي أولاده على حب المعروف، وفعل المعروف، وأن يربي أولاده على الأمر بالمعروف، وأن يربي أولاده على بغض المنكر وعلى الابتعاد عنه.

كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧].

سادساً: على الوالد أن يربي أولاده على التواضع للمؤمنين وعلى خفض الجناح للمؤمنين، وعلى بغض الكافرين وكراهية الكافرين، وأن يحذر ولده من الكبر، فهذا لقمان يقول لابنه وهو يعظه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٨، ١٩].

عباد الله! إذا اجتهد الوالد على تربية ولده انتفع بعد موته بصلاح ذلك الولد، وذلك لأن الولد من كسب أبيه، ومن سعي أبيه، لقوله ﷺ: «**إن من أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه**»(١)، والله ﷻ يقول: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٩]، فالولد الصالح من سعي أبيه، ولذلك ينتفع الوالد من ولده بعد الموت.

عباد الله! **وهنا أسئلة مهمة لا بد من الإجابة عليها:**

السؤال الأول: هل يجوز للولد أن يصلي عن والده بعد الموت؟

الجواب: لا يجوز للولد أن يصلي عن والده بعد الموت، وذلك لأن الصلاة من الفروض العينية التي تجب على كل إنسان بعينه. والله ﷻ قال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٩].

السؤال الثاني: هل يجوز للولد أن يصوم عن والده بعد الموت؟

الجواب: لا يجوز للولد أن يصوم عن والده بعد الموت، ولكن إذا مات الوالد وعليه صيام من رمضان فعلى الولد وعلى أولياء الميت أن يطعموا عن هذا الوالد عن كل يوم مسكيناً، أما إذا مات الوالد وعليه صوم نذر فعلى أوليائه وأولاده أن يقضوا الدَّين عن والدهم، ودَين الله ـ وهو النذر ـ أحق بالقضاء.

السؤال الثالث: هل يجوز للولد أن يحج عن والده بعد موته؟

الجواب: نعم يجوز للولد أن يحج عن والده بعد موته بشرط أن يكون الولد قد حج عن نفسه أولاً.

السؤال الرابع: هل يجوز للولد أن يقرأ القرآن ثم يقول بعد القراءة: أهب القرآن لوالدي الميت؟

---

(١) **صحيح**: د: (٣٥٢٨)، ن: (٤٤٤٩)، هـ: (٢١٣٧)، حب: (٤٢٥٩)، ك: (٢/ ٥٣)، عب: (٩/ ١٣٣)، هق: (٧/ ٤٧٩)، طس: (٤/ ٣٨٠)، [«ص.ج» (٢٢٠٨)].

الجواب: لا يجوز للولد أن يفعل ذلك أبداً؛ لأن الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٩] ولكن كما قلنا: الولد الصالح من سعي أبيه فإذا قرأ الولد الصالح القرآن أو صلى أو عمل صالحاً أخذ أجراً عظيماً ولوالديه مثله.

السؤال الخامس: هل الولد الفاسق العاصي المجرم المنحل البعيد عن الدين يضر والده بعد موته؟

الجواب: لا؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، ولكن إذا أهمل الوالد أولاده قبل موته فالله سائله يوم القيامة عنهم، فإذا فرط الوالد في أولاده وأتى لهم بالمفسديون، وبوسائل اللهو واللعب، وتركهم يتركون الصلاة، وترك البنات يتبرجن، فالله سائله يوم القيامة عن هذه الرعية التي ضيَّعها، قال ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»(١).

عباد الله! ومن الأعمال الصالحة التي تنفع صاحبها بعد الموت [الصدقة الجارية] كما قال ﷺ في الوصية: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث**... وذكر، **صدقة جارية**».

والصدقة الجارية يا عباد الله كثيرة وكثيرة جداً بينَّها الرسول ﷺ في الحديث الآخر حيث يقول ﷺ: «**إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورَّثه، أو مسجداً بناهُ، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراهُ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته**»(٢).

فالصدقة الجارية تنفع بعد الموت، يقول ﷺ في الحديث: «**أو مصحف ورّثه**» المصحف كتاب الله وها نحن يا عباد الله: وقد سمعتم في هذه الأيام بِمَنْ يُسمون (عبدة الشيطان) الذين اعتدوا على كتابِ الله،

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٤١٦)، م: (١٨٢٩).

(٢) **حسن**: هـ: (٢٤٢)، خز: (٢٤٩٠)، هب: (٣/ ٢٤٧)، [«ص.ج» (٢٢٣١)].

ولوثوه، . . . على أيِّ مائدةٍ تربَّىٰ هؤلاءِ يا عبادَ الله، الجواب بَيِّنٌ مِنْ اسمهم. . لقد تربوا على مائدة الشيطان، فأصبحوا عبيداً له فلا عجب أن يفعلوا ما فعلوا بالقرآن، ووالله أقول لكم: إن لم تربوا أبناءكم على العبودية لله فسيكونون في يومٍ ما عبيداً للشيطان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس: ٦٠].

عباد الله! اعلموا أن هناك تعاوناً بَيْن شياطين الإنس وشياطين الجنِّ، وشيطانُ الجنِّ لا يخدم شيطانَ الإنس إلَّا بعد أن يقوم هذا الأخيرُ ببعض المعاصي الكفرية كالاعتداء على كتاب الله، أو تلويثه، كما فعل عبدة الشيطان، يقول الله ﷻ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢].

أي: كذاب يفعل المعاصي التي لم تخطر لك على بال، وأنا أقول: وراء هذه الفعلة وهي الاعتداء على كتاب الله السحرة والمشعوذين.

ولذلك أقول: آن الأوان لأولياء الأمور أن يضربوا بأيد من حديد على السحرة والمشعوذين الذين طالما ذكرناهم، وحذرنا منهم، ولكن تركوهم، والآن وصل بهم الأمر أنهم جعلوا الناس يعبدون الشيطان من دون الله ويعتدون على كتاب الله فلا حول ولا قوة إلا بالله.

عباد الله! المصحف صدقة جارية إذا اشتراه الإنسان لأولاده في البيت، أو اشتراه فأهداه لأحد من المسلمين، أو اشتراه فوضعه في بيت من بيوت الله فهو صدقة جارية تنفعه بعد الموت.

ويلحق بالمصحف كتب العقيدة، وكتب التفسير، وكتب الفقه والكتب الإسلامية الصحيحة التي تنفع المسلمين، إذا اشتراها الإنسان ووضعها في بيته بدل المفسديون فهي صدقة جارية له بعد الموت، أو إذا أهداها إلى أحد طلاب العلم، أو وضعها في بيت من بيوت الله، فهي صدقة جارية تنفعه بعد الموت.

وقال ﷺ: «**أو بيت لابن السبيل بناه**».

أي: أن تبني بيتاً يا صاحب المال وتوقفه لابن السبيل الذي يمر بالبلد فينام فيه، فيدعو لك، فهذه صدقة جارية بدل أن تترك الأموال مكدسة في البنوك الربوية، فتصدقوا بها يا عبادَ الله صدقة جارية تنفعكم بعد الموت وتفرحوا بها يوم لا ينفع مال ولا بنون، وكذلك «أو نهر أجراه أو بنى لله مسجداً».

عباد الله! المساجد هي بيوت الله في الأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ [النور: ٣٦] وقد جعل الله ﷻ عمارة المساجد عنوان الإيمان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾ [التوبة: ١٨]. . .

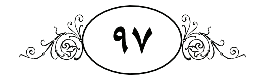
رغب الإسلام في بناء المساجد، فقال ﷺ: «**من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة**»(١).

عباد الله! بادروا بالأعمال الصالحة فالموت يأتي بغتة.

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه



(١) **صحيح**: خ: (٤٣٩)، م: (٥٣٣).



الوصية السادسة والعشرين:
«اغتنم خمساً قبل خمس...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ وموعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع الوصية السادسة والعشرين:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: **«اغتنم خمساً قبل خمسٍ: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»**[(١)].

موعظة بليغة، ونصيحة غالية، ووصية عظيمة، من رسول عظيم يحث أمته فيها على المبادرة بالأعمال الصالحة قبل فوات الأوان، ويبيّن لهم فيها أن اليوم حياة وغداً موت، واليوم صحة وغداً مرض، واليوم فراغ وغداً شغل، واليوم شباب وغداً هرم، واليوم غنى وغداً فقر.

عباد الله! والذي دفعني للحديث عن هذه الوصية في هذا اليوم بالذات أمور ثلاثة:

الأمر الأول: الفتن التي تموج بالناس كموج البحر، والتي تحيط بالناس من كل جانب كالليل المظلم، الرجل يصبح مؤمناً ويمسي كافراً، الرجل يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا، فتن والله كقطع الليل المظلم، بل إننا نسمع عن أشياء ما سمعنا بها من قبل، وإنما هي الفتن.

---

(١) **صحيح**: ك: (٤/ ٣٤١)، ش: (٧/ ٧٧)، هب: (٧/ ٢٦٣)، حل: (٤/ ١٤٨)، [«ص.ج» (١٠٧٧)].

أما سمعتم عن شباب تربوا على شاشات المفسديون، عن شباب تربوا على أشرطة (الفيديو)، عن شباب تربوا على الترف يلعبون بالمال حيث شاءوا ومتى شاءوا، وكيف شاءوا، ثم لما ترك أولياء الأمور لهؤلاء الحبل على الغارب عصوا الله ﷻ، وبارزوا الله بالمعاصي بل الطامة الكبرى أنهم أعلنوا صراحة أنهم يعبدون الشيطان من دون الله، فهل من بعد هذه الفتن من فتن يا عباد الله؟!

ولكنها كما قلنا فتن كقطع الليل المظلم، والشاب إذا أخرج يده في وسط هذه الفتن لا يكاد يرى يده من شدة الظلام.

والله ﷻ حذرنا من هذه الفتن، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

فيا من جاء لأولاده بوسائل الفساد إلى البيت، وترك ابنه يسهر على أفلام (الفيديو) ويسرح ويمرح أخشى أن يأتي عليك يومٌ يا عبد الله لتجد ولدك هذا الفاسد يقول لك: أنت تعبد الله، وأنا أعبد الشيطان! إنها فتن من كل جانب كقطع الليل المظلم.

ورسولنا الكريم ﷺ يحذر من كل هذه الفتن التي ستأتي في المستقبل ـ وقد جاءت ـ فيقول ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً، ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا**»[1]، وكأنه ﷺ يقول: إن النجاة من الفتن بالأعمال الصالحة.

إذا اشتدت الفتن فعلينا أن لا نجلس لتضييع الأوقات في القيل والقال، لا بل علينا أن نبادر بالأعمال الصالحة وهذا هو مفهوم الحديث: بادروا بالأعمال الصالحة، لِمَ يا رسول الله؟ فستكون فتناً كقطع الليل المظلم، ففي الوقت ـ يا عباد الله ـ الذي سمعتم فيه بشباب يعلنون على

(١) **صحيح**: م: (١١٨).

الملأ أنهم يعبدون الشيطان من دون الله، ويعتدون على كتاب الله في مساجد الله وفي بيوت الله، في هذا الوقت عليكم أن تعودوا إلى ربكم وأن تبادروا بالأعمال الصالحة، وأن تجتهدوا في الطاعة لله ﷻ.

عباد الله! أردت أن أقول لكم في وسط هذه الفتن بادروا بالأعمال الصالحة، ماذا تنتظرون؟ هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، فكم من رجل نزل به الفقر فأنساه ذكر الله ودفعه إلى معصية الله، وكم من فقير سرق بسبب الفقر وكم من فقير ارتشى بسبب الفقر، وكم من فقير بسبب الفقر أخذ الربا واقترض من البنوك، ماذا تنتظرون؟ أو غناً مطغياً؟! أو هرماً مفنداً؟! أو موتاً مجهزاً؟!

• ابن آدم! اغتنم خمساً قبل خمس، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك، وخذ من حياتك لموتك، وخذ من غناك لفقرك، وعد نفسك من أصحاب القبور، فإنك لا تدري ما اسمك غداً.

• ابن آدم! اغتنم خمساً قبل خمس، فالأيام تمر والعمر ينقضي وما هي إلا أيام أو ساعات وتخطف من هذه الدنيا إلى الآخرة فتندم في وقت لا ينفعك فيه الندم.

نسيرُ إلى الآجالِ في كلِّ لحظةٍ ... وأيامُنا تُطْوى وهنَّ مراحِلُ
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنهُ ... إذا ما تخطتُه الأمانيُّ باطلُ
وما أقبحَ التفريطَ في زمن الصبا ... فكيفَ بهِ والشيبُ للراس شاعلُ
ترحلْ منَ الدنيا بزادٍ منَ التقى ... فعمرُك أيامٌ وهنَّ قلائلُ

الأمر الثاني: ـ الذي دفعني يا عباد الله للحديث عن هذه الوصية ـ أن كثيراً من الناس يضيعون الأوقات الطويلة والساعات الطويلة في اللهو واللعب وكأنهم سيخلدون في هذه الدنيا لا يموتون! ساعات طويلة أمام المفسديون، ساعات طويلة في القيل والقال! ضيعوا الصحة في معصية الله، وضيعوا الأوقات في معصية الله، وفي طاعة الشيطان، فأردت أن أقول

لهؤلاء: يقول ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»[(١)]، الصحة نعمة، والرسول ﷺ يقول في وصيته التي معنا: «**اغتنم خمساً قبل خمس: صحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك**».

فانظروا إلى كثير من الشباب وقد ضيعوا الأوقات في معصية الله، فمتى يا شباب الإسلام نتعلم؟ ومتى يا شباب الإسلام ندعوا إلى هذا الدين؟ ومتى نعبد الله ﷻ؟ أنسيتم أَن الموت إذا جاء انقطع عمل ابن آدم.

• واعلموا عباد الله أن الصحة نعمة، وأن الفراغ نعمة تُسأل عنهما يوم القيامة أمام الله.

يقول ﷺ: «**لا تزول قدما عبدٍ حتى يُسأل عن أربع**: ـ فذكر منها ـ **عن عمره فيم أفناه**»[(٢)] يا ابن آدم! إن عمرك في هذه الدنيا ستون سنة، فماذا فعلت في هذه الأعوام والسنين؟ أجب يا ابن آدم! الذي يُغنِّي ماذا يقول لربه يوم القيامة؟ الذي يُضْحِكُ الناس طوال النهار ماذا يقول لربه يوم القيامة؟ الذي يبيع الخمر ماذا يقول لربه يوم القيامة؟ الذي يبيع أشرطة الغناء والصور العارية للشباب، ماذا يقول لربه يوم القيامة؟.

«**وعن جسده فيم أبلاه**» ـ أي: الصحة، وفي رواية أخرى: «**وعن شبابه فيما أفناه**»، ستُسأل عن عمرك عامة، وعن سن الشباب خاصة، الشبابَ! الشبابَ! وانظروا معي إلى شوارع المسلمين وإلى شباب المسلمين ـ إلا من رحم ربي ـ شعورهم كشعور الكفار، ثيابهم كثياب الكفار ـ والله لقد رأيت بأُم عيني في شوارع المسلمين شاباً قد أطال شعره، وربطه من الخلف كما تفعل الإناث، ولبس قرطاً في أذنه اليسرى، فياللأسف الشديد إذ تراه يحمل هوية مسلم ولا يعرف المساجد أبداً! ـ،

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٠٤٩).

(٢) **صحيح**: ت: (٢٤١٧)، مي: (٥٣٧)، ع: (١٣/٣٥١)، طس: (٧/٣٠٧)، [«ص.ج» (٧٣٠٠)].

شباب طوال يومهم على أفلام الفيديو، شباب مخنث، فهل هؤلاء يحررون الأرض ويرفعون راية (لا إله إلا الله) يا أمة الإسلام؟ ما جاء هؤلاء من الخارج إنهم في بيوتنا ومنهم من يصلي أبوه معنا، فاتقوا الله، فالشباب نعمة، والصحة نعمة، والفراغ نعمة تُسأل عن ذلك يوم القيامة.

ابن آدم! السفر طويل، فاغتنم خمساً قبل خمس، وتزود لهذا السفر.

تزودْ من التقوى فإنكَ لا تدري ... إذا جنَّ ليلٌ هلْ تعيشُ إلى الفجرِ
فكم من صحيح ماتَ منْ غيرِ علةٍ ... وكمْ من عليلٍ عاش حيناً من الدهرِ
وكمْ من صغار يُرْتجى طولُ عمرِهِمْ ... وقدْ أُدْخِلت أجسادُهم ظلمةَ القبر
وكم من فتىً يمسي ويصبحُ ضاحكاً ... وقدْ نُسجتْ أكفانُه وهوَ لا يدري
وكم من عروسٍ زينوها لزوجها ... وقد قبضت أرواحهم ليلةَ القدرِ

أما الأمر الثالث: ـ الذي دفعني للحديث عن هذه الوصية في هذه الأيام بالذات أننا في الأيام العشر من ذي الحجة، وهي أيام مباركة، الأعمال الصالحة فيها مقبولة عند الله ـ يحبها الله ﷻ.

يقول ﷺ: «**ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام**» ـ يعني: أيام العشر ـ، قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء**»[١].

فأردت أن أذكر نفسي وإخواني بالإكثار من الأعمال الصالحة في هذه الأيام من صلاة، وصيام، وصدقة، وقراءة للقرآن، وإطعام للطعام، وغير ذلك.

تذكر يا عبد الله بأن في هذه الأيام يوم عرفة. سُئِل رسول الله ﷺ: عن صوم عرفة؟ قال: «**يكفر السنة الماضية والباقية**»[٢]، فصيام يوم عرفة

---

(١) **صحيح**: د: (٢٤٣٨)، ت: (٧٥٧)، هـ: (١٧٢٧)، حم: (١/ ٣٤٦)، مي: (١٧٧٣)، ش: (٤/ ٢٢٨)، هب: (٣/ ٣٥٣» (ص.غ.هـ» (١٤٢٨)].

(٢) **صحيح**: م: (١١٦٢).

له أجر عظيم، وكثير من الناس والحمد لله يحافظ على صيام هذا اليوم. فأُذكر نفسي وإياكم أن تجتهدوا في هذه الأيام بالأعمال الصالحة وبالصيام لعلكم ترحمون، لعلكم تنجون يا عباد الله من هذه الفتن التي تحيط بنا من كل جانب.

عباد الله! يقول ﷺ في وصيته التي معنا: «**اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك**..».

ففي هذه الوصية الرسول ﷺ يقول: «**اغتنم... وغناك قبل فقرك**»، فاليوم غنى وغداً فقر، فمن منَّ الله عليه وأعطاه المال الحلال فلا يحرم نفسه من أن يضحي في يوم العيد أو في أيام التشريق الثلاثة، فالأضحية لها أجر عظيم عند الله إذا أردت أن تتقرب بها وتبتغي بها وجه الله، وهذا عمل صالح تجعله لك عند الله ينفعك يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

عباد الله! والأضحية مقبولة عند الله بشروط وهي:

الشرط الأول: أن تبتغي بها وجه الله، فتذبحها تقرباً إلى الله، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. فكما أنك تصلي لله فعليك أن تذبح هذه الأضحية تقرباً إلى الله.

الشرط الثاني: أن تكون هذه الأضحية من بهيمة الأنعام لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٣٤]، وبهيمة الأنعام هي: الإبل، والبقر، والغنم بنوعيها (الضأن والماعز) فلا تجزىء الأضحية من غير بهيمة الأنعام.

الشرط الثالث: أن تكون الأضحية خالية من العيوب لقوله ﷺ: «**أربعة لا يجزين في الأضاحي: العوراء البَيِّنُ عَوَرُها، والمريضة البَيِّنُ**

مرضها، والعرجاء البين ضلعها، والعجفاء التي لا تُنقي»[١]، فيجب أن لا يكون أي عيب مما ذكر في الأضحية.

الشرط الرابع: أن تكون الأضحيه قد وصلت السن المعتبر شرعاً.

الشرط الخامس: أن تذبح الأضحية بعد صلاة العيد، فمن ذبح قبل صلاة العيد فإنما هي ذبيحة يقدمها لنفسه وأولاده، ومن ذبح بعد صلاة العيد فقد أتم نسكه، وأصاب سنة المسلمين.

وذلك لقوله ﷺ: «**من ذبح قبل الصلاة فإنما يذبح لنفسه، ومن ذبح بعد الصلاة** ـ أي: بعد صلاة العيد ـ **فقد تم نسكه وأصاب سنة المسلمين**»[٢]، وقال ﷺ: «**من ذبح قبل أن يصلي فليعد مكانها أخرى**»[٣].

فإذا توفرت هذه الشروط في الأضحية فهي مقبولة ـ إن شاء الله تعالى ـ عند الله.

عباد الله! واعلموا أن حكم الأضحية واجب على المستطيع، فمن استطاع أن يضحي فيجب عليه أن يضحي.

والدليل على وجوب الأضحية على المستطيع والقادر، قوله ﷺ: «**من كان له سعة ـ أي: من المال ـ ولم يضح فلا يقربن مصلانا**»[٤]، وقال ﷺ: «**من ذبح قبل أن يصلي فليعد مكانها أخرى**»[٥]، وهذا أمر، والأمر للوجوب. ومن أراد منكم أن يضحي ورأى هلال ذي الحجة فليمسك عن قص أظفاره وشعره فقط، أما الاغتسال والجماع فلا شيء عليه في ذلك.

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه

---

(١) **صحيح**: ن: (٤٣٦٩)، هـ: (٣١٤٤)، حم: (٣٠١/٤)، مي: (١٩٤٩)، خز: (٢٩١٢)، حب: (٥٩١٩)، هق: (٢٧٣/٩)، [«ص.ج» (٨٨٦)].

(٢) **صحيح**: خ: (٥٢٣٦)، م: (١٩٦١).

(٣) **صحيح**: خ: (٥٢٤٢)، م: (١٩٦٠).

(٤) **صحيح**: هـ: (٣١٢٣)، حم: (٣٢١/٢)، ك: (٢٥٨/٤)، قط: (٢٨٥/٤)، هب: (٤٨١/٥)، [«ص.ج» (٦٤٩٠)].

(٥) **صحيح**: خ: (٥٢٤٢)، م: (١٩٦٠).



الوصية السابعة والعشرون:
«إياكم والظنَّ...»

عباد الله! من الواجب على المسلمين نحو رسول الله ﷺ أن يأخذوا وصاياه، وأن يعملوا بها، وأن يعضوا عليها بالنواجذ ليسعدوا في الدارين الدنيا والآخرة.

ولذلك يا عباد الله فنحن لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع الوصية السابعة والعشرين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث**»(١).

عباد الله! وصية عظيمة من رسول عظيم يحذر أمته فيها من سوء الظن بالمسلمين، وقد جاء هذا التحذير وهذا النهي عن سوء الظن بالمسلمين في كتاب ربنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

عباد الله! والظن السيء: هو أن يظن الرجل بأهل الخير من المؤمنين شراً. وهذا حرام بالكتاب والسنة، بل الواجب على المؤمن أن

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧١٩)، م: (٢٥٦٣).

يظن دائماً بالمؤمنين والمؤمنات خيراً، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا﴾ [النور: ١٢]. .

● ويجب على المؤمن أن يحسن الظن بربه كما قال ربنا في الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدي بي**»[(١)].

وكما قال ﷺ: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله** ﷻ»[(٢)].

عباد الله! والسؤال المهم هنا هو:

لماذا نهى ربنا في كتابه، ونهى رسولنا ﷺ في سنته عن سوء الظن بالمسلمين؟

الجواب: **أولاً:** لأن سوء الظن من أخلاق وشيم المنافقين والكافرين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ﴿٦﴾﴾ [الفتح: ٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ﴿١٢﴾﴾ [الفتح: ١٢].

فدل ذلك يا عباد الله على أن سوء الظن من شيم وأخلاق المنافقين والكافرين.

ثانياً: ـ نهى ربنا ﷻ ونهى رسولنا ﷺ عن سوء الظن ـ لأن سوء الظن كذب وافتراء، كما قال ﷺ في الوصية التي معنا: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث**».

ثالثاً: لأن سوء الظن سبب لانتشار الأمراض الخطيرة في المجتمع

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٩٧٠)، م: (٢٦٧٥).

(٢) **صحيح**: م: (٢٨٧٧).

المسلم والتي تعمل على تحطيم وتفكيك المجتمع كالتجسس، والتحسس، والتنافس، والتحاسد، والتباغض، والتدابر، ولذلك قال ﷺ: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً...**»[(١)].

رابعاً: لأن سوء الظن يدفع إلى التجسس وهو الباعث على الغيبة كما قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾..

عباد الله! إذا أصيب الإنسان بهذا المرض الخطير ـ وهو سوء الظن ـ دفعه ذلك إلى التجسس، والتجسس هو: أن يحاول الرجل أن يهتك ستر الآخرين، وهو الدافع إلى أن يبحث الرجل عن عورات الآخرين، وأن يتتبع عيوبهم، وهذا يا عباد الله حرام في الكتاب والسنة.

ورسولنا ﷺ يقول: «**ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**»[(٢)]، والعكس صحيح يا عباد الله فمن فضح مسلماً فضحه الله في الدنيا والآخرة. والتجسس: هو أن يحاول الرجل أن يفضح الآخر، ومن فضح مسلماً في الدنيا فضحه الله في الدنيا والآخرة، فالتجسس حرام قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾، وقال ﷺ: «**ولا تجسسوا**»، وقال ﷺ لهؤلاء الذين يتجسسون على المؤمنين ويحاولون أن يفضحوهم ويتتبعوا عوراتهم، قال لهم ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته، يفضحه ولو في جوف بيته**»[(٣)].

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧١٩)، م: (٢٥٦٣).
(٢) **صحيح**: خ: (٢٣١٠)، م: (٢٥٨٠).
(٣) **صحيح**: د: (٤٨٨٠)، حم: (٤/٤٢٠)، ع: (١٣/٣٤٣)، هب: (٥/٢٩٦)، هق: (١٠/٢٤٧)، [«ص.ج» (٧٩٨٤)].

فهذا تحذير من رسول الله ﷺ لهؤلاء الذين يحاولون أن يفضحوا المسلمين ويبحثوا عن عورات المسلمين، ويتتبعوا عيوب المسلمين، ويحاولوا نشرها في المجالس.

عباد الله! الذي يصاب بسوء الظن يدفعه هذا المرض إلى التجسس، والذي يصاب بسوء الظن يدفعه ذلك إلى الغيبة.

والغيبة: هي ذكرك أخاك بما يكره من خلفه. يقول رسولنا ﷺ يوماً لأصحابه: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «**ذكرك أخاك بما يكره**»، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال ﷺ: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتَّه**»[1]؛ أي: رميته ببهتان عظيم.

والغيبة: حرام بالكتاب والسنّة كما سمعتم، إذ يقول ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحجرات: ١٢]. . .

وقال ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين**»[2].

فيا عباد الله! كونوا من سوء الظن على حذر؛ فإنه من شيم المنافقين والكفار.

- كونوا من سوء الظن على حذر؛ فإنه كذب وافتراء.
- كونوا من سوء الظن على حذر؛ فإنه سبب لانتشار الأمراض الخطيرة.
- كونوا من سوء الظن على حذر؛ فإنه الدافع للتجسس الباعث على الغيبة.

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٨٩).

(٢) **صحيح**: [«ص.ج» (٧٩٨٤)] وقد تقدم تخريجه.

سوء الظن بالمسلمين سبب لكل شر، فكونوا من سوء الظن على حذر، وخذوا بهذه الوصية العظيمة: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**».

عباد الله! كيف يُنَجِّي أحدنا نفسَه من هذا المرض الخطير؟

أولاً: عليك يا أخا الإسلام أن تتبيّن قبل أن تُسيء الظن بأخيك خشية أن تصيب قوماً بجهالة فتصبح على ما فعلت نادماً إلى يوم القيامة.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، ـ وفي قراءة صحيحة: (فتثبتوا) ـ ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، فعلى المسلم أن يتبيّن قبل أن يسيء الظن بأخيه.

ثانيا: على المسلم أن يعلم أنه إذا أساء الظن بأخيه فإن ذلك سيدفعه إلى التجسس، وإذا تجسس دفعه ذلك إلى الغيبة، والتجسس حرام، والغيبة حرام، ولذلك قال ﷺ لمعاذ: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى، فأخذ بلسانه فقال: تكُفَّ عليك هذا، قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ، هل يَكُبُّ الناسَ على وجوههم في النار إلَّا حصائد ألسنتهم**»(١).

ثالثاً: على الإنسان قبل أن يسيء الظن أن يعلم أنه إذا أساء الظن بأخيه فإنه سيخسر من حسناته يوم القيامة.

يقول ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت**

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٦١٦)، هـ: (٣٩٧٣)، حم: (٥/ ٢٣١)، ك: (٢/ ٤٤٧)، لس: (٥٦٠)، طب: (٢٠/ ١٠٣)، [«ص.ج» (٥١٣٦)].

حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»(١).

رابعاً: على المسلم قبل أن يسيء الظن أن يعلم أنه راجع إلى الله، وأنه موقوف بين يدي الله، وأن الله ﷻ لا يظلم مثقال ذرة ولذلك ختم ربنا جل وعلا الآية التي نهى فيها عن الظن بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]؛ أي: خافوا الله؛ أي: خافوا الوقوف على الميزان للحساب والجزاء. وختم رسولنا ﷺ حديثه الذي نهى فيه عن الظن بقوله ﷺ: «**وكونوا عباد الله إخواناً**».

فيا إخوة الإسلام! انظروا إلى مجالس المسلمين اليوم تمتلئ بالغيبة والنميمة، والسبب سوء الظن الذي دفع صاحبه إلى التجسس، ودفعه إلى الغيبة، ثم دفعه إلى الحسد، وإلى التباغض والتدابر، فهذه أمراض خطيرة تنتشر بين المسلمين سببها سوء الظن، فكونوا من سوء الظن على حذر.

اللّهم احفظنا وإياكم من سوء الظن

ربنا لا تجعل في قلوبنا غلّاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم



(١) **صحيح**: م: (٢٥٨١).



الوصية الثامنة والعشرون:
«والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لتأمُرُن بالمعروف، ولتنهوُنَّ عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم**»(١).

عباد الله! وصية عظيمة من رسول عظيم فيها تحذير وتهديد للأمة؛ أنها إن تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عاقبها الله عز وجل بعقاب منه، ثم تدعوه فلا يستجاب لها، وذلك:

أولاً: إذا وجد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قلَّت المعاصي، وإذا ضاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر زادت المعاصي، فإذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكثرت الذنوب والمعاصي انتشر الفساد في البر والبحر، كما قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١].

وإذا كثرت المعاصي والذنوب وظهر الفساد في البر والبحر، وكثر الخبث عاقب الله الأمة بعقاب منه، وأنزل الله عذابه على الأمة كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ. فعن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فزعاً يقول: «**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتح**

---

(١) **حسن**: ت: (٢١٦٩)، حم: (٥/ ٣٨٨)، هب: (٦/ ٨٤)، هق: (١٠/ ٩٣)، [«ص.ج» (٧٠٧٠)].

اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه»، وحلَّق بأصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب: فقلت: يا رسول الله، أنهلِك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**»[١].

يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**»، إذا كثرت المعاصي، وأظنها قد كثرت يا عباد الله، دخل المفسديون في كل بيوت المسلمين ـ إلا من رحم ربي ـ وعلق (الستلايت) على بيوت المسلمين ـ إلا من رحم ربي ـ ودخل الربا بيوت المسلمين ـ إلا من رحم ربي ـ وانتشر التبرج والزنا والغيبة وهذا شيء ظاهر لا خلاف فيه، والله ﷻ يقول: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ [الأنفال: ٢٥]، ويقول ﷺ في الوصية التي معنا ـ مبيناً أن العقاب من الله ينزل إذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ: «**والذي نفسي بيده، لتأمُرُن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**»، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر: ١٣، ١٤]؛ أي: للعصاة.

ثانياً: أننا إذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثرت المعاصي والذنوب وظهر الفساد في البر والبحر، وهل تدرون يا أمة الإسلام من هم الذين يعملون في هذه البيئة التي قد امتلأت بالمعاصي؟ إنهم المنافقون والمنافقات.

فإن المعاصي والذنوب إذا انتشرت ظهر النفاق، وعمل المنافقون والمنافقات، وأخذوا يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، وهذا ظاهر وبيِّن، أخبرنا بذلك ربنا ـ في علاه ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾ ـ أي بعضهم يشبه بعض ـ ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

---

(١) **صحيح**: خ: (٣١٦٨)، م: (٢٨٨٠).

إذا لم نأمر بالحجاب ظهر المنافقون يأمرون الناس بالتبرج! وأظنه أمر واضح أمامكم، إذا لم نأمر الناس بأكل الحلال ظهر المنافقون يأمرون الناس بالربا! إذا لم نأمر الناس بالتوحيد ظهر المنافقون يدعون الناس إلى الشرك! إذا لم نأمر الناس بالسنة ظهر المنافقون والمبتدعة يدعون الناس إلى البدع والخرافات!

ثالثاً: إذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حلت بنا اللعنة. كما لعن ربنا بني إسرائيل قبلنا، متى؟ عندما عصوا وتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

عباد الله! كان الرجل من بني إسرائيل يلقى الرجل منهم ـ أي العاصي ـ فيقول له: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك من أن يكون أَكِيلَهُ وشريبهُ وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض.

وهذا واقع فينا اليوم يا عباد الله، فالرجل في بيته يرى زوجته وابنته متبرجة، ويرى أولاده قد تركوا الصلاة ويقترفون المعاصي بالليل والنهار، ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر؛ بل تراه يعمل بالليل والنهار، ويأتي بالمال وينفق على هؤلاء ويآكلهم ويشاربهم، ويجالسهم، فلما فعل ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، فتراهم يفعلون المنكر ولا يبالون، وتراهم يتركون المعروف ولا يخافون، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض.

رابعاً: إذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثرت المعاصي والذنوب، وإذا كثرت المعاصي والذنوب أهلك الله الصالح والطالح.

إذا نزل الهلاك من رب العالمين بالأمة أخذ الصالح والطالح، ويضرب لنا رسولنا ﷺ مثلاً عجيباً في ذلك، فيقول ﷺ: «**مثل القائم على**

حدود الله ـ وهو الصالح ـ **والواقع فيها** ـ وهو الفاجر الفاسق ـ **كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نُؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»**(١).

أتدرون لم يا عباد الله؟ لأن السفينة ستغرق بخرقهم إياها، فلو تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم ومنعوهم مما أرادوا نجوا ونجوا جميعاً، فإذا تركوا العصاة يفعلون بالسفينة ما أرادوا هلكوا جميعاً، فالغرق يكون للصالح والطالح، للأعلى والأسفل، وإذا أخذوا على أيدي العصاة الذين هموا بخرق السفينة نجوا جميعاً.

إخوة الإسلام! ربما لم يفهم الكثير هذا المثال فأوضح، رجل صالح في بيته مع زوجة صالحة وفي أولاده الصلاح، وفي البيت شاب منهم فاسد مجرم عاصٍ لله ﷻ يقترف المعاصي، ويؤذي الناس، فهذا الشاب الفاسق من هذه الأسرة الصالحة كان إذا مرّ الناس من أمام بيتهم رماهم بالحجارة، فمات رجل من المارة بهذا الحجر، فجاء أهل الميت فأحرقوا هذا البيت الصالح الذي فيه هذا العاصي بالنار فمات من فيه من الصالح والطالح.

فيا عباد الله! لما جاء الهلاك والحرق أخذ الصالح والطالح، ولكن لو أن هذا الوالد الصالح والأم الصالحة ضربا على يدي هذا الولد الفاجر من اللحظة الأولى ما آلَ أمرهم إلى هذه النهاية.

مثال آخر: رجل صالح، وزوجة صالحة، وبيت يعبد الله ﷻ، ظهرت فيه فتاة مجرمة متبرجة تتعامل بما لا يرضي الله، ومرت الأيام واقترفت هذه الفتاة فاحشة الزنا، فعند وقوع الزنا من هذا البيت هل أصاب الفتاة وحدها أم طأطأ رؤوس الجميع؟ أظن أن هذه الفتاة قد

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٣٦١).

سودت وجوه الجميع، وطأطأت الرؤوس التي كانت عالية، وأخرست الألسنة التي كانت بليغة وذلك كله بسبب أنهم لم يأمروا هذه الفتاة من اللحظة الأولى بالحجاب وبالمعروف ولكن تركوا لها الحبل على الغارب.

فيا أمة الإسلام! إذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نزل بنا العذاب وأخذ الصالح والطالح، فعلينا أن نأخذ بوصية رسول الله ﷺ فنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر كل حسب استطاعته.

كما قال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١).

عباد الله! **إذا فعلنا ذلك وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر فماذا سيكون لنا؟**

أولاً: نكون بذلك خير أمة: لأن الله ﷻ أخبرنا في كتابه أنه علق الخيرية على العقيدة الصحيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال ـ تعالى ـ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ثانياً: إذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر نصرنا الله على أعدائنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

ولعل كثير من الجماعات الإسلامية في هذا الزمان يهتمون فقط بتكفير الحاكم فيقولون: الحاكم كافر، الحاكم كذا وكذا، ولكنهم لم يهتموا بالناس فلم يأمرونهم بالمعروف ولم ينهونهم عن المنكر، عبادَ الله، إذا كان الحاكم في أي بلد من البلاد فاسقاً يقترف المعاصي فالشعب يقترف من المعاصي ما هو أكثر مما يرتكب، يقول الله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى

---

(١) **صحيح**: م: (٤٩).

بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام: ١٢٩] والجزاء مِنْ جنس العمل، فكثير من الجماعات اليوم لا همَّ لهم إلا ذلك: هذا كافر، هذا فاجر، هذا فاسق، ولم ينشغلوا بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، نقول لهم: الله ﷻ يقول: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

● إذا ضيّعنا الصلاة، ومنعنا الزكاة، وتركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهل ننتظر النصر من الله، لا يا عباد الله، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، إذن النصر يا عباد الله! يكون إذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر، أتدرون (لم)؟ لأنه إذا أمر كل منا بالمعروف ونهى عن المنكر قلَّت المعاصي، وإذا قلت المعاصي تغير حالنا إلى ما يحب ربنا ويرضى، وإذا تغير حالنا إلى ما يحب ربنا ويرضى غيَّر الله ما نزل بنا إلى ما نحب ونرضى. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾ [الرعد: ١١].

ثالثاً: إذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر نزلت علينا رحمة الله ﷻ، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

رابعاً: إذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر نجانا الله من العذاب إذا نزل على الظالمين الفاسقين.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: ١٦٥].

خامساً: إذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر تحصلنا على الفلاح في الدنيا والآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

عباد الله! سعادة الدنيا والآخرة في الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، ولكن يا عباد الله الآمرُ بالمعروف والناهي عن المنكر يجب أن يتحلى بالصفات التي جاءتنا في كتاب ربنا وفي سنّة نبينا ﷺ حتى ينجح في دعوته، فمن أراد أن ينجح في دعوته فعليه أن يتصف بهذه الصفات، وهي مأخوذة من كتاب ربنا، فالله ﷻ يقول في كتابه على لسان نبيه شعيب ﵇: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ﴾ إلى أن قال: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود: ٨٤ ـ ٨٨].

صفاتٌ واللهِ لو تحلينا بها، وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر لتغير حال الأمة.

الصفة الأولى في الداعية الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر: أن يدعو الناس على علم وبصيرة كما قال شعيب: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾؛ أي: أن يكون الرجل على بينة مما يدعو إليه، ولذلك قال ربنا ـ جل وعلا ـ لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: ١٠٨]؛ أي: على علم، وعلى بينة.

فيجب على الداعية أن يكون على علم وبصيرة؛ لأنه إذا دعا بدون علم أفسد أكثر مما يصلح، فلربما دعا الناس إلى الشرك وهو يظن أنه يدعوهم إلى التوحيد، وربما دعا الناس إلى البدعة وهو يظن أنه يدعوهم إلى السنّة، وهكذا.

الصفة الثانية: يجب على الداعية أن يكون عبداً لله وحده في دعوته، وفي طلبه للرزق، وفي صلاته، وفي زكاته، وفي أمره بالمعروف، وفي نهيه عن المنكر، ولا يكون عبداً للدرهم والدينار ولا للمنصب ولا للوظيفة، فإنه إن فعل ذلك فشل في دعوته، لم يا عباد الله؟ لأن الرزق على الله، وإذا كان الرزق من الله ﷻ فعلى الداعية أن يأخذ سبيلاً شرعياً لطلب الرزق ثم بعد ذلك لا يبالي، فالله ﷻ يرزقه كما قال شعيب

لقومه: ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾؛ أي: رزقي من الله وليس منكم وما من نبي جاء إلى قومه إلا وهو يقول لهم أولاً: يا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلا على الله، ويقول ربنا جل وعلا لرسوله ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢]. فعلى الداعية أن يعلم أن الرزق من عند الله.

الصفة الثالثة: يجب على الداعية أن يعمل بما يقول؛ لأن الله ﷻ يمقت أن يعمل الإنسان بغير ما يقول أو أن يخالف بعمله قوله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢، ٣].

فالداعية إذا قال للناس: التبرج حرام، وعَلِمَ الناس أن زوجته متبرجة فلن يستجيبوا له، الداعية إذا قال للناس: الربا حرام وعلم الناس أنه يتعامل بالربا فلن يستجيبوا له، وهذا عيب على الداعية، كما قال القائل:

يا أيُّها الرجلُ المعلمُ غيرَهُ ... هَلّا لنفسكَ كان ذا التعليمُ
تصفُ الدواءَ لذي السَّقامِ وذي الضنا ... كيْمَا يصحَّ بهِ وأنتَ سقيمُ
ابدأْ بنفسِكَ فانْهَهَا عنْ غيِّها ... فإذا انتهتْ عنهُ فأنتَ حكيمُ
لا تنْهَ عنْ خُلُقٍ وتأتيَ مثلَهُ ... عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ

الصفة الرابعة: يجب على الداعية أن يبتغي بدعوته وجه الله، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣]، فمن دعا الناس إلى أن يعبدوا الله وحده لا يشركوا به شيئاً، وإلى طاعة رسول الله ﷺ، وإلى الطريق الذي سلكه الصحابة رضي الله عنهم ورضوا عنه فإنه يوفق بإذن الله.

ولكنه إذا ابتغى بدعوته حزبية، أو وطنية، أو شجاعة، فلا يوفق أبداً ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾.

فإذا ابتغى بذلك وجه الله ﷻ وفق في دعوته، وهذا شعيب يقول لقومه: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨]؛ أي: غايته أن يُرْضي الله ﷻ.

الصفة الخامسة: على الداعية أن يعلم أنه إذا وفق في دعوته فالتوفيق من الله وحده، وإذا لم يوفق في دعوته فهذا من نفسه ومن الشيطان، ولذلك نسب شعيب توفيقه إلى الله فقال: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [هود: ٨٨] ـ وهناك كثير من الدعاة إذا وفق في دعوته والتفَّ الناس حوله أصابه الغرور فكوَّن حزباً وجماعة، وأخذ يعمل بالتنظيمات كما نرى ونسمع، فيخرج بهذا التنظيم على الحكام فيدخل ومن معه في السجون فيكون قد ضيع وأضاع، وذهبت الثمار والجهود كما نرى ونسمع في بلاد المسلمين حيثُ امتلأت السجون بشباب الإسلام، أتدرون لم يا عباد الله؟ لأن الداعية الذي دعاهم: أصابه الغرور، وظن أنه بمن حوله يستطيع أن يغير باليد فلم يستطع ذلك، فلا هو أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وصبر على ذلك حتى ينصره الله ﷻ، ولا هو حقَّق أهدافه وهو بفعله هذا نسي قوله ﷺ: «**ولكنكم تستعجلون**».

الصفة السادسة: على الداعية أن يتوكل في دعوته على الله؛ لأنَّ مَنْ توكل على الله فهو حسبه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٠]، ولذلك قال شعيب: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

الصفة السابعة: على الداعية أن يتحلى بسلاح الصبر ولا يتعجل، لقول ربنا ـ جل وعلا ـ لرسوله ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف: ٣٥].

الصفة الثامنة: على الداعية أن يتحلى بالحكمة، والحكمة يا عباد الله

ضاعت في هذا الزمان ـ إلا عند من رحم ربي، والله ـ ﷻ ـ يقول لرسوله ﷺ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

فالذين يدعون الناس بالشدة أهم أعلم أم الله؟

الله ﷻ يأمر رسوله ﷺ وهو أحب الخلق إليه أن يدعو الناس بالحكمة.

● وهذا فرعون ما وصل أحد إلى ما وصل إليه من الطغيان والكفر إذ قال للناس: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال لهم: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨].

● وهذا موسى وهارون ـ وموسى من أولي العزم ـ ومع ذلك يا عباد الله أرسل الله موسى وهارون إلى فرعون وأمرهما أن يقولا له قولاً ليناً، لم يا ربنا؟ ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

فالحكمة يا أمة الإسلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر ضروري. فعلى كل منا أن يأمر بالمعروف وأن ينهى عن المنكر حسب استطاعته، إذا رأيت منكراً فغيِّر هذا المنكر بيدك إن استطعت ـ فالرجل في بيته يغير بيده ـ ولكن المنكر الذي في الشارع فهذا أمره لأولياء الأمور يغيِّرونه، وإلا فالله سائلهم يوم القيامة، فإذا لم تستطع باليد فغيِّر باللسان، بالنصيحة والكلمة الطيبة، فإن لم تستطع فغيِّر بقلبك وهذا يستطيعه الجميع، أن يبغض هذه المعصية بقلبه، وينكرها بقلبه، ولكن إذا لم ينكر الإنسان بقلبه فيرى زوجته تتبرج وابنه يعصي، وهو لا يبالي فليعلم هذا أن قلبه قد مات ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم
أن يرد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً



الوصية التاسعة والعشرون:
«كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية التاسعة والعشرين:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافةَ أن يُدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كُنا في جاهليةٍ وشرٍ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرٍ؟ قال ﷺ: «**نعم**»، قلت: وهل بعد ذلك الشرِّ من خير؟ قال: «**نعم وفيه دَخَنٌ**»، قلت: وما دخنُهُ؟ قال ﷺ: «**قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكرُ**»، قلتُ: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم، دعاةٌ على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**»، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، فقال ﷺ: «**هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**»، قلتُ: فما تأمُرُني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال ﷺ: «**فاعتزل تلك الفِرَقَ كلَّها ولو أن تعضَّ بأصل شجرةٍ حتى يُدركك الموت وأنت على ذلك**»[(١)].

عباد الله! وصية عظيمة من رسول عظيم يحذر فيها أمته من دعاة السوء ومن أئمة الضلال، ويبين ﷺ لأمته في هذه الوصية أن دعاة السوء وأئمة الضلال وقفوا على أبواب جهنم يدعون الناس إلى كل شر، ويحذرون الناس من كل خير فمن استجاب لهم قذفوه في جهنم.

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٤١١)، م: (١٨٤٧).

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلنا: إننا معشر المسلمين إذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثرت المعاصي والذنوب، وظهر الفساد في البر والبحر وكثر الخبث.

وقلنا: إنه في هذه البيئة السيئة المليئة بالمعاصي والذنوب ينشط المنافقون والمنافقات، ودعاة السوء وأئمة الضلال، فيدعون الناس إلى كل شر ويحذرون الناس من كل خير فهم بدعوتهم هذه يدعون إلى النار.

كما قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ ـ أي دعاة السوء ـ ﴿أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١].

عباد الله! أئمة الضلال ودعاة السوء وقفوا على أبواب جهنم يدعون الناس بأقوالهم وأفعالهم إلى كل شر، فمن استجاب لهم قذفوه في جهنم، وسيندم من استجاب لهم في وقت لا ينفع فيه الندم، وزعيمهم الذي جند حزبه لذلك هو إبليس عليه لعنة الله، ولقد أخبرنا الله عنه، وحذرنا منه ومن حزبه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٥، ٦].

عباد الله! وإبليس كما أخذ العهد على نفسه أن يعمل بالليل والنهار لدعوة الناس إلى النار، فقد جند جنوداً لحزبه يعملون معه، فكونوا منهم على حذر وهم:

أولاً: جَنَّدَ إبليس عليه لعنة الله الشياطين فهم يعملون معه ويدعون الناس بالليل والنهار إلى الكفر والضلال وإلى سبل الهلاك.

وهذا رسولنا ﷺ يبيّن لنا ذلك، فلقد خط ﷺ يوماً خطاً وقال لأصحابه: «**هذا سبيل الله**»، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم

قال ﷺ: «**هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها**»[(١)]، فالشياطين يدعون إلى سبل الهلاك كما قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ﴾ [الحشر: ١٦]...

يقول الشيطان: يا ابن آدم: اكفر، يا ابن آدم: اشرك، يا ابن آدم ازنِ، يا ابن آدم هذا هو سبيل الهداية وهو في الحقيقة سبيل الهلاك، ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧﴾ [الحشر: ١٦، ١٧].

ثانياً: جَنَّدَ إبليس عليه لعنة الله ﷻ جنداً من الإنس وهم الكفارَ، فالكفار بالليل والنهار ينفقون أموالهم ليصدوا الناس عن طريق الهداية، وليدعونهم بالليل والنهار إلى سبل الهلاك.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٢ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣﴾ [العنكبوت: ١٢، ١٣].

عباد الله! بالليل والنهار وعبر شاشات المفسديون وعبر الإعلام بكل وسائله، الكفار ينفقون أموالهم ويدعوننا إلى سبيل الهلاك قائلين:

اتبعوا سبيلنا، هذا هو سبيل التقدم! هذا هو سبيل الهداية! وواقعنا ـ إذا نظرنا إلى أشكالنا وأبنائنا ونسائنا وبيوتنا ـ يشهد أننا استجبنا لهم... إنها السنن يا عبادَ الله التي أخبرنا عنها النبي ﷺ فقال: «**لتتبعنَّ سنن من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قلنا**: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ **قال: فمن؟**»[(٢)] أليس كذلك يا

---

(١) **حسن**: حم: (١/ ٤٣٥)، مي: (٢٠٢)، حب: (٦)، ك: (٢/ ٢٦١)، لس: (٢٤٤)، بز: (٥/ ١٣١)، [«الموسوعة الحديثية»].

(٢) **صحيح**: خ: (٣٢٦٩)، م: (٢٦٦٩).

عباد الله؟! فإبليس هو الذي جندهم يدعوننا إلى سبيل الهلاك، فكونوا من الكفار على حذر؟!

ثالثاً: جَنَّدَ إبليس المنافقين والمنافقات يدعون الناس إلى كل منكر ويحذرون الناس من كل معروف.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

رابعاً: جَنَّدَ إبليس فريقاً من السادة والكبراء ـ الذين لا دين عندهم ـ يدعو الناس إلى سبل الهلاك.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦ ـ ٦٨].

خامساً: جَنَّدَ إبليس قرناء السوء لدعوة الأصدقاء إلى الهلاك، فكم من صديق أضل صديقه، وكم من قرين أهلك قرينه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

سادساً: جَنَّدَ إبليس عليه لعنة الله ﷻ علماء السوء، ودعاة السوء، ومشايخ السوء، فكم من عالم أفتى بحل الربا، وكم من عالم أفتى بحل التبرج، وكم من شيخ أفتى لمريديه بجواز دعاء المشايخ وأصحاب القبور من دون الله، فضلَّ وأضل، والله ﷻ في كتابه ضرب لنا مثلاً لعلماء السوء فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الجمعة: ٥].

عباد الله! ورسولنا ﷺ يخبرنا عن دعاة السوء فيقول ﷺ: «**رأيت ليلة أُسري بي رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من النار، فقلتُ من هؤلاء يا جبريل؟ قال: الخطباءُ مِنْ أُمتك الذين يأمرون الناس بالبر، وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون**»(١).

ورسولنا ﷺ يبيّن لنا أن دعاة السوء يدخلون النار قبل عُبَّاد الوثن: عبادَ الله (أول ما تسعر جهنم بثلاث منهم عالمٌ ولكنه لم يعمل بعلمه، ولكنه تعلم لغير الله فيأتي هذا العالم الفاسد ويقف بين يدي الله فيذكره بنعمه فيذكرها فيقول ربنا جل وعلا له: ماذا عملت بالعلم والقرآن؟ فيقول هذا العالم الكذَّاب: تعلمت العلم وعملت به ابتغاء وجهك، فيقول الله عز وجل ـ الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ـ: كذبت إنما تعلمت وعلَّمت ليقال عنك عالم، وقد قيل، خذوه إلى النار)(٢).

ورسولنا ﷺ يخبرنا عن دعاة السوء الذين يأمرون بالمعروف ولا يفعلونه، وينهون الناس عن المنكر ويفعلونه، يقول ﷺ: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرَّحى فيجتمعُ إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمُرُ بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمُرُ بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه**»(٣).

---

(١) **صحيح**: حم: (٣/ ٢٣١)، حب: (٥٣)، طس: (٨/ ١٤٤)، ع: (٧/ ٦٩)، [«ص.غ.هـ» (٢٣٢٧)].

(٢) **صحيح**: انظر الحديث كاملاً في: م: (١٩٠٥).

(٣) **صحيح**: خ: (٣٠٩٤)، م: (٢٩٨٩).

عباد الله! أئمة السوء، أئمة الضلال يدعون الناس إلى كل شر، ويحذرونهم من كل خير، فمن أجابهم قذفوه في النار، والعاقل من اتعظ بغيره، فالله ﷻ أخبرنا عن دعاة السوء الذين وقفوا على أبواب جهنم ودعوا الناس إليها فاستجاب الناس لهم، وها هم أولاً: يوم القيامة يتبرأ بعضهم من بعض كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧].

ثانياً: يرجع بعضهم إلى بعض القول أمام الله يوم القيامة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ: ٣١ ـ ٣٣].

ثالثاً: يلعن بعضهم بعضاً، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨].

وهذا هو إبليس الذي كوَّن حزبه وجَنَّده لدعوة الناس إلى جهنم، ها هو معهم في جهنم يتبرأُ منهم فكونوا على حذر يا عباد الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢].

عباد الله! حذيفة رضي الله عنه يقول: يا رسول الله، وهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها..**».

عباد الله! يا شباب الإسلام، يا من تحملون العواطف الحماسية، إياكم ودعاة السوء، إياكم وأئمة الضلال، إياكم وفرق الضلال؛ فإن مِنْ فرق الضلال اليوم من يُكَفِّر المسلم ويستحل دمه وماله وعرضه فكونوا منهم على حذر، ومن فرق الضلال من يدعون الناس إلى الكفر وإلى الشرك بالله. ومن فرق الضلال من يبعدون الشباب عن دينهم، ومِنْ فرق الضلال أيضاً من يجرئون الناس على معصية الله فيقولون لهم: لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ، فكونوا منهم على حذر، وعليكم بالجماعة وهي التي كانت على ما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

قال صلى الله عليه وسلم: «**وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة،** قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: **ما أنا عليه وأصحابي**»[(١)]، وقال صلى الله عليه وسلم: «**فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ..**»[(٢)]، وقال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فعليك أن تتعلم يا عبد الله علم الكتاب والسنة لتميز بين الخبيث والطيب، لتميز بين البدعة والسنة، لتميز بين التوحيد والشرك، لتميز سبيل الهدى من سبيل الهلاك.

فيا أمة الإسلام! من أراد أن ينجو فعليه أن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً، وأن يتبع الرسول وحده ويتأسى به وحده، وأن يسلك سبيل

---

(١) **حسن**: ت: (٢٦٤١)، ك: (١/ ٢١٨)، طص: (٢/ ٢٩)، [«ص.ج» (٥٣٤٣)].

(٢) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، هـ: (٤٢)، حم: (٤/ ١٢٦)، مي: (٩٥)، حب: (٥)، ك: (١/ ١٧٤)، طب: (١٨/ ٢٤٥)، هب: (٦/ ٦٦)، [«ص.ج» (٢٥٤٩)].

الصحابة فقد رضي الله عنهم ورضوا عنه، فمن فعل ذلك نجا ومن جلس في بيته جاهلاً بهذا الدين العظيم، ثم ماجت الفتن فأخذ يجالس دعاة السوء، وأئمة الضلال فيدعونه إلى الكفر والشرك، فسوف يستجيب لهم ثم يموت على ذلك فيندم يوم القيامة في وقت لا ينفع فيه الندم، اللّهم قد بلغت! اللّهم فاشهد، اللّهم قد بلغت! اللّهم فاشهد، اللّهم قد بلغت اللهم فاشهد.

اللّهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

❋ ❋ ❋

١٠١

الوصية الثلاثون
«أمسك عليك لسانك...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثلاثين:

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**»(١).

عباد الله! وصية عظيمة من رسولنا ﷺ يبين فيها لأمته سبيل النجاة، وكلنا والله في أمس الحاجة إلى هذه الوصية لننجي أنفسنا من عذاب الله في الدنيا والآخرة، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

عباد الله! الصحابي رضي الله عنه يقول: يا رسول الله ما النجاة؟ والذي يجيب هو رسولنا ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى فيقول ﷺ: «**أمسك عليك لسانك**» ـ أي: احفظ لسانك ـ «**وليسعك بيتك**» ـ أي: انشغل بطاعة ربك ـ «**وابك على خطيئتك**» ـ أي: انشغل بعيوبك عن عيوب الناس.

عباد الله! وهذه الوصية أقدمها للمسلمين عامة، وللذين يسهرون على لحوم الأبرياء خاصة.

أمة الإسلام! الرسول ﷺ يبيّن لكل من أراد سبيل النجاة فيقول: «**أمسك عليك لسانك**» فاللسان هو بمثابة القائد الأعلى لأعضاء الجسد،

---

(١) **صحيح لغيره**: ت: (٢٤٠٦)، حم: (٥/ ٢٥٩)، طب: (١٧/ ٢٧٠)، هب: (١/ ٤٩٢)، [«ص.غ.هـ» (٢٧٤١)].

فإن استقام اللسان استقامت الأعضاء، وإن اعوج اللسان اعوجت الأعضاء.

يقول ﷺ: «**إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كُلَّهَا تكفر اللسان** ـ أي: تذل له وتخضع ـ **فتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا**»(١).

فيا عباد الله، من أمسك لسانه عن القيل والقال وعن الخوض في الباطل، وعن تناول لحوم الأبرياء، وعن الغيبة والنميمة دخل الجنة.

لأن الرسول ﷺ يقول: «**من يضمن لي ما بين لَحْييه** ـ أي: اللسان ـ **وما بين رجليه** ـ أي: الفرج ـ **أضمن له الجنة**»(٢)، وقال ﷺ: «**من وقاهُ الله شر ما بين لحييه** ـ أي: اللسان ـ **وشر ما بين رجليه دخل الجنة**»(٣).

● وهذا معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: يا رسول الله أخبرني بعمل يُدخِلُني الجنة ويباعدني من النار؟ فقال ﷺ: «**لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسَّرَهُ الله تعالى عليه**... ثم دلّه ﷺ على أبواب الخير ثم قال ﷺ: ألا أخبرك بملاك ذلك كله!»، قلت: بلى يا رسول الله: فأخذ بلسانه فقال: «**تكف عليك هذا**»(٤).

عباد الله! ومن أطلق لسانه بالقيل والقال في أعراض المسلمين ينهش لحومهم فهذا يكبه لسانه على وجهه في نار جهنم، قال ﷺ: «... **وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم**»(٥)، وقال ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبيَّن**

---

(١) **حسن**: ت: (٢٤١٧)، حم: (٣/ ٩٥)، ع: (٢/ ٤٠٣)، هب: (٤/ ٢٤٣)، [«ص.ج» (٣٥١)].

(٢) **صحيح**: خ: (٦١٠٩).

(٣) **صحيح**: ت: (٢٤٠٩)، ك: (٤/ ٣٩٨)، حب: (٥٧٠٣)، ع: (١١/ ٦٤)، [«ص.ج» (٦٥٩٣)].

(٤) **صحيح**: ت: (٢٦١٦)، هـ: (٣٩٧٣)، حم: (٥/ ٢٣١)، [«ص.ج» (٥١٣٦)].

(٥) **صحيح**: خ: (٦١١٣).

ما فيها يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»(١).

وقد بيَّن لنا ربنا ـ جل وعلا ـ أن الخوض مع الخائضين باللسان سبب لدخول النار، فقال ـ تعالى ـ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٥].

والخوض مع الخائضين في الباطل يكون باللسان، وقال ﷺ لمعاذ: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**»(٢).

فيا عباد الله! اللسان إذا أمسك عن الباطل كان ذلك سبب لدخول الجنة، وإذا أُطلق في الباطل وفي أعراض المسلمين كان ذلك سبب لدخول النار، والعاقل من يمسك لسانه، ويراقب لسانه دائماً، فلا يتكلم إلا في الخير، ولا يتكلم إلا بالخير كما قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿۞ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

وقال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»(٣).

وكان الصحابة والسلف الصالح يخافون من اللسان ومن آفات اللسان وكانوا يمسكون ألسنتهم فلا يتكلمون إلا في الخير.

فهذا الصديق رضي الله عنه يأخذ بلسانه ويقول: (إن هذا أوردني شر الموارد)(٤).

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١١٢)، م: (٢٩٨٨).
(٢) **صحيح**: ت: (٢٦١٦)، هـ: (٣٩٧٣)، حم: (٥/ ٢٣١)، [«ص.ج» (٥١٣٦)].
(٣) **صحيح**: خ: (٥٦٧٢)، م: (٤٧).
(٤) **صحيح**: ع: (١/ ١٧)، بز: (١/ ١٦١)، ش: (٧/ ٤٣٢)، هب: (٤/ ٢٤٤)، حل: (١/ ٣٣)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٧٣)].

وهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يأخذ بلسانه يوماً ويقول: (يا لسان! قل خيراً تغنم، وأسكت عن شر تسلم، من قبل أن تندم)(١).

وهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: (والذي لا إله غيره ما على ظهر الأرض من شيءٌ أحوج إلى طول سجنٍ من لسان)(٢).

فيا ابن آدم! عرفت فالزم، تريد النجاة؟ أمسك عليك لسانك، أمسك عليك لسانك يا ابن آدم من الخوض فيما لا يعنيك؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**مِنْ حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»(٣).

ابن آدم! أمسك لسانك عن الخوض في الباطل؛ لأن الخوض في الباطل سبب لدخول النار وسبب لسخط الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٥].

وقال ﷺ: «**وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه**»(٤).

ابن آدم! أمسك لسانك عن إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

---

(١) **صحيح**: طب: (١٠/١٩٧)، هب: (٤/٢٤٢)، حل: (٤/١٠٧)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٧٢)].

(٢) **صحيح موقوف**: طب: (٩/١٤٩)، ش: (٥/٣٢٠)، حل: (١/١٣٤)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٥٨)].

(٣) **صحيح**: ت: (٢٣١٨)، حم: (١/٢٠١)، حب: (٢٢٩)، طب: (٣/١٢٨)، عب: (١١/٣٠٧)، هب: (٧/٤١٥)، [«ص.ج» (٥٩١١)].

(٤) **صحيح**: ت: (٢٣١٩)، هـ: (٣٩٦٩)، حم: (٣/٤٦٩)، حب: (٢٨٠)، ك: (١/١٠٦)، طب: (١/٣٦٧)، هب: (٤/٢٤٧)، [«ص.ج» (١٦١٩)].

وقال ـ تعالى ـ محذراً الذين يتكلمون بما يسمعون قبل أن يتبينوا: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [النور: ١٦، ١٧].

ابن آدم! أمسك لسانك عن الفحش والسب والبذاءة والشتم؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**إياكم والفحش والتفحش فإنَّ الله لا يحب الفاحش المتفحش**»(١)، وقال ﷺ: «**ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء**»(٢).

ابن آدم! أمسك لسانك عن كثرة المزاح، فإنه يجرك إلى الكذب، والرسول ﷺ يقول: «**ويل للذي يحدِّث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له**»(٣).

ابن آدم! أمسك لسانك عن الكذب؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»(٤).

ابن آدم! أمسك لسانك عن شهادة الزور، وعن قول الزور؛ لأن الله ـ عز وجل ـ قال: ﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال ﷺ: «**ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر** ـ ثلاثاً ـ قالوا: بلى يا رسول الله: قال: **الإشراك بالله، وعقوق الوالدين،** وجلس وكان متكئاً فقال: **ألا وقول الزور،** فما زال يكررها حتى قلنا: ليتهُ سكت»(٥).

---

(١) **صحيح**: حب: (٥١٧٧)، ك: (١/ ٥٦)، خد: (٤٨٧)، هب: (٧/ ٤٢٤)، [«ص.غ.هـ» (٢٦٠٣)].

(٢) **صحيح**: ت: (١٩٧٧)، حب: (١٩٢)، ك: (١/ ٥٧)، خد: (٣١٢)، طب: (١٠/ ٢٠٧)، ع: (٩/ ٢٥٨)، بز: (٤/ ٣٣٠)، ش: (٦/ ١٦٢)، هب: (٤/ ٢٩٣)، [«ص.ج» (٥٣٨١)].

(٣) **حسن**: د: (٤٩٩٠)، حم: (٥/ ٥)، مي: (٢٧٠٢)، طب: (١٩/ ٤٠٣)، هق: (١٠/ ١٩٦)، [«ص.ج» (٧١٣٦)].

(٤) **صحيح**: خ: (٥٧٤٣)، م: (٢٦٠٧).

(٥) **صحيح**: خ: (٢٥١١)، م: (٨٧).

ابن آدم! تريد النجاة؟ أمسك لسانك عن تكفير المسلمين، وعن أن تقول: هذا كافر، فالرسول ﷺ يقول: «**إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء به أحدهما**»(١).

ابن آدم! أمسك لسانك عن الغيبة؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين**»(٢)، وقال ﷺ: «**لمّا عرج بي ربي ﷻ مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم**»(٣).

ابن آدم! أمسك لسانك عن النميمة، والنميمة: هي: نقل الكلام من فلان إلى فلان بقصد إشاعة الفاحشة، وبقصد الإفساد بين الناس؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم: ١٠، ١١]، والرسول ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة نمام**»(٤).

ومرّ النبي ﷺ على قبرين فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يُعذبان في كبير! ثم قال: بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله**»(٥)، وقال ﷺ: «**من شرار الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه**»(٦)؛ أي: يتكلم مع هؤلاء بلسان، ومع هؤلاء بلسان، فيا ويله يوم القيامة! فإن هذا من صفات المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧٥٢).

(٢) **صحيح**: د: (٤٨٨٠)، حم: (٤/ ٤٢٠)، ع: (١٣/ ٣٤٣)، هب: (٥/ ٢٩٦)، هق: (١٠/ ٢٤٧)، [«ص.ج» (٧٩٨٤)].

(٣) **صحيح**: د: (٤٨٧٨)، حم: (٣/ ٢٢٤)، طس: (١/ ٧)، هب: (٥/ ٢٩٩)، [«ص.ج» (٥٢١٣)].

(٤) **صحيح**: خ: (٥٧٠٩)، م: (١٠٥).

(٥) **صحيح**: خ: (١٣١٢)، م: (٢٩٢).

(٦) **صحيح**: خ: (٥٧١١)، م: (٢٥٢٦).

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤].

ابن آدم! تريد النجاة؟ أمسك عليك لسانك، يقول ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»(١).

عباد الله! الصحابي رضي الله عنه يقول: يا رسول الله ما النجاة: أي: كيف ينجو الإنسان؟ فقال ﷺ: «**أمسك عليك لسانك**»، فوالله إن هذا لهو الخير لك في الدنيا والآخرة، فإياك ولسانك، فاللسان سبب لدخول النار، وكم من الناس من يُكَب على وجهه في النار بسبب لسانه.

يقول ﷺ لمن أراد النجاة: «**وليسعك بيتك**»؛ أي: انشغل بطاعة ربك، فعلى المسلم أن يجلس في بيته وينشغل بذكر الله وينشغل بقراءة القرآن، وينشغل بتعلم العلم النافع، وإذا خرج من بيته خرج لله؛ إلى المسجد لصلاة الجماعة، لزيارة مريض، لزيارة أخٍ له في الله، للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما الذين يضيعون أوقاتهم بالوقوف في الشوارع، أو في دور السينما، أو في أماكن اللهو واللعب، أو في لعب (الشدة)، أو أمام المفسديون أو أفلام الفيديو الساقطة، أو في القيل والقال، وفي نهش لحوم الأبرياء فهؤلاء قد خابوا وخسروا.

عباد الله! الفتن تموج بنا فمن خرج منْ بيته لغير حاجة افتتن بها، فالعاقل هو الذي لا يخرج مِنْ بيته إلَّا لطاعة ربه، أو لعملٍ مشروعٍ من أعمال الدنيا ثم يرجع إلى بيته وينشغل بطاعة ربه.

أمة الإسلام! ضيّعتم أوقاتكم في أمور الدنيا الفانية، ونسيتم الآخرة قال ـ تعالى ـ: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٧٢)، م: (٤٧).

يا شباب الإسلام، الوقت أين يضيع؟ أما سمعتم بقوله ﷺ: «**وليسعك بيتك**»، انكبوا على قراءة الكتب الصحيحة لتتعلموا دين الله؛ لأن الفتن قد كثرت، وفي كل يوم تظهر جماعة بأسلوب جديد، وبفكر جديد، ولباس جديد، وهم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، فإن لم تكن عالماً بدينك واللهِ فتنوك وأضلوك، وعندها تندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

عباد الله! وقال ﷺ: «**وابك على خطيئتك**»: أي: انشغل بعيوبك قبل عيوب الناس. ابن آدم! انشغل بعيوبك قبل عيوب الناس، فكثير من الناس لا هم لهم إلا أن ينشغلوا بعيوب الناس، فتراهم يتكلمون عن الناس وعن عيوب الناس، وعن ضلال الناس، وينسون أنفسهم وهم قد ضلوا ضلالاً مبيناً.

فهذا كالذي يهش الذباب عن وجه غيره، والعقارب والحيات تحت ثوبه فهو قد خاب وخسر! فانشغل بعيوبك يا عبد الله.

عباد الله! إذا انشغل كل منا بعيبه، وتذكر ذنبه الذي اقترفه في جنب الله فبكى عليه، دفعه ذلك إلى التوبة، فمن انشغل بعيوبه تاب منها ومن انشغل بعيوب الناس لم يعرف ذنبه، فيمت وذنوبه لا زالت كثيرة يحملها على ظهره يوم القيامة، فالعاقل يا عباد الله هو الذي يهاجر من المعصية إلى الطاعة؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**المهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»[1]، هذه هي الهجرة التي يجب أن نحتفل بها في كل لحظة، لا أَنْ نحتفل بهجرة رسولنا ﷺ مرة واحدة في العام، لإن ذلك لم يفعله الصحابة رضي الله عنهم ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

فيا أمة الإسلام! هذا هو المسلم العاقل في كل لحظة، وفي كل يوم ينشغل بذنوبه وبخطاياه ليتوب منها، فيهاجر منها إلى الطاعة، فمن انشغل بالغناء والموسيقا فليهاجر منها إلى قراءة القرآن، ومن انشغل بأكل

---

(١) **صحيح**: خ: (١٠).

الربا والحرام فليهاجر إلى أكل الحلال، ومن انشغلت بالتبرج و(الموضة) فلتهاجر إلى الجلباب، ومن انشغل بالجلوس في أماكن اللهو واللعب فليهاجر إلى دروس العلم في المساجد، وبذلك تكون مهاجر فتمسَّك بهذه الوصية العظيمة وعضَّ عليها بالنواجذ، ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

ابن آدم! إذا أردت النجاة فاحتفل بالهجرة في كل لحظة، وليس مرَّةً واحدةً في العام كما يفعل ذلك المبتدعة و«أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه

وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه



١٠٢

الوصية الحادية والثلاثون:
«لا يزال لسانك رطباً...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الحادية والثلاثين:

عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبثُ به ـ أي أتمسك ـ به قال: «**لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله**»[1].

عباد الله! في وصية الجمعة الماضية جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله ما النجاة؟ فقال له ﷺ: «**أمسك عليك لسانك**»[2]، وهذا رجل آخر في هذه الوصية يقول: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به، فقال ﷺ: «**لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله**».

وقلنا في الجمعة الماضية: إن اللسان بمثابة القائد الأعلى لأعضاء الجسد، فإن استقام على الخير استقامت الأعضاء، وإن اعوج اعوجت الأعضاء.

● وقلنا: إن اللسان إما حجة لك إذا انشغل بذكر الله، وإما حجة عليك إذا انشغل بأعراض المسلمين وبالقيل والقال.

---

(١) **صحيح**: ت: (٣٣٧٥)، ك: (١/ ٦٧٢)، ش: (٧/ ١٧٠)، هـ: (٣٧٩٣)، [«ص.غ.هـ» (١٤٩١)].

(٢) **صحيح لغيره**: ت: (٢٤٠٦)، حم: (٥/ ٢٥٩)، طب: (١٧/ ٢٧٠)، هب: (١/ ٤٩٢)، [«ص.غ.هـ» (٢٧٤١)].

• واللسان حجمه صغير، وجرمه كبير، ورسولنا ﷺ في وصيته التي معنا في هذا اليوم يضع لنا العلاج، ففي الجمعة الماضية قال رسولنا ﷺ للرجل: «**أمسك عليك لسانك**»؛ أي: عن الشر، وعن الغيبة، وعن النميمة، وعن القيل والقال، وعن أعراض المسلمين، واليوم يقول ﷺ للرجل: «**لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله**» وكأن هذه الوصية في هذا اليوم هي العلاج للسان حتى يستقيم، فمن أراد النجاة فعليه أن يأخذ بهذه الوصية من رسول الله ﷺ وأن يشغل لسانه بذكر الله؛ لأنك إن لم تشغل لسانك بذكر الله انشغل بالقيل والقال وأكل لحوم الأبرياء.

وفي وسط هذه الفتن التي تموج بنا موج البحر يجب على الإنسان أن يتحصن بذكر الله أتدرون لم يا عباد الله؟

•؛ لأن ذكر الله حصن حصين لك من أعدائك شياطين الإنس والجن يقول ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾ [الأنفال: ٤٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ٤٥﴾ [الإسراء: ٤٥].

وقد أمر الله ﷻ موسى وهارون عندما أرسلهما إلى فرعون أن ينشغلا بذكر الله ليكونا في حصن حصين من بطش فرعون، قال ـ تعالى ـ لموسى: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢﴾ [طه: ٤٢].

عباد الله! يجب على الإنسان أن ينشغل بذكر الله ليكون في حصن حصين من شياطين الجن التي تعمل بالليل والنهار لتعتدي عليه وتؤذيه.

• وهذا رسولنا ﷺ أخبرنا أن من قرأ آية الكرسي كل ليلة قبل أن ينام كان عليه من الله ﷻ حافظ حتى يصبح فلا يقربه شيطان حتى يصبح[١].

---

(١) **صحيح**: خ: (٢١٨٧).

• وأخبرنا ﷺ أن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة يفر منه الشيطان، وقال ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك لهُ، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأتِ أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه**»(١).

عباد الله! ولذلك على العاقل في هذا الزمان العجيب الذي كثرت فيه شياطين الإنس والجن أن يحصن نفسه بذكر الله، ولذلك فإن الله ﷻ في كتابه يأمر عباده بذكره ويحثهم على الإكثار من ذكره ﷻ، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢)﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] ويقول ربنا ـ جل وعلا ـ في الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه**»(٢).

وهذا رسولنا ﷺ يحث أمته على الإكثار من ذكر الله، فيقول ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى**»(٣).

وقال ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(٤).

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٠٤٠)، م: (٢٦٩١).

(٢) **صحيح**: خ: (٦٩٧٠)، م: (٢٦٧٥).

(٣) **صحيح**: ت: (٣٣٧٧)، حم: (٦/ ٤٤٧)، هـ: (٣٧٩٠)، ك: (١/ ٦٧٣)، [«ص.ج» (٢٦٢٩)].

(٤) **صحيح**: خ: (٦٠٤٣)، م: (٢٦٩٤).

وقال ﷺ: «**لأن أقول: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**»[١]، وقال ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأُ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ـ أو تملأُ ـ ما بين السموات والأرض**»[٢].

عباد الله! الإكثار من ذكر الله حياة للقلوب، والإعراض عن ذكر الله موت للقلوب ولذلك قال ﷺ: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت**»[٣].

يا من ضيّعتم الأوقات في القيل والقال، وفي جمع الأموال، وبالليل عكفتم على المفسديون وعلى أعراض المسلمين، وعلى الغيبة والنميمة، الذي يذكر ربه يحيا قلبه، والذي لا يذكر ربه يموت قلبه وإن كان يدب على الأرض، قال ﷺ: «**مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت**»[٤].

ذكر الله من شيم الرجال، ذكر الله لا يقدر عليه إلا الرجال والإعراض عن ذكر الله من أفعال المنافقين الأنذال. فعن الفريق الأول قال ـ تعالى ـ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

أما الفريق الآخر:

يقول رب العزة: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

ذكر الله والمداومة على ذكر الله لا يقدر عليه إلا الرجال، والإعراض عن ذكر الله والانشغال بالقيل والقال والعكوف على لحوم الأبرياء لا يفعله إلا المنافقون الأنذال.

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦٩٥).
(٢) **صحيح**: م: (٢٢٣).
(٣) **صحيح**: خ: (٦٠٤٤).
(٤) **صحيح**: م: (٧٧٩).

عباد الله! ذكر الله يورث الخشية في القلوب، والإعراض عن ذكر الله سبب لقسوة القلوب، فعن الفريق الأول قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨].

أما في الفريق الآخر:

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

الإكثار من ذكر الله سبب لفلاح العبد في الدنيا والآخرة، والإعراض عن ذكر الله سبب للعذاب الأليم، والخسران المبين في الدنيا والآخرة، فعن الفريق الأول قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ ـ لم يا ربنا؟ ـ ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

أما الفريق الآخر:

فقال ـ تعالى ـ فيهم: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩].

الإكثار من ذكر الله سبب لمغفرة الذنوب، وسبب لدخول الجنة دار النعيم، والإعراض عن ذكر الله سبب للعذاب الأليم وسبب لدخول النار دار الجحيم، فعن الفريق الأول قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

أما بالنسبة للفريق الآخر:

فقال تعالى فيهم: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦].

ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله؟! ألم يأنِ للذين آمنوا أن تنشغل ألسنتهم بذكر الله؟! ألم يأنِ للذين ينامون ولحوم الأبرياء بين أنيابهم أن تخشع قلوبهم لذكر الله؟! أظن أنه قد آن الأوان أن نرجع إلى الله، وأن ننشغل بذكر الله لنكون في حصن حصين من شياطين الإنس والجن، واللهِ الذي لا إله غيره ولا رب سواه، من أعرض عن ذكر الله فإنه سيعيش في هذه الدنيا في ضنك، وسيعتدي عليه أعداؤه من شياطين الإنس والجن، وسيندم عندما يفارق هذه الدنيا في وقت لا ينفع فيه الندم.

عباد الله! سعادة المرء في الدنيا والآخرة بالإكثار من ذكر الله، فهذا الرجل يقول: يا رسول الله، كثرت علي شرائع الإسلام فأخبرني بأمر أتشبث به قال: «**لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله**».

وذكر الله مطلوب في كل حال، حتى أن الله ـ عز وجل ـ طلب منا أن نذكره بعد أداء الفرائض، فالله عز وجل طلب من عباده أن يذكروه بعد قضاء صيام رمضان.

- فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

- وطلب الله منا أن نذكره إذ انتهينا من مناسك الحج، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

- وأمرنا الله عز وجل أن نذكره إذا انتهينا من صلاة الفريضة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ﴾ [النساء: ١٠٣].

- وطلب الله منا أن نذكره بعد الانتهاء من صلاة الجمعة.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ١٠].

ومشروع لنا أن نذكر الله حتى في الأنفاس الأخيرة في هذه الدنيا وأحدنا في فراش الموت، ولذلك قال ﷺ: «**من كان آخر كلامه** ـ أي: من الدنيا ـ **لا إله إلا الله دخل الجنة**»[1].

وكان ﷺ يقول: «**لقِّنوا موتاكم** ـ أي: عند خروج الروح ـ **لا إله إلا الله**»[2].

يطلب منا ربنا ـ جل وعلا ـ أن نذكره بعد الأعمال الصالحة وبعد قضاء الفرائض، وكذلك اعلموا عباد الله أن ذكر الله مطلوب على كل حال كما قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١].

وتقول عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه)[3].

واعلموا عباد الله! أن ذكر الله عز وجل عبادة يتقرب بها العبد إلى الله، فإذا أردت أن يقبل منك هذا الذكر عند الله يوم القيامة فيجب أن يتوفر فيه شرطان اثنان:

الشرط الأول: أن يكون لله، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ولقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله**»[4].

---

(١) **صحيح**: د: (٣١١٦)، حم: (٥/٢٤٧)، ك: (١/٥٠٣)، طب: (٢٠/١١٢)، هب: (١/١٠٨)، [«ص.ج» (٦٤٧٩)].

(٢) **صحيح**: م: (٩١٦).

(٣) **صحيح**: م: (٣٧٣).

(٤) **صحيح**: خ: (٥٤)، م: (١٩٠٧).

الشرط الثاني: أن يكون موافقاً للسنة، لقوله ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(١).

ولذلك نقول للذين يذكرون الله بالليل والنهار ولكنهم قد ابتدعوا هذا الذكر ما ازددتم بذكركم هذا لله ﷻ إلا بعداً، ويجب على الإنسان أن يعلم أن العبادة لا تقبل عند الله ﷻ إلا إذا كانت لله وكانت على هدي رسول الله ﷺ، وقد جمع الله ﷻ بيْن هٰذين الشرطين ـ وهما: الإخلاص والموافقة ـ في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

ورسولنا الكريم ﷺ ما ترك ذكراً إلا وعلمنا إياه، ولكن بسبب إعراضنا عن الكتاب والسنة كان حالنا كما ترون لا نعرف إلا الفاتحة، فنقرأها عند الطعام، وعند الزواج، وعند القبور، وعند النوم، وفي كل أحياننا لأننا لا نحفظ إلا إياها. لا! يا عبادَ الله إنَّ لكل مقام مقال ولكل وقت ذكر قد بيّنه لنا رسولنا ﷺ، إذا أردت النوم فإنَّ للنوم أذكاراً، وإذا استيقظت من النوم فإن لما بعد الاستيقاظ أذكاراً، وإذا دخلت المسجد فلدخول المسجد ذكر خاص، وإذا خرجت من المسجد فإنَّ لهذا الخروج ذكراً، وكذلك إذا لبست ثيابك فإنَّ لهذا ذكراً... وهكذا.

● واللهِ من تعلَّم دينه تعلماً صحيحاً فستراه ذاكراً لله ﷻ عند نومه وفي يقظته وفي سره وفي علانيته حتى إذا جاءه الموت جاءه وهو على أحسن حال.

اللّهم أعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: م: (١٧١٨).

١٠٣

الوصية الثانية والثلاثون:
«ألا أُخبركم بشراركم...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثانية والثلاثين:

يقول ﷺ: «**ألا أخبركم بشراركم؟ المشاءون بالنميمة، المفسدون** ـ أي: المفرقون ـ **بين الأحبة، الباغون للبُرَآءِ العَنَتَ**»[(١)].

وصية والله عظيمة من رسول عظيم يحذر فيها أمته من شرار الخلق، أتدرون من هم يا عباد الله؟ إنهم المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبرآء العنت، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

عباد الله! النمام تعرفونه، هو الذي يقوم بنقل الكلام بين الناس ليفرق بينهم وليفسد ما بينهم، ليلقِي العداوة والبغضاء بين الأحبة وماذا يريد بهذا العمل الخبيث؟

يريد أن يتقرب أو يرضي بعضهم، أو لأنه يريد أن يطفىء نار الغل والحقد في قلبه، وهذا العمل الخبيث وهو النميمة خلق ذميم، ومرض فتاك باعث للحقد، وزارع للحسد لا يقوم به إلا كلاب البشر وأحط الناس.

النمام أتعرفونه؟ له وجهان ولسانان، وجه يلقى به هؤلاء، ووجه يلقى

---

(١) **حسن:** حم: (٦/ ٤٥٩)، خد: (٣٢٣)، طب: (٢٤/ ١٦٧)، هب: (٧/ ٤٩٤)، [«الموسوعة الحديثية»].

به هؤلاء، سود الله وجهه يوم تبيَض وجوه وتسود وجوه، وله لسانان يلقى هؤلاء بلسان وهؤلاء بلسان، شل الله لسانه ليكف عن أعراض المسلمين. يقول ﷺ: «**إن من شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه، ويأتي هؤلاء بوجه**»(١)، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤].

النمام أتعرفونه! لسانه أحلى من العسل، وقلبه أسود من القطران، إذا تكلم كلامه حلو لكن قلبه أسود، يقول الله ـ عز وجل ـ عن هذا الصنف من البشر: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: ٤].

النمام أتعرفونه! إنه كذاب؛ لأن الصادق له وجه واحد ولسان واحد ولا يكذب، والنمام له لسانان ووجهان، وإذا حدث كذب، وتراه إذا حدث يحلف ويقسم بالله؛ لأنه يعرف في قرارة نفسه أنه كذاب.

ولذلك قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم: ١٠، ١١].

النمام أتعرفونه! لا يفكر بعقله؛ لأنه يسمع النميمة ويقوم بنقلها قبل أن يفكر فيها وقبل أن يسأل نفسه ماذا يريد بنقل هذا الكلام. ولذلك قال تعالى عن هؤلاء: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧١١)، م: (٢٥٢٦).

نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [النور: ١٥ ـ ١٧]. النمام أوقف عقله فهو من شر الناس، ولذلك قال رب العزة: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٢، ٢٣].

النمام كونوا منه على حذر، الذي ينقل الكلام من المجالس كونوا منه على حذر، فوالله دخل كثير من الناس السجون بألسنة النمامين، وترمَّلت النساء بألسنة النمامين، وتيتم الأولاد بألسنة النمامين، وتفرقت الأحبة بألسنة النمامين، قاتلهم الله أنى يؤفكون، ولذلك حذرنا ربنا في كتابه من شر النمامين، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ [القلم: ١٠ ـ ١٢].

إياك يا عبد الله أن تطيعهُ، ولا تطع كل حلاف يكثر الحلف؛ لأنه كذاب مهين! نعم والله مهين، إنه حقيرٌ بين البشر، صغيرٌ حجمُه، حقيرٌ شكلُه، اسْوَدَّ قلبُه فسوَّدَ الله وجهه، تراه إذا تكلم كأنما يتكلم الشيطان على لسانه، فهو شيطان في صورة إنسان فلا تغتر بشكله وإن تزين بأشكال المسلمين، فهو نمام يريد الشر للأمة وللمجتمع فكن منه على حذر، فالله حذرنا منه، ورسولنا الكريم ﷺ يحذرنا من النمام، ويقول في وصيته التي معنا: «**ألا أخبركم بشراركم؟ المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبرآء العنت**».

أخا الإسلام! إذا جاءك نمام ينم لك، ينقل لك كلاماً عن أخيك فما هو المطلوب منك شرعاً؟ اسمعوا وعوا.

أولاً: ألا تصدقه فيما يقول؛ لأنه نمام، ومن نمَّ لك نم عليك، والنمام مردودةٌ شهادتُه، فاسق لا يؤخذ منه؛ لأن الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات: ٦].

ثانياً: أن تنهاه عما يقول، وأن تنصحه، وأن توبخه، (لِمَ)؟ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [لقمان: ١٧].

فقل له: أيها النمام، نقل الكلام منكر، وقال ـ تعالى ـ: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ**﴾ [المائدة: ٢]، وقل له: أيها النمام نقل الكلام إثم وعدوان، وتذكر قوله ﷺ: «**الدين النصيحة**»[(١)]، ثم قل له: أيها النمام ماذا تريد بنقل هذا الكلام أتتقرب به إلى الله؟ فوالله ما تزداد به من الله إلا بعداً، وما تزداد به عند الناس إلا بغضاً، وعليك أن تنصحه.

ثالثاً: عليك أن تبغضه في الله؛ لأنه بغيض (لِمَ)؟ لأنه ينشر الفساد في الأرض، والله ﷻ لا يحب الفساد، ولا يحب المفسدين والنمام من المفسدين.

رابعاً: المطلوب منك ألا تسيء الظن في أخيك الذي نقل عنه الكلام؛ لأن الله ﷻ نهى عن إساءة الظن، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحجرات: ١٢]؛ بل الواجب عليك أن تحسن الظن بأخيك الغائب، قال ـ تعالى ـ: ﴿**لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢**﴾ [النور: ١٢].

خامساً: احذر أن يدفعك ما سمعت من النمام أن تتجسس على أخيك الغائب؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢].

سادساً: احذر أن تقوم بنقل هذا الكلام إلى غيرك فتكون نماماً مثله.

(رُوي أن عمر بن عبد العزيز دخل عليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إن فلاناً من الناس قال عنك كذا وكذا، فقال له عمر: يا هذا إن شئت نظرنا في أمرك إن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، وإن كنت صادقاً فيما تقول فأنت

---

(١) **صحيح**: م: (٥٥).

من أهل هذه الآية: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم: ١٠ ـ ١١]، وإن شئت تبت إلى الله وعفونا عنك، فقال: أتوب يا أمير المؤمنين) نعم هكذا تعاملوا مع النمامين واضربوا على أيديهم وعلى ألسنتهم بأيدٍ من حديد حتى لا تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

وأخيراً أقول للنمامين: اعملوا ما شئتم وقولوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير فيا أيها النمام، اعمل ما شئت فإلى الله المرجع، والعذاب في القبر ينتظرك. مرّ ﷺ على قبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير! ثم قال: بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله**»[(١)].

فاعمل ما شئت أيها النمام فالقبر ينتظرك، وما أدراك ما القبر! بيت الظلمة، بيت الدود، وهناك تندم في وقت لا ينفع فيه الندم، أيها النمام اعمل ما شئت وقل ما شئت فاللقاء أمام الله وعنده تجتمع الخصوم ولا يظلم ربك أحداً.

أيها النمام!

مثلْ وقوفَكَ يومَ العرضِ عُريانا	مستوحشاً قَلِقَ الأحشاءِ حيرانا
والنارُ تلهبُ منْ غيظٍ ومن حنقٍ	على النمَّامين وربُ العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهلٍ	فهلْ ترى فيهِ حرفاً غيرَ ما كانا
لما قرأته ولم تنكر قراءته	إقرار منْ عرفَ الأشياءَ عرفانا
نادى الجليل خُذوه يا ملائكتي	وامضوا بعبد عصى للنار عطشانا
النمامون غداً في النار يلتهبوا	والمؤمنونَ في دار الخلد سكانا

عباد الله! يقول ﷺ: «**ألا أخبركم بشراركم...**».

وأقول للبُرآء الذين نقل عنهم الكلام، وهم منه براء، أقول لهم ناصحاً أميناً.

---

(١) **صحيح**: خ: (١٣١٢)، م: (٢٩٢).

أولاً: استعينوا بالله على فعل النمامين، فإنه من استعان بالله أعانه، والله ﷻ يتولى الدفاع عنكم، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ [الحج: ٣٨].

ثانياً: توكلوا على الله؛ لأن الله ـ ﷻ ـ قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٣]؛ أي: كافيه، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ [البقرة: ١٣٧].

ثالثاً: أيها البُرآء اصبروا على قول النمامين، فعاقبة السوء على رؤوسهم والدائرة تدور عليهم، والله ﷻ سيفضحهم في الدنيا قبل الآخرة؛ لأن الرسول ﷺ قال: «... **لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته**»[1]، فاصبروا أيها البُرآء فالله ﷻ قال لرسوله: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨]، وقال له: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ [المزمل: ١٠].

رابعاً: أيها البُرآء أنتم الفائزون في الدنيا والآخرة، فأنتم بصبركم على أذى النمامين تزدادون قرباً من الله وتزدادون محبة عند خلق الله، أما الذين يقومون بنقل الكلام فالله ﷻ يبغضهم، وهم بفعلهم هذا يزدادون بغضاً عند البشر.

خامساً: أيها البُرآء أنتم يوم القيامة آخذون من حسناتهم، قال ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال ﷺ: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته**

---

(١) **صحيح**: د: (٤٨٨٠)، حم: (٤/٤٢٠)، ع: (١٣/٣٤٣)، هب: (٥/٢٩٦)، هق: (١٠/٢٤٧)، [«ص.ج» (٧٩٨٤)].

قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»[١].

• فيا أيها البُرآء، اصبروا حتى تأخذوا من حسنات النمام يوم القيامة إن كان له حسنات وإلا فسيحمل أوزاركم يوم القيامة، يوم الدين ﴿مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ۝١٩﴾ [الإنفطار: ١٨ ـ ١٩].

أيها البُرآء ادعوا الله لهؤلاء بالهداية، وادعوه سبحانه أن يردهم عن النميمة وإلا إن شئت أيها البريء أن تدعو على النمام في جوف الليل فأنت مظلوم والله ﷻ وعد أن يستجيب للمظلوم، فادعو الله في جوف الليل عليه أن يشل لسانه، وأن يحط من قدره، وأن يجعله عبرة لمن اعتبر إذا لم يتب، إذا لم يرجع؛ لأن النمام شرٌ ووبالٌ على الفرد والمجتمع، تفرقت الأمم بسبب النمامين، وتفرقت الأحبة بسبب النمامين قاتلهم الله أنى يؤفكون.

اللّهم اكفنا شرار خلقك ونجينا من ألسنة النمامين

❊ ❊ ❊

(١) **صحيح**: م: (٢٥٨١).

١٠٤

الوصية الثالثة والثلاثون:
«لا تحاسدوا...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثالثة والثلاثين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ههنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه، وماله، وعرضُهُ**»[1].

أمة الإسلام! اسمعوا وعوا، كلام أغلى من الذهب، نصائح أغلى من الذهب، من عمل بها نجا، فرسولنا ﷺ يحذر أمته من أمراض فتاكة تقضي على الأخوة بينهم أشدها «الحسد».

يا أمة الإسلام، ويا شباب الإسلام، ويا علماء الإسلام، ويا دعاة الإسلام، ويا أمة التوحيد: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا..**».

عباد الله! وشر هذه الأمراض هو الحسد ـ وهو موضوع حديثنا لهذا اليوم ـ، وقد عمَّ وطمَّ بين المسلمين، فالناس مع الحسد قسمان:

قسمٌ خبيث مريض من شرار الخلق، وهذا القسم من الناس إذا

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٦٤).

حسد ونظر بعين الغل والحقد والحسد إلى المحسود تمنى أن تزول النعمة من عند أخيه سواء انتقلت إليه أم لا.

هذا القسم من البشر قلبه خبيث، وعينه خبيثة، ودمه خبيث، فإذا نظر بعين الغل والحسد إلى المحسود أصابه، والعين حق، تُدخل الرجل القبر، وتدخل الجمل القِدر.

فالحاسد يتمنى أن تزول النعمة عن المحسود سواء انتقلت إليه أم لا. وهو بذلك الفعل من شر البشر، ولذلك أمرنا الله ﷻ أن نستعيذ به وأن نلجأ إليه من شر هذا الحاسد إذا حسد فقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق: ١ ـ ٥].

الحاسد إذا حسد فهو شر، ويخرج من عينه شعاع يصل إلى المحسود، فإن نظر إليه أصابه، ككثير من الحيات التي أخبرنا عنها المصطفى ﷺ ـ هذه الحيات ـ يخرج من عينها شعاع أو من جسدها شعاع إذا وصل إلى المرأة الحامل أسقط ما في بطنها، وإذا وصل إلى عين الرجل أعمى بصره، وكذلك حال الحاسد الخبيث، ولذلك النجاةُ من هذا النوع من الناس تكون لنا بأن نلتجيء إلى الله.

عباد الله! هذا الحسد المذموم، وهذا الحسد الخبيث ليس والله من شيم المؤمنين إنما هو من شيم وأخلاق وأعمال شياطين الإنس والجن.

• فهذا إبليس، نظر إلى آدم في الجنة، وقد خلقه الله ﷻ بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأسكنه الجنة، فحسد إبليس آدم، وخطط إبليس بما عنده من الحسد أن يُخرج آدم من الجنة ونجح إبليس في خطته، وخرج آدم من الجنة لحكمة يريدها الله ﷻ، ويا ليت إبليس انتهى إلى هذا الحد؛ بل أعلنها حرباً على آدم وذريته إلى يوم القيامة، ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف: ١٦]. فانظروا إلى الحسد ماذا فعل بإبليس.

• والحسد من شيم اليهود ولقد أخبرنا الله ـ ﷻ ـ أنهم يحسدون الناس عامة ويحسدون المؤمنين خاصة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ ـ السبب ـ ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال ربنا ﷻ عنهم: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤]، فالحسد من شيم وأخلاق اليهود، وهو ما دفعهم إلى أن يتمنوا بالليل والنهار أن يعود المؤمنون كفاراً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] السبب: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩].

عباد الله! الحسد المذموم من شيم إبليس ومن أخلاق اليهود فلا يليق أبداً بالمؤمن أن يحسد الناس.

فالحسد شر إذا تمكن من القلب أشعله ناراً، ودفع صاحبه إلى كل شر، فالحاسد إذا حسد إنساناً تجسس عليه، واغتابه، ونم عليه؛ بل قد يصل الحد بالحاسد إلى أن يقتل أخاه، ولذلك قال ﷺ: «**سيصيب أمتي داء الأمم، الأشر والبطر والتكاثر والتشاحن في الدنيا، والتباغض والتحاسد، حتى يكون البغي**»(١).

فالحسد يدفع صاحبه إلى البغي، إلى الاعتداء، إلى الظلم، إلى كل شَرٍّ حتى يدفعه إلى القتل، وبالمثال يتضح البيان:

• إخوة يوسف عليه السلام: قرروا أن يقتلوه واجتمعوا وقالوا: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا

---

(١) **حسن**: ك: (٤/ ١٨٥)، طس: (٩/ ٢٣)، [«ص.ج» (٣٦٥٨)].

صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ [يوسف]، السبب يا عباد الله الحسد، فأخذوه وألقوه في غيابة الجب ليموت فيتخلصوا منه، والسبب وراء كل ذلك هو الحسد.

• وهذا قابيل، الحسد دفعه إلى أن يقتل أخاه هابيل، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ﴾ تقبل الله من هابيل ولم يتقبل من قابيل، فقال قابيل حسداً من عند نفسه لأخيه: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة: ٢٧ ـ ٣٠].

الحسد يدفع إلى كل شر، وإلى كل خبيث، وهو مرض فتاك أصاب الأمم من قبلنا، ورسولنا ﷺ أخبرنا كما سمعتم أننا سنصاب بهذ الداء وبهذا المرض: «**سيصيب أمتي داء الأمم**» قالوا: يا رسول الله، وما داء الأمم؟ قال: «**الأشر... والتحاسد...**» الحديث.

عباد الله! ورسولنا ﷺ يقول: «**انصرُ أخاك ظالماً أو مظلوماً**»، فقال رجل: يا رسول الله! أنصُرُهُ إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصُرُه؟ قال: «**تحجزهُ أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره**»(١). وقال ﷺ: «**الدين النصيحة**»(٢)، ولذلك ننصح الحاسد فنقول له:

• أيها الحاسد أرح نفسك، وأرح قلبك، فالحسد نار تشتعل في القلب، فيا أيها الحاسد يا من لا تنام من الليل إلا قليلاً، تتقلب على فراشك من شدة الحسد والغل والحقد، نقول لك: أرح نفسك، وأرح قلبك واعلم أيها الحاسد أن الذي يريد الجنة يرجو لإخوانه كل خير، ولا يحسدهم، قال تعالى في وصف الصالحين أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠].

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٥٥٢). (٢) **صحيح**: م: (٥٥).

• أيها الحاسد اعلم بأن النعم التي في أيدي الناس هي من الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، والله ـ عز وجل ـ هو الذي أعطى هذا وحرم هذا وفضَّل هذا على هذا في الرزق، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾ [النحل: ٧١] فيا أيها الحاسد عندما تحسد إنساناً على مال أو منصب أو على علم فكأنك أيها الحاسد تعترض على قضاء الله وقدره فاتقِ الله واعلم أنَّ هذه نعم الله يؤتيها من يشاء من عباده.

• أيها الحاسد اتق الله في نفسك وفكر قليلاً، وانظر إذا كان المحسود الذي تحسده من أهل الجنة كيفَ تحسده على نعم الدنيا الزائلة وهو يصير إلى جنة عرضها السمٰوات والأرض؟

• أيها الحاسد اتقِ الله وفكر قليلاً، إذا كان الذي تحسده من أهل النار فكيف تحسده على هذا النعيم الزائل في الدنيا وهو يصير إلى نار حامية؟

• أيُّها الحاسد: أترضى لنفسك ما تفعله بالناس؟ أيها الحاسد، يا عدو النعم، أترضى أن يحسد أولادك أحد؟ أترضى أن يحسد مالك أحد؟ أترضى أن يحسد علمك أحد، أترضاه لنفسك؟ أظن أن الجواب سيكون من الحاسد إن صدق: لا، نقول له: أما سمعت المصطفى ﷺ يقول: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبُ لنفسه**»[١].

ثم نقول ناصحين للمحسود ـ وكلنا يا عباد الله إما حاسدٌ، عافانا الله وإياكم وإما محسود، فنصيحتنا للمحسود وهو صاحب النعمة سواء أكانت مالاً أو علماً أو صحةً أو غيرَ ذلك ـ نقول له:

• أيها المحسود، حصن نفسك ضد أعين الحاسدين بالعقيدة السليمة الصحيحة، بعقيدة التوحيد؛ فالعقيدة الصحيحة حصن حصين لك من شياطين الإنس والجن، وحصن حصين لك من أعين الحاسدين.

---

(١) **صحيح**: خ: (١٣)، م: (٤٥).

ولذلك قال رسولنا ﷺ لابن عباس: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»(١).

أي: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. احفظ الله يحفظك، يحفظك في مالك، في صحتك، في أولادك، في سيارتك وذلك بالعقيدة الصحيحة، وانظروا عبادَ الله، إلى كثيرٍ من أصحاب السيارات، لترى أحدهم يحفظ نفسه وسيارته بنعل يعلقه على السيارة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، نقول لصاحب السيارة: نعلٌ، كفٌ، عينٌ، خرزةٌ أتحفظك من أعين الحاسدين! أين الله؟ احفظ الله يحفظك، تعليق النعل والكف والخرزة وما أشبه ذلك ـ أو الحجاب الصغير الذي يكتب عليه الحصن الحصين ـ كل ذلك شرك؛ لأنه قد تعلق في قلبك بأن هذا هو الحافظ.

الحافظ هو الله، تريد أن تكون أنت ومن معك في حصن حصين؟ عليك بعقيدة التوحيد بـ(لا إله إلا الله).

● أيها المحسود إذا أردت أن تكون في حصن حصين فتوكل على الله وحده، إياك أن تتوكل على النعل أو الخرزة أو الحجاب أو الكف، ولكن توكل على الله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]؛ أي: كافيه: أي: حافظه من كل شر: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

● أيها المحسود، تريد أن تكون في حصن حصين؟ استعذ بالله

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، طب: (١٢/ ٢٣٨)، ع: (٤/ ٤٣٠)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].

والتجىء إلى الله في كل لحظة من أعين الحاسدين كما أمرك الله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق].

- أيها المحسود، تريد أن تكون في حصن حصين من أعين الحاسدين؟ عليك بذكر الله، اذكر الله صباحاً ومساءً، أكثرْ من ذكر الله؛ لتكون دائماً في حصن حصين من أعين الحاسدين.

عباد الله! يقول ﷺ: «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا..**» إلى أن قال: «**وكونوا عباد الله إخواناً**». وقلنا: إن الناس مع الحسد قسمان:

قسم خبيث يتمنى إذا حسد أن تزول النعمة من عند أخيه، وهذا النوع مذموم وخبيث وصاحبه من شر الناس، وهو بهذا الحسد يزداد بعداً عن الله ويزداد بعداً عن قلوب البشر.

أما النوع الثاني من الحسد ـ وهو محمود ـ فهو الغبطة:

الغبطة معناها: أَن هذا الإنسان إذا نظر إلى أخيه المسلم ووجده في نعمة دعا الله ﷻ أن تزيد هذه النعمة عند أخيه، ودعا الله أن تدوم هذه النعمة لأخيه، وتمنى من الله أن يكون عنده مثل ما عند أخيه، هذه هي الغبطة وهذا هو الحسد المحمود.

يقول ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاهُ الله مالاً فسلَّطهُ على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويُعلِّمُها**»[1] فاحرص أن تكون على مثل هذا فهذا هو الحسد المحمود، الذي حفظ القرآن ويعلمه للناس ويقوم به آناء الليل وآناء النهار، والرجل الذي أعطاه الله مالاً كثيراً من حلال فهو يقول به هكذا في سبيل الله بالليل والنهار، فتمنى أن تكون مثل هذا وهذا فالله ﷻ قال: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾

(١) **صحيح**: خ: (٧٣)، م: (٨١٦).

[المطففين: ٢٦]، ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٦١]؛ فالتنافس على الخير من شيم المؤمن، إذا وجدت إنساناً عنده مال فادع الله أن يزيد ماله، وأن يبارك له في ماله، واطلب من الله أن يعطيك مثله، وإذا وجدت إنساناً يحفظ القرآن فاطلب من الله ﷻ أن يزيده علماً واطلب من الله أن تكون مثله، وإذا وجدت إنساناً له أولاد يحفظون القرآن فادع الله ﷻ أن يبارك له فيهم، واسأل الله أن يجعل أولادك مثلهم، أما أن تتمنى زوال النعمة فهذا من شيم وأخلاق إبليس، وهذا من فعل اليهود ومن شيم اليهود، أما المؤمن الذي رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، والذي يريد الجنة فهو لا يحسد الناس أبداً ولكنه يغبطهم ويتمنى أن يكون مثلهم.

نسأل الله العظيم أن يرد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً



١٠٥

الوصية الرابعة والثلاثون:
«أخوف ما أخاف على أُمتي...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الرابعة والثلاثين:

عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان**»(١).

عباد الله! رسولنا ﷺ في هذه الوصية يحذرنا من المنافق عليم اللسان؛ لأن المنافق قد فسد قلبه بالنفاق، وفسد لسانه بالكذب، فهو رجل فاسد ظاهراً وباطناً؛ لأن الرسول ﷺ أخبرنا أن القلب إذا فسد فسد الجسد كله، وأخبرنا أن اللسان إذا اعوج اعوجت الأعضاء كلها، والمنافق عليم اللسان فاسد القلب بالنفاق، وفاسد اللسان بالكذب، وهذا الصنف من البشر شرٌ ووبالٌ على البشرية عامة، وعلى المؤمنين خاصة فهو من شر الناس، وهو من أخطر الناس على الأمة الإسلامية.

يُفْسِدْ في الأمة بقلبه الذي امتلأ نفاقاً، ويفسد بلسانه الذي ترعرع على الكذب، ولذلك يا أمة الإسلام، فالله عز وجل كثيراً ما يحذرنا في كتابه من المنافقين، وقد وصفهم لنا لنكون منهم على حذر، فاعرفوهم يا عباد الله لتكونوا منهم على حذر، فهم كثيرون يتكلمون بألسنتنا، وهم من جلدتنا، يبطنون الشر والكفر في قلوبهم، ويظهرون الإسلام على جوارحهم.

---

(١) **صحيح**: حم: (١/ ٢٢)، [«ص.ج» (١٥٥٤)].

● إذا نظرت إليهم أعجبتك أجسادهم، وإذا تكلموا تسمع لقولهم كأنهم خشبٌ مسندة هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون قال تعالى: ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: ٤].

● من صفات المنافقين الكسل والرياء في العبادة. كما قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

● ومن صفاتهم التذبذبُ بين الكفر والإيمان، فلا هم مع الكفار ظاهراً وباطناً ولا هم مع المؤمنين ظاهراً وباطناً ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ [النساء: ١٤٣]؛ بل هم للكفر أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

● ومن صفاتهم: الكذب بالليل والنهار، الكذب في جميع الأقوال والأفعال، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: ١].

● ومن صفات المنافقين: أن الواحد منهم له لسانان ووجهان، وجه ولسان يلقى به المؤمنين، ووجه ولسان يلقى به الشياطين، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤].

● ومن صفاتهم: أننا إذا دعوناهم إلى التمسك بالكتاب والسنّة أعرضوا ورفضوا، ونفروا واتهمونا بما نحنُ منه براء، والله أخبرنا عن ذلك فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ ـ أي: للمنافقين ـ ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ ـ أي الكتاب ـ ﴿وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ ـ أي: السنّة ـ ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١].

• ومن صفاتهم: أنهم لا يطلبون العزة بالإسلام، ولكن يطلبون العزة بموالاة الكفار، قال ـ تعالى ـ: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٨ ـ ١٣٩].

• ومن صفاتهم: أنهم إذا دعوا إلى منهج الصحابة رضوان الله عليهم أعرضوا واتهموا من دعوهم بالسفاهة كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ ـ والناس هنا هم الصحابة ـ ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣].

• ومن صفاتهم: أنهم إذا نزل بالمؤمنين الخير أحزنهم ذلك، وإذا نزل بالمؤمنين الشر فرحوا لذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [التوبة: ٥٠].

• ومن صفاتهم: أن الواحد منهم يشبه الآخر، بعضهم يشبه بعض جميعهم يأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف. كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

• ومن صفاتهم: أنهم إذا علموا خيراً عن مؤمن كتموه، وإذا علموا شراً عن مؤمن أذاعوه، وفضحوه، ونشروه بين الناس، ولذلك قال بعض الصالحين: (المنافق يفضح، والمؤمن يستر)، قاتلهم الله أنَّى يؤفكون، وقد توعَّد الله عز وجل الذين يشيعون الفاحشة في الذين آمنوا بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩].

عباد الله! هذه هي صفاتهم، وقد حذرنا الله من هؤلاء فهم شر بقلوبهم، وشر بألسنتهم، وقال الله عنهم: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

عباد الله! **وأما العذاب الأليم الذي توعد الله به المنافقين في الدنيا والآخرة:**

ففي الدنيا: أوجب الله ﷻ على رسوله ﷺ جهادهم، كما أوجب عليه جهاد الكفار، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ [التحريم: ٩].

ثانياً: نهى ربنا جل وعلا رسوله ﷺ أن يصلي على موتى المنافقين، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة: ٨٤].

ثالثاً: نهى ربنا جل وعلا رسوله ﷺ أن يستغفر للمنافقين، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ﴾ [التوبة: ٨٠].

رابعاً: الله ﷻ لم يتقبل منهم أعمالهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ﴾ [التوبة: ٥٣].

خامساً: الله ﷻ لا يغفر لهم ولا يهديهم سبيلاً، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾ [النساء: ١٣٧]. هذا عذابهم الأليم في الدنيا.

أما عذابهم في الآخرة:

يوم يرجعون إلى الله فسيحشرهم الله حول جهنم هم والشياطين جثيًّا كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ [مريم: ٦٨].

ومن عذابهم على الصراط: أن الله ﷻ يحرمهم النور الذي يمشون به مع المؤمنين، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ﴾ ـ أي المنافقون ـ ﴿أَلَمْ نَكُن

مَّعَكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٣ ـ ١٥].

والله ﷻ يجمع بين المنافقين وبين من أحبوهم في الدنيا، فالمنافقون في الدنيا أحبوا الكفار فيحشرهم الله مع الكفار في نار جهنم، سبحانك ربنا ما أعدلك! تجمع بين المرء وبين من أحب في الدنيا، فمن أحب الكفار والمنافقين حُشر معهم، ومن أحب المؤمنين والصالحين حشر معهم، يقول ﷺ: «**المرء مع من أحب يوم القيامة**»[١].

ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]، وأين يوضع هؤلاء الذين أساءوا للبشرية؟ سيوضعون في الدرك الأسفل من النار. قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥].

عباد الله! يقول ﷺ: «**أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان**».

● المنافق يا عباد الله: مريض قلبه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠].

● وهو مريض اللسان، كما قال ﷺ: «**إذا حدث كذب**»[٢]، وقد حذرنا الله من المنافقين بعد أن وصفهم لنا لنكون منهم على حذر، وقد حذرنا رسول الله ﷺ من المنافقين بعد أن وصفهم لنا لنكون منهم على حذر.

عباد الله! ومع ذلك فالله ﷻ الغفور الواسع المغفرة بعد أن فضح المنافقين، وبعد أن أعلمهم بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، فتح

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٨١٧)، م: (٢٦٤٠).

(٢) **صحيح**: خ: (٣٣)، م: (٥٩).

أمامهم أبواب التوبة لمن أراد أن يتوب منهم، فالله ﷻ غفور رحيم ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]، فالله ﷻ فتح أبواب التوبة أمام الكفار ودعاهم أن يتوبوا عن كفرهم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وفتح الله أبواب التوبة أمام اليهود والنصارى بعد أن قالوا: إن المسيح ابن مريم هو الله، وبعد أن قالوا: عزير ابن الله، ومع ذلك قال لهم: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ [المائدة: ٧٤].

وفتح أبواب التوبة أمام المنافقين بعد أن فعلوا ما فعلوا، وبعد أن قالوا ما قالوا، فالله ﷻ أخبرهم أنه قادر على إحياء قلوبهم التي ماتت بالنفاق إذا تابوا إليه كما يحيي الأرض بعد موتها، ولذلك بعد أن ذكر المنافقين في (سورة الحديد) وطلب منهم أن يتوبوا إليه، قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء: ١٤٥، ١٤٦].

ففتح ربنا جل وعلا أبواب التوبة أمام المنافقين وأمام كل من أراد أن يتوب قبل أن ينزل عليه ملك الموت، ولكن توبة المنافقين يا عباد الله هذه تكون بشروط:

- إلا من تاب، والتوبة لها شروط تعرفونها.
- وأصلحوا؛ أي: أصلحوا ما أفسدوا بألسنتهم.
- واعتصموا بالله وحده بعد أن كانوا يعتصمون بالكفار.
- وأخلصوا دينهم لله بعد أن كانوا يعملون للناس؛ كانوا إذا صلّوا

صلّوا للناس، وإذا جاهدوا جاهدوا للناس، وإذا أنفقوا أنفقوا للناس، ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤]، ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

فإن تابوا فعليهم أن يخلصوا دينهم لله لينجوا بإخلاصهم من عذاب الله.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن ينجينا وإياكم من النفاق



١٠٦

الوصية الخامسة والثلاثون:
«اعبد الله كأنك تراه...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الخامسة والثلاثين:

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، واحسب نفسك مع الموتى، واتقِ دعوة المظلوم، فإنها مستجابة**»[1].

عباد الله! رسولنا ﷺ في هذه الوصية يبين لأمته طريق النجاة، وطريق السعادة أتدرون لم يا عباد الله؟ لأن الطاعة سبب لنجاة العبد في الدنيا والآخرة، ولأن المعصية سبب لشقاء العبد في الدنيا والآخرة، وهذه الوصية العظيمة التي بين أيدينا من أخذ بها وعضَّ عليها بالنواجذ دفعته إلى الطاعة ومنعته من المعصية.

• فرسولنا ﷺ يقول فيها لكل مسلم: «**اعبد الله كأنك تراه...**»، فإذا عاش المسلم في هذه الدنيا بهذا الشعور، وتعامل مع الله عز وجل بهذه العقيدة، وعلم أن الله يراه أينما ذهب دفعه ذلك إلى طاعة ربه ومنعه ذلك عن المعصية.

• ويقول ﷺ في وصيته لكل مسلم: «**واحسب نفسك مع الموتى**»، فالإنسان منا إذا عد نفسه من الموتى استعد للموت قبل نزوله، واستعد

---

(١) **حسن**: ش: (٧/ ٢٤٢)، حل: (٨/ ٢٠٢)، [«ص.ج» (١٠٣٧)].

للرحيل قبل الرحيل، فيدفعه ذلك الاستعداد إلى الإقبال على الطاعة، والابتعاد عن المعصية.

• ويقول ﷺ لكل مسلم: «**واتقِ دعوة المظلوم فإنها مستجابة**»، فإذا علم واعتقد المسلم أن المظلوم إذا دعا عليه استجاب الله له، دفعه ذلك إلى الابتعاد عن الظلم؛ لأن الظلم ظلمات يوم القيامة.

أمة الإسلام! واللهِ إنها لوصية عظيمة، وموعظة بليغة من رسولنا الكريم ﷺ إذا أخذنا بها تغيرت أحوالنا، وتبدل حالنا إلى غير ما نرى.

إذا اعتقد كل منا أن الله يراه، إذا اعتقد كل منا أنه سيموت، إذا اعتقد كل منا أن المظلوم إذا قام في جوف الليل يدعو على الظالم استجاب الله له انحلت مشاكلنا، وتغيرت أحوالنا، ورضي الله عنا.

ابن آدم! ربِ نفسك على مراقبة الله ﷻ في السر والعلن، بالليل والنهار؛ لأن الله مطلع عليك وناظر إليك، أينما كنت وأينما ذهبت كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧﴾ [المجادلة: ٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٦١﴾ [يونس: ٦١].

ابن آدم! ربِ نفسك على مراقبة الله ﷻ؛ لأن الله وكَّل بك ملكين كريمين يسجلان عليك كل شيء من خير أو من شر، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾

[ق: ١٦ ـ ١٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢].

ابن آدم! يوم القيامة تجد ما عملت محضراً، قد سجل عليك إن خيراً فخير، وإن شراً فشر قد أحصاه الله ونسوه، فمن وجد في صحيفته خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]، فالمسلم يا عباد الله إذا وقف بين يدي الله ﷻ ونظر في كتابه وجد ما يسره، ووجد ما يفرحه، فيخرج على الناس وقد أخذ كتابه بيمينه فيقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة: ١٩، ٢٠].

أما المجرم والعاصي: فإذا نظر في كتابه، ووجد ما عمل محضراً، ساءه ذلك وندم في وقت لا ينفع فيه الندم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

ابن آدم! رب نفسك على مراقبة الله، فرسولنا ﷺ ربى أصحابه على مراقبة الله ﷻ.

- فهذا أبو ذر يقول: (أوصاني خليلي ﷺ أن أخشى الله كأني أراه، فإن لم أكن أراه فإنه يراني).

- وهذا ابن عمر ﵄ يقول: (أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من

صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك)[١].

● وجاء رجل يقول: يا رسول الله حدثني بحديث، واجعله موجزاً، فقال له ﷺ: «**صَلِّ صلاة مودع كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك**»[٢].

ابن آدم! رب نفسك على مراقبة الله ﷻ لتبتعد بذلك عن المعاصي:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ... خلوت ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبنَّ الله يغفل ساعة ... ولا أنَّ ما يخفى، عليه يغيبُ

● فهذه امرأة في الصحراء يراودها أعرابي؛ أي: يريد أن يزني بها يقول لها: لا تخافي، فإنه لا يرانا إلا الكواكب!! فقالت الأعرابية له: ويحك!! وأين رب الكواكب؟!.

● وهذه امرأة تقول لابنتها: اخلطي اللبن بالماء، فتقول الفتاة: يا أماه إن عمر ينهى عن ذلك، فتقول الأم لابنتها: إن عمر لا يرانا، فقالت الفتاة لأمها: إذا كان عمر لا يرانا فرب عمر يرانا.

ابن آدم! رب نفسك على مراقبة الله لتكون يوم القيامة في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله.

يقول ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل**» ـ أتدرون لم عدل؟ لأنه يعلم أن الله يراه، ويعلم أنه سيموت، ويعلم أن المظلوم إذا دعا استجاب الله له ـ «**وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**»[٣].

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٠٥٣).
(٢) **حسن**: طس: (٤/٣٥٨)، [«ص.ج» (٣٧٧٦)].
(٣) **صحيح**: خ: (١٣٥٧)، م: (١٠٣١).

ثم يقول ﷺ في وصيته التي معنا: «**واحسب نفسك مع الموتى**»؛ أي: اعدد نفسك مع الموتى.

ابن آدم! احسب نفسك من الآن مع الموتى، وفي تعداد الموتى؛ لأنك والله ستموت عاجلاً أم آجلاً، والموت يأتيك بغتة، فالله قد كتب الموت على كل المخلوقات، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن: ٢٦].

ابن آدم!

نسيرُ إلى الآجالِ في كلِّ لحظةٍ	وأيامُنَا تُطْوى وهنَّ مراحِلُ
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً	كأنهُ إذا ما تخطتْهُ الأمانيُّ باطلُ
وما أقبحَ التفريطَ في زمنِ الصبا	فكيفَ بهِ والشيبُ للرأسِ شاعلُ
ترحلْ منَ الدنيا بزادٍ من التُّقَى	فعمرُك أيامٌ وهُنَّ قلائلُ

ابن آدم! احسب نفسك مع الموتى؛ لأن الموت يبحث عنك أينما كنت، وأينما وجدت، ليختطفك إذا انتهى الأجل كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨]، فإنه ملاقيكم في الغنى ليأخذكم، ملاقيكم في المنصب ليأخذكم، ملاقيكم في الجو ليأخذكم، ملاقيكم على الأرض ليأخذكم، ملاقيكم في البحر ليأخذكم. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة: ٨]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

ابن آدم!

لا شيءَ مما ترى تبقى بشاشتُهُ	يبقى الإلهُ ويفنى المالُ والولدُ
لم تُغْنِ عن هرمزٍ يوماً خزائنُهُ	والخلدَ قدْ حاولتْ عادٌ فما خلدوا
ولا سليمانَ إذ تجري الرياحُ له	والإنسُ والجن فيما بينها تردُ
أينَ الملوكُ التي كانت لعزتِها	منْ كلِّ أوبٍ إليها وافدٌ يفدُ
حوضٌ هنالكَ مورودٌ بلا كذبٍ	لا بدَّ من ورده يوماً كما وردوا

ابن آدم! احسب نفسك مع الموتى، لتعد الزاد للرحيل قبل يوم الرحيل، فالعمر معدود، والأجل محدود، فهناك من صلّى معنا في الجمعة الماضية وقد جاءت عليه هذه الجمعة وإذ هو تحت الثرى! انتقل إلى الدار الآخرة، وغداً نكون نحن أيضاً تحت التراب، ويكون غيرنا فوق التراب، وإنما هي آجال وإذا انتهى الأجل فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

ابن آدم!

تزودْ منْ معاشِكَ للمعادِ ... وقمْ للهِ واجمعْ خيرَ زادِ
ولا تجمعْ منَ الدنيا كثيراً ... فإن المالَ يُجْمَعُ للنفادِ

ابن آدم:

تزود من التقوى فإنك لا تدري ... إذا جنَّ ليلٌ هلْ تعيشُ إلى الفجرِ
فكمْ منْ صحيح ماتَ منْ غيرِ علةٍ ... وكمْ منْ عليلٍ عاشَ حينا منَ الدهرِ
وكمْ منْ صغارٍ يُرْتجَى طولُ عمرهم ... وقدْ أُدخلتْ أجسامُهُم ظلمةَ القبرِ
وكم منْ فتىً يُمسي ويُصبح ضاحكاً ... وقد نُسجت أكفانُه وهوَ لا يدري
وكم من عروسٍ زينوها لزوجها ... وقد قُبضت أرواحهم ليلة القدرِ

ابن آدم! احسب نفسك مع الموتى، لتكون مستعداً للموت، وللرحيل قبل يوم الرحيل.

عباد الله! ويقول ﷺ في وصيته التي معنا: «**واتق دعوة المظلوم فإنها مستجابة**».

فيا أيها الظالم، يا من تظلم الناس بمالك، يا من تظلم الناس بمنصبك، يا من تظلم الناس بصحتك، يا من تظلم الناس بلسانك. أيها الظالم يقول لك ﷺ: «**دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه**»[(١)].

---

(١) **حسن لغيره**: حم: (٢/٣٦٧)، لس: (٢٣٣٠)، ش: (٦/٤٨)، [«ص.غ.هـ» (٢٢٢٩)].

أيها الظالم يقول لك ﷺ: «**اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنها تُحمل على الغمام، يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**»(١).

أيها الظالم يقول لك ﷺ: «**اتقِ دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»(٢).

أيها الظالم يقول لك ﷺ: «**اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة**»(٣).

أيها الظالم يقول لك ﷺ: «**اتقوا دعوة المظلوم؛ وإن كان كافراً؛ فإنه ليس دونها حجاب**»(٤).

أيها الظالم يقول لك ﷺ: «**واتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**»(٥).

أيها الظالم يقول لك ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ**: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾»(٦) [هود: ١٠٢].

أيها الظالم، إن الله ليملي للظالم، يستدرجه، ويعطيه حتى إذا أخذه لم يفلته، كيف أخذ ربنا القرى وهي ظالمة؟ كيف أخذ ربنا الجبابرة وقد ظلموا؟ كيف أخذ الله الظلمة؟ كيف أخذ الله الذين ملئوا الأرض فساداً؟

ابن آدم!

لا تظلمَنَّ إذا ما كنتَ مقتدراً　　　فالظلمُ يَرْجعُ عُقباه إلى الندمِ

---

(١) **حسن لغيره**: طب: (٤/ ٨٤)، [«ص.غ.هـ» (٢٢٣٠)]

(٢) **صحيح**: خ: (٢٣١٦)، م: (١٩).

(٣) **صحيح**: ك: (١/ ٨٣)، [«ص.غ.هـ» (٢٢٢٨)].

(٤) **حسن**: حم: (٣/ ١٥٣)، [«ص.ج» (١١٩)].

(٥) **صحيح**: م: (٢٥٧٨).

(٦) **صحيح**: خ: (٤٤٠٩)، م: (٢٥٨٣).

تنامُ عيناك والمظلومُ منتبهٌ يدعو عليكَ وعينُ اللهِ لم تنمِ

أيها الظالم، إياك أن تظن بأنك ستنام، إياك أن تظن بأنك ستستريح، حتى وإن نمت أيها الظالم فاعلم أن المظلوم منتبه قد سهر الليل، توضأ وقام في جوف الليل، يرفع شكواه إلى من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يرفع شكواه إلى الذي يجيب المضطر إذا دعاه، فإذا دعا عليك المظلوم أيها الظالم استجاب الله له، فاتقِ الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، يقول الله ﷻ لكل ظالم: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

عباد الله! والله من أراد النجاة فعليه أن يأخذ بهذه الوصية، وأن يعمل بها، وأن يعض عليها بالنواجذ حتى يخرج من هذه الدنيا على خير وسلامة.

ابن آدم! «اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، واحسب نفسك مع الموتى، واتق دعوة المظلوم؛ فإنها مستجابة».

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم

أن يحفظنا وإياكم من الظلم، وأن ينجينا وإياكم من كيد الظالمين

* * *

١٠٧

الوصية السادسة والثلاثون:
«ثلاثة لا يكلمهم الله...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية السادسة والثلاثين:

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**»، قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «**المُسْبِلُ إزاره، والمَنَّانُ، والمُنَفِّقُ سلعتَهُ بالحِلف الكاذب**»[1].

عباد الله! هذه مخالفاتٌ، الكثيرُ منا من يقع فيها، فالعاقل هو الذي يتذكر، والله عز وجل واسع المغفرة، والله عز وجل يعفو عما سلف، ومن تاب تاب الله عليه. ولعل الكثير منا يقع فيها إما جهلاً وإما عناداً أو تكبراً. ولكنها الذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين.

عباد الله! رسولنا ﷺ في هذه الوصية العظيمة يحذر أمته من أمور ثلاثة تقرب صاحبها من سخط الله ومن النار، ورسولنا ﷺ كما أخبرنا ربنا في كتابه عنه أنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، ما ترك ﷺ خيراً يقرب أمته من رضى الله والجنة إلا وأخبرهم به، وما ترك شراً يقرب أمته من سخط الله والنار إلا وحذرهم منه.

---

(١) **صحيح**: م: (١٠٦).

ومن الأمور التي تقرب العبد من سخط الله والنار:

١ ـ الإسبال.

٢ ـ المن بالعطية.

٣ ـ إنفاق السلعة بالحلف الكاذب.

عباد الله! يقول ﷺ عن هؤلاء الثلاثة: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة**»؛ أي: لا يكلمهم كلام رحمة، لا يكلمهم كلاماً ينفعهم ويسرهم، وإن كان الكلام ثابتاً فإن الله ﷻ يكلم الناس يوم القيامة. يقول ﷺ: «**ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان**»[1]، ولكنه سبحانه لا يكلم هؤلاء كلام رحمة، ولا كلاماً ينفعهم أو يسرهم، ولا ينظر إليهم؛ أي: نظر رحمة، ولا يزكيهم؛ أي: لا يطهرهم من دنس المعاصي، ولهم عذاب أليم؛ أي: مُوْجِعٌ يصل إلى جلودهم وإلى قلوبهم.

عباد الله! وهذا الوعيد الشديد لهؤلاء الثلاثة يدل على أنهم من أهل الكبائر، ويدل أيضاً على أن هذه الأعمال: وهي إسبال الإزار، والمن بالعطية، وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب من كبائر الذنوب؛ لأن الكبيرة كما عرَّفها ابن عباس رضي الله عنه هي: (ما يترتب عليه حدٌّ في الدنيا، أو عقوبةٌ في الآخرة).

عباد الله! يقول أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله: قال ﷺ: «**المُسْبِلُ إزاره، والمنان ...**» الحديث.

فالخاسر الأول: هو المسبل، أتدرون من هو المسبل يا عباد الله؟ المسبل: هو الذي أرخى إزاره أو ثوبه دون الكعبين. والكعب: هو العظم الناتئ في قدم الإنسان، وفي كل قدم كعبان. فإذا زاد الإنسان في ثيابه، في بنطاله، في عباءته، عن الكعبين فهذا هو المسبل الذي توعده الرسول ﷺ بهذا الوعيد.

---

(١) **صحيح**: خ: (٧٠٧٤)، م: (١٠١٦).

عباد الله! نِعَمُ الله علينا كثيرة وكثيرة جداً ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. ومن نعم الله علينا الطعام والشراب واللباس، والإنسان المسلم في هذه الدنيا يأكل ويشرب من الطيبات ما يشاء، ولكن في حدود الشرع، وفي حدود ما أحل الله، وكذلك فإن المسلم في هذه الدنيا يلبس ما شاء ويتزين بما شاء ولكن في حدود الشرع، وفي حدود الحلال. وقد جاء الإسلام واشترط شروطاً ثمانية في لباس الرجل وها هي بين أيديكم فخذوها وعوها واعرضوا ثيابكم وملابسكم على هذه الشروط فإن وافقت فقولوا: الحمد لله، وإن خالفت ـ وأظن أَن الكثير منا يقع في مخالفتها ـ فها أَنا أُذكر، والذكرى تنفع المؤمنين.

عباد الله! **شروط ثمانية يجب أن تتوفر في لباس الرجل:**

الشرط الأول: أن يستر عورة الرجل. يشترط في لباس الرجل: أن يستر عورته استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]؛ أي: استروا عوراتكم عند كل مسجد، فقد كانوا في الجاهلية يطوفون حول الكعبة عراة، فأنزل الله عليهم: يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد؛ أي: استروا عوراتكم عند كل مسجد، وعورة الرجل من سرته إلى ركبته قال ﷺ: «**ما بين السرة والركبة عورة**»[(١)]، ورأى ﷺ رجلاً كشف عن فخذه فقال ﷺ: «**غط عن فخذك فإن الفخذ عورة**»[(٢)].

الشرط الثاني: ألا يشبه لباس النساء؛ لأن رسول الله ﷺ «**لعن المتشبهين من الرجال بالنساء**»[(٣)]، «**ولعن** ﷺ **الرجل يلبس لبسة**

---

(١) **حسن**: ك: (٣/ ٦٥٧)، طس: (٧/ ٣٧٢)، طص: (٢/ ٢٠٥)، [«ص.ج» (٥٥٨٣)].
(٢) **صحيح**: ت: (٢٧٩٨)، حم: (٣/ ٤٧٩)، طب: (٢/ ٢٧١)، عب: (١١/ ٢٧)، [«ص.ج» (٧٩٠٦)].
(٣) **صحيح**: خ: (٥٥٤٦).

المرأة»[١]، وقال ﷺ: «**ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ولا من تشبه بالنساء من الرجال**»[٢].

الشرط الثالث: ألا يشبه لباس الكفار، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: رأى رسول الله ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين فقال له ﷺ: «**إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها**»[٣]، وقال ﷺ: «**إياكم ولباس الرهبان فإنه من ترهَّب أو تشبه فليس مني**»[٤]، وقال ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[٥].

الشرط الرابع: ألا يكون ثوب شهرة، بأن يرتدي الرجل ثوباً ثميناً غالياً يشتهر به، أو يرتدي ثوباً مقطعاً كأنه زاهد ليعرف به، قال ﷺ: «**من لبس ثوب شهرة في الدنيا، ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه ناراً**»[٦].

الشرط الخامس: ألا يكون من الحرير؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**»[٧]، وقال ﷺ: «**إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة**»[٨]؛ أي: لا نصيب له عند الله يوم القيامة.

الشرط السادس: ألا يكون من مال حرام، والكثير منا لبس من الربا، ولبس من الرشوة، ولبس من الغش، ولبس من الكذب، فيشترط في لباس الرجل ألا يكون من الحرام، لقوله ﷺ: «**إن الله تعالى طيب لا**

---

(١) **صحيح**: د: (٤٠٩٨)، حم: (٢/ ٣٢٥)، حب: (٥٧٥١)، طس: (١/ ٢٩٦)، ك: (٤/ ٢١٥)، هب: (٦/ ١٦٧)، [«ص.غ.هـ» (٢٠٦٩)].

(٢) **صحيح**: حم: (٢/ ١٩٩)، حل: (٣/ ٣٢١)، [«ص.ج» (٥٤٣٣)].

(٣) **صحيح**: م: (٢٠٧٧).

(٤) **ضعيف**: طس: (٤/ ١٧٨)، [«السلسلة الضعيفة» (٣٢٣٤)].

(٥) **صحيح**: د: (٤٠٣١)، طس: (٨/ ١٧٩)، [«ص.ج» (٦١٤٩)].

(٦) **حسن**: هـ: (٣٦٠٧)، [«ص.غ.هـ» (٢٠٨٩)].

(٧) **صحيح**: خ: (٥٤٩٤)، م: (٢٠٧٣).

(٨) **صحيح**: خ: (٥٤٩٧).

يقبل إلا طيباً... ثم ذكر ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام ـ وهذا هو الشاهد ـ **وغذي بالحرام فأنّى يستجاب لذلك**»[١].

الشرط السابع: ألا يزيد على الكعبين ولا يجره خيلاء لقوله ﷺ: «**ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار**»[٢]، ولقوله ﷺ في الوصية التي معنا: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، وذكر منهم المُسْبل إزاره**»، لقوله ﷺ: «**من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»[٣]، وقوله ﷺ: «**بينما رجل يمشي في حُلةٍ تعجبه نفسه مُرَجِّلُ جمته** ـ أي: مسرح رأسه ـ، **إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**»[٤].

أمة الإسلام! هذه شروط سبعة في لباس الرجل، هذا في غير الصلاة، أما في حالة الصلاة فتزيد **شرطاً ثامناً**: وهو: أن يستر عاتقه؛ أي: أن يستر منكبيه؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**لا يصلي أحدكم في الثوب الواحد ليس على عاتقيه منه شيء**»[٥].

عباد الله! هذه شروط ثمانية يجب أن تتوفر في لباس الرجل فكل منا يعرض لباسه على هذه الشروط الشرعية التي ذكرتها من كتاب ربنا ومن سنة نبينا ﷺ، والذكرى تنفع المؤمنين، ومن تاب تاب الله عليه والله واسع المغفرة. فالكثير من الناس في هذا الزمان العجيب تشبهوا بالكفار، وأصبحوا لا يبالون بحال ثيابهم، فترى الرجل يأتي إلى المسجد يصلي وثيابه تجر على الأرض إما جهلاً بالحكم الشرعي ـ وقد عُرِف ـ وإما عناداً منه وتكبراً، المهم أنك الآن قد علمت يا ابن آدم حكم الإسبال.

---

(١) **صحيح**: م: (١٠١٥).
(٢) **صحيح**: خ: (٥٤٥٠).
(٣) **صحيح**: خ: (٣٤٦٥)، م: (٢٠٨٥).
(٤) **صحيح**: خ: (٥٤٥٢)، م: (٢٠٨٨).
(٥) **صحيح**: خ: (٣٥٢)، م: (٥١٦).

الخاسر الثاني: يقول ﷺ: «**والمنان**»، **المنان**: هو الذي يمن بالعطية، إذا عمل معروفاً أو أعطى إنساناً شيئاً يمن عليه في مجالسه وكتبه، وهذا المن عذابه أليم، وإثمه عظيم، كما جاء في وصية هذا اليوم التي قال فيها النبي ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**» وذكر منهم المنان، وقال ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطى**»(١).

• المن يُذهب الثوابَ والأجرَ، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، فالأذى يحبط الأجر، ويذهب الثواب، فإياك والمن وإذا أعطيت أو فعلت خيراً فاحتسب الأجر عند الله يوم القيامة ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

• المنُّ يؤذي القلوب أشد من إيذاء السيوف، قال الإمام الشافعي:

لا تحملن من الأنام ... بأن يمنوا عليك منةْ
واختر لنفسك حظها ... واصبر فإن الصبر جنةْ
منن الرجال على القلوب ... أشد من وقع الأسنةْ

أي: أشد من ضرب السيوف.

وقال آخر وهو ينشد:

وصاحبٍ سلفت منه إليَّ يدٌ ... أبطأ عليه مكافاتي فعاداني
لما تيقن أن الدهر حاربني ... أبدى الندامة مما كان أولاني
أفسدت بالمن ما قدمت من حَسَنٍ ... ليس الكريم إذا أعطى بِمَنَّانِ

وقد أخبرنا الله عن أهل الجنة أنهم إذا أطعموا أطعموا لله، وإذا أعطوا أعطوا لله، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ﴿١٠﴾﴾ [الإنسان: ٩، ١٠].

---

(١) **صحيح**: ن: (٢٥٦٢)، هق: (٨/ ٢٨٨)، [«ص.ج» (٣٠٧١)].

عباد الله! يقول أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «**المسبل إزاره، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**».

فالخاسر الثالث: هو المنفق سلعته بالحلف الكاذب.

عباد الله! المال فتنة عظيمة كما قال ربنا جل وعلا: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، وقال ﷺ: «**إن لكل أمةٍ فتنة، وإن فتنة أمتي المال**»(١).

وقد افتتن بالمال الكثير من الناس في هذا الزمان فلا شغل لهم إلا أن يجمعوا المال بالغش، بالرشوة، بالكذب، بالظلم، بكل الأساليب المباحة وغير المباحة، المهم عندهم أن يجمعوا المال، والناظر إلى الناس بعين البصيرة في هذا الزمان يرى أنهم ينامون على ذكر المال، ويستيقظون على حب المال، ويسافرون من أجل المال، ويجلسون من أجل المال، ويجتمعون من أجل المال، يحبون من أجل المال ويبغضون من أجل المال، والرجل يخسر أخاه من أجل المال، والولد يعق والده من أجل المال، والأم تدعو على ابنها من أجل المال؛ فتنة عظيمة افتتن بها الكثير، ومن الأساليب المحرمة التي افتتن بها الناس ووقع فيها الكثير من التجار أنهم ينفقون سلعهم بالحلف الكاذب؛ أي: لا يبيع ولا يتاجر إلا بالحلف الكاذب. يحلف أيماناً كثيرة وهو يعلم في قرارة نفسه أنه كاذب.

والرسول ﷺ يقول: «**إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه ينفق ثم يمحق**»(٢)؛ أي: أنك ستبيع أيها التاجر باليمين الكاذب، ثم تمحق؛ أي: تمحق البركة؛ أي: يمحق المال، وكم من التجار اليوم رفع يديه وأعلن الإفلاس لأنه كان يكذب ويبيع بالكذب، وبالأيمان الكاذبة، وكان يأكل

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٣٣٦)، حم: (٤/ ١٦٠)، حب: (٣٢٢٣)، ك: (٤/ ٣٥٤)، طب: (١٩/ ١٧٩)، هب: (٧/ ٢٨٠)، [«ص.ج» (٢١٤٨)].

(٢) **صحيح**: م: (١٦٠٧).

الحرام وقد ملئت السجون منهم بعد ما كانوا يشار إليهم بالبنان لكثرة أموالهم، ولكن من أكل الحرام سراً فضحه الله على رؤوس الخلائق في الدنيا ويوم القيامة.

وقال ﷺ: «**الحلف منفقة للسلعة ممحقة للربح**»(١)، وقال ﷺ: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما**»(٢)، وخرج ﷺ على الناس وهم يتبايعون في السوق فقال: «**يا معشر التجار!**» فاستجابوا ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه فقال ﷺ: «**إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبر وصدق**»(٣).

فيا معشر التجار إياكم وكثرة الحلف في البيع، وعليكم بالصدق، ويا معشر التجار ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] و«**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»(٤).

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم
أن يحفظنا وإياكم من الوقوع في الذنوب والمعاصي

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: خ: (١٩٨١)، م: (١٦٠٦).
(٢) **صحيح**: خ: (١٩٧٣)، م: (١٥٣٢).
(٣) **صحيح لغيره**: ت: (١٢١٠)، هـ: (٢١٤٦)، مي: (٢٥٣٨)، حب: (٤٩١٠)، ك: (٨/٢)، طب: (٥/٤٤)، هب: (٤/٢١٩)، [«ص.غ.هـ» (١٧٨٥)].
(٤) **صحيح**: خ: (٥٧٤٣)، م: (٢٦٠٧).

١٠٨

الوصية السابعة والثلاثون:
«اتقِ المحارم تكن أَعبدَ الناس...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية السابعة والثلاثين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يُعلِّم من يعمل بهن**»؟ فقال أبو هريرة: فقلت: أنا يا رسول الله! فأخذ بيدي فعدّ خمساً وقال: «**اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب**»[1].

عباد الله! وصية عظيمة من رسول عظيم أشهد أنه كما وصفه ربه: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ما ترك خيراً يقربنا إلى رضا الله والجنة إلا وأرشدنا إليه، وما ترك شراً يقربنا من سخط الله والنار إلا وحذرنا منه.

عباد الله! في وصيته ﷺ التي تحدثنا عنها في الجمعة الماضية حذرنا ﷺ من أمور تقربنا من سخط الله والنار وهي: **إسبال الإزار، والمن بالعطية، وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب.**

---

(١) **حسن لغيره:** ت: (٢٣٠٥)، حم: (٢/ ٣١٠)، طس: (٧/ ١٢٥)، ع: (١١/ ١١٣)، هب: (٧/ ٧٨)، [«ص.غ.هـ» (٢٣٤٩)].

وفي وصية اليوم يدلنا ﷺ على أعمال صالحة تقرب من رضا الله والجنة فيقول ﷺ: «**من يأخذ عني هؤلاء الكلمات؟**» وهذا ترغيب منه ﷺ في تعليم العلم الشرعي، ثم يقول ﷺ: «**فيعمل بهن**»، وهذا حض منه ﷺ على أن نعمل بما تعلمنا، ثم يقول ﷺ: «**أو يُعلِّم من يعمل بهن**»، وهذا ترغيب في تعليم الناس ما تعلمنا من خير.

والإنسان يا عباد الله، الذي تعلَّم علم الكتاب والسنّة وعمل بما تعلَّم، وعلَّم الناس ما تعلم، فهذا هو العالم الرباني الذي يدعى في السماء عظيماً، وهذا هو الذي ينجي نفسه من الخسران المبين الذي كتبه الله على جنس بني الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾؛ أي: إن بني الإنسان جميعاً لفي خسر ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، والإيمان يحتاج إلى علم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: عملوا بما تعلموا ـ فبعد أن تعلموا وعملوا الصالحات؛ أي: عملوا بما تعلموا ـ ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر؛ أي: علَّموا الناس ما تعلَّموا ـ ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر]؛ أي: صبروا على التعلّم، وعلى العمل بالعلم، وعلى تعليم الناس هذا العلم حتى خرجوا من هذه الدنيا على هذه الحال وهؤلاء هم الناجون.

عباد الله! بعد أن قال ﷺ: «**من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن، أو يعلِّم من يعمل بهن**» قال أبو هريرة رضي الله عنه: أنا يا رسول الله، وفي هذا دليل على حرص الصحابة على معرفة الخير، وعلى تعليم الخير، وعلى العمل بالخير، والعاقل منا يا عباد الله هو الذي إذا سمع بوصية من وصايا المصطفى ﷺ أخذ بها، وعضّ عليها بالنواجذ، وعمل بها فيسعد بذلك في الدنيا والآخرة.

أمة الإسلام! يقول ﷺ في هذه الوصية العظيمة ـ التي بين أيدينا ـ: «**اتق المحارم تكن أعبد الناس**»؛ أي: اتق ما حرم الله يا ابن آدم؛ أي: ابتعد عما حرم الله؛ أي: اجتنب ما حرم الله، فالحرام ما حرمه الله

ورسوله وهو حرام إلى يوم القيامة، والله ﷻ قد أخبرنا في كتابه بما حرم علينا، نقول على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

قال - تعالى -: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال - تعالى -: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال - تعالى -: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وقال - تعالى -: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠]، وقال - تعالى -: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

ومن الأمور التي حُرِّمت علينا وذكرت في السنّة على سبيل المثال لا على سبيل الحصر قوله ﷺ: «**إن الله حرّم بيع الخمر، والميتة، والخنزير، والأصنام**»[١]، وقال ﷺ: «**كل مسكر خمر، وكل خمر حرام**»[٢]، وقوله ﷺ: «**فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام**»[٣]، وقال ﷺ: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**»[٤].

---

(١) **صحيح**: خ: (٢١٢١)، م: (١٥٨١).
(٢) **صحيح**: م: (٢٠٠٣).
(٣) **صحيح**: خ: (٤١٤٤)، م: (١٦٧٩).
(٤) **صحيح**: خ: (٢٥٠٢)، م: (١٤٤٧).

إخوة الإسلام! إنها محرمات حرّمها الله ورسوله علينا، فمن اتقى المحارم كان من أعبد الناس أتدرون لم يا عباد الله؟ لأن الإنسان إذا ابتعد عما حرّم الله طَهُرَ قلبه، وإذا طهر قلبه ازداد الإيمان، وإذا ازداد الإيمان في القلب دفع صاحبه إلى طاعة الله، فإذا أقبل الإنسان على طاعة ربه، وحرَّم ما حرم الله، وابتعد عما حرّم الله فهو من أعبد الناس، وهو من أتقى الناس، وهذه هي التقوى: أن تعبد الله ﷻ وأن تبتعد عما حرّم الله.

ثم يقول ﷺ: «**وارضَ بما قسم الله لك، تكن أغنى الناس**».

ابن آدم! ارضَ بما قسم الله لك، فالله ﷻ قسَّم الأرزاق، وجعل هذا غنياً وهذا فقيراً لحكمة يعلمها الله، فارض بما قسم الله لك، ارضَ بالفقر إذا كنت فقيراً، واصبر عليه، وارضَ بالغنى إن كنت غنياً، واشكر يا عبد الله، واعلموا عباد الله أن الغنى غنى النفس، وليس عن كثرة العرض، فإنك ترى الكثير من أصحاب المئات، والألوف، ومن أصحاب الملايين ولكنهم من أفقر الناس، لم؟ لأن الواحد منهم لم يرض بما قسم الله له فتراه بالليل والنهار لا يريد إلا أنْ يجمع المال سواء من حله أو من غير حله، فتراه كشارب البحر لا يرتوي أبداً كلما شرب ازداد بشربه من الماء المالح عطشاً، وكذلك الغني الذي لم يرضَ بما قسم الله له تراه لا يرضى بالألف، ولا يرضى بالمئة ولا يرضى بالمليونين، ولكنه، دائماً يريد المزيد من المال، فنقول لهذا: ارض بما قسم الله لك.

وفي الوقت نفسه ترى فقيراً لا يملك شيئاً من حطام الدنيا، ولكنه غني وذلك يدل على أن الغنى هو غنى النفس، كما قال ﷺ: «**ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس**»[١].

ابن آدم! ارضَ بما قسم الله لك، وتذكر قول الرسول ﷺ وهو يقول: «**من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه**

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٠٨١)، م: (١٠٥١).

فكأنما حِيْزَتْ له الدنيا بحذافيرها»(١).

يا من تصبح كل يوم بصحة وعافية أنت من أغنى الناس، وإن لم يكن معك مال وإن لم تعرف ذلك فاذهب إلى المستشفيات، وانظر إلى المرضى تراهم يريدون الصحة بكلِّ ما عندهم من مال.

• وتذكر يا عبد الله قول النبي ﷺ: «**قد أفلح من أسلم، ورزق كفافا وقنَّعه الله بما آتاه**»(٢).

ابن آدم!

تـزودْ مـن مـعـاشِـكَ لـلـمَـعَـادِ ... وَقُـمْ للهِ وأجْـمَـعْ خَـيْـرَ زادِ
ولا تـجـمـعْ مـنَ الـدنـيـا كـثـيـراً ... فـإنَّ الـمَـالَ يُـجْـمَـعُ لـلـنَّـفَـادِ
أتـرْضَـى أنْ تـكـونَ رَفِـيـقَ قَـوْمٍ ... لـهُـمْ زادٌ وأنْـتَ بـغـيـرِ زادِ؟!

ابن آدم!

لا شيءَ مما تَرَى تبقى بشاشتُهُ ... يَبْقَى الإلهُ ويفنى المالُ والولدُ

ابن آدم! ارضَ بما قسم الله لك، واعلم أَنك خارج من هذه الدنيا، وأنك تارك هذا المال خلفك، فقد جئت إلى الدنيا فقيراً لا تملك شيئاً، وكذلك فإنَّك تخرج منها فقيراً لا تملك شيئاً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤].

ابن آدم! أرضَ بما قسم الله لك، واعلم أَنك راجع إلى الله، وموقوف بين يدي الله، ومسئول عن هذا المال من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟ يقول ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع** ـ وذكر منها ـ: **عن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه**»(٣)؟.

---

(١) **حسن لغيره**: ت: (٢٣٤٦)، هـ: (٤١٤١)، خد: (٣٠٠)، هب: (٧/ ٢٩٤)، [«ص.غ.هـ» (٨٣٣)].

(٢) **صحيح**: م: (١٠٥٤).

(٣) **صحيح**: ت: (٢٤١٧)، مي: (٥٣٧)، حل: (١٠/ ٢٣٢)، [«ص.غ.هـ» (١٢٦)].

ابن آدم! ارضَ بما قسم الله لك تعش في الدنيا سعيداً، وتبتعد عن المعاصي وعما حرم الله، وأَمَّا إذا لم ترضَ بما قسم الله لك فستقع فيما حرّم الله، اسأل الذي أكل الربا لما أكل الربا؟ السبب أَنه لم يرضَ بما قسم الله له، اسأل الذي يسرق لمَ يسرق؟ السبب أنه لم يرضَ بما قسم الله له، اسأل الذي يرتشي، ويُطْعم نفسه وأولاده السحتَ، إسأله لم قبلت الرشوة، وقد حرّمها الله ورسوله؟ السبب أَنه لم يرضَ بما قسم الله له، فارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس.

وإذا أردت يا ابن آدم أن تربي نفسك على هذه الخصلة الحميدة فانظر إلى مَنْ هو دونك في أمور الدنيا، ولا تنظر إلى من هو فوقك، فهذا سبب يجعلك دائماً تربي نَفْسك على الرضا بما قسم الله لك.

عباد الله! ثم يقول ﷺ: «**وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً**».

• جاء الإسلام يأمر بالإحسان إلى الجار، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

• وأَمر ﷺ أمته بالإحسان إلى الجار، قال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره**»(١).

وهذه رسالة أوجهها إلى كل جارٍ أساء إلى جاره وإلى كل من يشتكي الناس منه عبر الهاتف بالليل والنهار، إلى جيران لهم قلوب ملؤُها الحقدُ، ولهم أعين يحسدون بها كأعين اليهود، ولهم ألسنة يقذفون بها كألسنة المنافقين.

نقول لهم: يقول ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره**»، وقال ﷺ في وصيته التي معنا: «**وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً**»، وقال ﷺ: «**خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله**

---

(١) **صحيح**: م: (٤٨).

خيرهم لجاره»(١)، وقال ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنهُ سيُورِّثه»**(٢)، ولما جاء الإسلام يأمر بالإحسان إلى الجار جاء كذلك يُحذِّر من إيذاء الجار، سئل ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**» قيل: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك مخافة أن يَطْعَم معك**»، قيل: ثم أي؟ قال: «**أن تزاني حليلة جارك**»(٣).

فمن أكبر الذنوب أن يزني الرجل بامرأة جاره، جلس ﷺ يوماً مع أصحابه فقال لهم: «**ما تقولون في الزنا؟** قالوا: حرام حرمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة، فقال رسول الله ﷺ: **لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره،** قال: **فما تقولون في السرقة؟** قالوا: حرام حرمها الله ورسوله فهي حرام. قال: **لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره»**(٤)، وقال ﷺ: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**» قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه»**(٥)، وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من لا يَأْمن جاره بوائقه»**(٦)، فنقول للذين يؤذون جيرانهم: اتقوا الله ﷻ فالرسول ﷺ يقول: «**وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً**» واتقوا الله ﷻ واعلموا أنكم ستموتون.

عباد الله! ثم يقول ﷺ في وصيته: «**وأَحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً**» خلق كريم، خلق طاهر، واللهِ لا يقدر عليه إلا الرجال، لا يقدر عليه إلا الأبرار، لا يقدر عليه إلا الصادقون، أن تحب للناس ما

---

(١) **صحيح**: ت: (١٩٤٤)، حم: (٢/ ١٦٧)، مي: (٢٤٣٧)، خز: (٢٥٣٩)، حب: (٥١٨)، ك: (١/ ٦١٠)، خد: (١١٥)، [«ص.ج» (٣٢٧٠)].

(٢) **صحيح**: خ: (٥٦٦٨)، م: (٢٦٢٥).

(٣) **صحيح**: خ: (٤٤٨٣)، م: (٨٦).

(٤) **صحيح**: خد: (١٠٣)، حم: (٦/ ٨)، طب: (٢٠/ ٢٥٦)، بز: (٦/ ٥٠)، هب: (٧/ ٨١)، [«ص.غ.هـ» (٢٥٤٩)].

(٥) **صحيح**: خ: (٥٦٧٠).

(٦) **صحيح**: م: (٤٦).

تحب لنفسك! فالإنسان بطبيعته لا يحب إلا نفسه، ولكن الإسلام يربي أهله على الأخلاق الحميدة وعلى أن يحب أحدنا للناس ما يحبه لنفسه، وهذه لا تكلفك كثيراً يا ابن آدم، ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء، والذي يربي نفسه على هذه الخصلة الحميدة، وعلى هذا الخلق الحميد يستحق أن يدخل الجنة بسببها بعد الإيمان يقول ﷺ: «**من أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحب أن يُؤتى إليه**»(١).

ابن آدم: أترضى أن يحسدك أحد، فيتمنى زوال ما عندك من نعمة؟

الجواب لا، إذن فلم تتمنى ذلك للناس؟ تحب لنفسك المال، أحب لغيرك، تحب لنفسك الصحة والعافية، أحب ذلك للمسلمين، هكذا رَبِّ نفسك يا ابن آدم، أما هؤلاء الذين يتمنون الدمار والخراب لإخوانهم قاتلهم الله أنى يؤفكون، فنقول لهم يقول ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(٢).

عباد الله! ثم يقول ﷺ في هذه الوصية التي معنا: «**ولا تكثر الضحك؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب**».

إخوة الإسلام! القلب مضغة صغيرة في الجسد، ولكنه إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله؛ أي: إذا حيى القلب حيى الجسد، وإذا مات القلب، مات الجسد وإن رأيناه يدب على الأرض.

ومن الأمور التي تميت القلوب وتقتلها:

الكفر بالله، والشرك، والنفاق، والكذب، وكثرة الضحك، وكثرة المعاصي.

عباد الله! وكثرة الضحك من المعاصي التي تظلم القلوب، والضحك

---

(١) **صحيح**: م: (١٨٤٤).

(٢) **صحيح**: خ: (١٣)، م: (٤٥).

حلال لا نحرمه يا عباد الله، فرسولنا ﷺ كان يضحك، والصحابة كانوا يضحكون أمام رسول الله ﷺ ولكن في حدود الشرع، وفي حدود المعقول، وفي حدود المباح، أما أن يبقى الرجل طوال يومه وليله يضحك بسبب وبغير سبب فهذا قد تعدى الحدود، وهذا نخشى عليه من موت قلبه.

نقول له: يا من تضحك بالليل والنهار لم تضحك؟! أجاءك نبأ أَنك من أهل الجنة؟! إذا كان الجواب لا فلم تضحك؟!

يا من تضحك هل جاءك نبأ أَنك فزت يوم القيامة عند الميزان؟! أجاءك نبأ أَنك نجوت على الصراط؟! أجاءك نبأ أَنك مع الصدِّيقين والشهداء؟! فلم تضحك؟!

يا ابن آدم! والله لو نظر أحدنا إلى حاله، أو إلى حال من حوله من المسلمين، أو إلى حال نساء المسلمين، والله ما ضحك، ولكن لا نقول كما تقول بعض الجماعات: لا تضحك حتى تقيم حكم الله في الأرض، فلقد تكلفوا ما ليس لهم به علم؛ فرسولنا ﷺ كان يضحك مع أصحابه في مكة، وكان يضحك مع أصحابه في المدينة قبل أن تقوم دولة الإسلام.

إنا لا نحرّم الضحك، ولكن نقول: الإسراف في الضحك حرام، كما أَنَّ الإسراف في الأكل والشرب حرام.

قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف: ٣١].

ابن آدم! «اتقِ المحارم تكن أعبد الناس، وأرضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب إلى الناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب».

أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يثبتنا وإياكم على الإيمان

١٠٩

الوصية الثامنة والثلاثون:
«لا تصاحب إلاَّ مؤمناً...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثامنة والثلاثين:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»(١).

وصية واللهِ غالية يوجهها ﷺ إلى كل مسلم في كل بقاع الدنيا وفي كل زمان ومكان، الصحبة يا عباد الله، الخلة يا عباد الله، الجليس يا أمة الإسلام، فكم من إنسان اهتدى إلى كل خير بمصاحبة الصالحين، وكم من إنسان اهتدى إلى كل شر بجلساء السوء وبقرناء السوء.

عباد الله! الإنسان بطبيعته وفطرته لا يستغني عن الناس، ولا يستطيع أبداً أن يعيش منفرداً منعزلاً عنهم، ولا بد له أن يخالط الناس، ولا بد له أن يجالس الناس، ولا بد أن يكون له أصدقاء وجلساء، ولما كان الإسلام هو الدين الشامل الكامل الذي ارتضاه الله ديناً للبشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فقد نظم الإسلام شؤون الحياة كلها، فنظم علاقة الفرد مع ربه، ونظم علاقة الفرد مع الآخرين، والمسلم في هذه الدنيا ليس حراً في اتخاذ القرناء والأصدقاء وإنما هو مربوط بأوامر جاءت في الكتاب والسنة لاتخاذ القرناء والأصدقاء والجلساء، ولذلك جاءت

---

(١) **حسن**: د: (٤٨٣٢)، ت: (٢٣٩٥)، [«ص.غ.هـ» (٣٠٣٦)].

الأوامر عبر الكتاب والسنة تأمر بمصاحبة الصالحين الأخيار، وتنهى عن مجالسة الطالحين الأشرار.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨]، أمرٌ بمجالسة الصالحين، وأمرٌ بالابتعاد عن الطالحين.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

فالله يأمر بمجالسة الصالحين، وبمصاحبة الصالحين، وينهى عن مصاحبة قرناء السوء، وينهى عن مجالسة الأشرار، ويقول ﷺ في الوصية التي معنا: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»، ويقول ﷺ: «**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»(١)، وفي رواية: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»(٢) فالأمر خطير، ولذلك قال القائل:

عن المرءِ لا تَسَلْ ... وسَلْ عَنْ قرينِهِ
فكلُّ قرينٍ ... بالمقارَن يَقْتَدي

وقال آخر:

أنتَ في الناس تُقَاسُ ... بالذي ٱخترتَ خليلا
فاصحب الأخيارَ تعلو ... وتَنَل ذكراً جميلاً
صحبةُ الخاملِ تكسو ... مَنْ يُؤاخيه خمولا

وقال الآخر:

---

(١) **حسن**: د: (٤٨٣٣)، ت: (٢٣٧٨)، [«ص.ج» (٣٥٤٥)].

(٢) **إسناده جيد**: حم: (٢/ ٣٣٤)، ك: (٤/ ١٨٨)، لس: (٢٥٧٣)، هب: (٧/ ٥٥)، حل: (٣/ ١٦٥)، [«الموسوعة الحديثية»].

لا تصحبْ أخا الجهلِ	وإياكَ وإياهُ
فكمْ من جاهل أردى	حليماً حينَ يلقاهُ
يقاسُ المرءُ بالمرءِ	إذا ما هوَ ماشاه
وللشيءِ على الشيءِ	مقاييسٌ وأشباهُ
وللقلبِ على القلبِ	دليلٌ حينَ يلقاهُ

كما قالَ ﷺ: «**الأرواحُ جنودٌ مجندةُ، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»(١).

أمة الإسلام! جاء الإسلام يأمر بمصاحبة الأخيار، وينهى عن مصاحبة الأشرار أتدرون لم؟

لأن مصاحبة الصالحين تجر، إلى كل خير ولأن مصاحبة الأشرار تجر إلى كل شر.

ورسولنا الكريم ﷺ يمثل لذلك مثلاً رائعاً، فيقول ﷺ: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإمَّا أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثةً**»(٢).

نعم والله فإنك إذا جالست الصالح استفدت منه على كل وجه، واستفدت منه دائماً حتى إذا تكلم وحتى إذا لم يتكلم، وإذا صاحبت الأشرار ضروك على كل وجه، وسحبوك إلى كل ضلال.

يا عباد الله، كل منا له قرناء فكم من إنسان سلك طريق الهداية وطريق الجنة بسبب مصاحبة الصالحين، وكم من إنسان سلك طريق الضلالة وطريق النار دار البوار بسبب مصاحبة الأشرار والعصاة الطالحين. دعونا يا عباد الله ننظر ونسأل هل ينتفع الصاحب بصاحبه إذا كان صالحاً؟

---

(١) **صحيح**: خ: (٣١٥٨)، م: (٢٦٣٨).

(٢) **صحيح**: خ: (٥٢١٤)، م: (٢٦٢٨).

وهل يصاب الإنسان بالسوء من قرين السوء إذا صاحبه؟ وأظن أن كلنا يعلم ذلك من واقعنا، فهذا لا يصلي بسبب قرناء السوء، وهذا يصلي بمجالسة الصالحين، هذا حلق لحيته بمجالسة الأشرار، وهذا أطلق لحيته بمصاحبة الصالحين، هذا أكل الربا بمصاحبة المرابين وهذا أكل الحلال بمصاحبة الصالحين.

عباد الله! اعلموا أن صحبة الصالح تنفع في الدنيا، وبعد الموت، ويوم القيامة.

أما في الدنيا: فالإنسان منا إذا صاحب الصالحين المخلصين دعوه إلى كل خير، فتعلم منهم في الدنيا مثلاً أحكام الصلاة، وتعلم منهم الإخلاص والكرم والشجاعة، وتعلم منهم خفض الجناح للمسلمين، وتعلم منهم الأعمال الصالحة، إذا دخل صاحبك المؤمن في بيتك غض بصره، وإذا أكل عندك دعا لك، وإذا خرج من عندك أثنى عليك، وإذا جلس في مجلس ذكرك بالخير، وإذا اغتابك أحد في المجلس دافع عنك بشدة طاعةَ لله ولرسوله.

إذا جلست مع القرين الصالح ذَكَّرك بالله إذا نسيت، وأعانك إذا ذكرت، وإذا رآك على معصية أمرك بالمعروف، ونهاك عن المنكر، إذا جلست وإياه مجلس في بيت من بيوت الله حفتك الملائكة، وغشيتك الرحمة، ونزلت عليك السكينة، فمجلسه مجلس رحمة، ولعل الله ﷻ أن يطلع على هذا المجلس فيقول: قوموا مغفوراً لكم.

إذن مصاحبة الصالح تنفعك: فهذا الرجل الذي قتل مائة نفس عندما جلس مع العالم، مع الرجل الصالح وقال للعالم: (قتلت مائة نفس فهل لي من توبة؟ قال له العالم: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة؟) ـ فانظروا يا عباد الله دفعه إلى التوبة، وفتح أمامه باب التوبة، فاستفاد الرجل بمجالسة الصالح بأن تاب إلى الله، ثم قال له العالم: ـ (لا ترجع إلى أهلك، ولا إلى قريتك، ولا إلى قرناء السوء ولكن اذهب إلى البلدة

الفلانية فهناك اعبد الله مع أهلها) ـ، فأمره بالمعروف، ونهاه عن المنكر، في نهاية الحديث ـ مات هذا الرجل في منتصف الطريق، واختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، وفي النهاية أدخله الله الجنة)[١] وهو لم يسجد لله سجدة واحدة، من الذي نفعه يا عباد الله، مجالسة العالم، ومجالسة الصالح، فهذا قد انتفع في الدنيا بمجالسة الصالحين.

أما عند الموت: يا أيها المسلم، وأنت في فراش الموت إذا جاءك صاحبك المؤمن، وجلس عندك وأنت في فراش الموت، وأنت في اللحظات الأخيرة من هذه الدنيا ذكرَّك بالله، وذكرك برحمة الله، فجعلك بذلك تحسن الظن بالله، وإحسان الظن بالله عند طلوع الروح من أفضل الأعمال عند الله ﷻ.

فإذا جلس القرين الصالح عند أخيه، وروحه تخرج قال له: قل لا إله إلا الله، استجابة لأمر رسول الله: «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**»[٢]؛ أي: لقنوهم عند طلوع الروح ـ وليس على القبر كما يفعل بعض العوام ـ، فالصالح يقول لقرينه عند الموت: قل يا أخي: لا إله إلا الله، فيقول الأخ: لا إله إلا الله، فيخرج من الدنيا على (لا إله إلا الله) ورسولنا ﷺ يقول: «**من كان آخر كلامه (لا إله إلا الله) دخل الجنة**»[٣].

فانتفع هذا بصاحبه المؤمن عند طلوع روحه.

أما إذا كان الميت مرابياً، وجلس عنده المرابون فمن منهم سيقول له: قل لا إله إلا الله؟! فهذا القرين الصالح نفع صاحبه بأن ذكره برحمة الله، ولقنه لا إله إلا الله، فإذا مات الأخ قام هذا الصديق المؤمن على تغسيله، وتكفينه، والصلاة عليه، ودفنه على السنة بعيداً عن البدع

---

(١) **صحيح**: خ: (٣١٧٠)، م: (٢٧٦٦).

(٢) **صحيح**: م: (٩١٦).

(٣) **صحيح**: د: (٣١١٦)، حم: (٥/٢٤٧)، ك: (١/٥٠٣)، طب: (٢٠/١١٢)، هب: (١/١٠٨)، [«ص.ج» (٦٤٧٩)].

والخرافات، فانظروا عباد الله كم ينتفع الصاحب بصاحبه المؤمن حتى عند الموت.

أما بعد الموت: فالصديقُ المؤمنُ يدعو لأخيه الذي مات بظهر الغيب كما قال ربنا جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

فالقرين الصالح يدعو لك بعد موتك، ويتفقدك بالزيارة في قبرك ويدعو لك هناك، ويتفقد أولادك من بعدك باللطف، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالحنان والعطف، فتنتفع منه في الدنيا وعند الموت وبعد الموت.

أما يوم القيامة: فالقرين الصالح لا ينسى أخاه أبداً يوم القيامة وكل صداقة تنقلب عداوة يوم القيامة إلا ما كانت لله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧] إلا المتقين، اللذين تحابا في الدنيا في الله، ويوم القيامة يكونان معاً في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله، يقول ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» ـ وذكر منهم ـ: «**رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه..**»(١).

إخوة الإسلام! الصاحب المؤمن ثروة عظيمة في الدنيا، وعند الموت، وبعد الموت، ويوم القيامة، أما قرين السوء فحدث عن ذلك ولا حرج، وتعالوا واسمعوا يا عباد الله، فهذا قرين السوء شؤم على قرينه في الدنيا، وعند الموت، وبعد الموت، ويوم القيامة.

أما في الدنيا فقرين السوء: يجرك إلى كل معصية، فبالله عليكم كم من مصلٍ ترك الصلاة بسبب قرين السوء؟ كم من إنسان لا يدخن دخن بسبب قرناء السوء؟ كم من إنسان لا يشرب الخمر شربها بسبب قرناء

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٢٩)، م: (١٠٣١).

السوء؟ كم من امرأة متحجبة رفعت جلبابها وتبرجت بسبب قرناء السوء؟ كم من امرأة طاهرة أصبحت زانية وعاهرة ومغنية وراقصة بسبب قرناء السوء؟ قل في ذلك ولا حرج، قرين السوء يدعو قرينه إلى معصية الله والطيور على أشكالها تقع. ومن أضرار قرين السوء في الدنيا أنه يدعوك إلى الكفر بعد الإسلام، ويدعوك إلى البدعة بعد السنة، وهذا مثال وبالمثال يتضح البيان:

• هذا رجل في مكة على عهد رسول الله ﷺ كان كافراً، ولكن كان لا يؤذي النبي ﷺ، وكاد أن يدخل في الإسلام؛ بل قالوا: دخل في الإسلام وأسلم، وآمن، فعلم صديقه وقرينه بذلك وقد كان مسافراً إلى بلاد الشام فلما رجع إلى مكة، وعلم أن صاحبه قد أسلم أو فكر في الإسلام ذهب إليه، وأخذ يكلمه ويوبخه حتى ارتد عن الإسلام، وأمره أن يؤذي رسول الله ﷺ ففعل ما أملاه عليه قرين السوء وارتد عن الإسلام وآذى رسول الله ﷺ.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

أما عند الموت فقرين السوء: إذا جاءك وأنت في فراش الموت دعاك إلى الكفر بعد الإسلام، وإلى البدعة بعد السنة، وبالمثال يتضح البيان:

• (هذا أبو طالب نام في فراش الموت في لحظاته الأخيرة من الدنيا، وكان عنده أبو جهل لعنه الله، فلما علم رسول الله ﷺ بعمه جاء إليه وقال له: «**أي عم، قل: (لا إله إلا الله) كلمة أحاج لك بها عند الله**»، ـ وقرين السوء ـ أبو جهل يقول: ترغب عن ملة عبد المطلب؟ الرسول ﷺ يقول: «**يا عم، قل: لا إله إلا الله**»، ـ وقرين السوء ـ يقول: أترغب عن ملة عبد المطلب حتى خرجت روحه وهو يقول: لا بل على ملة

عبد المطلب؟ فخرج كافراً من هذه الدنيا بسبب قرين السوء، فقال ﷺ متألماً لخروجه من الدنيا على الكفر: «**لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنه**»، فأنزل الله على رسوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]. ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾)[١] [القصص: ٥٦].

قرين السوء تسبب في خروجه من الدنيا على الكفر.

وأما بعد الموت فقرين السوء: إذا جاء مع صاحبه إلى المسجد يُدْخل لنا الجنازة لنصلي عليها ويقفُ هو خارج المسجد، فبئس القرين، وبئس الصاحب، وكم نرى من الأصدقاء، ومن الأصحاب من يحمل صاحبه إلى المسجد للصلاة عليه، ويقف هو خارج المسجد ولا يدخل للصلاة على صاحبه، فبئس الصداقة، وبئس الصحبة، وبئس القرين؛ فإنهُ لم يدعُ له، ولم يصلِ عليه، لم يعرف حقه يا عباد الله، لم؟ لأنَّ صداقتهما كانت لغير الله.

أما يوم القيامة: فهذه الصحبة تنقلب إلى عداوة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧]، يقول: القرين لقرينه: أنت أضللتني، ويقول الآخر: بل أنت أضللتني فيقول: كل منهما للآخر: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٨].

فيا أخ الإسلام، لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي.

عباد الله! يقول ﷺ: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[٢].

فليصدق كل منا مع نفسه طاعة لله ولرسوله، فلينظر أحدكم من يخالل، كل منا الآن ينظر إلى أصدقائه، وإلى أصحابه، وإلى جلسائه،

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٦٧١).

(٢) **إسناده جيد**: حم: (٢/ ٣٣٤)، [«الموسوعة الحديثية»] وقد تقدم تخريجه.

وكل منا يعرف قرناءه، وأصحابه، إن صاحبت الأخيار سحبوك إلى كل خير، وإن جالست الأشرار جروك إلى كل شر، فلينظر أحدكم من يخالل، ولينظر أحدكم إلى ابنه من يخالل، ولينظر أحدكم إلى ابنته من تخالل ـ والأخيره فرّط الكثيرُ منا فيها ـ فلينظر أحدكم إلى ابنه من يصاحب، من يجالس، ومن يأتي إليه، كل منكم ينظر إلى ولده من يصاحب؟ فإنه إنْ صاحب المدخنين فسيدخن، وإن كانوا من الزناة سيزني، وإن صاحب أصحاب السهرات الحمراء فسيذهب معهم، فلينظر أحدكم إلى ابنه من يخالل، ولينظر أحدكم إلى ابنته من تخالل؟ من تصاحب، من تجالس، من التي تأتي عندها، من التي تذهب هي عندها فكثير منا قد أعطى الحبل على الغارب، ومتى ينتبه؟ في اللحظات الأخيرة عند الضوء الأحمر، وعندها سيندم في وقت لا ينفع فيه الندم، إذا خرجت ابنتك من البيت، اعرفْ إلى أين تذهب، إذا كانت تصاحب صاحبة الجلباب فسترتدي الجلباب، إذا كانت تصاحب المتبرجة فستتبرَّج، إذا كانت تصاحب العفيفة فستتعلم العفاف، وإذا كانت تصاحب الزانية فستزني، وإذا كانت صاحبتها تمشي مع الشباب وتحب وتعشق فابنتك ستفعل ذلك، وستندم أنت في وقت لا ينفع فيه الندم، وستأتي لتضع العلاج في وقت لا ينفع فيه علاج.

ابن آدم! فهذه النصيحة خذها من رسول الله ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»، لا يُصَاحِبْ ولدُك إلا مؤمناً، ولا يُدْخِلْ في بيتك إلا تقي، لا تصاحِبُ ابنتُك إلا مؤمنة، ولا تُدْخِل عندها إلَّا تقية.

ولذلك قال لقمان لابنه وهو يعظه: (يا بني، تخير المجالس على عينك، فإن وجدت قوماً يذكرون الله؛ أي: يعبدون الله، فاجلس معهم فإن كنت عالماً نفعك علمك، وإن كنت جاهلاً علموك، ولعل الله أن يطلعَ عليهم برحمة فتصيبَك معهم، وإن وجدت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم، فإن كنت عالماً لم ينفعك علمك، وإن كنت جاهلاً زادوك غياً، ولعل الله أن يطلعَ عليهم بنقمة فتصيبَك معهم).

عباد الله! الصاحبُ ساحب إما إلى الخير، وإما إلى الشر، إما إلى الهدى، وإما إلى الضلال، وتعالوا إلى أهل الجنة لنستمع ماذا يقول أحدُهم: وقد كان له في الدنيا قرين يدعوه إلى الكفر ولكنه لم يستجب له.

قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾﴾ - أي في الدنيا - ﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾ يدعوه إلى الإلحاد وإلى الكفر يقول له: ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾، فقال هذا الرجل الصالح في الجنة لأصحابه في الجنة: ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾؛ أي: رأى صاحبه الملحد في سواء الجحيم ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الصافات: ٥٠ - ٥٧].

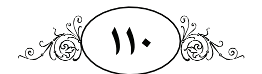
فانظروا عباد الله كان يدعوه إلى الكفر والإلحاد فلم يستجب له، ولو استجاب له لكان معه في سواء الجحيم، فكونوا من قرناء السوء على حذر.

والله ما انتكس تائب من بعد توبته إلا بسبب قرناء السوء.

«لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي»

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه





الوصية التاسعة والثلاثون:
«مَنْ أحَبَّ للهِ، وأبغض لله...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية التاسعة والثلاثين:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان**»(١). نعم والله يا عباد الله؛ لأن الحب والبغض في الله ليس من الإيمان فحسب؛ بل هو أوثق عرى الإيمان، كما قال ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله**»(٢).

إخوة الإسلام! في الجمعة الماضية قلنا: إن المسلم ليس حراً في هذه الدنيا في اتخاذ الصديق والجليس، ولكن الإسلام قد أمره بمصاحبة المؤمنين وبمجالسة الصالحين الأتقياء.

كما قال ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»(٣)، وكذلك يا عباد الله فالمسلم ليس حراً في هذه الدنيا في حبه وبغضه، وفي

---

(١) **صحيح**: د: (٤٦٨١)، طب: (٨/ ١٣٤)، ش: (٧/ ١٣٠)، [«ص.ج» (٥٩٦٥)].

(٢) **صحيح**: لس: (٧٤٧)، طب: (١١/ ٢١٥)، ش: (٦/ ١٧٠)، هب: (٧/ ٧٠)، [«ص.ج» (٢٥٣٩)].

(٣) **حسن**: د: (٤٨٣٢)، ت: (٢٣٩٥)، حم: (٢٠٥٧)، حب: (٥٥٤)، ك: (٤/ ١٤٣)، [«ص.ج» (٧٣٤١)].

عطائه ومنعه، ولكن الإسلام يأمره ويوجهه أن يحب لله، وأن يبغض لله، وأن يعطي لله، وأن يمنع لله.

فالمسلم في هذه الدنيا يجب عليه أن يحب الأنبياء والأولياء والصديقين والصالحين والشهداء؛ لأن الله يحبهم، ولأنهم على صراط الله المستقيم، وكذلك يجب على المسلم في هذه الدنيا أن يبغض أعداء الله، وأن يبغض الكفار والمشركين والمنافقين والعصاة والمبتدعة والمجرمين؛ لأن الله يبغضهم ولأنهم ليسوا على صراط الله المستقيم.

فالحب في الله، والبغض في الله، مسألة خطيرة جداً؛ لأنها من مسائل العقيدة، فالحب والبغض في الله من لوازم الولاء والبراء. والمسلم في هذه الدنيا يوالي أحباب الله ويعادي أعداء الله.

وقد أمرَنا الله ﷻ في كتابه أن نتأسى بإبراهيم عليه السلام والذين معه في الولاء والبراء.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

عباد الله! الحب والبغض في الله ضاع في هذا الزمان ـ إلا عند من رحم ربي ـ واللهِ إذا نظرنا في أحوال المسلمين في هذا الزمان العجيب فسنرى أن الحب والبغض القائم بين الناس قائم إما على أمور الدنيا الفانية ـ فإذا ذهبت (أي: الدنيا) ذهب الحب والبغض ـ، وإما تحت الشعارات الكاذبة: ـ هذا حزبنا، هذه جماعتنا، هذه عشيرتنا، هذه دولتنا ـ، أما الحب في الله والبغض في الله فهو قليل جداً في هذا الزمان وكأننا أصبحنا في وادٍ، والإسلام في وادٍ آخر، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

عباد الله! انظروا إلى الصداقات، وانظروا إلى المجالس في هذا الزمان هل قامت على المحبة في الله وعلى البغض في الله؟ لا والله، إنهم يجتمعون على حب الدنيا، ويفترقون من أجل الدنيا، يجتمعون من أجل

الحزب والجماعة، ويحبون من أجل الحزب والجماعة، ويبغضون كذلك من أجل الحزب والجماعة.

عباد الله! ولذلك ـ أُذكِّر والذكرى تنفع المؤمنين ـ فأقول: يا أمة الإسلام، الحب في الله والبغض في الله له ثمار عظيمة تعود على صاحبها بالخير في الدنيا والآخرة، وثمار الحب في الله والبغض في الله تكون على مستوى الأفراد والجماعات، فأقول: من ثمار الحب في الله والبغض في الله:

أولاً: أنه يجعلنا جميعاً حزباً واحداً وهو حزب الله.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦]، والميزان الذي يوزنُ به هذا الحزب هو موافقة الكتاب والسنّة ومنهج سلف الأمة، وليس الميزان هو التسمية فقط؛ لأن الأسماء لا تغير من حقائق المسميات شيئاً، فهذا «حزب الله» الشيعي وهو ليس حزب الله حقيقة؛ بل هو حزبٌ مبتدِع قائم على مخالفة الكتاب والسنّة وسبِّ وشتم سلف الأمة.

ثانياً: أنه يجعلنا إخوة في الله يحب بعضنا بعضاً، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩] أشداء على الكفار؛ لأنهم جميعاً يبغضون الكفار في الله، وهم رحماء بينهم؛ لأنهم يحبون بعضهم بعضاً في الله، فانظروا عباد الله إلى السر في الحب في الله، والبغض في الله إنه يجعلنا أمة واحدة يحب بعضنا بعضاً.

ثالثاً: من ثمار الحب في الله أن الله ﷻ يحب المتحابين فيه.

قال ﷺ: قال ـ تعالى ـ: «**حقت محبتي على المتحابين فيَّ**»[١]،

---

(١) **صحيح**: حب: (٥٧٧)، ش: (٧/ ٤٥)، [«ص.غ.هـ» (٣٠١٩)].

وقال ﷺ: «**إن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة ترُبُها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله ﷻ، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**»(١).

رابعاً: أن الله ﷻ يظلّ المتحابين بجلاله في ظلّ عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

يقول ﷺ: «**إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»(٢)، وقال ﷺ: «**سبعة يُظلُهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» ـ وذكر منهم ـ: «**ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**»(٣).

خامساً: أن أهل الحب في الله يوم القيامة على منابر من نور، يقول ﷺ: «**يقول الله ﷻ: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء**»(٤).

سادساً: أن المتحابين في الله يوم القيامة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. يقول ﷺ: «**إن من عباد الله عباداً ليسوا بأنبياء يغبطهم الأنبياء والشهداء**»، قيل: مَنْ هم؟ لعلنا نحبُّهم؛ قال: «**هم قومٌ تحابوا بنور الله، مِن غير أَرحامٍ ولا أنساب، وجوههم نورٌ، على منابر مِنْ نور، لا يخافون إذا خاف الناسُ، ولا يحزنون إذا حزن الناس، ثمَّ قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾**»(٥) [يونس: ٦٢].

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٦٧). (٢) **صحيح**: م: (٢٥٦٦).
(٣) **صحيح**: خ: (٦٢٩)، م: (١٠٣١).
(٤) **صحيح**: ت: (٢٣٩٠)، [«ص.ج» (٤٣١٢)].
(٥) **صحيح**: حب: (٥٧٣)، ع: (١٠/ ٤٩٥)، هب: (٦/ ٤٨٥)، [«ص.غ.هـ» (٣٠٢٣)].

سابعاً: من ثمار الحب في الله والبغض في الله، أن المتحابين يشعرون بحلاوة الإيمان في قلوبهم، يقول ﷺ: «**من سره أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله**»(١). ويقول ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان** ـ ذكر منها ـ: **أن يحب المرء لا يحبه إلا لله**»(٢).

ثامناً: ومن ثمار الحب في الله والبغض في الله كما جاء في وصيته ﷺ التي معنا في هذا اليوم، حيث قال ﷺ: «**من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»(٣).

تاسعاً: ومن ثمار الحب في الله والبغض في الله أَنه طريق إلى الجنة، يقول ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»(٤).

عباد الله! ثمار عظيمة نجنيها من الحب في الله، والبغض في الله، فهي قُربة واللهِ نتقرب بها إلى الله، فمن أحب لله وأبغض لله فليعمل جاهداً على أن يموت على ذلك؛ فهو شرف عظيم، وهو دليل الإيمان، وهو دليل العقيدة الصحيحة.

وهناك أسباب تزيد من الحب في الله، وها أنا أضعها بين أيديكم يا عباد الله لنزداد حباً على حبكم، وليكون الحب بيننا في الله ولله ﷻ.

فمن الأسباب التي تزيد الحب في الله:

أولاً: أن تخبر أخاك أنك تحبه في الله، أن تقول له: إني أحبك في الله، فيقول هو لك: أَحَبَّكَ الله الذي أحببتني من أجله، يقول ﷺ:

---

(١) **حسن**: حم: (٢/٢٩٨)، ك: (١/٤٤)، هب: (٦/٤٩١)، حل: (٤/١٥٤)، [«ص.ج» (٦٢٨٨)].

(٢) **صحيح**: خ: (١٦)، م: (٤٣).

(٣) **صحيح**: د: (٤٦٨١)، طب: (٨/١٣٤)، ش: (٧/١٣٠)، [«ص.ج» (٥٩٦٥)].

(٤) **صحيح**: م: (٥٤).

«إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه»(١).

وأُشْهِدُ الله على ما في قلبي أني أحبكم ـ يا من تأتون إلى هذا المسجد ـ في الله ﷻ وأحب كل من جاء منكم محباً لله، ولرسوله، ولمنهج أصحاب رسول الله ﷺ في هذا المسجد خاصة، وفي كل مساجد الدنيا عامة، والله يشهد على ما أقول.

فإذا أخبرت أخاك أنك تحبه في الله، فهذا يورث المحبة ويزيد من الألفة بينكما.

ثانياً: عليك أن تفشي السلام بين إخوانك، فإفشاء السلام على من عرفت من إخوانك ومن لم تعرف يزيد من المحبة، ولعل الكثير من شباب هذا العصر لا يلقي السلام إلا على من هو من حزبه أو على مَنْ هو على طريقته المبتدَعة!.

أمة الإسلام! أفشوا السلام بين إخوانكم: من عرفتم منهم، ومن لم تعرفوا، فالسلام لله، وهو اسم من أسماء الله.

يقول ﷺ: **«والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموهُ تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»**(٢).

ثالثاً: من الأشياء التي تزيد المحبة الهدية يقول ﷺ: **«تهادوا تحابوا»**(٣)، فإذا قدم أحدنا هدية متواضعة لأخيه في الله فهي تزيد من المحبة إن كانت لله، أما إذا قُدِّمت بنية أو بقصد غير ذلك فهي رشوة، وإن سماها الناس هدية.

---

(١) **صحيح**: د: (٥١٢٤)، ت: (٢٣٩٢)، حم: (٤/ ١٣٠)، حب: (٥٧٠)، ك: (٤/ ١٨٩)، خد: (٥٤٢)، طب: (٢٠/ ٢٧٩)، [«ص.ج» (٢٧٩)].

(٢) **صحيح**: م: (٥٤).

(٣) **حسن**: خد: (٥٩٤)، ع: (١١/ ٩)، هب: (٦/ ٤٧٩)، هق: (٦/ ١٦٩)، [«ص.ج» (٣٠٠٤)].

رابعاً: ومن الأشياء التي تزيد المحبة الزيارة، أن تتخوله بالزيارة لا تكثر، ولا تقلل، ولكن بَيْن ذلك كما قال ﷺ: «**زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً**»[1].

خامساً: من الأمور التي تزيد الحب في الله القصد في الحب والبغض، لقوله ﷺ: «**أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما**»[2].

سادساً: من الأمور التي تزيد المحبة في الله الطاعة لله والإخلاص لله.

فالإنسان إذا زاد من الطاعة، وأخلص لله عز وجل حببه الله إلى الناس وحبب الناس إليه ووضع له القبول في الأرض.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦]؛ أي: محبة ووداً بين الناس.

فعلى الإخوة أن يكثروا من الطاعات، ومن الأعمال الصالحة؛ فهي تزيد من المحبة بينهم في الله.

عباد الله! لما ذكرنا الأسباب التي تقوي المحبة، فمن العدل أيضاً أن نذكر الأسباب التي تفرق بين الأحبة:

أولاً: المعاصي والذنوب: فالمعاصي والذنوب تفرق بين الأحبة، يقول ﷺ: «**ما تواد اثنان في الله** ـ أي: ما تحابَّ اثنان في الله ـ **فَيُفَرَّق بينهما إلا بذنب يُحْدثه أحدهما**»[3]. متى يبدأ الفراق؟ إذا اقترف أحدهما ذنباً في حق الله يُفَرَّق بينهما، فاحذروا المعاصي والذنوب يا معشر

---

(١) **صحيح**: ك: (٣/ ٣٩٠)، طب: (٤/ ٢١)، طس: (٣/ ٢٤٨)، طص: (١/ ١٨٧)، لس: (٢٥٣٥)، هب: (٦/ ٣٢٦)، حل: (٣/ ٣٢٢)، [«ص.ج» (٣٥٦٨)].

(٢) **صحيح**: ت: (١٩٩٧)، خد: (١٣٢١)، طس: (٣/ ٣٥٧)، ش: (٧/ ٢٦٠)، هب: (٥/ ٢٦٠)، [«ص.ج» (١٧٨)].

(٣) **صحيح**: خد: (٤٠١)، حم: (٢/ ٦٨)، [«ص.ج» (٥٦٠٣)].

الإخوة، يا معشر الشباب، مثلاً: اثنان تحابا في الله أحدهما دخن (سيجارة) واحدة فَفُرِّقَ بينه وبين أخيه، اثنان تحابا في الله فوقع أحدهما في الكذب فَفُرِّقَ بينه وبين أخيه، اثنان تحابا في الله فاغتاب أحدهما الآخر فَفُرِّقَ بينهما، فاحذروا المعاصي يا عباد الله.

ثانياً: الاستماع للنمامين، وفتح الأبواب أمام النمامين وهذا سبب رئيسي يفرّق بين الأحبة، يقول ﷺ: «**ألا أخبركم بشراركم؟ المشاءون بالنميمة، المفسدون بَيْن الأحبة، الباغون للبرآء العنت**»(١).

إخوة الإسلام! وهنا سؤال مهم وهو لماذا نحرص على الحب في الله والبغض في الله فقط؟ هل يؤثر ذلك على الأمة؟ الجواب: نعم.

أولاً: الحب في الله والبغض في الله يجعلنا كالبناء الواحد في تماسكه وقوته وترابطه كما قال ﷺ: («المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُ بعضه بعضاً» وشبك بين أصابعه)(٢)، ولا يمكن أبداً أن نكون كذلك إلا بالحب في الله، والبغض في الله كما قال ـ تعالى ـ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩].

ثانياً: الحب في الله والبغض في الله يجعلنا كالجسد الواحد في حساسيته، وتأثره يقول ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(٣). فنتأثر ونشعر بإخواننا في كل مكان، ولقد كانوا في الصدر الأول إذا اعتدي على أحد من المسلمين تأثر بذلك كل من على وجه الأرض من المسلمين فانظروا إلى حالنا اليوم: اعتداء على ديننا، اعتداء على كتاب ربنا، اعتداء على رسولنا، ومع ذلك نغط في نومنا ولا نحرِّك ساكناً ولا نملك إلَّا القيل والقال في المجالس، ولكن هل فكرتم لِمَ

---

(١) **حسن**: حم: (٦/ ٤٥٩)، [«الموسوعة الحديثية»] وقد تقدم تخريجه.
(٢) **صحيح**: خ: (٢٣١٤)، م: (٢٥٨٥).
(٣) **صحيح**: خ: (٥٦٦٥)، م: (٢٥٨٦).

وصلنا إلى ذلك؟ فقد اعتدى علينا من كانوا لا يتكلمون إذا جلسوا بين المسلمين! من كانوا لا يمشون على الطريق إذا سار عليها المسلمون! فلماذا هم يتكلمون اليوم ويعتدون علينا؟ لأننا غثاءٌ كغثاء السيل لا قيمة لنا؛ لأننا تشبهنا بهم في لباسنا وفي أشكالنا، وفي بيوتنا، وفي نسائنا وبناتنا، فأصبحنا لا قيمة لنا، اعتز الأولون بالإسلام فأعزهم الله بالإسلام، ونحن قد اعتز كل منا بوطنه وعشيرته ومنصبه وجاهه وماله فأذلنا الله، ووالله لن تعود لنا العزة مرة ثانية حتى نعود إلىٰ ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه من الحب في اللهِ والبغض في الله، وهذا ما سيجعلنا كالجسد الواحد حتى إذا اعتدى أحد على أحد من المسلمين، أو اعتدى على كتاب ربنا، أو على سنّة نبينا فإننا حينئذٍ سنتأثر جميعاً لذلك، ونقف وقفة رجل واحد في وَجْه هذا المعتدي.

واعلموا يا أمة الإسلام في كل مكان بأن هذا الدين هو دين الله، وأن هذا القرآن هو كتاب الله، ووالله إنْ لم نعد لديننا وإن لم نتمسك بديننا وإن لم نعتصم بقرآننا استبدل الله قوماً غيرنا ثم لا يكونوا أمثالنا جزاءً وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً، فالحب في الله والبغض في الله يجعلنا أمة واحدة، واسمعوا عباد الله قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩]، ثم انظروا إلى حالنا الآن: رحماء على الكفار، أشداء بيننا، السبب أَننا في وادٍ، والإسلام في وادٍ آخر.

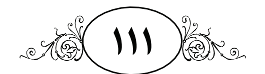
وأتعجب من الرجل يتكلم في المجالس عن الذين اعتدوا على قرآننا، ونبينا، أقول له: هل زوجتك وبناتك محجبات؟ يقول: لا، أقول له هل تصلي؟ يقول: لا، أقول له: هل تضع أموالك في البنك؟ يقول: نعم، أقول له: بأمثالك اعتدي علينا واعتدي على كتاب ربنا وعلى رسولنا ﷺ فهم قد ظنوا أن المسلمين جميعاً على شاكلة هذا العاصي، لا يا أمة الإسلام كلما عدنا إلى ديننا، وتمسكنا بكتابنا، وابتعدنا عن

المعاصي كلما ألقى الله الرعب في قلوب أعدائنا، ولكن إذا ابتعدنا عن ديننا، واقترفنا المعاصي سلط الله علينا أعداءنا جزاءً وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى: ٣٠].

اللّهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

❊ ❊ ❊



الوصية الأربعون:
«مَنْ أتى عرَّافاً أو كاهناً...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الأربعين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أتى عرَّافاً أو كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»(١).

أمة الإسلام! رسولنا ﷺ في هذه الوصية يحذر أمته من الذهاب إلى الكهنة والعرَّافين.

عباد الله! والذي دفعني للحديث عن هذا الموضوع في هذا الوقت بالذات أن كثيراً من الناس يهرولون إلى الكهنة والعرافين، ويظنون بهم أنهم يعلمون الغيب، ويظنون أنهم ينفعون أو يضرون، قلوبهم قد تعلقت بالكهنة والعرافين، فالذي يريد المال يذهب إلى الكهنة والعرافين، والذي يريد الولد، يذهب إلى الكهنة والعرافين، والذي يبحث عن الشفاء يذهب إلى الكهنة والعرافين، نسوا الله فنسيهم، فحل بنا البلاء، ونزل بنا ما لا يخفى على ذي عينين وكل ذلك بما اقترفناه بأيدينا، فأردت أن أذَكِّر أن الذهاب إلى الكهنة والعرافين كفر بما أنزل على محمد ﷺ.

عباد الله! والعناصر التي سنتحدث عنها في هذا الموضوع هي:

أولاً: من هو الكاهن والعراف؟

---

(١) **صحيح**: حم: (٢/ ٤٢٩)، ك: (١/ ٤٩)، طس: (٢/ ١٢٢)، هق: (٨/ ١٣٥)، [«ص.ج» (٥٩٣٩)].

ثانياً: لا يعلم الغيب إلا الله.

ثالثاً: لا ينفع ولا يضر، ولا يشفي من المرض إلا الله.

رابعاً: حذر الإسلام من الذهاب إلى الكهنة والعرافين؛ لأن الذاهب إليهم سيدفع الثمن.

خامساً: نضع النقاط على الحروف ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

فاسمعوا وعوا يا أمة الإسلام.

أولاً: من هو الكاهن والعراف؟

كلاهما دجال، وكذاب، وأفاك، وأثيم، كلاهما يدعي علم الغيب، كلاهما يتعامل مع الجن فيدفع الثمن، والثمن هو أن يشرك بالله ﷻ، والله ﷻ أخبرنا في كتابه عن ذلك فقال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣]. الذي تتنزل عليه الشياطين، والذي يتعامل مع الشياطين هو كل أفاك أثيم، هذا هو الكاهن، وهذا هو العرّاف الذي يدَّعي أنه يعلم الغيب، يدعي أنه يعرف المرض، يدَّعي أَنه يشفي من المرض، يدَّعي أشياءً أمام الجهلة من المسلمين ليأكل أموالهم بالباطل، وكما نرى مَنْ يهرول إليهم ويظن أن عندهم الشفاء، أو أنهم يعلمون الغيب.

العنصر الثاني: لا يعلم الغيب إلا الله.

أمة الإسلام! يجب على المسلم أن يعتقد في قلبه اعتقاداً جازماً أنه لا يعلم الغيب إلا الله؛ لأن الله ﷻ أخبر في كتابه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الجن: ٢٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، فلا

يعلم الغيب إلا الله، وأخبرنا الله في كتابه أن الرسل الكرام لا يعلمون الغيب إلا ما أعلمهم به الله ﷻ عن طريق الوحي، فقال تعالى على لسان رسوله: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فهذا دليل على أن الرسول لا يعلم الغيب، وقال جل وعلا على لسان رسوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠]. فالرسل الكرام لا يعلمون الغيب إلا ما أعلمهم به الله ﷻ عن طريق الوحي.

وكذلك أخبرنا الله ﷻ أن الجن لا يعلمون الغيب. قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: ١٤].

فالجن لا يعلمون الغيب، إذ مات سليمان وهو متكىء على عصاهُ والجن يعملون أمامه في العذاب المهين، ومع ذلك ما دلهم على موت سليمان إلا دابة الأرض عندما أكلت عصاه فخر واقعاً على الأرض، فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، إذن الرسل لا يعلمون الغيب، الجن لا يعلمون الغيب، وكذلك الملائكة لا يعلمون الغيب. قال تعالى للملائكة: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: ٣٢]. وهذا جبريل وهو أفضل الرسل من الملائكة يسأل محمداً ﷺ وهو أفضل الرسل من البشر عن الساعة يقول له: متى الساعة؟ فيقول ﷺ: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»[(١)]؛ أي: لا يعلم رسول الله ﷺ متى الساعة، ولا يعلم جبريل عليه السلام متى الساعة، فالرسل لا يعلمون الغيب، وجبريل من الملائكة المقربين ولا يعلم الغيب، ثم بعد ذلك أيها المسلم، تذهب إلى الكهنة والعرافين وتعتقد أنهم يعلمون الغيب؟!

فيا عبدَ الله إن قالوا لك شيئاً ووقع حقاً فاعلم بأنها كلمة واحدة يلقي بها الجني إلى وليه من الإنس فيكذب عليها مئة كذبة. سُئِلَ ﷺ عن

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٠)، م: (٨).

الكهان فقال: «**ليسوا بشيء**» قالوا: يا رسول الله فإنهم يحدثون أحياناً بالشيء يكون حقاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مئة كذبة**»[(١)]. يذهب المريض الجاهل إلى الكاهن والعراف فإذا دخل عليه، ـ وهو قد جاء من مكان بعيد وإذا بالكاهن يقول له: أنت فلانٌ ابنُ فلان ابن فلانة مريض بكذا منذ كذا، وعندما يخبره بذلك يسلم هذا المريض لهذا الكاهن ويُصَدِّقه، ويؤمن بأن هذا يعلم الغيب، وأَن هذا من أولياء الله، لا يا عباد الله، إنه أخبره بذلك عن طريق الجن بعد أن سجد للجن من دون الله، ولا يعلم الغيب إلا الله.

العنصر الثالث: لا ينفع، ولا يضر، ولا يشفي من المرض، ولا يعطي الأموال والأولاد إلا الله.

عباد الله! كثير منا يعلم بأن الشافي هو الله، ومع ذلك يذهب إلى الكهنة والعرافين، كثير منا يعلم أن الذي يعطي الإناث والذكور هو الله، ومع ذلك إذا غاب الولد عنه بعض سنين ذهب إلى الكهنة والعرافين، فلم ينفع هذا العلم، ولا بد أن تكون هناك عقيدة راسخة في قلبك تخرج من هذه الدنيا عليها وهي أنَّ الأمر كله بيد الله ﷻ، ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١٢٣]، إليه يرجع الأمر كله، تريد ولداً؟ تريد مالاً؟ تريد صحةً؟ تريد شفاءً؟ ارجع إلى الله، ارفع يديك في جوف الليل وادع الله فإليه يرجع الأمر كله، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧].

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٨٥٩)، م: (٢٢٢٨).

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧]، وقال تعالى ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]، إنه عليم بأحوال عباده، قدير بأن يعطي هذا ويحرم هذا، وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٨٠].

فالأمر كله لله، وقد أخبرنا الله عز وجل في كتابه أنه وحده من يجيب المضطر إذا دعاه، وهنا نقول للذين يذهبون إلى الكهنة والعرافين: من الذي يجيب المضطر إذا دعاه؟ أما تقرؤون كتاب الله يا أمة الإسلام؟! يا أمة التوحيد، يا أمة لا إله إلا الله، من الذي يجيب المضطر إذا دعاه؟ من الذي استجاب لأيوب عليه السلام فكشف عنه الضر؟ إنه هو الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

أمة الإسلام! من الذي استجاب لزكريا عندما طلب الولد وأعطاه الولد بعد أن دعاه؟ إنه هو الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

أمة الإسلام! من الذي أخرج يونس عليه السلام من سجنه المظلم البعيد؟ إنه هو الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

أمة الإسلام! من الذي أَخرج يوسف عليه السلام من السجن، وجعله أميناً على خزائن الأرض في بلاد مصر؟ إنه الله، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠٠، ١٠١].

أمة الإسلام! من الذي قال للنار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم؟ إنه الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩].

فيا أمة الإسلام، يا أمة التوحيد! يا من تهرولون إلى الكهنة والعرافين، من الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

أيها المسلم! بعد ما سمعت من أن الأمر كله لله أتذهب إلى الكهنة وإلى العرافين؟!

اعلموا أيها المسلمون: أن النافع هو الله، وأن الشافي هو الله، وأن المعطي هو الله، وأن المانع هو الله، فعلقوا قلوبكم بالله عز وجل، فهذا رسولنا صلى الله عليه وسلم كان يربي أمته على التوحيد، يقول صلى الله عليه وسلم لابن عباس: «**يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام** ـ أي: ما شاء الله كان، وما لم يشأ

لم يكن - **وجفت الصحف**»[(١)].

العنصر الرابع: الإسلام حذر المسلمين وحرم عليهم أن يذهبوا إلى الكهنة والعرافين، أتدرون لم يا عباد الله؟

لأنك إذا ذهبت إليهم فستدفع الثمن، والثمن غالٍ؛ إنه الدين إنها العقيدة، يقول ﷺ في الوصية التي معنا: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»، هذا في حق السائل الذي ذهب إلى العراف وسأله وصدقه فما بالنا بالمسئول؟ فما بالنا بالكاهن والعراف؟ أظن أنه من باب أولى قد كفر بما أنزل على محمد، وقال ﷺ: «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»[(٢)]. انظروا عباد الله إذا ذهب المسلم إلى الكاهن والعراف فسأله ولم يصدقه لم تقبل صلاته أربعين يوماً، وإذا سأله وصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد. ويقول ﷺ: «**من أتى كاهناً فصدقه بما يقول، أو أتى امرأة حائضاً، أو أتى امرأة في دبرها، فقد برىء مما أنزل على محمد**»[(٣)]. وقال ﷺ: «**ليس منا من تطيَّر، ولا من تُطير له، أو تَكَهنَ أو تُكُهنَ له، أو تَسَحَّر أو تُسحر له**»[(٤)].

***عباد الله!* أما العنصر الخامس، فهو أننا سنضع النقاط على الحروف ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.**

أمة الإسلام! ظهر لنا في هذا العصر كهنة وعرافون بثوب جديد بلباس جديد، من رآهم ظن أنهم من أولياء الله، وهم من أشد الناس إفكاً وكذباً ودجلاً على الله ﷻ، هؤلاء يدَّعون أنهم يعلمون الغيب، ويدَّعون أنهم

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، ع: (٤/ ٤٣٠)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٢٣٠).

(٣) **صحيح**: ت: (١٣٥)، هـ: (٦٣٩)، حم: (٢/ ٤٠٨)، مي: (١١٣٦)، هق: (٧/ ١٩٨)، [«ص.ج» (٥٩٤٢)].

(٤) **صحيح**: طب: (١٨/ ١٦٢)، [«ص.ج» (٥٤٣٥)].

يقومون بإجراء العمليات بدون جراحة، وعلى رأس هؤلاء شاب في مدينة «عمان» التي نعيش فيها، ومنكم من يعرفه، يدعي أنه يعالج ويقوم بالعمليات بدون إجراء جراحة، فنقول ـ واضعين النقاط على الحروف وليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ـ:

عباد الله! الرازق هو الله، وعلى المسلم في هذه الدنيا أن يأخذ بالأسباب المشروعة للحصول على الرزق، فإذا أخذ بالأسباب غير المشروعة ليتحصل على الرزق فهو عاصٍ لله وللرسول، كالذي يعيش من وراء السرقة وهو أسلوب غير شرعي وصاحبه مجرم، وكذلك الذي يعيش من وراء الغش فذالك قد سلك طريقاً للرزق غير مشروع فكما أن الرزق من عند الله، والرازق هو الله فالواجب على المسلم أن يسلك طريقاً شرعياً للحصول على الرزق وأن يبتعد عن الأساليب غير المشروعة التي يتحصل الكثير بها على المال، نقول: وكذلك الشافي هو الله، فعلى المسلم في هذه الدنيا أن يأخذ بالأساليب المشروعة للشفاء كالذهاب إلى الطبيب، أو كالرقية المشروعة الثابتة الصحيحة عن رسول الله ﷺ، ولكنه إذا سلك سبيلاً غير شرعي للحصول على الشفاء كشرب الخمر فهو آثم، فإنسان مريض إذا قال له قائل: إذا شربت الخمر شفيت من هذا المرض، هل يجوز له أن يتداوى بالخمر التي حرّمها الله؟ أظن أن الجواب من الجميع لا، كذلك لا يجوز للمسلم أبداً أن يذهب إلى الكهنة والعرافين للعلاج، وإن شفي على يد الكاهن والعراف؛ لأن هذا طريق غير مشروع قد حرّمه الله وحرّمه رسول الله ﷺ فهو حرام إلى يوم القيامة هذا **أولاً**.

ثانياً: نقول لهذا الشاب الذي أَخذ يجمع الأموال من الناس ويأكل أموال الناس بالباطل ـ وأنا أُسرها لكم يا إخوة الإسلام ـ إن هذا العمل وهو الشعوذة والكهانة والعرافة والسحر هذا عمل العاطلين عن العمل في هذا الزمان، فإذا بحث الإنسان عن عمل ولم يجد قال: اشتغل في هذا العمل، وإن كان يؤدي إلى جهنم، المهم أنه عمل يتحصل منه على الأموال الطائلة، فكونوا من هؤلاء على حذر.

ونقول لهذا الشاب: هل أنت طبيب تخرجت من كلية الطب لتجيد إجراء العمليات؟ أظن أن الجواب منه لا، نقول له: هل أنت عالم تقي ورع مشهود لك في العالم الإسلامي بالعلم والفقه والتقوى والورع كما نشهد نحن لأحمد بن حنبل مثلاً، ولشيخ الإسلام ابن تيمية، وللإمام الشافعي وغيرهم هل أنت مثل هؤلاء حتى تقوم بالرقية المشروعة فيجعل الله الشفاء على يديك؟ أظن أن الجواب منه بصدق لا، والله ربما حتى صلاة الجماعة لا يصليها في المسجد فنقول له: إذاً كيف تعمل هذه العمليات؟ إذا أبى الجواب نقول له: نخبرك نحن، أنت تتعامل مع الجن، ولنكشف أوراقه ولنفضحه ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، حتى إذا ذهب أحدكم بعد ذلك إليه فلا يلومن إلا نفسه.

ولقد اتصلت امرأة بي هاتفياً وقد ذهبت إلى هذا الشاب الجاهل المشعوذ وتقول: بأنه قد أجرى لها عملية فقلت لها: وكيف أجرى لك العملية أخبريني بطريقة العملية؟ فأبت المرأة أن تخبرني بذلك، فيا أمة الإسلام، رجل مسلم يذهب بامرأته لتدخل مع شاب يتعامل مع الجن، ويدخلها في غرفة مظلمة يسكنها الجن، كيف أمن على عرضه؟! اتركها مريضة والشافي هو الله، أتفرط في العرض مقابل أن تمشي على رجليها مقابل أن تشفى من مرضها! الشافي هو الله، وما ظنكم بالله يا عباد الله!

ونقول لهذا الشاب: أنت تتعامل مع الجن، والإنسان إذا تعامل مع الجن قدم الثمن، فالجن يخدم، ولكن يطلب منك الثمن، والجن عندهم مقدرة عالية لا يقدر عليها البشر أما تقرءون القرآن؟ هذا عفريت من الجن قال لسليمان عليه السلام ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩]؛ أي: بعرش بلقيس يأتي به من اليمن إلى بلاد الشام فالجن عندهم مقدرة، وقد يستطيعون القيام بهذه العمليات، ولكن هذا طريق غير مشروع.

الذاهب إلى الكهنة قد كفر بما أنزل على محمد، والكاهن والعراف والساحر يقدم الثمن حتى يخدمه الجن، والثمن هو أن يكفر بالله، أن يشرك بالله، أن يكفر بما أُنزل على محمد ﷺ ولذلك ترى هذا الكاهن، وهذا العراف يضع كتاب الله في بيت الخلاء ليبول عليه فهل بعد هذا الكفر من كفر؟! أو تراه يكتب كلام الله بدم الحيض النجس، أو تراه يكتب كلام الله بالبول النجس وهل بعد هذا الكفر من كفر؟! أو تراه يسجد لصنم، أو تراه يذبح لغير الله، أو تراه يزني بأمه وأخته حتى يُرضي الشيطان، فإن فعل الكاهن ذلك وقدم الثمن قام الجن والشيطان بخدمته وبأي أمر منه كان، ومع ذلك فالجن يكذبون، والأصل فيهم الكذب كما قال ﷺ لأبي هريرة: «**صدقك وهو كذوب**»[1]، ويوم القيامة إذا حشر الإنس والجن: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨]، فالنار مثوى شياطين الجن ومن استعان بهم من شياطين الإنس.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن: ٦].

أخي الإسلام! لعلك إن ذهبت إلى هؤلاء، وضعوا لك السم في العسل كأن يتعاملون مع الجن بطلاسم لا تعرفها، ثم يقرءون عليك شيئاً من القرآن لتظن بجهلك أنهم يرقون بالقرآن فلا تنخدع فإنما جعل الله ﷻ الشفاء في القرآن، فاقرأ أنت أيها الزوج على زوجتك، اقرأ أنت أيها الوالد على ابنتك، اقرأ أنت أيها الأخ على أختك، وإياك إياك أن تذهب إلى هؤلاء.

---

(١) **صحيح**: خ: (٢١٨٧).

يقول ﷺ: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»[١]، وقال ﷺ: «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل صلاته أربعين ليلة**»[٢].

اللّهم قد بلغت اللّهم فاشهد،

اللّهم قد بلغت اللّهم فاشهد، اللّهم قد بلغت اللّهم فاشهد

اللّهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

* * *

(١) **صحيح**: حم: (٢/٤٢٩)، ك: (١/٤٩)، [«ص.ج» (٥٩٣٩)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٢٣٠).

١١٢

الوصية الحادية والأربعون:
«اجتنبوا السبع الموبقات..»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الحادية والأربعين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات!**» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»[(١)].

عباد الله! رسولنا ﷺ في هذه الوصية يحذر أمته فيقول ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» ـ أي: اجتنبوا السبع المهلكات التي تهلك صاحبها في الدنيا والآخرة ـ.

وسنتحدث في هذا اليوم عن واحدةٍ من هذه المهلكات ألا وهي «السحر»:

«**السحر**» مرض خطير، ومرض فتاك، قد عم وطم في هذا الزمان، وانتشر، وإننا نرى كثيراً من المسلمين يهرولون إلى السحرة، ويصطفون على أبواب السحرة، ظانين أنهم ينفعون أو يضرون.

بل والله الذي لا إله غيره إن كثيراً من المسلمين في هذا الزمان يخافون من السحر، ومن السحرة، أكثر مما يخافون من الله.

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٦١٥)، م: (٨٩).

وحديثنا عن السحر في هذا اليوم سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: ما هو السحر؟ ومن هو الساحر؟ وما هو حكم الساحر في الإسلام؟

العنصر الثاني: الناس مع السحر طرفان ووسط.

العنصر الثالث: علاج السحر علاجان: علاج محرم غير مشروع، وعلاج حلال مشروع.

العنصر الرابع: نضع النقاط على الحروف ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

عباد الله، ما هو السحر؟ هو عزائم، ورقى، وعقدٌ، وبخور، وحجب، وطلاسم يؤثر في القلوب، والأبدان فيُمْرض، ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الفلق: ١ ـ ٤]؛ أي: ومن شر الساحرات اللاتي يعقدن، ثم ينفثن في عقدهن.

إذن السحر عمل خبيث لا يقوم به إلا أخبث المخلوقات وهم شياطين الإنس والجن.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فالسحر عمل خبيث والقائم به أخبث المخلوقات، وهم شياطين الجن والإنس.

أمة الإسلام! أساتذة السحر في العالم قديماً وحديثاً هم اليهود لعنهم الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا

مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ - وهم اليهود - ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٠ - ١٠٢].

ففي هذه الآيات - التي جاءت في سياق الحديث عن اليهود - يبيّن لنا ربنا جل وعلا أَن اليهود نبذوا كتاب ربهم وراء ظهورهم، وأقبلوا على السحر يتعلمونه ويعملون به، وينشرونه في العالم، فما من ساحر تعلم السحر إلا وتعلمه على أيدي اليهود فهم يقومون بالسحر، ويسحرون من شاءوا في بلاد المسلمين، فاعلموا ذلك عباد الله.

ثم يا أمة الإسلام! الذي يقوم بهذا العمل الخبيث هو الساحر بعد أن يتعاون مع قرينه من شياطين الجن، فالسحر تعاون بين شيطان الإنس - أي: الساحر - مع شيطان الجن ولكن كما قلنا في الجمعة الماضية: الجن لا تقوم بخدمة الساحر إلا بعد أن يدفع الثمن وهو الكفر بالله، أو الشرك بالله.

قال - تعالى -: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢].

عباد الله! ومن أراد منكم أن يتعرف على كذب الساحر ومعاصيه فليدخل إلى بيت الساحر؛ ليكتشف ماذا يفعل هذا المجرم في كتاب الله، أو ماذا يفعل طاعة لوليه الشيطان، فإنهم يعملون أعمالاً في الخفاء لا يعلمها إلا الله، وإن ظهروا لنا بلحى، وإن صلوا معنا في المساجد، وإن ادعوا أنهم يقرءون القرآن، ولكن الواحد منهم إذا عمل حجاباً أو تكلم، أو دخل في غرفته المظلمة تكلم بالطلاسم، وكتب الخطوط المقطعة، والأحرف التي لا يعرفها إلا الجن، وهذا من الأسرار التي بينه وبين الشيطان وبذلك يقوم الجني بخدمته، ولأجل ذلك ولما كان الساحر جرثومة في المجتمع يفسد ويسعى في الأرض فساداً، ليضر بالناس، ويفرق بين المرء وزوجه كان حده في الإسلام الضرب بالسيف، هذا هو

حد الساحر في ظل الإسلام ضربة بالسيف تطهيراً لمجتمع المسلمين من أمثال هؤلاء.

كتب عمر الفاروق رضي الله عنه ـ في خلافته ـ إلى كل بلاد المسلمين: (أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ـ فقاموا بتنفيذ أوامره ـ وقتلوا ثلاث سواحر)(١).

وعن جُندبُ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**حد الساحر ضربة بالسيف**»(٢).

(وكان عند حفصة رضي الله عنها جارية لها، فسحرت هذه الجارية حفصة، فأمرت حفصة رضي الله عنها بقتلها)(٣).

ويقول الإمام مالك: (الساحر يقتل).

ويقول ابن حجر رحمه الله: (الساحر زنديق يجب أن يقتل)، ومن العلماء من قال الساحر يستتاب فإن تاب وإلا قتل، ومن العلماء من قال: الساحر يقتل دون أن يستتاب؛ لأنه كذاب وإن تاب أمام الناس فإنه قد يعمل السحر في الخفاء، وإذا فعلنا ذلك طهرت مجتمعات المسلمين من السحرة ومن إفسادهم.

أمة الإسلام! هذا هو السحر، وهذا هو الساحر، وهذا هو حكم الساحر في الإسلام.

العنصر الثاني: الناس في إثبات السحر ـ ومع السحر ـ طرفان ووسط.

الطرف الأول: من ينكرون السحر بالكلية كالمعتزلة ومن نهج نهجهم

---

(١) **صحيح**: د: (٣٠٤٣)، حم: (١/ ١٩٠)، فع: (١٧٦١)، قط: (٢/ ١٥٤)، ع: (٢/ ١٦٦)، بز: (٣/ ٢٦٨)، ش: (٥/ ٥٦٢)، هق: (٨/ ١٣٦)، [«ص.د» (٢٦٢٤)].

(٢) **ضعيف**: ت: (١٤٦٠)، ك: (٤/ ٤٠١)، قط: (٣/ ١١٤)، طب: (٢/ ١٦١)، هق: (٨/ ١٣٦)، [«ض.ج» (٢٦٩٩)].

(٣) طب: (٢٣/ ١٨٧)، عب: (١٠/ ١٨٠)، ش: (٥/ ٤٥٣).

فهم ينكرون السحر وقد ضلوا بهذا الإنكار ضلالاً مبيناً؛ لأنهم كذبوا بذلك الكتاب والسنّة.

الطرف الثاني: أثبتوا السحر وقالوا: إن له حقيقة، وإنه موجود، وإنه يضر وينفع ولكنهم غالوا في ذلك كثيراً حتى أنهم إذا شعروا بشيء في أجسادهم اعتقدوا أن ذلك من السحر، وإذا أراد أحدهم أن يتزوج مثلاً تراه يخاف من السحرة، وكثير من الناس إذا اشتكى رأسه قال: أنا مسحور، وإذا اشتكى بطنه قال: أنا مسحور، والفتاة إذا لم تتزوج قالوا: إنها مسحورة، والمرأة إذا لم تحمل قالوا: إنها مسحورة، والرجل إذا لم يجد عملاً قالوا: إنه مسحور، فأولئك علقوا القلوب بالسحر، وخافوا من السحرة، فحالهم هذا إفراط وتفريط، فطرف ينكرون السحر، وطرف يعتقدون في السحر ويخافون من السحرة حتى أصبحوا يقولون عن كل شيء: إنه من السحر، ونسوا أن يعلقوا قلوبهم برب العالمين.

والحق يا عباد الله هو الوسط الذين أثبتوا السحر واعتقدوا أنه موجود، واعتقدوا أَن له حقيقة، ولكن مع ذلك اعتقدوا أنه لا ينفع ولا يضر إلا بإذن الله فهم لا يخافون من السحرة، ولا يهابون من السحرة، ويعتقدون أن السحرة من كل بلاد الدنيا لو اجتمعوا في مكان واحد يكيدون لمسلم آمن بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ما ضروه أبداً، ولا نالوه بأذى ـ إلا أن يشاء الله ـ، وهذه عقيدة راسخة في قلوبهم يؤمنون بأن السحر موجود، والسحرة موجودون، ولكن لا يضر السحر ولا ينفع إلا بإذن الله، فإذا كان الأمر بيد الله ﷻ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣] فعلينا أن لا نعلق القلوب إلا بالله، وقد جاءت الأدلة من كتاب ربنا ومن سنّة نبينا تبيّن أن السحر موجود فلا ننكره، وأن له حقيقة، وأنه يؤثر في القلوب والأبدان، وأنه يمرض ويميت ويقتل الإنسان، وأنه يفرق بين المرء وزوجه، ولكن كل ذلك لا يكون إلا بإذن الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فهذا دليل على وجود السحر والسحرة.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟﴾ ـ أي السحرة ـ ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١]، وفي الآية دليل على وجود السحر والسحرة.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ ـ أي السحرة ـ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٧ ـ ٦٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأعراف: ١٢٠، ١٢١]، إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على وجود السحر والسحرة، أما من السنّة:

فتقول عائشة رضي الله عنها: (سُحِرَ رسول الله حتى يخيل له أَنه يفعل الشيء ولا يفعله، والذي سحره هو يهودي من بني زريق يسمى لبيد ابن الأعصم، ولكن الرسول ﷺ دعا ربه، واستغاث بربه، فرفع الله عنه هذا الكرب، وشفاه من هذا السحر)[1]، وهذا دليل على وجود السحر والسحرة، ويقول ﷺ في الوصية التي معنا: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» وذكر منها «**السحر**»، ويقول ﷺ: «**ليس منا من تَطَيرَ أو تُطير له، أو تَكهن أو تُكهن له، أو سحر أو سُحر له، ومن أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»[2].

ويقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم**»[3]، فالأدلة من كتاب ربنا، ومن سنّة نبينا تبيّن أَن السحر موجود

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٤٣٠)، م: (٢١٨٩).

(٢) **صحيح لغيره**: [«ص.غ.هـ» (٣٠٤١)].

(٣) **حسن لغيره**: حم: (٤/٣٩٩)، حب: (٦١٣٧)، ع: (١٣/١٨١)، [«ص.غ.هـ» (٢٣٦٢)].

وأن له حقيقة لكنها تؤكد أنه لا يؤثر إلا بإذن الله.

أما العلاج من السحر والذي هو محرّم غير مشروع فهو الذهاب إلى السحرة لإبطال السحر، وهذا ما وقع فيه الكثير يا أمة الإسلام، وللأسف الشديد ترى كثيراً ممن يصلّون، ويسمعون المواعظ ـ في شدة مرضهم ـ إذا قال لهم قائل: هذا فلان يقرأ القرآن فاذهب إليه يعرف مكان السحر، ويبطله لك ذهب إليه مهرولاً!.

عباد الله! حتى لو ذهب المريض المسحور إلى هذا الساحر وقرأ كما يدَّعي القرآن ثم نطق الجن على لسان هذا المسحور، وقال: فلان هو الذي سحرك، والسحر في المكان الفلاني، فالجني كذاب، والساحر كذاب، فكونوا من هؤلاء على حذر، وحتى لو أن الساحر عرف مكان السحر وأبطله بسحره فهذا عمل حرام وغير مشروع أتعلمون لِمَ يا عباد الله؟ لأن الساحر قبل أن يقوم بهذا العمل دفع الثمن وهو كفره بالله، وأنت أيها الذاهب إلى الساحر إذا ذهبت لتسأله فقط لم تقبل صلاتك أربعين يوماً، وإذا صدقته بما يقول فقد كفرت بما أنزل على محمد، فانظروا إلى هذا الثمن، إنه غالٍ، لم تقبل صلاتك أربعين يوماً إذا لم تصدق، وإذا صدقته واعتقدت بما يقول واعتقدت أَنه يعلم الغيب فقد كفرت بما أنزل على محمد.

• واعلموا عباد الله أن الذهاب إلى السحرة لإبطال السحر استعانة بغير الله، والاستعانة بغير الله حرام.

واعلموا عباد الله أن الذهاب إلى السحرة لإبطال السحر استغاثة بغير الله والاستغاثة بغير الله حرام.

واعلموا أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس منا من تطير أو تُطير له أو تكهن أو تُكهن له أو سحر أو سُحِرَ له**»[(١)]. فكونوا من السحرة والسحر

---

(١) **صحيح**: طب: (١٨/ ١٦٢)، [«س.ص» (٢١٩٥)].

على حذر، واعلم أيها الذاهب إلى الساحر أنك ستندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

عباد الله! أَما علاج السحر المشروع، والعلاج الحلال، والعلاج الفعال فكلنا نعرفه ولكن لا نعمل به وهذه هي الطامة الكبرى، وهو ما يلي:

أولاً: سلاحك، وحصنك الحصين ـ حتى لا يؤثر فيك هذا السحر ـ هو العقيدة الصحيحة، عقيدة التوحيد، أَن تعتقد في قلبك عقيدة صحيحة ثابتة راسخة لا تتزحزح من قلبك وإن تزحزحت الجبال من أماكنها بأَنه لا ينفع ولا يضر إلا الله.

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢] فكن من عباد الله، ولا تخف واستعن بالله ولا تعجز، واحتم بحمى الله ولا تخف ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، فعلى المسلم أولّاً أن يحصِّن نفسه بالعقيدة. فإن كنت تصلي ولكن تعتقد أن الساحر ينفع أو يضر! فهذه عقيدة فاسدة، إن كنت تصلي ولكنك تستغيث بغير الله فهذه عقيدة فاسدة، وإن كنت تصلي ولكنك تستعين بالسحر لإبطال السحر، أو لعلاج المرض، فهذه عقيدة فاسدة.

ثانياً: عليك أن تحافظ على الأذكار، فذكر الله هو الحصن الحصين من السحر، والذاكر لله إذا عُمِل له السحر أو كاد السحر أن يؤثر فيه أبطله الله.

يقول الله على لسان موسى: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ [يونس: ٨١] أعرفتم يا أمة الإسلام من الذي يبطل السحر؟ إنه الله وحده.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ وأنتم تقولون: إن الساحر سيبطله! وحتى إن أبطله الساحر فحرام عليك أن تذهب إليه.

عباد الله! الذكر هو: أن تذكر الله عندما تنام، وأن تذكر الله إذا استيقظت من نومك، أَن تذكر الله إذا دخلت المسجد، أَن تذكره إذا خرجت من المسجد، أن تذكر الله إذا دخلت بيت الخلاء، أن تذكره إذا

خرجت من بيت الخلاء، أن تذكره إذا جامعت أهلك، أن تذكره إذا ذهبت إلى أي مكان، ويجب على المسلم أن يتعلم كيف يذكر الله ﷻ. وعليه أن يعلم أن مَنْ قال: لا إله إلا الله في اليوم مئة مرة كان في حرز من الشيطان طوال يومه، وأما من غفل عَنْ ذكر الله فذاك استحوذ عليه الشيطان قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦].

فذكرُ الله يبعد عنك شياطين الإنس والجن، وإذا ابتعدت عن ذكر الله هجمت عليك شياطين الأنس والجن ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩].

وأقول يا أمة الإسلام كثير من الناس يقول: أنا مسحور، فإذا قلنا له ما الدليل على أَنك مسحور؟ يقول أشعر بصداع ولا أنام الليل، أشعر بأرق، أشعر بضنك في الحياة، إلى غير ذلك نقول له: إن كلّاً منا يشعر بذلك وهذا ليس دليلاً على أَنك مسحور، إنما هذا إيحاء من الشيطان حتى تضل يا عبد الله، ونقول له: وإن افترضنا أنك مسحور فعليك بالذكر، وبدعاء الله ﷻ فبهذا تبطل هذا السحر، أَما أن تظن أن هناك أبطال من أبطال الرقى، ومن أبطال السحر، والتمائم، والتولة، وهم مَنْ يفكون عنك السحر، فلا يا عبد الله، إن هذا هو الضلال المبين.

عليك بسورة الفاتحة، احفظها، واقرأها بيقين فإن الله جعلها شافية، ووالله الذي لا إله غيره ولا رب سواه إن كثيراً من أصحاب العقيدة الصحيحة إذا ابتلي بمرض وضع يده على جسده وقرأ الفاتحة بعقيدة سليمة وإخلاص لله فإن الله ﷻ يشفيه، اقرأ آية الكرسي واحفظها، اقرأ آخر سورة البقرة اقرأ المعوذات، ففي كلام الله الشفاء، نعم، الشفاء بين أيدينا يا عبد الله أفتترك كتاب الله، أتترك القرآن الذي بين يديك، أتترك الفاتحة والمعوذات وتذهب إلى شيطانٍ من شياطين الإنس، وما هو إلا ساحر يصنع لك حجاباً، ـ والله أعلم بما وضع لك فيه ـ فتضعه في عنقك، وتظن أَن هذا الذي يدفع عنك الشر؟! إن هذا لهو الضلال المبين.

إخوة الإسلام! **العنصر الرابع**: هو أن نضع النقاط على الحروف ليهلك من هلك عن بيِّنة ويحيا من حي عن بينة، فنقول يا أمة الإسلام: السحر هلاك فمن اقترب منه هلك سواء كان ذلك بتعليمه، أو بسؤال الساحر، فاجتنبوا السبع المهلكات ومنها السحر.

أمة الإسلام! الله ﷻ ربط الحياة الطيبة في هذه الدنيا وفي الآخرة بالعمل الصالح.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، فيا من تريدون الحياة الطيبة والسعادة والطمأنينة، والصحة، والغنى والوفاق في الحياة الزوجية، عليكم بالإكثار من الأعمال الصالحة وإلا فقد أخبرنا الله ﷻ أنه ربط الشقاء والضنك والكرب، والفقر والأمراض، والحياة التعيسة بالابتعاد عن الأعمال الصالحة وبالابتعاد عن ذكر الله تعالى. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، فاختر لنفسك ما شئت، واعلم أنك إذا كنت في ضنك في حياتك الزوجية، أو في مالك، أو في صحتك، أو كنت مسحوراً، أو مريضاً، فاعلم أن ذلك بسبب المعاصي.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى: ٣٠]، وإذا أردت أن تحيا حياة طيبة في كل شيء فعليك بالعمل الصالح، بالمحافظة على الصلاة، بالابتعاد عن قطيعة الرحم، بالابتعاد عن الربا، بالابتعاد عن الغيبة والنميمة. ابتعد عن المعاصي، وأقبل على طاعة الله، فمن عاش حياة طيبة فليحمد الله، ومن عاش في ضنك بسبب معاصيه فلا يلومن إلا نفسه.

ونقول: يا من تذهبون إلى السحرة أين تذهبون؟ أتذهبون إلى الهلاك والضلال! أتنفقون أموالكم في معصية الله! ماذا تستفيدون من الساحر؟ ماذا يفعل لكم الساحر؟ إنه بشر مخلوق لا يضر ولا ينفع، ولا ينفع حتى نفسه ولا يملك أن يكشف الضر عن نفسه فأين تذهبون؟

يا أيها المسلم يا من تقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ إلى أين أنت ذاهب؟! إلى الساحر! لينفعك أو ليضرَّ غيرك إن هذا هو الضلال المبين! يا من تذهبون إلى السحرة، احذروا فستندمون في وقت لا ينفع فيه الندم.

ونقول: يا معشر السحرة، ويا معشر الكهنة والمشعوذين، ماذا تفعلون؟! اتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله.

• أيها الساحر يا من تفرّق بين المرء وزوجه، يا من تصنع السحر لتضر به الناس اتقِ يوماً تقف فيه بين يدي الله، اتقِ يوماً تُسْأَلُ فيه عن مالك من أين اكتسبته.

يا معشر السحرة، تكذبون على الله، وتكذبون على الناس، والله الذي لا إله غيره ولا رب سواه إِن الساحر ليعلم أنه كذاب، وإنه ليضحك على الناس لا يريد إلا المال وهو يعلم أَنه يدجِّل على السذج من المسلمين.

فيا إخوة الإسلام! إياكم والسحر، إياكم والسحرة، فمن هلك بعد أن سمع فلا يلومن إلا نفسه، ومن وجد خيراً يوم القيامة فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه. اللّهم قد بلغت اللّهم فاشهد، اللّهم قد بلغت اللّهم فاشهد، اللّهم قد بلغت اللّهم فاشهد.

اللّهم يا ذا الجلال والإكرام، من ذهب إلى السحرة بعد ذلك وقد سمع ما سمع لا تزيده إلا ضلالاً، ولا تزيده إلا غياً، ولا تزيده إلا بعداً.

ومَنْ تاب وأنابَ إلىٰ الله، وعمل صالحاً فزده هدايةً على هدايته واحفظنا وإياه مِنْ كيد السحرة والمشعوذين.

* * *

١١٣

الوصية الثانية والأربعون:
«لو أنَّ أَهل السماوات والأرض اشتركوا في دمِ مؤمن...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثانية والأربعين:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار**»(١).

عباد الله! رسولنا ﷺ في هذه الوصية يحذر أمته من جريمة القتل، ويقول لهم: لو أن أهل السموات، وأهل الأرض جميعاً اشتركوا في قتل مؤمن لأكبهم الله جميعاً في نار جهنم، فإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدلّ على تحريم القتل.

أمة الإسلام! والذي دفعني للحديث عن هذه الجريمة في هذا اليوم بالذات هو ما نراه من التهاون في ارتكاب جريمة القتل.

فنسمع أن رجلاً قتل مؤمناً من أجل خمسة دنانير، وهذا رجل يقتل مؤمناً؛ لأنه تشاجر معه، وهذا رجل يقتل مؤمناً بسيارته وهو يسير بها بسرعة جنونية، وهذا رجل يقتل مؤمناً أو مؤمنة أو طفلاً بمسدسه عندما يطلق العيار في الهواء، وقد عشنا في هذا الأسبوع في جبهة من العيارات النارية وللأسف الشديد هناك من المصلّين من أطلق العيارات!!:

إن كنتَ لا تدري فتلك مصيبةٌ ... وإن كنتَ تدري فالمصيبة أعظمُ

---

(١) **صحيح**: ت: (١٣٩٨)، [«ص.ج» (٥٢٤٧)].

فنحن نسمع الأعيرة النارية تطلق في كل مكان فنسأل ما هذا؟ فيقولون: رجل يفرح بابنه الذي نجح في امتحان الثانوية العامة! الله الله يا أمة الإسلام! وما هي إلا أيام وجبهة أخرى من الأعيرة النارية تطلق في كل مكان، ما هذا يا عبادَ الله؟ فيقال لنا: هذا رجل يفرح بابنه أو ابنته عند الزواج، وما هي إلا أيام وجبهة أخرى أشد من التي قبلها، أعيرة نارية تطلق في كل مكان، ما هذا يا عباد الله؟ فيقال: لقد فزنا في مباريات كرة القدم.

يا أمة الإسلام! يا أمة التوحيد! يا أمة محمد! يا أمة لا إله إلا الله، أإلى هذا الحد وصلنا؟! أإلى هذا المستوى نزلنا؟! على من تفتحون هذه الأعيرة النارية؟ أتطلقونها إلى السماء على رب العالمين! وهذه الرصاصات التي ترتفع إلى أعلى أين تقع يا أمة الإسلام؟ إنها ستعود مرة ثانية إلى الأرض لتقع على رأس رجل آمنٌ في بيته، أو على رأس امرأة جالسة بين أولادها، أو على رأس طفل بريء فتقتله، فماذا تقول لربك يوم القيامة أيها المطلق لرصاصتك إذا تسببت في قتل امرئٍ بريء؟ فأردت يا أمة الإسلام أَن أحذر من جريمة القتل سواءً كان وقوعها عمداً أو كان ذلك خطأً، أو قتل الإنسان نفسه، فاسمعوا وعوا.

أمة الإسلام! انتشر القتل في هذا الزمان، وتهاونَ الناس فيه حتى إننا نرى القاتل واللهِ لا يدري لِمَ يَقتُل، ونرى المقتول يموت لا يدري لِمَ قُتلْ، وهذا يدلّ على اقتراب الساعة.

أمة الإسلام! القتل جريمة في حق هذا الإنسان المسلم، فالله ﷻ أوجد الإنسان في هذه الدنيا لعبادته، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

- وسخر الله ﷻ كل ما في هذا الكون لخدمة هذا الإنسان الذي خُلِقَ لعبادة الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

- وكرم الله ﷻ هذا الإنسان على جميع المخلوقات.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا ۝٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠].

- وحرم الله ﷻ قتل هذا الإنسان إلا بالحق، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـٔٗاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنٗاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٥١﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال ﷺ: «**أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**»[١].

وهذا الحق الذي يبيح قتل المؤمن قد فسره رسول الله ﷺ فقال: «**لا يحل دمُ امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني والمفارق لدينه التارك للجماعة**»[٢].

الثيب الزاني؛ أي: الرجل المتزوج إذا زنى رُجم حتى الموت والنفس بالنفس: أي من قتل مؤمناً متعمداً قُتل به قصاصاً، جزاء وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً. وأما المفارق لدينه التارك للجماعة؛ فهو من ارتد عن الإسلام. أما غير ذلك فلا يجوز أبداً لمسلم أن يقتل مسلماً إلا خطأً.

أمة الإسلام! وقد جاء الإسلام يحذر من القتل، سواء كان القتل عمداً، أو خطأً، أو أن يقتل الإنسان نفسه.

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٥)، م: (٢٢).

(٢) **صحيح**: خ: (٦٤٨٤)، م: (١٦٧٦).

● أما بالنسبة لقتل العمد فقد جاءت الآيات والأحاديث تحذر منه تحذيراً شديداً، قال الله ﷻ في كتابه محذراً من جريمة القتل العمد.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [النساء: ٢٩، ٣٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾**﴾ [النساء: ٩٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿**مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ**﴾ [المائدة: ٣٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

أمة الإسلام! وقد جاءت الأحاديث النبوية تحذر من جريمة القتل العمد فاسمعوا وعوا.

قال ﷺ في حجة الوداع: «**أيها الناس، إن دماءكم، وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا...... ألا هل بلّغت اللّهم فاشهد**»(١) ويقول: «**كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه**»(٢).

وقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» ـ أي: المهلكات ـ، وذكر منها: «**قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق**»(٣).

---

(١) **صحيح**: خ: (١٦٥٢)، م: (١٦٧٩) انظر الخطبة بتمامها.
(٢) **صحيح**: م: (٢٥٦٤).
(٣) **صحيح**: خ: (٢٦١٥)، م: (٨٩).

وقال ﷺ: «**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق**»(١)، وقال ﷺ: «**لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار**»(٢). وقال ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار**» قلت: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان حريصاً على قتل صاحبه**»(٣).

وقال ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»(٤)، وقال ﷺ «**لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً**»(٥)، وقال ﷺ: «**ليس من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ منها**»(٦). وقال ﷺ: «**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً**»(٧).

أمة الإسلام! وتحذيراً من جريمة القتل العمد فقد أوجب الله علينا القصاص ردعاً للمجرمين عن ارتكاب جريمة القتل.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة: ١٧٩].

فالمجرم إذا أراد أن يقتل، وعلم أَنه سيُقتل ارتدع عن القتل، فأحيا نفسه وأحيا الذي كان يريد أن يقتله وهذا معنى الحياة في الآية.

فإقامة الحدود والاقتصاص من القاتل حياة يا أولي الألباب، ففيه الحفاظ على أرواح المؤمنين، وأما يوم القيامة فهل تدرون ما أول ما

---

(١) **صحيح**: هـ: (٢٦١٩)، بز: (٦/ ٣٧٥)، هب: (٤/ ٣٤٥)، [«ص.ج» (٥٠٨٧)].
(٢) **صحيح**: ت: (١٣٩٨)، [«ص.ج» (٥٢٤٧)].
(٣) **صحيح**: خ: (٣١)، م: (٢٨٨٨).
(٤) **صحيح**: خ: (١٢١)، م: (٦٥).
(٥) **صحيح**: خ: (٦٤٦٩).
(٦) **صحيح**: خ: (٦٨٩٠).
(٧) **صحيح لغيره**: د: (٤٢٧٠)، ن: (٣٩٨٤)، حم: (٤/ ٩٩)، حب: (٥٩٨٠)، ك: (٤/ ٣٩١)، طب: (١٩/ ٣٦٥)، [«ص.غ.هـ» (٢٤٤٥)].

يقضى فيه بين الناس يوم القيامة؟ اسمعوا، يقول ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»[١]، يقول ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يجيء القاتل والمقتول يوم القيامة متعلق برأس صاحبه، يقول: يا رب، سل هذا لِمَ قتلني**»[٢].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير: ٨، ٩]، الموؤدة تُسأل بأي ذنب قتلت، وهذا سؤال تبكيت لقاتلها، وإلا فهي لا ذنب لها، فكيف يكون حال من وأدها وقتلها.

فيا من أطلقت الأعيرة النارية، إذا جاء الطفل الذي مات أو المرأة التي قتلت أو الرجل الذي قتل بسبب هذه الرصاصة فتعلق بتلابيبك يوم القيامة يقول: يا رب سل هذا لم قتلني؟ فماذا تقول لربك أيها المسلم؟ تقول: كنت أفرح بزواج ابني أو ابنتي! تقول: يا رب أطلقت الرصاصة فرحاً بنجاح ابني في الثانوية العامة! تقول: يا رب أطلقتها فرحاً بفوزنا في مباريات كرة القدم! ماذا تقول لربك يوم القيامة؟!

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

● أما بالنسبة للقتل الخطأ فحفاظاً على أرواح الناس أوجب الله ﷻ على من قتل مؤمناً خطأ الدية والكفارة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ إلى أن قال رب العزة: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٩٢].

فالذي يقتل خطأ كالذي يقتل بسيارته أو أطلق عياراً نارياً لا يريد القتل ولكنه نزل على رجل أو امرأة أو طفل فقتله فهذا عليه الدية.

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٤٧١)، م: (١٦٧٨).

(٢) **صحيح**: هـ: (٢٦٢١)، [«ص.هـ» (٢١٢٢)].

• والدِّية حق للمقتول وتعطى لورثته وهي: مئة من الإبل ولا يجوز لأحد أن يتدخل فيها، وإن أراد أهل المقتول أن يتنازلوا عن حقهم فلهم ذلك.

• أما الكفارة: فهي حق لله ﷻ لا تسقط أبداً عن القاتل خطأ وهي: عتق رقبة، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله.

عباد الله! القتل جريمة شنعاء فمن تورط فيها ندم في الدنيا والآخرة.

وقد حرّم الله على الإنسان أن يقتل نفسه سواء بسكين، أو بسم، أو أحرق نفسه، أو أغرق نفسه، أو خنق نفسه، فقد أعد الله له عذاباً شديداً يوم القيامة، قال ﷺ: «**من تردَّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردَّى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سُمًّا فقتل نفسه فسُمهُ في يده يتحساهُ في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدةٍ فحديدته في يده يَجَأُ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً**»(١).

وقال ﷺ: «**الذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعنها يطعنها في النار**»(٢).

ويقول ﷺ: «**كان فيمن كان قبلكم رجل به جُرحٌ فجزع، فأخذ سكيناً، فحزَّ بها يده فما رقأ الدم حتى مات، قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه حرَّمت عليه الجنة**»(٣).

فالانتحار جريمة عظيمة يظن المسكين أنه بعمله هذا، وبانتحاره سيستريح من هموم الدنيا، ونسى أنه بفعله هذا سينتقل من الدنيا إلى عذاب أليم، إلى أن يلقى الله يوم القيامة.

فيا عبد الله! القتل جريمة، فإياك أن تتورط في جريمة القتل

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٤٤٢)، م: (١٠٩). (٢) **صحيح**: خ: (١٢٩٩).
(٣) **صحيح**: خ: (٣٢٧٦).

سواء كان ذلك عمداً أو خطأ، وإياك أَن تفكر في أن تقتل نفسك، فوجودك في هذه الحياة نعمة من الله لتقوم بحق الله عليك وهو عبادة الله، ولا يجوز لإنسان أن يتعدى عليك بالقتل سواء أكان ذلك عمداً أو خطأ، ولا يجوز لك أن تتعدى على نفسك وأن تقتلها، فالله ﷻ يقول لك إن فعلت ذلك: «**بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة**».

اللّهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً



١١٤

الوصية الثالثة والأربعون:
«أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثالثة والأربعين:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»(١).

عباد الله! رسولنا في هذه الوصية يحذر أمته من الصور والتماثيل ويبيّن لهم أن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون.

أمة الإسلام! الصور والتماثيل لذوات الأرواح مظهر من مظاهر الوثنية، ومدخل من مداخل الشرك، جاء الإسلام وهو دين التوحيد فأغلق هذا الباب، وحرّم الصور والتماثيل.

عباد الله! وحديثنا عن هذا الموضوع في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: حكم الإسلام في الصور والتماثيل.

العنصر الثاني: رسالة إلى المصورين لعلهم يتوبون.

العنصر الثالث: العلة في تحريم الصور والتماثيل.

العنصر الرابع: سؤال وجواب.

---

(١) **صحيح**: حم: (٢/٢٦)، [«ص.ج» (٩٩٩)].

العنصر الخامس: نضع النقاط على الحروف؛ ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

العنصر الأول ـ حكم الإسلام في الصور والتماثيل ـ: لقد حرّم الإسلام الصور والتماثيل تحريماً قطعياً لأنها مظهر من مظاهر الوثنية، ومدخل من مداخل الشرك، فالله ﷻ في كتابه أعلن الحرب على الصور والتماثيل، فقال تعالى على لسان إبراهيم: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢] فهم نحتوا التماثيل من الجبال وصنعوها بأيديهم وسجدوا وركعوا لها وعبدوها من دون الله فقال لهم إبراهيم عليه السلام: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾، وأعلن الحرب على هذه الآلهة المزعومة فقال إبراهيم لقومه: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ۝٥٧ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ۝٥٨﴾ [الأنبياء: ٥٧، ٥٨].

ثم قال إبراهيم: ﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ۝٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٦٧﴾ [الأنبياء: ٦٦، ٦٧].

وهذا رسولنا الكريم ﷺ عندما دخل مكة فاتحاً لها بدأ بالأصنام التي كانت حول الكعبة فحطمها.

وجاءت السنّة المطهرة تحرم الصور والتماثيل، يقول ﷺ كما سمعتم في الوصية التي معنا: «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون..**»، وقال ﷺ: «**إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»(١)، وقال ﷺ: «**قال الله** ﷻ: **ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة**»(٢).
فجاءت الأدلة من كتاب ربنا ومن سنّة نبينا تحرّم الصور والتماثيل تحريماً قطعياً.

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٠٧)، م: (٢١٠٨).
(٢) **صحيح**: خ: (٧١٢٠)، م: (٢١١١).

فيا أمة الإسلام! الصور والتماثيل حرام بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ولا يشك في ذلك إلا جاهل أو ضال.

العنصر الثاني: رسالة إلى المصورين لعلهم يتوبون: أيها المصور، أيها المسكين؛ اعلم أنك ملعون من الله، وملعون من رسول الله ﷺ، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧﴾ [الأحزاب: ٥٧] قال عكرمة في تفسير هذه الآية: (الذين يؤذون الله ورسوله هم أصحاب التصاوير)[١]. إذاً يا أمة الإسلام اعلموا أَن الذين يصورون هذه الصور قد لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً.

ولعن رسول الله ﷺ: «**آكل الربا، وموكله، والواشمة، والمستوشمة، والمصور**»[٢].

- فيا أيها المصور، أنت ملعون من الله، ملعون من رسول الله ﷺ.
- أيها المصور، أنت بهذا العمل ظالم لنفسك وللناس.

يقول ﷺ: «**قال الله** ﷻ: **ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**»[٣]؛ أي: لا أحد أظلم ممن ذهب يخلق كخلق الله.

- أيها المصور، اعلم أنك بهذا العمل من شرار الخلق عند الله يوم القيامة، قال ﷺ: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**»[٤].
- أيها المصور، اعلم أنك يوم القيامة ستخرج من قبرك عريانَ كيوم

---

(١) ش: (٥/ ٢٠٠)، حل: (٣/ ٣٣٨). (٢) **صحيح**: خ: (٥٦١٧).
(٣) **صحيح**: خ: (٧١٢٠)، م: (٢١١١).
(٤) **صحيح**: خ: (٤١٧)، م: (٥٢٨).

ولدتك أمك، لتقف في أرض المحشر، العرق شديد، والزحام شديد، والأقدام حافية، والأجساد عارية، والأبصار شاخصة، وفي هذا الوقت يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ۝٥٣﴾ [الكهف: ٥٣]، أيها المصور، إذا جيء بجهنم إلى أرض المحشر، خرج منها عنق يخطفك من بين الناس، يقول ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة، له عينان يبصر بهما وأذنان تسمعان، ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاثة: بمن جعل مع الله إلهاً آخر، وبكل جبار عنيد، وبالمصورين**»[١].

فيا أيها المصور أتقدر على هذا الموقف يوم القيامة إذ تختطف من بين الناس إلى نار جهنم؟

• أيها المصور، أيها الظالم لنفسه، اعلم أَن عذابك عند الله يوم القيامة أليم ويقال لك: أحيي ما خلقت!! يقول ﷺ: «**إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»[٢].

جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنه يسأله عن الصور وعن التصوير، فقال ابن عباس للرجل: ادن مني، فدنا الرجل، فقال ابن عباس للرجل: ادن مني، فدنا الرجل، فوضع ابن عباس يده على رأس الرجل وقال له أُنَبِّئُكَ بما سمعتُ من رسول الله ﷺ؟ سمعته يقول: «**كل مصور في النار، يَجْعَلُ له، بكل صورةٍ صورها، نفساً فتعذِّبه في جهنم**»[٣].

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥٧٤)، حم: (٢/٣٣٦)، هب: (٥/١٩٠)، [«ص.غ.هـ» (٣٠٦١)].

(٢) **صحيح**: خ: (٥٦٠٧)، م: (٢١٠٨).

(٣) **صحيح**: م: (٢١١٠).

وقال ﷺ: «**من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ**»[(١)].

- فيا أيها المصور أتقدر على هذا العذاب؟! أتتحمل هذا العذاب؟!

- أيها المصور، أنت ملعون من الله، ملعون من رسول الله، فأنت ظالم لنفسك، أنت من شرار الخلق، وستخطف يوم القيامة من أرض المحشر، فالعذاب الأليم لك في نار جهنم، أفتقدر على هذا العذاب الأليم؟! الجواب لا، إذن تب إلى الله من هذا العمل الذي سيورثك ندامة إلى يوم القيامة وفي نار جهنم قبل فوات الأوان.

وإن كنت لا بد فاعلاً أيها المصور فعليك بتصوير ما ليس له روح، عليك بتصويرالأشجار، عليك بتصوير البحار، عليك بتصوير الجبال عليك بالمناظر الطبيعية، ولا شيء عليك في ذلك، أو عليك فقط بتصوير من كانت له ضرورة كالمعاملات الرسمية، يقول ابن عباس للرجل: «**إن كنت لا بُدَّ فاعلاً، فاصنع الشجر وما لا نفس له**»[(٢)].

العنصر الثالث: العلة في تحريم الإسلام للصور والتماثيل.

عباد الله! **العلة الأولى**: هي مضاهاة خلق الله؛ أي: المشابهةُ لخلق الله كما سمعتم في الأحاديث يقول ﷺ: «**إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»[(٣)].

وقال ﷺ: قال الله ﷻ: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي...**»[(٤)].

العلة الثانية: إنها مظهر من مظاهر الوثنية وباب من أبواب الشرك.

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦١٨)، م: (٢١١٠).
(٢) **صحيح**: م: (٢١١٠).
(٣) **صحيح**: خ: (٥٦٠٧)، م: (٢١٠٨).
(٤) **صحيح**: خ: (٧١٢٠)، م: (٢١١١).

ففي الأمم السابقة عُبدت الأصنام والتماثيل من دون الله والسبب أنهم صنعوا تلك الصور وتلك التماثيل.

• انظروا إلى قوم نوح مثلاً فلقد عبدوا الأصنام، وأشركوا بالله ﷻ عندما صوروا صوراً لرجال صالحين للذكرى ثم طال بهم الأمد، وانتشر الجهل بين الناس فعبدوا هذه التماثيل من دون الله.

• وانظروا إلى قوم إبراهيم عبدوا التماثيل، وعكفوا عليها وأخذوا يعبدونها من دون الله، فقال لهم إبراهيم: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾. وربما سيقول قائل: أيعقل في هذا الزمان، ونحن في القرن العشرين، قرن التقدم، والحضارة ـ زعموا ـ أن يعبد الإنسان صنماً أو صورة أو تمثالاً؟ نقول: لا تتعجب ولا تستبعد ذلك فإنَّ في هذا القرن ـ الذي يزعمون أنه قرن التقدم ـ هناك من يعبد البقر إلى اليوم، وهناك من يعبد النار إلى اليوم، وهناك من يقول: إن الله هو المسيح ابن مريم، وهناك من يقول: إن عزير ابن الله، بل وهناك من يعبد الشياطين، بل وفيه من المسلمين من عبدوا أصحاب القبور من الأولياء والصالحين**!!**

مِنْ أجل هذا جاءَ الإسلام فأغلق هذا الباب، وحرم الصور والتماثيل سداً لهذا الباب الذي إذا فتح دخل الناس في الشرك.

العلة الثالثة: في تحريم الصور والتماثيل أَن الصور والتماثيل والأصنام تمنع من دخول الملائكة البيوتَ، فالملائكة يا أمة الإسلام لا تدخل بيتاً فيه كلب أو صورة يقول ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**»[(١)].

وقال ﷺ: «**إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة**»[(٢)].

وقال ابن عمر رضي الله عنه: وعد النبي ﷺ جبريل فراث عليه ـ أي: أبطأ

(١) **صحيح**: خ: (٣١٤٤)، م: (٢١٠٦).

(٢) **صحيح**: خ: (١٩٩٩)، م: (٢١٠٧).

في النزول ـ حتى اشتد على النبي ﷺ فخرج النبي ﷺ فلقيه فشكا إليه ما وجد فقال له ـ أي: جبريل ـ: «**إنا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب**»[1] فدخل ﷺ فوجد جرواً صغيراً؛ أي: كلباً صغيراً تحت سريره.

فيا أمة الإسلام، اتقوا الله في بيوتكم التي امتلأت بالصور المعلقة على الحائط، وامتلأت بالصور والتماثيل، ثم بعد ذلك أراكم تشتكون من الضنك ومن عدم وجود السعادة في بيوتكم! إن هذا بسبب ما اقترفت أيديكم، فأخرجوا هذه الصور، وأخرجوا هذه الأصنام والتماثيل من بيوتكم لتدخل ملائكة الرحمة؛ لأن ملائكة الرحمة إذا لم تدخل بيوتكم امتلأت بالشياطين، وبيت امتلأ بالشياطين لن يشعر صاحبه بطعم السعادة!

عباد الله! إذن حرَّم الإسلام الصور والتماثيل تحريماً قاطعاً ولا يشك في ذلك إلا جاهل.

أما العنصر الرابع في هذا الموضوع فهو: سؤال وجواب:

ولعل السؤال الذي يدور في خَلَد الجميع الآن هو هل يجوز للمسلم أن يتصور من أجل المعاملات الرسمية أو غير ذلك من الأشياء الضرورية ـ والإسلام قد حرم الصور؟

الجواب: اختلف العلماء في حكم الصور الفوتغرافية، ولكنهم اتفقوا على تحريم التماثيل والأصنام.

فهم اختلفوا في حكم الصور الفوتغرافية التي تُلتقط بآلة التصوير [الكاميرا] فمنهم من قال: إنها حرام، ولا تجوز إلا للضرورة؛ لأن الضرورات تبيح المحذورات، والضرورات تقدر بقدرها، فإذا احتاج المسلم إلى التصوير من أجل الضرورة فلا شيء عليه.

وقال الآخرون: التصوير الفوتغرافي حرام بكل أشكاله ولكن إذا

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦١٥).

استكره الإنسان على التصوير لسبب من الأسباب فلا شيء عليه؛ لأن الله تجاوز للأمة الإسلامية عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.

فإذا استكره الإنسان على التصوير لضرورة ما، فلا شيء عليه.

والخلاصة: أن التصوير الفوتغرافي حرام، ولكن عند الضرورة يجوز إذا كان من أجل معاملة لا بد منها، وكتصوير المجرمين لمطاردتهم فإنه لا بد من ذلك، وهنا يجيز الإسلام ذلك، ولا شيء على المُصَوِّرِ ولا على المصوَّر.

فلا شيء على الإنسان المسلم أن يتصور من أجل الضرورة، ولا شيء على المصور أن يصور من أجل الضرورة، أما من غير الضرورة فلا.

العنصر الخامس: وهو وضع النقاط على الحروف ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

فيا أمة الإسلام! إذا كان التصوير لا يجوز إلا لضرورة، فتعالوا بنا لننظر إلى أحوالنا:

أولاً: التصوير بالفيديو للعروسين ليلة العرس أهي ضرورة أم فضيحة؟ أجيبوا ففيكم مَنْ يجلس أمامي وقد تصور وصور.

ومنكم من يسمع الكلام من هنا ويخرجه من ها هنا، وكأننا نخاطب بشراً لا يعقلون، إذ نتكلم عن إطلاق النيران في الأعراس، ونتكلم عن الاختلاط والتبرج في الأعراس، ونتكلم عن تحريم الخمر، ثم بعد ذلك هناك منكم مَنْ يقع في هذه المحرمات بعد علمه!

يا أمة الإسلام! ما ظنكم برب العالمين! أنسيتم أنكم ستموتون! أنسيتم أنكم ستعرضون على رب العالمين! أنسيتم أنكم واقفون بين يدي الجبار يوم القيامة، ما الذي أصابكم تسمعون ولا تعملون؟! التصوير في ليلة العرس ضرورة أم فضيحة؟ أظن أن العاقل سيقول: إنها فضيحة.

عباد الله! والعاقل من اتعظ بغيره، والمسكين من اتعظ بنفسه.

• هذه امرأة مسلمة جميلة متحجبة، تعيش مع زوجها في أسعد حال، وتربي أولادها، ومرت الأيام وذهبت هذه المرأة المسلمة المتحجبة إلى عرسٍ لأحد أقاربها وفي نشوة العرس وبين التصفيق، والغناء، والموسيقى، ومع رقص النساء أمامها، قامت هذه المرأة المتحجبة، ونزعت أولاً خِمارها ثم جلبابها ثم قامت ترقص وكان هناك من يصور، وكما تعلمون فهم يصورون العرس من أوله إلى آخره، وهذا المجرم ـ وما أكثر من يصورون في الأعراس ـ كان إذا التقط لقطات تثير الشباب المنحرف المجرم قام ببيع هذه الأفلام في كل مكان، وصل هذا الفيلم إلى البلاد المجاورة، ومرت الأيام، وسافر زوج هذه المرأة إلى البلاد المجاورة وجلس مع أصحابه: فقال أحدهم تعالوا بنا ننظر إلى أجمل امرأة وهي ترقص في عرس ما وجلس معهم ينظر، وكانت المفاجأة إذ رأى زوجته هي التي ترقص وقد كشفت عن جسمها، وعن مفاتنها، وكان ينظر إليها القاصي والداني، فاغتم وحزن وكاد الرجل أن يموت هماً وغماً، وما كان منه إلا أن طلقها، فلما سألته عن سبب الطلاق؟ ذكر لها ما رأى، فقالت المرأة وهي تعضُّ على أصابع الندم: (طلقتني المعصية).

ثانياً: التصوير بين الأصدقاء والزملاء للذكرى.

• مثلاً رجل في عمل جلس مع زملائه من الرجال والنساء والتقط صوراً لأصحابه.

• طالب في الجامعة ذهب في رحلة مع صديقته ـ وكلكم يعلم ما هي رحلات الجامعات، ووالله الذي لا إله غيره ولا رب سواه وأقولها من هذا المكان: لا يسمح أحدٌ من الرجال لابنته أن تذهب في رحلة مختلطة بين الشباب والشابات إلا ديوث يقر في أهله المنكر ـ ذهب الشاب مع صديقته، وهناك بعيداً عن الأهل والأقارب التقط صورة مع صديقته للذكرى، وكيف كانت الصورة؟ متواضعة فقد تصور معها وهو يقبلها وعادوا من الرحلة ومرت الأيام، وتخرج كل من الشاب والشابة من الجامعة وذهب كل منهم إلى طريقه وتزوجت الفتاة من غيره وتزوج هو من

غيرها، ومرت الأيام وعمل هذا الشاب مع زوج تلك الفتاة في مدرسة ما. وسكنوا في مكان واحد بحكم الغربة، وهناك أخذ كل منهم يظهر ما عنده وما في ألبوم صوره من ذكرياته، فنظر الزوج وإذا بصورة زوجته تُقبلُ صديقه يوم أن كانوا يدرسون في الجامعة فما كان من هذا الزوج إلا أن طلقها.

صور الذكرى!! وأظنكم تعرفون ما هي صور الذكرى، فاعتبر بغيرك، واتعظ بمن قبلك قبل أن تندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

ثالثاً: صور الأموات يا عباد الله! فإذا ماتت الأم أو الأب أو الصديق كبَّرنا صورته ووضعناها ضمن إطار، وعلقناها على الحائط! واللهِ ما سمعنا في كتاب ربنا ولا في سنة نبينا أن مِنْ بر الوالدين أن تُكبر صورهم ثم تُعَلَّق على الحائط. وليس هذا من البر، وإنما في هذا مخالفة لله ولرسوله، وهذا يمنع من دخول الملائكة، عبادَ الله، بر الوالدين يكون بالأعمال الصالحة بعد موتهما، أما تعليق الصور على الحائط في البيوت لتذكر الأَموات فهذا حرام ويمنع من دخول الملائكة وليس مِنْ بر الوالدين في شيء.

فيا إخوة الإسلام: ها أنا قد وضعت النقاط على الحروف، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة. ومن تاب تاب الله عليه، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

اللّهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁

١١٥

الوصية الرابعة والأربعون:
«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الرابعة والأربعين:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة، فقال ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بَطْرُ الحق، وغمط الناس**»[1].

أمة الإسلام! رسولنا ﷺ في هذه الوصية يحذر من مرض خطير دب في الأمم السابقة فأهلكها، وها هو يدب في الأمة الإسلامية ـ إلا من رحم ربي ـ ألا وهو مرض الكبر.

وحديثنا عن الكبر في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: ما هو الكبر؟ ومن هو المتكبر؟

العنصر الثاني: تحذير الرسول ﷺ من الكبر.

العنصر الثالث: رسالة إلى المتكبرين لعلهم يتوبون.

العنصر الرابع: العاقل من اتعظ بغيره.

---

(١) **صحيح**: م: (٩١).

العنصر الخامس: كيف تعالج الكبر في نفسك؟

أمة الإسلام! ما هو الكبر؟ الذي يعرِّفه لنا هو رسول الله ﷺ كما سمعتم في وصيته التي معنا حيث يقول: «**الكبر: بطر الحق، وغمط الناس**»، وبطر الحق يا عباد الله هو دفعه ورده كما فعل إبليس عليه لعنة الله، فرد أمر الله عندما أمره أن يسجد لآدم، فالذي منع إبليس من السجود هو الكبر، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ ـ أي: رفض تنفيذ الأمر، والذي دفعه لذلك هو الكبر، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وهذا الرجل الذي أكل بشماله عند رسول الله ﷺ فقال له ﷺ: «**كُل بيمينك**»، فقال الرجل: لا أستطيع، فقال ﷺ: «**لا استطعت، ما منعه إلا الكبر**»، فشُلَّت يده فما رفعها إلى فيه[1].

فبَطْرُ الحق: هو دفعه وردّه، **وغمط الناس**: أي: احتقارهم؛ فالكبر مرض خطير يكمن في القلوب، ويظهر على جوارح المتكبر يدفعه إلى كل شر، ويحول بينه وبين كل خير.

عباد الله! **من هو المتكبر**؟ المتكبر هو: الشخص المريض بالكبر وهو الذي يتكبر عن الحق وعلى الخلق.

● وهذا مثال لمتكبر تكبر على صاحبه الفقير بماله فكانت النتيجة أن أباد الله النعمة التي كانت بين يديه، أتدرون من هو هذا المتكبر؟ إنه صاحب الجنتين الذي ورد ذكره في سورة الكهف، حيث دخل جنتيه ونظر إلى ما فيهما من الثمار والأنهار فقال لصاحبه الفقير وهو يحاوره: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: ٣٤ ـ ٣٦].

---

(١) **صحيح**: م: (٢٠٢١).

فذكَّره صاحبه الفقير بأصله وقال له: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧]، ومع ذلك أصر المتكبر بغناه على تكبره على صاحبه الفقير فكانت النتيجة: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الكهف: ٤٢].

فيا أمة الإسلام! كونوا من الكبر ومن المتكبرين على حذر.

عباد الله! جاء الإسلام يحذر من الكبر، ومن التكبر على خلق الله، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء: ٣٧]. يا ابن آدم، لا تمشِ في الأرض مرحاً؛ لأنك مهما ضربت برجلك على الأرض فلن تخرق الأرض، ومهما رفعت رأسك على الناس فلن تبلغ الجبال طولاً، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨].

قال رسول الله ﷺ: «**العز إزاره، والكبرياء رداؤه، ـ الضمير يعود إلى الله تعالى ـ فمن يُنازِعُني عذبتُه**»[(١)]، وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[(٢)]، فما بالنا بالذي امتلأ قلبه بالكبر، وقال ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ** ـ أي: الشخص الذي زنى وهو شيخ كبير ـ، **وملك كذاب، وعائل مستكبر**»[(٣)] ـ أي: فقير متكبر ـ فجاء الإسلام يحذر من الكبر ومن التكبر.

العنصر الثالث: هذه رسالة نوجهها إلى كل متكبر، لعله يتوب، أو لعله يعالج نفسه من الكبر قبل فوات الآوان.

● نقول: أيها المتكبر، اعلم بأن الله ﷻ لا يحب المتكبرين، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦٢٠).
(٢) **صحيح**: م: (٩١).
(٣) **صحيح**: م: (١٠٧).

ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [النحل: ٢٣]، فيا أيها المتكبر، اعلم أنك بغيض عند الله، بغيض عند خلق الله.

• يا أيها المتكبر، اعلم بأن الكبر سبب لسوء الخاتمة، فالمتكبر يختم له بسوء العمل، قال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]. يطبع الله على قلب المتكبر فلا يهتدي إلى الخير أبداً بل يبقى على ضلاله حتى يخرج من الدنيا على غير الإيمان فيكون مصيره إلى جهنم، قال ـ تعالى ـ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]؛ فهل رأيتم متكبراً جاء إلى درس علم ولو مرة واحدة، هل رأيتم متكبراً جاء إلى المسجد يصلي في جماعة؟ انظروا إلى الذين تكبروا على الناس بعشيرتهم وبصحتهم هل جاءوا إلى المساجد وهل صلَّوا في المسجد وهل حضروا دروس العلم؟ لا والله، ولكن الله ﷻ عاقب المتكبر بأن صرفه عن دروس العلم، وعن تعلم العلم الشرعي حتى يبقى في جهله إلى أن يخرج من الدنيا ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾، فإذا رأيت متكبراً لا يتعلم دين الله فاعلم بأن هذا عقاب من الله ليختم له بسوء عمله، وانظر إلى الذين تكبروا على الناس بأموالهم والذين تكبروا على الناس بمناصبهم تراهم حُرموا من كل خير.

• أيها المتكبر، اعلم أنك ستحشر يوم القيامة في أرض المحشر في أسوأ صورة! فالمتكبرون والجبابرة يحشرون يوم القيامة كأمثال الذر ـ أي: النمل الصغير ـ في صور الرجال تطأهم الأقدام، فسبحانك ربنا ما أعدلك! الجزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربك أحداً، المتكبر الذي تكبر على خلق الله؛ ورفع رأسه عالية في الدنيا عقابه يوم القيامة أن يحشر في صورته كأمثال الذر تطؤه أقدام الناس في أرض المحشر فتخيل نفسك أيها المسلم وأنت تطأ بقدمك رؤوس المتكبرين والجبابرة يوم القيامة، فالذل والهوان في أرض المحشر للمتكبرين، قال ﷺ: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان،**

يساقون إلى سجن في جهنم يُسمى: بُولُسَ تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عُصارةِ أهل النار: طينة الخبال»[(١)]. فيا أيها المتكبر، اعتبر بحال المتكبرين في أرض المحشر وتب إلى الله.

● أيها المتكبر، اعلم بأن الله حرَّم الجنة على المتكبرين، فقال تعالى لإبليس عندما تكبر: ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣]؛ أي في الجنة، وقال ـ تعالى ـ: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣]، وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبر**»[(٢)].

● أيها المتكبر، اعلم بأن الله ﷻ أعد النار، وما فيها من العذاب الأليم للمتكبرين على خلق الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [غافر: ٧٦]، وقال ﷺ: «**ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر**»[(٣)]، وقال ﷺ: «**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم. قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار إنما أنت عذابي أعذبُ بك مَنْ أشاءُ من عبادي، ولكل واحدة منهما مِلْؤها...**»[(٤)].

● فيا أيها المتكبر، تُبْ إلى الله قبل فوات الأوان، ثم نقول لك: العاقل من اتعظ بغيره، فيا أيها المتكبر، إذا دفعك مالك على أن تتكبر على خلق الله، فاعتبر بقارون، الذي كان من قوم موسى فبغى عليهم ـ أي تكبر عليهم بسبب المال فنصحه قومه وقالوا له: يا قارون ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ

---

(١) **حسن**: ت: (٢٤٩٢)، حم: (٢/١٧٩)، خد: (٥٥٧)، [«ص.ج» (٨٠٤٠)].
(٢) **صحيح**: م: (٩١).
(٣) **صحيح**: خ: (٤٦٣٤)، م: (٢٨٥٣).
(٤) **صحيح**: خ: (٤٥٦٩)، م: (٢٨٤٦).

﴿مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [القصص: ٧٦، ٧٧]. ولكنه تكبر، ولم يستجب لنصيحة قومه ورد الحق، فكانت النتيجة ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١]، فاعتبروا يا من تكبرتم بأموالكم.

• أيها المتكبر على الناس بقوتك وبعشيرتك وبصحتك اعتبر بعاد قوم أشداء ما خلق الله مثلهم في البلاد، قالوا: من أشد منا قوة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ﴾ [فصلت: ١٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨﴾ [الفجر: ٦ ـ ٨]، ماذا فعل الله بهم لأنهم تكبروا على الحق وعلى الخلق؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ۝١٦﴾ [فصلت: ١٦] والله ذكرنا بهم لنعتبر.

• يا من تكبرت على الناس بمنصبك ورئاستك ووزارتك وجاهك وسلطانك، اعتبر بفرعون الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، وقال لقومه: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ﴾ [الزخرف: ٥١]، فكانت النتيجة لهذا المتكبر أن أهلكه الله فأغرقه هو وجنده في اليم، فاعتبروا يا أولي الألباب.

يا من تكبر على الناس بثيابه ولباسه، وتكبر على الناس بجمال خلقته فليعتبر بهذا المغرور المعجب بنفسه، قال ﷺ: «**بينما رجل يمشي في حُلة تعجبه نفسه، مرجل جمته، إذ خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة**»[(١)].

عباد الله! الكبر هو بطر الحق، وغمط الناس، والكبر مرض خطير جداً يكمن في القلوب، ويظهر على جوارح المتكبر يدفعه إلى كل شر ويحول بينه وبين كل خير.

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٤٥٢)، م: (٢٠٨٨).

والسؤال الذي يهمنا الآن هو:

كيف يعالج أحدنا نفسه من مرض الكبر؟

أولاً: أيها الإنسان، عليك أن تعرف ربك أولاً تعرفه بصفاته وأسمائه فالله ﷻ أخبرنا في كتابه فقال: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٧]، وقال في الحديث القدسي: «**إن العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني فيهما عذبته**»[١]، ووصف نفسه سبحانه وتعالى فقال: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]، فالكبرياء لله وحده، والمتكبر هو الله ﷻ.

فيا ابن آدم اعرف ربك واستحِ أن تنازعه في كبريائه، فإنه لا يليق بك أيها العبد الفقير الضعيف أن تنازِع الله ﷻ في كبريائه.

الأمر الثاني: أيها الإنسان اعرف قدر نفسك يا مسكين وإذا كثر معك المال وزادت بك الصحة والقوة، ووصل بك المنصب مهما وصل، وملكت الدنيا من مشرقها إلى مغربها، فلا تنسَ نفسك أيها المسكين، وتذكر أصلك الذي هو الطين، ولا تقل: أنا ابن فلان أو أنا من عشيرة كذا وكذا، لا تنس نفسك وأصلك، وإذا كان أصلك الطين فأصلنا جميعاً سواء، ولا فرق في الإسلام بين عربي وعجمي إلا بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] نعم أصلك الطين، وخلقت من نطفة من ماء مهين، فلا تنسَ ذلك.

وذاك الرجل الفقير قال لصاحبه المتكبر: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧] فلا تنس أصلك.

واسأل يا ابن آدم نفسك ـ وأنت تتكبر ـ من أين خرجت من عند أبيك؟ من مجرى البول، وانظر إلى نفسك من أين خرجت من عند أمك؟

---

(١) **صحيح**: طس: (٣/ ٣٥٢)، طص: (١/ ٢٠٧)، هب: (٦/ ٢٨٠)، [«ص.ج» (١٩٠٨)].

وانظر إلى نفسك وأنت تتكبر على خلق الله في الدنيا وأنت تسير وتدب على الأرض، انظر ما في داخلك من الأقذار، ثم تذكر نفسك وأنت تتكبر ماذا ستكون بعد الموت ستكون جيفة نتنة، يأكلك الدود وينهش لحمك الدود، وأنت لا تتكلم ولا تتحرك لا حول لك ولا قوة، ثم تذكر نفسك يوم القيامة وأنت تخرج من قبرك عريانَ كيوم ولدتك أمك، ولذلك دعا ربنا على الإنسان المتكبر بالقتل قال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ [عبس: ١٧ ـ ٢٢].

فاعرف نفسك يا مسكين ولا تنسَ أصلك، لا تنسَ من أين جئت، ولا إلى أين تسير، فوالله لا قيمة لك إلا وأنت تعبد الله، وأنت تركع وتسجد لله، أما بدون ذلك فالحيوان عند الله أفضل منك.

ثالثاً: عليك أن تستعيذ بالله من الكبر ومن المتكبرين، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾ [غافر: ٥٦].

أمرنا ربنا أن نستعيذ به سبحانه من الكبر، وعلمنا سبحانه أن نستعيذ به من المتكبرين، فقال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [غافر: ٢٧].

رابعاً: علينا أن نتأسى بالمتواضعين وعلى رأسهم رسولنا ﷺ، فقد كان من تواضعه ﷺ أنه إذا دخل في بيته «**كان في مهنة أهله**»(١)، فكان ﷺ يكنس بيته، ويخيط ثوبه، وكان يفعل ما يفعل أهله، ما ينفصل عنهم إلا إذا نودي للصلاة فمن منا يفعل ذلك؟

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٤٤).

أظن أنَّ من يفعل منا ذلك في هذا العصر العجيب تواضعاً لله ﷻ احتقره الناس، وأصابوه بالكلام، ولكن هذا هو خير البرية، هذا هو خير البشر كان إذا دخل بيته يكون في خدمة أهله، وكان من تواضعه ﷺ: أنه إذا مر على الغلمان والصبيان الصغار سلّم عليهم وكانت الجارية تأخذ بيده في المدينة فيمشي معها حتى يقضي لها حاجتها.

اللّهم ارزقنا التواضع ونجنا من الكبر



١١٦

الوصية الخامسة والأربعون:
«عجباً لأمر المؤمن...»

عباد الله! الإيمان بالرسل الكرام ركن من أركان العقيدة الصحيحة، وقد بدأنا في الحديث عن الإيمان بالرسل الكرام، وتكلمنا عن أولي العزم منهم وانتهينا بالحديث عن رسول الله ﷺ، ومنذ عام تقريباً ونحن نتكلم عن وصايا المصطفى ﷺ.

وها نحن في هذا اليوم ـ يا عباد الله ـ مع الوصية الخامسة والأربعين والأخيرة من وصايا المصطفى ﷺ

عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«عجباً لأمر المؤمن إنّ أمره كله له خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له»**[1].

عباد الله!: رسولنا ﷺ في هذه الوصية يوصي كل مؤمن أن يكون شاكراً في السراء، صابراً في الضراء؛ لأن الإنسان منا ـ يا عباد الله ـ خُلق في هذه الدنيا للامتحان والابتلاء، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان: ٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ٢]. فالإنسان خلق في هذه الدنيا للامتحان وللابتلاء، والامتحان والابتلاء من الله عز وجل لك يا ابن آدم يكون بالسراء والضراء، ويكون بالشر والخير، ويكون بالحسنات والسيئات، كما قال ـ تعالى ـ:

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٩٩).

﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]. فالمسلم في هذه الدنيا يتقلب بين السراء والضراء، وبين الصحة والمرض، وبين الفقر والغنى، وبين الشدة والرخاء، والواجب على المسلم أن يكون شاكراً في السراء، صابراً في الضراء.

• وقد أخبرنا الله ﷻ في كتابه أنه ابتلى عبده سليمان ﵇ بالسراء «أي: بالنعمة»، ومع ذلك فقد شكر سليمان ونجح في الامتحان والابتلاء فقال الله ﷻ عنه: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ﴾ [ص: ٣٠].

• وابتلى الله ﷻ عبده أيوب ﵇ بالضراء ـ أي: بالمرض والفقر والشدة ـ فصبر أيوب ﵇ ونجح في الامتحان، فقال الله ﷻ فيه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

إخوة الإسلام! ومن الأمور التي يتعرض لها المسلم في هذه الدنيا امتحاناً وابتلاءً من الله ﷻ فقدُ الأحبابِ وموتِ ولدٍ أو والدٍ أو أمٍ أو صديقٍ أو زوجةٍ أو غيرِ ذلك، وهذا ابتلاء من الله ﷻ للعبد، أن يفقد عزيزاً له امتحان من الله وابتلاء من الله ﷻ، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة: ١٥٥]، والمسلم الذي رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، إذا ابتُلي بفقد أحبابه فعليه أن يرضى بقضاء الله وقدره، وعليه أن يصبر ويحتسب، وعليه أن يسترجع كما جاء ذلك في كتاب ربنا وفي سنة نبينا ﷺ، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧] .

قال أنس ﵁: مرّ رسول الله ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال:

«**اتقي الله واصبري**»، فقالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك، فقال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»[١]، ويقول ﷺ: «**يقول الله ﷻ: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيهُ من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة**»[٢].

ويقول ﷺ: «**ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد، لم يبلغوا حنثاً** ـ أي: أنهم ماتوا في سن الطفولة ـ **إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته إياهم**»[٣]، فعليك بالصبر عند البلاء، وعليك بالصبر عند المصيبة، يقول ﷺ: «**ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللّهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها، إلا آجره الله في مصيبته، وأخلف الله له خيراً منها**»[٤].

فالمسلم العاقل الذي يؤمن بقضاء الله وقدره هو الذي إذا نزلت به مصيبة صبر واحتسب، ورضي بقضاء الله وقدره واسترجع، فهو يعلم أن ذلك ابتلاء وامتحان من الله، ولا مانع للمسلم أن يبكي على فقد صاحبه، ولا مانع للمسلم أن يبكي لفراق عزيزه، ولكن على أن لا يصل البكاء إلى درجة النياحة.

• فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**رأيت رسول الله ﷺ يقبل عثمان بن مظعون وهو ميت حتى رأيت الدموع تسيل**»[٥].

• و(دخل ﷺ على ولده إبراهيم وهو في سكرات الموت فحمله

---

(١) **صحيح**: خ: (١٢٢٣)، م: (٩٢٦). (٢) **صحيح**: خ: (٦٠٦٠).

(٣) **صحيح**: حم: (٥/ ١٥٣)، حب: (٤٦٤٣)، طس: (٥/ ٣٥٨)، ع: (١٠/ ٤٦٤)، ش: (٣/ ٣٦)، [«ص.ج» (٥٧٨١)].

(٤) **صحيح**: م: (٩١٨).

(٥) **صحيح**: د: (٣١٦٣)، ت: (٩٨٩)، هـ: (١٤٥٦)، حم: (٦/ ٥٥)، ك: (٣/ ٢٠٩)، لس: (١٤٢٤)، عب: (٣/ ٥٩٦)، ش: (٣/ ٤٥٣)، هق: (٣/ ٤٠٧)، [«ص.د» (٢٧٠٩)].

وقبَّله وشمَّه وأخذت عيناه تذرفان، فقال عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله، فقال: «**يا ابن عوف إنها رحمة**»، ثم قال ﷺ: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»(١)، فلا مانع للإنسان من أن يبكي على صاحبه وعزيزه الذي مات، ولكن عليه أن لا يصل إلى درجة النياحة التي قد حرّمها الإسلام.

إخوة الإسلام! إذن على المسلم إذا ابتلي بالضراء وبفقد عزيز له أن يصبر، وأن يحتسب ذلك عند الله، وأن يرضى بقضاء الله وقدره، وأن يسترجع. فإن فعل ذلك فقد نجح في الامتحان، وكان صابراً في الضراء، ولكن انظروا معي عباد الله إلى كثير من المسلمين في هذا الزمان ـ إلا من رحم ربي ـ فإنهم إذا نزلت بهم مصيبة الموت وفقدوا عزيزاً لهم تراهم يفعلون أشياءً لم يفعلها أهل الجاهلية وكأنهم لم يسمعوا بالإسلام ولم يعلموا شيئاً عن الإسلام.

فمن الأمور المحرّمة التي يقع فيها كثيرٌ من الناس إذا نزلت بأحدهم مصيبة الموت ـ ولعل منهم من يصلي ـ وللأسف الشديد:

أولاً: النياحة. وهي أمر زائد عن البكاء، والنياحة كانت في الجاهلية قبل الإسلام إذ كانت النساء يقفن متقابلات يصحن، ويحثين التراب على رؤوسهم، ويضربن وجوههن، فهذه هي النياحة، فهل هي موجودة بين نساء المسلمين في هذا الزمان؟ نقول: نعم موجودة عند الجهلاء الذين لم يعلموا أو علموا ولكن لم يرضوا بقضاء الله وقدره!

عباد الله! إذن والنياحة من أمور الجاهلية التي حرّمها الإسلام. يقول ﷺ: «**أربع بقين في أمتي من أمر الجاهلية ليسوا بتاركيها: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة على الميت، وإن النائحة إذا لم تتب قبل الموت جاءت يوم القيامة عليها**

---

(١) **صحيح**: خ: (١٢٤١)، م: (٢٣١٥).

سربال من قطران، ودرع من لهب النار»[١]، وقال ﷺ: «**اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت**»[٢].

وتقول أم عطية رضي الله عنها: (أخذ علينا رسول الله ﷺ مع البيعة ألا ننوح)[٣]، وقال ﷺ: «**الميت يعذب في قبره بما نيح عليه**»[٤].

فاتق الله في نفسك يا عبد الله وربِّ أولادك على أن يفهموا أن ذلك حرام، بل أوصِ بذلك واكتب في وصيتك لأهلك ولأقاربك ألا ينوحوا عليك حتى لا تعذب في قبرك، وإن وصيت وأمرتهم ونهيتهم عن النياحة ثم فعلوا ذلك فلا شيء عليك، ولكنك إن مت وأنت مقصر في نهيهم عن النياحة فسيصلك العذاب في قبرك بما نيح عليك بعد الموت.

ثانياً: من الأمور المحرّمة التي يفعلها الكثير من الناس إذا نزلت بهم مصيبة الموت: ضرب الخدود، وشق الجيوب، وضرب الخدود: هو اللطم، وشق الجيوب: هو أن تشق المرأة ثوبها أو يشق الرجل ثوبه قال ﷺ: «**ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**»[٥].

ثالثاً: من الأمور المحرمة التي يفعلها كثير من الناس، حلق الشعر، ورفع الصوت عند المصيبة.

يقول أبو موسى رضي الله عنه: (إني بريء ممن برىء منه رسول الله ﷺ، **إن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة، والحالقة، والشاقة)**[٦].

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/ ٣٤٣)، ك: (١/ ٥٣٩)، طب: (٣/ ٢٨٥)، هب: (٤/ ٢٩٠)، [«ص.ج» (٨٧٥)].
(٢) **صحيح**: م: (٦٧).
(٣) **صحيح**: خ: (١٢٤٤)، م: (٩٣٦).
(٤) **صحيح**: خ: (١٢٣٠)، م: (٩٢٧).
(٥) **صحيح**: خ: (١٢٣٢)، م: (١٠٣).
(٦) **صحيح**: خ: (١٢٣٤)، م: (١٠٤).

الصالقة: هي التي تصرخ عند المصيبة، والحالقة: هي التي تحلق رأسها عند المصيبة، والشاقة: التي تشق ثوبها عند المصيبة، وأولئك قد برىء منهم رسول الله ﷺ.

رابعاً: من الأمور المحرّمة التي حرّمها الإسلام: «**نشر الشعر**»، فإنك ترى المرأة إذا مات لها عزيز نشرت شعرها وكأنها شيطانة.

تقول امرأة من المبايعات لرسول الله ﷺ: (كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ في المعروف الذي أخذ علينا ألا نخمش وجهاً، ولا ندعو ويلاً، ولا نشق جيباً، ولا ننشر شعراً)(١)، فبالله عليكم يا أمة الإسلام أترون من نسائنا في هذا الزمان من إذا نزلت بها مصيبة شقت ثوبها، ونشرت شعرها، وأظهرت لحمها للناس وخرجت إلى الشارع تحثو التراب على رأسها، وتنوح بدعوى الجاهلية؟! وزوجها يفعل مثلها؟ بل ومن النساء من تفعل أشد من ذلك فقد تحلق شعرها، وترى الرجل يحلق لحيته، فإذا نزلت به مصيبة أطلق لحيته مدة العزاء ثم بعد ذلك يحلقها.

وهذا يا أمة الإسلام حرام وأولئك سقطوا في الامتحان!

يقول ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**»(٢).

عباد الله! إذن المسلم الذي يؤمن بقضاء الله وقدره، والذي يعلم إنه في هذه الدنيا مبتلى ـ ومن الابتلاء في هذه الدنيا فقد الأولاد والأحباب ـ فعليه أن يصبر وأن يحتسب وأن يسترجع إذا نزلت به مصيبة.

ومن الأمور التي تعين على الصبر إذا نزلت مصيبة الموت.

أولاً: أن تعلم أيها المسلم أن الله كتب الموت على جميع الخلائق

---

(١) **صحيح**: د: (٣١٣١)، طب: (٢٥/ ١٨٤)، هب: (٧/ ٢٤٠)، هق: (٤/ ٦٤)، [«ص.غ.هـ» (٣٥٣٥)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٩٩٩).

كما أخبرنا في كتابه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن: ٢٦].

ثانياً: أن تعلم يا عبد الله بأنها آجال، والآجال بيد الله ﷻ لا يعلمها إلا هو، فإذا انتهى الأجل انتقل الإنسان من هذه الدنيا إلى ربه سواء كان في سن الطفولة أو في سن الشباب، أو في سن الشيخوخة، سواء كان غنياً أو فقيراً، سواء كان وزيراً أو حقيراً، سواء كان نائماً أو مستيقظاً، سواء كان راكباً في الهواء أو راكباً في البحر، فإنما هي آجال قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]. فالمسلم يعلم بأن الله كتب الموت على جميع الخلائق، ويعلم بأنها آجال وإذا جاء الأجل انتقل الإنسان إلى ربه.

ثالثاً: أن تعلم يا مسلم أن رسول الله ﷺ وهو أحب الخلق إلى الله، ـ وهو أحب الخلق إلى قلوبنا ـ قد مات وانتقل إلى ربه، والإنسان إذا تذكر مصيبة المسلمين في موت رسول الله ﷺ هانت عليه مصيبته، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الإنسان: ٣٤]. فيا أيها المسلم، يا من نزلت بك مصيبة الموت، أو نزلت بأحد أحبابك، اعلم بأن الرسول ﷺ قد مات، وكلنا سنموت، ولكن والله من مات على الخير فهنيئاً له، ومن مات على الإيمان والطاعة فهنيئاً له، ومن مات وهو ذاهب إلى الصلاة أو راجعاً من الصلاة، أو ذاهباً إلى درس علم أو راجعاً من درس علم فهنيئاً له.

أما من مات وهو آكل للربا أو شارب للخمر، أو من مات وهو

عاكف على المعصية فذلك قد خاب وخسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

رابعاً: اعلم أيها المسلم يا من نزلت بك مصيبة بفقد أحبابك أن الله أمرك بالصبر، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة: ١٥٣]، واعلم بأن الرسول ﷺ قال للمرأة: «**اتقي الله واصبري**»(١)، وقال ﷺ: «**الصبر ضياء**»(٢)، وقال ﷺ: «**وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر**»(٣)، وقال ﷺ: «**ومن يتصبر يصبره الله**»(٤).

ويوم القيامة يوفي الله ﷻ الذين صبروا أجرهم بغير حساب كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١﴾ [المؤمنون: ١١١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ [الرعد: ٢٣ ـ ٢٤].

فيا أخا الإسلام أنت في هذه الدنيا مبتلى بالسراء والضراء، فكن في السراء شاكراً، وكن في الضراء صابراً، بذلك تنجح في الامتحان والابتلاء وتخرج من الدنيا والله راضٍ عنك لتكون يوم القيامة من أصحاب الجنة.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم

أن يخرجنا من هذه الدنيا على الإيمان

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: خ: (١٢٢٣)، م: (٩٢٦).

(٢) **صحيح**: م: (٢٢٣).

(٣) **صحيح**: خ: (١٤٠٠)، م: (١٠٥٣).

(٤) **صحيح**: خ: (١٤٠٠)، م: (١٠٥٣).

فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

كتب صدرت للمؤلف

أ ـ العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون، ٤ مجلدات.

ب ـ أحسن البيان، مجلد.

جـ ـ الدعاء النافع، مجلد.

د ـ سبل السلام في صحيح سيرة خير الأنام، مجلد.

هـ ـ الصحابة رضي الله عنهم، مجلد.

و ـ تبصرة الأنام بالحقوق في الإسلام، مجلد.

ي ـ حياة السعداء، مجلد.

ز ـ الفرقان من قصص القرآن، مجلد.